



جمهورية العراق  
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي  
الجامعة المستنصرية  
كلية التربية  
قسم اللغة العربية

# التفسير اللغوي للقرآن الكريم عند ابن جنبي

مرسالة قدمها

أحمد محسن خلف

إلى مجلس كلية التربية في الجامعة المستنصرية قسم اللغة العربية، وهي جزء من

متطلبات نيل شهادة الماجستير في اللغة العربية وآدابها

بإشراف

الأستاذ المساعد الدكتور

ميثم محمد علي الموسوي

٢٠١٤ م

١٤٣٦ هـ

الآيَةُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ فَإِنَّمَا يَسِرَّنَاهُ بِلسَانِكَ لِأَعْلَاهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾

[الدخان: ٥٨]

بسم الله الرحمن الرحيم

إقرار المشرف

أشهد أنّ إعداد هذه الرسالة الموسومة بـ(التفسير اللغوي للقرآن الكريم عند ابن جنّي) قد جرى تحت إشرافي في قسم اللغة العربية في كلية التربية الجامعة المستنصرية، وهي جزءٌ من متطلبات نيل شهادة الماجستير في اللغة العربية وآدابها.

التوقيع:

الاسم: الأستاذ المساعد الدكتور

ميثم محمّد علي الموسوي

التاريخ: / / ٢٠١٤

بناءً على التوصيات المتوافرة أُرشح هذه الرسالة للمناقشة.

التوقيع:

الاسم: الأستاذ المساعد الدكتور

صالح زامل حسين

رئيس قسم اللغة العربية

التاريخ: / / ٢٠١٤

بسم الله الرحمن الرحيم

إقرار لجنة المناقشة

نشهد نحن أعضاء لجنة المناقشة، أننا قد أطلعنا على هذه الرسالة الموسومة  
بـ(التفسير اللغوي للقرآن الكريم عند ابن جنّي) التي قدمها الطالب (أحمد محسن  
خلف)، وناقشناه في مضمونها ومحتواها وفيما له علاقة بها، ونعتقد بأنّها جديرة  
بالقبول وبتقدير ( ) لنيل شهادة الماجستير في اللغة العربيّة وآدابها.

التوقيع: التوقيع:

الاسم: أ.م. د. حيدر سلمان جواد الاسم: أ.م. د. حسن عبد الغني محمد

التاريخ: / / ٢٠١٤ التاريخ: / / ٢٠١٤

رئيسًا عضوًا

التوقيع: التوقيع:

الاسم: أ.م. د. باسل محمد محيي الدين الاسم: أ.م. د. ميثم محمد علي

التاريخ: / / ٢٠١٤ التاريخ: / / ٢٠١٤

عضوًا عضوًا ومشرّفًا

صادق مجلس كلية التربية في الجامعة المستنصرية على قرار لجنة المناقشة

التوقيع:

أ.م. د. أحمد شيال غضيب

عميد كلية التربية

التاريخ: / / ٢٠١٤

لِلرُّحَمَاءِ

إِلَى أُمِّي وَأَبِي

إِكْرَامًا وَإِحْسَانًا



# شكر وتقدير

أَتَقَدِّمُ بِالشُّكْرِ الجَزِيلِ، والعِرْفَانِ بالجَمِيلِ إلى أستاذي الجليل الدكتور ميثم مُحَمَّد عَلِي الموسوي المشرف على البحث، الَّذِي كان له الفضلُ الكبير في تَقْوِيم ما عَوَّجَ مِنْ هذا البَحْث، في ضَوْءِ ما قَدَّمَهُ من آراءٍ قَيِّمَةٍ وأفكارٍ بِنَاءةٍ، كانت لي نُجُومًا أَهْتَدِي بِهَا في ظُلُمَاتِ البَحْثِ، فَجَزَاهُ اللهُ عَنِّي خَيْرَ الجَزَاءِ.

وَأَتَقَدِّمُ بِالشُّكْرِ الجَزِيلِ إِلَى أستاذي الجليل الأستاذ الدكتور طارق الجَنَابِي، على ما قَدَّمَهُ لي من نُصَحٍ وإرشادٍ في تَقْوِيمِ عِنْوَانِ هذه الرِّسَالَةِ .

وَأَتَقَدِّمُ بِالشُّكْرِ الجَزِيلِ إِلَى أستاذي الجليل الأستاذ الدكتور صاحب أبو جناح، وإلى أستاذتي الجليلة الدكتورة لطيفة عبد الرسول، وإلى أستاذي الدكتور عبد الزهرة زُبُون، وإلى أستاذي الدكتور فلاح حَسَن كاطع، وأستاذي رضا هادي حَسُون، على ما قَدَّمُوهُ لي من مصادر، وتوجيهات أعاننتني في إتمام هذا البحث.

وَأَتَقَدِّمُ بِالشُّكْرِ الجَزِيلِ إِلَى الدكتور محمد إبراهيم عبد الفتَّاح حَجَّاج، من جمهورية مصر، على إرساله رسالته للماجستير. والزميل محمود سنيور من مصر؛ لِمَا قَدَّمَهُ من عون.

وَأَتَقَدِّمُ بِالشُّكْرِ الجَزِيلِ إِلَى جميع، زملائي في الدراسة، وكذلك أَتَقَدِّمُ بِالشُّكْرِ إلى زملائي المدرسين، كاصد الأسدي، وأحمد كريم، وعلي عبد سالم، وجاسم اغدير وغزوان على ناصر، فقد شجعوني وآزروني؛ لإتمام هذا البحث بهذا الوجه،

وأخيرًا أَتَقَدِّمُ بِالشُّكْرِ الجَزِيلِ إِلَى جميع الموظفين والموظفات في المكتبة المركزية العامة في الجامعة المستنصرية، على ما قَدَّمُوهُ من خدمة إلى طلبة الدراسات العليا، برحابة صدر، وسرور، فلهم مِنِّي جَزِيلُ الشُّكْرِ والامتنان.



## المحتويات

الصفحة	الموضوع
٤ - ١	المقدمة
٧ - ٥	التمهيد:
٥	تعريف التفسير اللغوي للقرآن الكريم
٥	تعريف التفسير
٦	تعريف اللغة
٧	تعريف مركب التفسير اللغوي
١٠٣ - ٨	الفصل الأول: منهج ابن جني في التفسير اللغوي للقرآن الكريم
٨	توطئة: ابن جني مفسراً لغوياً
٣٢ - ١١	المبحث الأول: منهج التفسير اللغوي للقرآن الكريم
١١	نشأة علم التفسير
١٣	مناهج التفسير
١٤	أولاً: منهج تفسير القرآن بالقرآن
١٥	ثانياً: منهج تفسير القرآن بالمأثور
١٦	ثالثاً: منهج تفسير القرآن بالرأي
١٧	رابعاً: منهج التفسير اللغوي
٢٠	نشأة التفسير اللغوي
٢٢	مكانة التفسير اللغوي للقرآن الكريم
٢٤	مصادر التفسير اللغوي
٢٤	أولاً: كتب غريب القرآن ومجاز القرآن لأبي عبيدة
٢٧	ثانياً: كتب معاني القرآن
٢٨	ثالثاً: كتب التفسير
٢٩	قواعد التفسير اللغوي
٣٠	التفسير اللغوي عند المُحدثين
٣٠	الاتجاه الأول
٣١	الاتجاه الثاني

الصفحة	الموضوع
٣٣ - ٥٢	المبحث الثاني: القرآن الكريم في كتب ابن جني
٣٣	طرائق إيراده القرآن الكريم
٣٧	أثر القرآن الكريم في كتب ابن جني
٣٧	أولاً: كتب القراءات والنحو واللغة
٣٧	المُحْتَسَب
٣٩	الخصائص
٤١	سر صناعة الإعراب
٤٢	المنصف
٤٤	الخطريات
٤٥	بعض كتب اللغة والنحو
٤٧	ثانياً: كتب الأدب
٤٧	الفسر
٤٨	التنبيه
٤٩	تفسير أرجوزة أبي نواس
٤٩	التمام
٥٠	الفتح الوهبي
٥٠	المُعَرَّب في شرح قوافي أبي الحسن (مخطوط)
٥٣ - ٧٩	المبحث الثالث: أثر اللغة وعلومها في التفسير اللغوي عند ابن جني
٥٣	أولاً: أثر النحو
٥٥	ثانياً: أثر الصرف
٥٦	ثالثاً: أثر الصوت
٥٧	رابعاً: أثر الدلالة
٨٥	الدلالة المعجمية
٥٩	الدلالة السياقية
٥٩	توظيفه بعض النظريات الدلالية
٦٠	خامساً: تعدد الاحتمالات اللغوية في تفسيره

الصفحة	الموضوع
٦١	توجيهه للقراءات القرآنية
٦٢	أولاً: تفضيل معنى قراءة العامة على القراءة الشاذة
٦٢	ثانياً: حمل معنى القراءة الشاذة على القراءة العامة
٦٣	ثالثاً: تحسين معنى القراءة الشاذة
٦٤	رابعاً: تفضيل معنى القراءة الشاذة على العامة
٦٥	خامساً: تفضيل القراءة بسبب الصنعة النحوية
٦٦	سادساً: حمل القراءة على أنها لغة
٦٦	نقد ابن جني للعلماء في التفسير اللغوي
٦٧	الفراء (ت ٢٠٧هـ)
٦٩	الزجاج (ت ٣١١هـ)
٧٠	ابن مجاهد (ت ٣٢٤هـ)
٧٣	قواعد التفسير اللغوي عند ابن جني
٧٣	شواهد ابن جني على تفسيره اللغوي
٧٥	شواهد من القرآن الكريم
٧٥	أولاً: شواهد من قراءة العامة
٧٦	ثانياً: شواهد من القراءات الأخرى
٧٧	شواهد من الحديث الشريف
٧٧	شواهد من الشعر
٧٨	شواهد من كلام العرب المنثور
٨٠ - ١٠٣	المبحث الرابع: مصادر ابن جني في التفسير اللغوي
٨٠	أخذه عن المفسرين
٨٢	أخذه عن اللغويين
٨٢	الخليل (ت ١٧٥هـ) ، وسيبويه (ت ١٨٠هـ) في (الكتاب)
٨٣	الكسائي (ت ١٨٩هـ)
٨٤	أبو عبيدة (ت ٢١٠هـ) (مجاز القرآن)
٨٦	الفراء (ت ٢٠٧هـ) (معاني القرآن)

الصفحة	الموضوع
٨٧	الأخفش (ت ٢١٥هـ) (معاني القرآن)
٨٨	المبرد (ت ٢٨٥هـ)
٨٩	ثعلب (ت ٢٩١هـ)
٩١	الزجاج (ت ٣١١هـ) (معاني القرآن وإعرابه)
٩٢	أبو علي الفارسي (ت ٣٧٧هـ)
٩٤	أخذه عمّن كتب في توجيه القراءات
٩٤	قطرب (ت ٢١٠هـ)
٩٦	ابن مجاهد (ت ٢٤٥هـ)
٩٧	أبو حاتم السجستاني (ت ٢٥٥هـ)
٩٨	أثر ابن جني في المفسرين واللغويين في تفسيرهم اللغوي
٩٩	أثر ابن جني في الطبرسي (ت ٥٤٨هـ) في كتابه (مجمع البيان)
١٠١	أثر ابن جني في الباقر (ت ٥٤٣هـ) في كتابه (كشف المشكلات)
١٠٤ - ٢٠١	<b>الفصل الثاني: التفسير اللغوي في المباحث النحوية والصرفية</b>
١٠٤	توطئة: علاقة علم النحو العربي بتفسير القرآن الكريم
١٠٨ - ١٢٨	المبحث الأول: المبتدأ والخبر وبعض الموضوعات النحوية، وأثرها في التفسير اللغوي
١٠٨	١- المبتدأ والخبر
١٠٨	تعدد الخبر
١١٢	الاسم بين الرفع على الابتداء والنصب على الاشتغال
١١٨	الاسم بين الظرف والخبر
١٢١	الاسم بين الخبر والحال
١٢٣	٢- التعريف والتذكير
١٢٣	(أل) التعريف
١٢٤	تذكير اسم الجنس
١٢٥	تذكير المصدر المؤول وتعريفه
١٢٦	٣- الجملة التفسيرية

الصفحة	الموضوع
١٢٩ - ١٦٠	المبحث الثاني: الحذف وأثره في التفسير اللغوي
١٢٩	١- حذف الفعل
١٢٩	حذف (كان)
١٣١	حذف فعل القول
١٣٦	حذف الفعل لدلالة الحال عليه
١٣٧	٢- حذف الاسم
١٣٧	حذف المبتدأ أو الخبر
١٤٢	حذف مضاف واحد
١٤٥	حذف المضاف قبل المصدر
١٤٨	حذف أكثر من مضاف
١٥٠	حذف الموصوف
١٥٣	قبح حذف الموصوف
١٥٦	حذف المفعول به للعلم به
١٥٧	بين الحذف وعدم الذكر
١٥٨	حذف الحال
١٦١ - ١٨١	المبحث الثالث: التوابع وأثرها في التفسير اللغوي
١٦١	١- العطف
١٦١	العطف بالواو
١٧٠	العطف بالفاء
١٧٢	العطف ب(أو)
١٧٤	٢- الصفة
١٧٦	٣- البديل
١٧٩	٤- التوكيد
١٨٢ - ٢٠١	المبحث الرابع: الموضوعات الصرفية وأثرها في التفسير اللغوي
١٨٢	توطئة: علاقة علم الصرف بتفسير القرآن
١٨٣	١- صيغة بمعنى أخرى

الصفحة	الموضوع
١٨٧	٢- أثر الجمع في بيان المعنى
١٨٩	٣- أثر صيغة الفعل في بيان المعنى
١٨٩	الفعل بين التَّخْفِيفِ والتَّشْدِيدِ
١٩٢	الفعل بين فَعَلَ وأَفْتَعَلَ
١٩٥	صيغة فَعَلَ
١٩٦	صيغة تَفَاعَلَ
١٩٧	صيغة أَفْعَلَ
١٩٩	٤- اسم التفضيل
٢٠١	٥- صيغة المبالغة
٢٠٢ - ٢٨١	الفصل الثالث: التفسير اللغوي في المباحث الدلالية
٢٠٢	توطئة: علاقة علم الدلالة بتفسير القرآن الكريم
٢٠٣ - ٢٢١	المبحث الأول: الدلالة المعجمية وأثرها في التفسير اللغوي
٢٠٤	الدلالة المعجمية في الألفاظ القرآنية
٢٠٤	أولاً: إِرَمَ
٢٠٥	ثانياً: البوار
٢٠٦	ثالثاً: الترائب
٢٠٨	رابعاً: جذاذا
٢١٠	خامساً: جَنَحُوا
٢١١	سادساً: القَصْر
٢١٢	سابعاً: مَسَحًا
٢١٣	ثامناً: تَتْرَى
٢١٤	الدلالة المعجمية وأثرها في السياق
٢١٤	أولاً: تَيَمَّمُوا
٢١٦	ثانياً: عَضِبِينَ
٢١٧	ثالثاً: قَرْنَ
٢٢٠	رابعاً: قَوَامًا

الصفحة	الموضوع
٢٢٢ - ٢٤٠	المبحث الثاني: الدلالة السياقية وأثرها في التفسير اللغوي
٢٢٣	الدلالة السياقية اللفظية وأثرها في التفسير
٢٢٤	أولاً: سقيم
٢٢٥	ثانياً: الموت
٢٢٧	ثالثاً: لَنَنْزِعَنَّ
٢٣٠	رابعاً: الصلاة
٢٣٢	الدلالة السياقية الحالية وأثرها في التفسير
٢٣٦	الدلالة السياقية العقلية وأثرها في التفسير
٢٤١ - ٢٥٧	المبحث الثالث: تفسير غريب القرآن
٢٤٢	أسباب الغرابة في القرآن
٢٤٣	الغريب عند ابن جني
٢٤٥	الألفاظ التي صرح بغيرابقتها
٢٤٥	أولاً: يَتِيَهُونَ
٢٤٦	ثانياً: اسْتَحْوَذَ
٢٤٨	ثالثاً: جَابُوا
٢٤٨	رابعاً: تَزَيَّلُوا
٢٤٩	خامساً: أَفْوَاجًا
٢٥٠	الألفاظ التي لم يصرح بغيرابقتها
٢٥١	١- (أَمْتًا) ، ٢- (تَهْجُرُونَ)
٢٥٢	٣- (جَهْرَةً)
٢٥٣	٤- (حِجْرًا) - ٥- (حَرْفٍ) - ٦- (حَصِرَتْ) - ٧- (خَبِتَتْ)
٢٥٤	٨- (رَانَ) - ٩- (السَّرْد)
٢٥٥	١٠- (صَعِيدًا) - ١١- (عَزَّنِي)
٢٥٦	١٢- (غِيضَ) - ١٣- (الْقَانِعِ) - ١٤- (مُلِيمٍ) - ١٥- (هُدْنًا)
٢٥٨ - ٢٨١	المبحث الرابع: بعض الظواهر الدلالية وأثرها في التفسير اللغوي
٢٥٨	١- الدلالة الصوتية وأثرها في التفسير

الصفحة	الموضوع
٢٥٨	علاقة الصوت بالمعنى عند ابن جني
٢٥٩	الاشتقاق الأكبر وأثره في تفسير القرآن
٢٦٠	أولاً : جِبِلًّا
٢٦١	ثانياً : لَامَسْتُمْ
٢٦٢	قوة اللفظ لقوة المعنى
٢٦٢	أولاً: مُقْتَدِر
٢٦٣	ثانياً: اِكْتَسَبَتْ
٢٦٤	التنغيم دلالاته وأثره في التفسير
٢٦٧	٢- التضاد في ألفاظ القرآن
٢٦٩	التضاد في ألفاظ القرآن عند ابن جني
٢٦٩	أولاً: أُخْفِيهَا
٢٧١	ثانياً: صَرِيح
٢٧٢	ثالثاً: الغَابِرِينَ
٢٧٤	٣- الحمل على المعنى
٢٧٤	أولاً: التذكير والتأنيث
٢٧٦	ثانياً: الجمع والإفراد
٢٧٩	٤- أثر المجاز والعقيدة في التفسير عند ابن جني
٢٨٢	الخاتمة
٢٨٦	ثبت المصادر والمراجع
	الملخص باللغة الانكليزية

# المقدمة

## المُقدِّمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا يَبْلُغُ مِدْحَتَهُ الْقَائِلُونَ، وَلَا يُحْصِي نِعْمَاءَهُ الْعَادُونَ، وَلَا يُؤَدِّي حَقَّهُ الْمُجْتَهِدُونَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى أَبِي الْقَاسِمِ مُحَمَّدٍ خَيْرِ خَلْقِهِ أَجْمَعِينَ وَآلِهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ.

أَمَّا بَعْدُ:

فَتُعَدُّ هذه الدِّراسة المتواضعة جزءًا من الدِّراسات التي تُعنى بالقرآن الكريم واللُّغة العربيَّة، وإنَّ دراسة القرآن الكريم في جانب من جوانبه الرحبة شرفٌ لكلِّ باحثٍ؛ لأنَّ أشرف العلوم ما اتَّصل بكتاب الله عزَّ وجلَّ، وتسعى هذه الدِّراسة إلى بيان أثر اللُّغة العربيَّة وعلومها في تفسير القرآن الكريم، عند ابن جنِّي - بوصفه علمًا من أعلام اللُّغة قد حظيَّ القرآن الكريم عنده بحظٍّ وافرٍ من البحث والتَّنقير - والوقوف على دقائق الأمور اللُّغوية التي لها أثر في تبين المعنى وكشفه، فكانت له في القرآن الكريم نظراتٌ تستحق الوقوف عليها، وكشف الغطاء عنها؛ لإظهارها وتبيين منهجه في هذا النوع من التفسير وآرائه التي انفرد بها، وتأثره في اللُّغويين والمفسرين الذين سبقوه، وأثره بمن جاء بعده منهم في هذا النوع من التفسير، فكان لزامًا علينا الوقوف عند هذا العلم، إذا ما علمنا أنَّه الأعلام الموسوعيِّين الذين لهم شاؤٌ كبير في اللُّغة العربيَّة وفنونها، قد أحسن في توظيفها في الكشف عن المعنى القرآني.

بَعْدَ انتهاء السَّنَةِ التَّحضيرِيَّة رُحْتُ أبحث عن موضوع لرسالتي كغيري من الطلاب، وكنتُ مسبقًا قد اطلعتُ على كتاب (التفسير اللُّغويُّ) تأليف الدكتور مساعد الطَّيار، فوجدته كتابًا يبحث في منهج التفسير اللُّغويُّ و يُبيِّن أساليبه، وكان في خُلد المؤلف أن يُؤسِّس لهذا المنهج، ويطبِّقه على علمٍ من الأعلام اللُّغويِّين، وكان يزوم الوقوف على آثار أبي بكر بن الأنباري (ت ٣٢٨هـ) في التفسير؛ ليبيِّن منهجه في التفسير اللُّغويُّ، إلا أن سعة الموضوع جعلته يقتصر على دراسة المنهج اللُّغويُّ في التفسير، فتولَّدت عند ذلك لديَّ فكرة التفسير اللُّغويُّ عند علمٍ من الأعلام المحدثين، فقدمت عنوان (التفسير اللُّغويُّ عند الدكتور إبراهيم السَّامرائي) إلا أن الموضوع لم يلقَ قبولًا من لجنة إقرار الموضوعات،

ثم اطلَّعتُ على كتب ابن جنِّي فوجدتُ أثر القرآن الكريم فيها كبيراً، فقد أفرد للقراءات الشاذة كتاباً جمعها فيه فوجَّهها على وفق اللغة وأساليبها، وضمت كتبه الأخرى كالخصائص والخطريات آيات من القرآن، تجيء مرّة بوصفها شاهداً لغويّاً على مسألة لغويّة، ثم بعد ذلك يُفسّر هذا الشاهد، أو تكون الآية نفسها محل بحث وتفسير كالذي نجده في الخطريات وبعض أبواب الخصائص، فرأيتُ أنّ دراسة التفسير اللغويّ عند ابن جنِّي جديرةٌ بالاهتمام، فجمعتُ بعض النصوص التي تحتوي على تفسيرٍ لغويّ، مع كلامٍ موجزٍ عن فكرة الموضوع وأعددتُ خطةً للبحث، وأطلَّعتُ الدكتور طارق الجنابي على الموضوع تحت عنوان (التفسير اللغويّ عند ابن جنِّي)، فقال: أيّ تفسيرٍ تقصد؟ قلت تفسير القرآن الكريم قال: إذن قيده بالقرآن الكريم؛ لأنّ ابن جنِّي عرّف عنه أنّه فسّر الشعر أيضاً تفسيراً لغويّاً، فكان عنوان الموضوع النهائي بحمد الله (التفسير اللغويّ للقرآن الكريم عند ابن جنِّي)، ثم قبلُ أنّ يأخذ الموضوع طريقه إلى الإقرار والقبول أطلَّعتُ الدكتور فلاح حسن كاطع على عنوان رسالة شبيهة بعنوان موضوعي، وكان عنوان الرسالة (جهود ابن جنِّي في التفسير وعلوم القرآن - جمعاً ودراسة)، وهي رسالة ماجستير نُوقشت في كلية أصول الدين والدعوة بقسم التفسير وعلوم القرآن في جامعة الأزهر، عام ٢٠٠٨، للباحث محمّد إبراهيم عبد الفتّاح، ورُحِّتُ أفتش عنها لعلّي أجدها، فلم يتيسر لي ذلك<sup>(١)</sup>، وأنعمت النظر في عنوان الرسالة، فتبيّن لي فيه أمران: الأول: أنّ الرسالة هي جمعٌ لأقوال ابن جنِّي في التفسير من غير تبينٍ لأثر اللغة وفنونها في التفسير، وهذا ما يقتضيه منهج الجمع، والآخر أنّ الرسالة ذات منحنى ديني فهي صادرة من كلية أصول الدين والدعوة، فلا يكون

(١) - حصلت على هذه الرسالة من الباحث بعد أن أتممتُ كثيراً من مباحث رسالتي، وتبين لي أنّ الرسالة كما توقعْتُها، إذ قسّمها الباحث على قسمين: قسمٌ جمع فيه تفسير ابن جنِّي، ورثبه على سور القرآن الكريم، والقسمُ الثاني جعله في علوم القرآن، ووجدت أنّ الباحث جمع تفسير ابن جنِّي، وعلّق على بعضه بالقبول والبعض الآخر بالرّفص.

الاهتمام فيها منصباً على الجانب اللغويّ، وهذان الأمران دفعاني إلى الإصرار على الموضوع والإبقاء عليه، ولأني أيضاً سأقف في رسالتي على أثر اللُّغة وفنونها وأساليبها في التفسير عند ابن جنّي، وطرحْتُ هذه الأفكار والفرق بين الموضوعين على أساتذتي في كلية التربيّة، وبَيَّنْتُ أنّ رسالتي ستهتم بأثر اللُّغة وفنونها في التفسير عند ابن جنّي، فقالوا: إنّ الموضوع يصلح للدراسة، إذ إنّ لكلِّ دراسةٍ منهجاً، فمنهج الجمع يجمع فيه الباحث تفسير العَلَم، وعملية الجمع لا تُبيِّن أثر اللُّغة وفنونها في التفسير، ولا يقف فيها الباحث على الجانب اللغويّ، وإنّ وقف ستكون وقفةً عابرة، وزيادة على ذلك فإنّ رسالة الباحث محمد إبراهيم عبد الفتاح قسمان: قسم للتفسير، وآخر لعلوم القرآن، وقدمت كل هذه المعلومات إلى لجنة إقرار الموضوعات، فأقرّ الموضوع بحمد الله، ثم شرعتُ بجمع المادة من جميع كُتُب ابن جنّي وتقسيمها على وفق موضوعاتها وأساليبها. وأمّا منهجي في كتابة الرسالة، فقد رسمت الآيات القرآنية على وفق الخط القياسي بخط مَشْكُول يختلف عن خط المتن، معتمداً في ذلك على برنامج (المصحف الرقمي)، أمّا القراءات القرآنية فمنهجي في إيرادها أنّ أذكر الآية على وفق قراءة العامة أي قراءة حفص عن عاصم، ثم أصف المغاير وأنسبها إلى قارئها كما نسبها ابن جنّي، أمّا إذا ذكرتُ نصّ القراءة فاجعلها بين قوسين. وقسمتُ الآيات التي تحتوي على تفسير لُغويّ على وفق أبوابها الصَوْتِيَّة والصَّرْفِيَّة والنَّحْوِيَّة والدَّلَالِيَّة، وجمعت بين النَّحْوِيَّة والصَّرْفِيَّة؛ لِقلة تفسيره الصَّرْفِيّ، وجمعت بين الدَّلالة والصَّوت؛ لِقلة تفسيره الصَّوتِيّ؛ ولأنّ الصوت باب من أبواب الدلالة في بعض جوانب. وقد يتجاذب الآيات التي يفسرها ابن جنّي أكثر من باب نحويّ؛ لذلك وضعتها في أنسب الأبواب النَّحْوِيَّة لها بحسب اعتقادي، وأذكر ما قال فيها من الأبواب النَّحْوِيَّة الأخرى، بل قد يكون الكلام على الآية يتجاذبه أكثر من موضوع من الموضوعات النَّحْوِيَّة والصَّرْفِيَّة والدَّلَالِيَّة، فاذكر كلّ تلك الأمور في كلامي على الآية في مكان واحد حفاظاً على وحدة الآية. ورتبتُ بعض الألفاظ ترتيباً هجائياً بحسب جذرها على وفق ما عليه الكلمة في القرآن الكريم من إعراب أو ما لحقها من ضمائر وزيادات.

وأودُّ أن أُشير إلى أنّ هناك دراسات كثيرة تناولت آثار ابن جنّي في ميادين اللُّغة وفنونها، وهناك بعض الدراسات السابقة التي تناولت جانب القرآن الكريم وقراءته عند ابن جنّي، ومن تلك الدراسات التي وقفت عليها:



- ١- الشَّاهِد القُرْآنِي عِنْد ابْنِ جَنِّي ، وَهِيَ أَطْرُوحَةُ دَكْتُورَاهِ لِلْبَاحِثَةِ لِمِيَاءِ أَحْمَدِ عَلِي .
  - ٢- جُهُودُ ابْنِ جَنِّي فِي التَّفْسِيرِ وَعِلْمِ القُرْآنِ جَمْعًا وَدِرَاسَةً ، وَهِيَ رِسَالَةٌ مَاجِسْتِيرٍ لِلْبَاحِثِ مُحَمَّدِ إِبرَاهِيمِ عَبْدِ الفَتَّاحِ
  - ٣- الاسْتِدْلَالُ بِالقُرْآنِ فِي كِتَابِ المُحْتَسَبِ ، وَهِيَ رِسَالَةٌ مَاجِسْتِيرٍ لِلْبَاحِثِ إِبرَاهِيمِ سَطْعَانَ عَوَادِ .
  - ٤- التَّوْجِيهِ النُّحُوِّيُّ لِلقُرْآنِ الشَّاذَّةِ فِي المُحْتَسَبِ لابْنِ جَنِّي ، وَهِيَ أَطْرُوحَةُ دَكْتُورَاهِ لِلْبَاحِثِ غَانِمِ كَامِلِ سَعُودِ .
- وَقَدْ أَقَدْتُ مِنْ هَذِهِ الدِّرَاسَاتِ فِي انْجَازِ عَمَلِي هَذَا ؛ لِأَنَّهَا اهْتَمَّتْ بِجَانِبِ القُرْآنِ الكَرِيمِ عِنْدَ ابْنِ جَنِّي .

وَقَدْ اقْتَضَتْ طَبِيعَةُ البَحْثِ تَقْسِيمَهُ عَلَى ثَلَاثَةِ فِصُولٍ يَسْبِقُهَا تَمْهِيدٌ ، جَعَلْتُهُ فِي تَعْرِيفِ التَّفْسِيرِ اللُّغَوِيِّ لِلقُرْآنِ الكَرِيمِ ، وَكَانَ الفِصْلُ الأوَّلُ بِعَنْوَانِ مَنَهْجِ ابْنِ جَنِّي فِي التَّفْسِيرِ اللُّغَوِيِّ ، وَهُوَ فِي أَرْبَعَةِ مَبَاحِثَ : الأوَّلُ مِنْهَا فِي الكَلَامِ عَلَى مَنَهْجِ التَّفْسِيرِ اللُّغَوِيِّ ، وَالثَّانِي القُرْآنِ الكَرِيمِ فِي كُتُبِ ابْنِ جَنِّي ، وَالثَّلَاثُ فِي أَثَرِ اللُّغَةِ وَفَنُونِهَا فِي التَّفْسِيرِ اللُّغَوِيِّ عِنْدَ ابْنِ جَنِّي ، وَالرَّابِعُ فِي مِصَادِرِ ابْنِ جَنِّي فِي التَّفْسِيرِ اللُّغَوِيِّ ، وَكَانَ الفِصْلُ الثَّانِي بِعَنْوَانِ التَّفْسِيرِ اللُّغَوِيِّ فِي المَبَاحِثِ النُّحُوِّيَّةِ وَالصَّرْفِيَّةِ ، وَهُوَ فِي أَرْبَعَةِ مَبَاحِثَ : الأوَّلُ مِنْهَا كَانَ فِي المَبْتَدَأِ وَالخَبَرِ وَبَعْضِ المَوْضُوعَاتِ النُّحُوِّيَّةِ وَأَثَرِهَا فِي التَّفْسِيرِ اللُّغَوِيِّ ، وَالثَّانِي فِي الحِذْفِ وَأَثَرِهِ فِي التَّفْسِيرِ اللُّغَوِيِّ ، وَالثَّلَاثُ فِي التَّوْبَعِ وَأَثَرِهَا فِي التَّفْسِيرِ اللُّغَوِيِّ ، وَالرَّابِعُ فِي المَوْضُوعَاتِ الصَّرْفِيَّةِ وَأَثَرِهَا فِي التَّفْسِيرِ اللُّغَوِيِّ ، أَمَّا الفِصْلُ الثَّلَاثُ فَكَانَ بِعَنْوَانِ التَّفْسِيرِ اللُّغَوِيِّ فِي المَبَاحِثِ الدَّلَالِيَّةِ ، وَفِيهِ أَرْبَعَةُ مَبَاحِثَ الأوَّلُ مِنْهَا فِي الدَّلَالَةِ المَعْجَمِيَّةِ وَأَثَرِهَا فِي التَّفْسِيرِ اللُّغَوِيِّ ، وَالثَّانِي فِي الدَّلَالَةِ السِّيَاقِيَّةِ وَأَثَرِهَا فِي التَّفْسِيرِ اللُّغَوِيِّ ، وَالثَّلَاثُ فِي تَفْسِيرِ غَرِيبِ القُرْآنِ ، وَالرَّابِعُ فِي بَعْضِ الظُّوَاهِرِ الدَّلَالِيَّةِ وَأَثَرِهَا فِي التَّفْسِيرِ اللُّغَوِيِّ ، ثُمَّ خَتَمْتُ الرِّسَالَةَ بِأَبْرَزِ النُّتَائِجِ الَّتِي تَوَصَّلْتُ إِلَيْهَا .

# التمهيد

## التَّمْهِيد

## تعريف التفسير اللغوي للقرآن الكريم

قَبْلُ الْبَدْءِ بِتَعْرِيفِ مُرَكَّبِ (التَّسْطِيفِ اللَّغَوِيِّ) يَجِبُ الْوَقُوفُ عَلَى كُلِّ جُزْءٍ مِنْ هَذَا الْمُرَكَّبِ، حَتَّى يَتَبَيَّنَ مَعْنَى جُزْأَيْهِ قَبْلَ التَّرْكِيبِ وَبَعْدَهُ.

## تعريف التفسير

تعددت تعريفات التفسير في اللغة والاصطلاح، في كثير من المصادر<sup>(١)</sup>، وسنكتفي بذكر بعضها؛ تحاشيا للتكرار.

التفسير لغة : قال ابن فارس (ت٣٩٥هـ) : ((الْفَاءُ وَالسَّيْنُ وَالرَّاءُ كَلِمَةٌ وَاحِدَةٌ تَدُلُّ عَلَى بَيَانِ شَيْءٍ وَإِضَاحِهِ. مِنْ ذَلِكَ الْفَسْرُ، يُقَالُ: فَسَرْتُ الشَّيْءَ وَفَسَّرْتُهُ. وَالْفَسْرُ وَالتَّفْسِيرَةُ: نَظَرُ الطَّبِيبِ إِلَى الْمَاءِ وَحُكْمُهُ فِيهِ))<sup>(٢)</sup>، وَقَالَ ابْنُ مَنْظُورٍ: ((الْفَسْرُ: كَشْفُ الْمُغْطَى، وَالتَّفْسِيرُ كَشْفُ الْمُرَادِ عَنِ اللَّفْظِ الْمُشْكَلِ))<sup>(٣)</sup>، فَالتَّفْسِيرُ فِي اللُّغَةِ هُوَ تَبْيِينُ الشَّيْءِ وَكَشْفُ الْمُغْطَى.

التفسير اصطلاحًا: قال الزركشي (ت٧٩٤هـ): ((التفسير: علم يُعرف به فهم كتاب الله المنزل على نبيه محمد (صلى الله عليه وسلم) وبيان معانيه واستخراج أحكامه وحكمه، واستمداد ذلك من علم اللغة والنحو والتصريف وعلم البيان وأصول الفقه والقراءات، ويحتاج لمعرفة أسباب النزول والناسخ والمنسوخ))<sup>(٤)</sup>، وَقِيلَ: هُوَ إِضْاحُ مَرَادِ اللَّهِ بِقَدْرِ الطَّاقَةِ الْبَشَرِيَّةِ، وَلَا يَجُوزُ فِيهِ الْإِعْتِمَادُ عَلَى الظُّنُونِ وَالِاسْتِحْسَانِ، وَالْقَوْلُ عَلَى اللَّهِ بِغَيْرِ إِذْنِهِ قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ أَلِلَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ﴾ [يونس: ٥٩]<sup>(٥)</sup>، وَتَقْيِيدُهُ الْبَطَاقَةَ الْبَشَرِيَّةَ، وَذَلِكَ لِانْعِدَامِ الْإِحَاطَةِ بِكُلِّ مَعَانِي الْقُرْآنِ وَالْمَرَادِ مِنْ آيَاتِهِ وَسُورِهِ،

(١)- ينظر: التفسير والمفسرون: ١ / ٢١ - ١٣، المعنى القرآني بين التفسير والتأويل: ٨١ - ٨٧، والتفسير ومنهج التفاسير الحديثة للقرآن الكريم: ٢٧ - ٣٢.

(٢)- معجم مقاييس اللغة: ٤ / ٥٠٤، (فسر).

(٣)- لسان العرب: ٥ / ٥٥، (فسر).

(٤)- البرهان في علوم القرآن: ١ / ١٣.

(٥)- ينظر: مناهل العرفان: ٢ / ٦، والبيان في تفسير القرآن: ٣٩٦.



وعدم الإحاطة بكل معاني القرآن التي يريدتها الله ليس منافياً لكون القرآن تبياناً لكل شيء، قال تعالى: ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ [النحل: من الآية : ٨٩]؛ لأنَّ المُفَسِّرَ يأخذ بِقَدْرِهِ مِنَ الْقُرْآنِ، وبما وصل إليه عن طريق الأثر، أمَّا معاني القرآن ومراد الله منه، فَعَلِمَهُ عند الرسول (صلى الله عليه وسلم)، ومن ثمَّ عند أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام)، إذ هو القائل: ((سلوني عن كتاب الله عزَّ وجلَّ، فَوَالله ما نزلت آيةٌ منه في ليلٍ أو نهارٍ ولا مسيرٍ ولا مقامٍ إلَّا وقد أقرأنيها رسول الله (صلى الله عليه وآله) وعَلَّمَنِي تأويلها، فقال ابن الكوَّاء: يا أمير المؤمنين، فما كان ينزل عليه وأنت غائب عنه؟ قال: كان يَحْفَظ عَلَيَّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) ما كان ينزل عليه من القرآن وأنا عنه غائب حتى أقدم عليه فَيُفَرِّغُنِيهِ، ويقول لي يا عليُّ، أنزل الله عَلَيَّ بعدك كذا وكذا، وتأويله كذا وكذا، فَيُعَلِّمُنِي تنزيله وتأويله))<sup>(١)</sup>.

### تعريف اللغة

اللُّغَةُ لُغَةٌ: قال الخليل (ت ١٧٥هـ): ((اللُّغَةُ وَاللُّغَاتُ وَاللُّغُونَ: اختلافُ الكلامِ في معنى واحدٍ، ولغا يلغو لغواً، يعني اختلاط الكلام في الباطل، وقول الله عزَّ وجلَّ: ﴿ وَإِذَا مَرُّوا بِاللُّغُوِّ مَرًّا كَرَامًا ﴾ [الفرقان: من الآية : ٧٢]، أي: بالباطل. وقوله تعالى: ﴿ وَاللُّغُوِّ فِيهِ ﴾ [فصلت من الآية : ٢٦] يعني: رفع الصوت بالكلام ليغلطوا المسلمون))<sup>(٢)</sup>، وجاء عن ابن منظور (ت ٧١١هـ): ((اللُّغُوُّ وَاللُّغَا: السَّقَطُ وما لا يُعْتَدُّ به مِنْ كَلَامٍ وَغَيْرِهِ وَلَا يُحْصَلُ مِنْهُ عَلَى فَائِدَةٍ وَلَا نَفْعٍ))<sup>(٣)</sup>.

اللُّغَةُ اصطلاحاً: عُرِّفَت اللُّغَةُ فِي الاصطلاح بتعاريف متعددة<sup>(٤)</sup>، أختار منها تعريف ابن جني (ت ٣٩٢هـ) فقد ذكر: ((إنَّهَا أَصْوَاتٌ يُعْبَّرُ بِهَا كُلُّ قَوْمٍ عَنْ أَغْرَاضِهِمْ))<sup>(٥)</sup>، وتعريفه هذا عامٌّ يَصْدُقُ عَلَى كُلِّ لُغَةٍ مُحْكِيَةٍ يُعْبَّرُ بِهَا أَهْلُهَا عَنْ حَاجَاتِهِمْ وَأَغْرَاضِهِمْ، أمَّا اللُّغَةُ الْعَرَبِيَّةُ فَهِيَ آخِرُ اللُّغَاتِ السَّامِيَةِ وَجُودًا، وَقِيلَ هِيَ أَصْلُ اللُّغَاتِ كُلِّهَا، وَقَدْ احْتَفَظَتْ

(١) - الأمامي للطوسي: ٧٧١ .

(٢) - العين: ٤ / ٤٤٩ . (لغو).

(٣) - لسان العرب: ١٥ / ٢٥٠، (لغو).

(٤) - ينظر: التفسير اللغوي للقرآن الكريم: ٤٣ .

(٥) - الخصائص: ١ / ٣٣ .

بكثير من الظواهر السَّامية كالإعراب وغيرها، وهي لسان العرب، ومن بعدُ هي لغة القرآن الكريم، الذي زادها شرقاً ورسوخاً وثباتاً في نفوس المسلمين عامةً والعرب خاصةً، ولها خصائص تُميِّزها من غيرها من اللغات.

### تعريف مركب التفسير اللغوي للقرآن الكريم

التفسير اللُّغويُّ: هو مركَّبٌ وصفيٌّ متكون من صفة وموصوف، والصفة فيه قيدٌ له من إدراج غيره فيه، و(اللُّغويُّ) نَسَبٌ على القياس إلى اللُّغة، والمقصود بها هنا اللُّغة العربية وإن لم تُحدَّد، واللُّغة العربية تَضُمُّ عددًا من العلوم تُسمَّى (علوم اللغة العربية) وهي: علم الصوت، وعلم الصَّرف، وعلم النَّحو، وعلم المُعْجَم، والبلاغة، وغيرها من العلوم الفرعية. فالتفسير اللُّغويُّ إذن: هو التفسير الذي يستفاد من خلال اللُّغة العربية وعلومها، وأساليبها من خطاب الخاص بالعام، وخطاب العام بالخاص، وغيرها من الأساليب، وعرف مساعد الطيار التفسير اللُّغويُّ بأنَّه: ((بيان معاني القرآن بما ورد في لغة العرب . أمَّا الشَّقُّ الأوَّل من التعريف، وهو بيان معاني القرآن: فإنَّه علم يشمل كلَّ مصادر البيان في التفسير كالقرآن والسُّنَّة ... وأمَّا الشَّقُّ الثاني منه، وهو بما ورد بلغة العرب، فإنَّه قيدٌ واصلٌ لنوع البيان الذي وَقَعَ لتفسير القرآن، وهو ما كان طريق بيانه عن لغة العرب، وبهذا البيان يخرج ما عداه من البيان))<sup>(١)</sup>.

ومعلوم أنَّ تفسير معاني القرآن - التي قد تُشكَل بسبب اللُّغة أو أساليبها - من عمل التفسير اللُّغويِّ، فكلُّ تفسيرٍ يكون بسبب من صوتٍ أو صرفٍ أو نحوٍ أو بلاغةٍ أو غيرها من الأساليب اللُّغوية، فهو تفسيرٌ لغويٌّ، ومن هنا تتبَع أهميَّة هذا النوع من التفسير؛ لأنَّ كشف المعاني وإيضاحها هو مراد كلِّ مُفسِّر، والتفسير اللُّغويُّ قسمان: قسم خاص، وهو الذي يتعلَّق بتفسير الألفاظ الغريبة والغامضة تفسيراً لغويّاً على ضوء معناها المعجمي، وتناولته في مباحث متعددة كتفسير الغريب والدلالة اللُّغويَّة، وغيرها، والقسم الآخر عام، وهو التفسير اللُّغويُّ الذي يتناول القضايا اللُّغوية العامة كالنحو والصَّرف والدلالة وغيرها<sup>(٢)</sup>.

(١)- التفسير اللُّغوي: ٣٨.

(٢)- ينظر: التفسير اللُّغوي في محاسن التأويل: ١٩٦، (أطروحة).

# الفصل الأول

## منهج ابن جنبي في التفسير اللغوي

توطئة: ابن جنبي مفسراً لغوياً

المبحث الأول: منهج التفسير اللغوي للقرآن الكريم

المبحث الثاني: القرآن الكريم في كتب ابن جنبي

المبحث الثالث: أثر اللغة وعلومها في التفسير اللغوي عند ابن جنبي

المبحث الرابع: مصادر ابن جنبي في التفسير اللغوي

## الفصل الأول

### منهج ابن جنبي في التفسير اللغوي للقرآن الكريم

توطئة: ابن جنبي مُفسراً لغوياً

لَمَّا كَانَ التَّفْسِيرُ فِي اللُّغَةِ يُعْنَى بِكَشْفِ الْمُرَادِ عَنِ اللَّفْظِ الْمُشْكَلِ، وَإِضَاحِ مَعْنَاهُ، فَإِنَّ مِنْ يَفْعَلُ بِهَذِهِ الْعَمَلِيَّةِ يُسَمَّى (مُفَسِّراً) - وَالْمُفَسِّرُ اسْمُ فَاعِلٍ مُشْتَقٌّ مِنَ الْفِعْلِ الْمَشْدَدِ (فَسَّرَ) - وَبِهَذَا يَكُونُ الْمُفَسِّرُ هُوَ كُلُّ مَنْ كَشَفَ عَنِ الْمَعْنَى وَأَوْضَحَ الْمُرَادَ بِهِ، وَهَذَا هُوَ الْمَعْنَى الْعَامُّ لِهَذَا اللَّفْظِ، وَقَدْ يُطْلَقُ (الْمُفَسِّرُ) وَيُرَادُ بِهِ مُفَسِّرُ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ حَصْرًا، وَهَذَا الْمَعْنَى هُوَ الشَّائِعُ فِي هَذَا اللَّفْظِ إِذَا لَمْ يُخَصَّصْ، وَلَمَّا كَانَ تَفْسِيرُ الْقُرْآنِ: ((عِلْمٌ يُعْرَفُ بِهِ فَهْمُ كِتَابِ اللَّهِ الْمَنْزُورِ عَلَى نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، وَبَيَانُ مَعَانِيهِ وَاسْتِخْرَاجُ أَحْكَامِهِ وَحِكْمِهِ وَاسْتِمْدَادُ ذَلِكَ مِنْ عِلْمِ اللُّغَةِ وَالنَّحْوِ وَالتَّصْرِيفِ، وَعِلْمِ الْبَيَانِ وَأَصُولِ الْفِقْهِ وَالْقِرَاءَاتِ، وَبِحَتَاجِ لِمَعْرِفَةِ أَسْبَابِ النُّزُولِ، وَالنَّاسِخِ وَالْمَنْسُوخِ))<sup>(١)</sup>، فَإِنَّ الْمُفَسِّرَ هُوَ مَنْ يَفْعَلُ بِبَيَانِ مَعَانِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ فِي هَذِهِ الْعُلُومِ الَّتِي ذُكِرَتْ، وَيَطْلُقُ لَفْظَ الْمُفَسِّرِ عِنْدَ الْعُلَمَاءِ وَالْمُصَنِّفِينَ فِي طَبَقَاتِ الْمَفْسِّرِينَ، وَيُرَادُ بِهِ كُلُّ مَنْ صَنَّفَ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ تَفْسِيرًا، أَوْ شَاحَ عَنْهُ أَنَّهُ فَسَّرَ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ، وَالْمَفْسِّرُ عِنْدَ السِّيُوطِيِّ (ت ٩١١ هـ) هُوَ مَنْ صَنَّفَ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ تَفْسِيرًا<sup>(٢)</sup>.

وقد تخصص بعض المفسرين بنوع خاص من التفسير، وهو التفسير اللغوي الذي يعتمد فيه المُفسِّرُ على اللُّغَةِ وَفَنُونِهَا فِي أَغْلَبِ الْأَحْيَانِ، كَالْفَرَّاءِ (ت ٢٠٧ هـ) وَأَبِي عبيدة (ت ٢١٠ هـ) وَالزَّجَّاجِ (ت ٣١١ هـ)، وَهَمَّ فِي عَدِيدِ الْمَفْسِّرِينَ عِنْدَ مُؤَلِّفِي طَبَقَاتِ الْمَفْسِّرِينَ<sup>(٣)</sup>؛ لِأَنَّ هَؤُلَاءِ الْعُلَمَاءَ عُرِفَ أَنَّ لَهُمْ تَفْسِيرًا فِي غَرِيبِ الْقُرْآنِ وَمَجَازِهِ مَرْتَبًا عَلَى سُورِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَلَمْ يَلْتَزِمُوا بِتَفْسِيرِ آيِ الْقُرْآنِ كُلِّهَا، فَهَؤُلَاءِ مَفْسِّرُونَ بِالْمَعْنَى الْخَاصِّ، أَيْ تَخَصَّصُوا بِنَوْعٍ خَاصٍّ مِنْ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ وَهُوَ (التَّفْسِيرُ اللَّغَوِيُّ)، فَهَمَّ لَيْسُوا مِنَ الْمَفْسِّرِينَ بِالْمَعْنَى الْعَامِّ، أَيْ الَّذِينَ فَسَّرُوا الْقُرْآنَ بِكُلِّ الْوَسَائِلِ الَّتِي تُعِينُ الْمَفْسِّرَ عَلَى إِضْاحِ الْمَعْنَى مِنْ لُغَةٍ وَحَدِيثٍ وَسَبَبِ نَزُولٍ وَغَيْرِهَا مِنَ الْوَسَائِلِ الَّتِي تُبَيِّنُ الْمَعْنَى، وَكَذَلِكَ التَّزَمُوا بِتَفْسِيرِ آيِ الْقُرْآنِ كُلِّهَا.

(١) - البرهان في علوم القرآن: ١ / ١٣ .

(٢) - ينظر: طبقات المفسرين للسيوطي: ٢١ .

(٣) - ينظر: طبقات المفسرين للداوودي: ٩/١، و٣٢٦/٢، وطبقات المفسرين للأندروبي: ٢٨، و٣٠ .

أمّا ابن جنبي، فهو علمٌ بارزٌ من أعلام اللغة العربية، برع في كثير من فنونها كالصرف والنحو وغيرها من الفنون، وهذا ما بيّنته كثير من الرسائل الجامعية التي درّست ابن جنبي في ضوء هذه الفنون ومنها: (ابن جنبي وعلم الدلالة) لنوال كريم، (والدراسات اللّهيّة والصوتية عند ابن جنبي) لحسام النعيمي، (وابن جنبي النحوي) لفاضل السامرائي، (والتوجيه الصوتي والصرفي للقراءات الشاذة في كتاب المُحتسب) لعمر محمد عوني، (والدراسات الصرفية عند ابن جنبي) لعبد الجبار علوان النايلة و(ابن جنبي بلاغياً) لأمل حسين حسن الخاقاني، و(ابن جنبي ناقدًا لغويًا) لإسراء عريبي، وغيرها من الرسائل، فضلًا عن ذلك فإنّ ابن جنبي نظر أيضًا في علوم أخرى كالعروض والقوافي، وتفسير الشعر، وكل هذه الدراسات تُبيّن أنّه بارع في دراسة اللغة، وكان موسوعيًا في علومه.

لم يكن لابن جنبي كتاب مستقل في تفسير غريب القرآن ومجازه ومعانيه؛ لذا لم يرد اسمه في طبقات المفسرين، وهذا لا يعني أنّ ابن جنبي لم يكن مفسرًا لغويًا، لأنّه ورد له كثير من التفسير اللغوي المنثور بين كتبه، لا سيّما كتاب المحتسب الذي وضعه في تفسير القراءات الشّواذ، وهو مع ذلك لم يخلُ من تفسير لقراءة العامة، وهو وإن لم يكن له غير هذا الكتاب في تفسير القراءات الشّواذ وبعض قراءة العامة؛ لكان خير شاهدٍ على أنّه مفسرٌ لغويٌّ بارعٌ أفاد من اللّغة وفنونها في توجيه معاني القراءات وتفسير القرآن، وعدّ مساعد الطيار كُتب توجيه القراءات من مصادر التفسير اللغويّ ومثّل لها ببعض الكتب ومنها كتاب المحتسب<sup>(١)</sup>، وقد عدّ كتب الشروح الشعريّة من مصادر التفسير اللغويّ، فـ((شروح دواوين الشعر أحد المصادر اللغويّة في بيان معاني الألفاظ؛ لأنّ الشارح يعمد إلى ألفاظ شعر الشاعر ويبيّن معانيها))<sup>(٢)</sup>، ويرد في شروح الشعر تفسير بعض ألفاظ أي القرآن الكريم بوصفها شاهدًا على تفسير ألفاظ الشعر، وعلى هذا وردت شواهد كثيرة في شروح ابن جنبي للشعر، فهو يعمد إلى أي القرآن الكريم بوصفها شاهدًا على معنى الشعر ثم يفسر هذا الشاهد، وحوى كتاب الخاطريات كذلك كثيرًا من المسائل التي تُعنى بتفسير القرآن تفسيرًا لغويًا، وفي هدى ما جمعت من تفسير لابن جنبي تبين لي أنّه مُفسرٌ لغويٌّ اعتنى بتفسير القرآن بوسائل لغوية، في أغلب تفسيره .

(١) - ينظر: التفسير اللغوي للقرآن الكريم: ٤٤١ .

(٢) - التفسير اللغوي للقرآن الكريم: ٤٤٤ .

وكون ابن جنبي مُفسراً أشار إليه غير واحد من المحدثين، فقد ذكر كاصد الزيدي أنه ألقى بحثاً بعنوان (ابن جنبي مُفسراً) في الندوة المتخصصة عن ابن جنبي المعقودة في كلية التربية في جامعة الموصل، عرّض فيه جهود ابن جنبي في تفسير القرآن<sup>(١)</sup>، وعرّض محمد إبراهيم عبد الفتاح جهود ابن جنبي في تفسير القرآن في رسالته الموسومة ب(جهود ابن جنبي في التفسير وعلوم القرآن - جمعاً ودراسة)، فقد جمع في رسالته تفسير ابن جنبي الموثق بين طيات كتبه، ورتبه على سور القرآن في القسم الأول من رسالته، ولم يصرح أنّ تفسير ابن جنبي تفسير لغوي، بل ذكر أنّ ابن جنبي من المفسرين بالرأي، لكنّه لا يعدم الإشارة إلى أثر اللغة في تفسير ابن جنبي<sup>(٢)</sup>.

سار ابن جنبي في تفسيره على طريقة المفسرين اللغويين الذين سبقوه كأبي عبيدة في مجاز القرآن والفراء والأخفش (ت ٢١٥هـ) والزجاج في معاني القرآن، إلا أنه لم يُفسر كلّ سور القرآن كما فعل هؤلاء المفسرون اللغويون . وقيدت تفسيره باللغوي؛ لأنّ أغلب تفسيره كان متأثراً باللغة وعلومها، وجاء تفسيره اللغوي على قسمين: قسم خاص عمّد فيه إلى تفسير ألفاظ القرآن تفسيراً معجمياً، وقسم عام وظّف فيه علوم اللغة من صوت وصرف ونحو ودلالة وغيرها من فنون اللغة في تفسير القرآن، وهذا ما تبيّن لي من تفسير ابن جنبي الذي جمعته، وكان له تفسير متأثر بالمأثور، ويجيء تفسيره بالمأثور من غير إشارة إلى أنّ هذا التفسير جاء به الأثر، بل يذكره مرسلًا، وعند مراجعة التفاسير التي تعتمد على الأثر نجد تفسير ابن جنبي معتمداً على ذلك الأثر، ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴾ [المسد: ٥] ((وقيل: المسدُّ: سِلْسِلَةٌ فِي النَّارِ. وقيل: المسد: لَيْفُ الْمُقْلِ))<sup>(٣)</sup>، وكون المسد سِلْسِلَةٌ فِي النَّارِ رواه الطبري، فقال حدثنا ((مهزّان... عن عروة بن الزبير ﴿ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴾ قَالَ: سِلْسِلَةٌ ذَرُعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا))<sup>(٤)</sup>، وهذا النوع من التفسير قليل جداً عند ابن جنبي، ويتجلى لنا من خلال مجموع تفسيره أنّه مُفسّر لغويّ بارع كما هو صرفيّ ونحويّ وبلاغيّ وناقذ، وبذلك يكون عالماً موسوعياً، برع في كثير من فنون اللغة، ووظّفها في التفسير.

(١)- ينظر: دراسات نقدية في اللغة والنحو: ١٠٨، ولم أجد هذا البحث في الأعمال المنشورة لهذه الندوة.

(٢)- ينظر: جهود ابن جنبي في التفسير وعلوم القرآن: ٥ - ٢٨، (أطروحة).

(٣)- المحتسب: ٢ / ٣٧٥.

(٤)- جامع البيان: ٢٤ / ٧٢٣.

## المبحث الأول

### منهج التفسير اللغوي للقرآن الكريم

#### نشأة علم التفسير

نشأ علم التفسير مع وجود القرآن الكريم، وهذا ما دلّ عليه صريح القرآن الكريم، والمصطلح القرآني الدقيق له هو (تبيين القرآن)، وأول من قام بتبيين القرآن الكريم وإيضاح معانيه هو رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فبيان معاني القرآن الكريم من الأعمال التي أمر رسول الله (صلى الله عليه وآله) بتبيينها للناس، قال تعالى: ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [النحل: من الآية ٤٤] وقال تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلَ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ [الجمعة : ٢] وكثير من الآيات أشارت إلى أن تبيين القرآن والكشف عن معانيه يعدّ من أهم أعمال الرسول (صلى الله عليه وآله)، فهو المكفّ بتبليغ القرآن، وهو المفسّر الأول، وكان الصحابة يرجعون إليه (صلى الله عليه وآله) لتفسير معنّى أو تبيين ما غمض، أو صعّب عليهم فهمه، أو لم يقفوا على المراد منه<sup>(١)</sup>، وشارك الصحابة بتفسير ما غمض من معاني القرآن بما أخذوه عن رسول الله (صلى الله عليه وآله)، ومن أشهرهم الخلفاء الأربعة وأبي بن كعب (ت ٢١هـ)، وعبد الله بن مسعود (ت ٣٢هـ)، وعبد الله بن عباس (ت ٦٨هـ)، وعبد الله بن الزبير (ت ٧٣هـ)، وأبو سعيد الخدري (ت ٧٤هـ)، وجابر بن عبد الله الأنصاري (ت ٧٨هـ)، وأنس بن مالك (ت ٩٣هـ)<sup>(٢)</sup>، قال الطبري (ت ٣١٠هـ): ((حدثنا محمد بن علي ... عن ابن مسعود، قال: كان الرجل منّا إذا تعلم عشر آيات، لم يجاوزهنّ حتى يعرف معانيهنّ والعمل بهنّ))<sup>(٣)</sup>، وكان للصحابة أثرٌ في تفسير ما غمض على بعض الناس من جانب اللّغة، ومن أشهر الصحابة في هذا الجانب عبد الله بن عباس في مسائل نافع بن الأزرق، فكان يبيّن معاني القرآن الكريم اعتمادًا على لغة العرب، ثم يستشهد للمعنى بالشعر.

(١)- ينظر: القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية: ٢١٥، والتفسير والمفسرون: ١ / ٣٦.

(٢)- ينظر: القرآن في الإسلام: ٥٦، و مباحث في علوم القرآن: ٢٩٠.

(٣)- جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ١ / ٧٤.

## الفصل الأول من مع ابن جنبي في التفسير اللغوي للقرآن الكريم .....

إنَّ التفسير في مرحلة الرسول (صلى الله عليه وآله) لم يكن تفسيراً لغوياً إلا نادراً، بل كان تفسيراً عاماً، اعتمد فيه على ما جاء عن رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وكان أثر اللغة فيه قليلاً<sup>(١)</sup>، قال مساعد الطيار في سؤال افترضه. هل كان للرسول (صلى الله عليه وآله) تفسير لغوي؟ ((لقد استقرت التفسير النبوي للقرآن الكريم ووجدت أنه (صلى الله عليه وسلم) لم يُفسر للصحابة من ألفاظ القرآن إلا ما احتاجوا إليه، وهو قليل، ومن ذلك تفسيره معنى الوسط في قوله تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ [ البقرة: من الآية: ١٤٣ ] قال الوسط العدل))<sup>(٢)</sup>.

ثم بعد عصر الرسول والصحابة انتشر علم التفسير على يد التابعين فصنّفوا في التفسير مصنفات، منهم تلميذ ابن عباس مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ) وقيل إنه أول من دوّن في علم التفسير، وقيل إن ابن عباس أول من دوّن في التفسير، إذ إن الفيروزآبادي (ت ٨١٧هـ) اقتبس من تفسير ابن عباس تفسيراً سمّاه (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس)<sup>(٣)</sup>، إلا إن أمين الخولي يُنكر أن يكون لابن عباس تفسيراً<sup>(٤)</sup>، ثم بعد ذلك بدأ التّدوين في تفسير غريب القرآن ومجازه ومعانيه، وهذا النوع من التفسير كانت تدعو إليه حاجة المسلمين؛ لبعدهم عن زمن الرسول (صلى الله عليه وآله)، وتأثرهم بغيرهم من الأمم ممّا جعلهم بحاجة إلى تبيين ما غرّب وعَمُض عليهم لفظه ومعناه، وتوضيح ما أشكل عليهم معناه ومجازه، وأكثر كتب هذه المرحلة اعتمدت على اللغة وعلومها في التفسير، فأغلب ما فيها من تفسير هو تفسير لغوي، وأغلب كُتب هذه المرحلة وصل إلينا، ومنها كتاب (غريب القرآن وتفسيره) لابن اليزيدي (ت ٢٣٧هـ)، و(نزهة القلوب) لأبي بكر السجستاني (ت ٣٣٠هـ)، و(مجاز القرآن) لأبي عبيدة، وكتب (معاني القرآن) للفراء والأخفش والزجاج، وغيرها، ثم بعد ذلك كثر التصنيف في التفسير، ومن أشهر كُتب التفسير الجامعة تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن)، وتفسير الطوسي

(١)- ينظر: قضايا اللغة في كتب التفسير : ٤٣ .

(٢)- التفسير اللغوي للقرآن الكريم: ٦٤ - ٦٥ .

(٣)- طبع هذا التفسير بعنوان (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) للفيروزآبادي، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٢ .

(٤)- ينظر: القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية: ٢١٨ .

## الفصل الأول من مع ابن جنبي في التفسير اللغوي للقرآن الكريم .....

(ت ٤٦٠هـ) (التبيان في تفسير القرآن)، وتعددت مناهج المفسرين، فمنهم من اعتمد على ما جاء عن الرسول (صلى الله عليه وآله) كابن أبي حاتم (ت ٣٢٧هـ) في تفسيره، والعياشي (ت ٣٢٩هـ) في تفسيره، ومنهم من مزج بين الأثر واللغة والرأي، كابن عطية (ت ٥٤٢هـ) في (المحرر الوجيز).

### مناهج التفسير

أشار القرآن الكريم إلى أنه يحتاج إلى تبيين الرسول (صلى الله عليه وآله)، قال تعالى: ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ فالآية تشير إلى حاجة القرآن لتبيين الرسول، والذي يكشف عن حاجة القرآن للتبيين والتفسير أمور:

١- انعدام الوقوف على سبب النزول، بوصفه قرينةً حاليةً تُعين الناظر والمُتدبر على الوقوف على المعنى المراد من كلام الله جلَّ جلاله، كما في قوله تعالى: ﴿ وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ [ التوبة ١١٨ ] فمعرفة الثلاثة الذين ضاقت عليهم الأرض يحتاج إلى معرفة سبب النزول، حتى يكون الناظر والمُتدبر في القرآن الكريم على معرفة بمعنى الآية والمراد منها، ثم العمل بها.

٢- أن القرآن يشتمل على مجملات كالصلاة والصوم والحج ، وهذه بها حاجة إلى تبيين الرسول، فجاءت السنة لتوضيح المجملات وشرحها.

٣- يشتمل القرآن على آيات متشابهة غير واضحة المعنى، وهذه بها حاجة إلى تأويل وتبيين معناها وإرجاعها إلى المحكم.

٤- أن في القرآن موضوعات معينة جاءت في سور متعددة، والوقوف على الموضوع به حاجة إلى الربط بين الآيات للوقوف على المعنى المراد<sup>(١)</sup>.

٥- عدم إيضاح لفظه ومعناه بسبب الاشتراك أو غرابية اللفظ كقوله تعالى: ﴿ وَالْمُطَلَّاتُ يَرْبِضْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ ﴾ [ البقرة: من الآية: ٢٢٨ ]، فالقرء للحيض والطمهر،

(١)- ينظر: المناهج التفسيرية في علوم القرآن : ١٥ - ١٦ .

## الفصل الأول منهج ابن جنبي في التفسير اللغوي للقرآن الكريم .....

ونحو: قوله تعالى: ﴿ فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ ﴾ [المدرثر: ٥١] فكلُّ ذلك به حاجة إلى تفسير وتبيين<sup>(١)</sup>.

إنَّ تلك الأمور وغيرها تكشف عن حاجة القرآن للتفسير والتبيين، وكان أولُّ مُبَيِّن ومُفسِّر للقرآن الكريم هو رسول الله (صلى الله عليه وآله) كما تقدَّم بيانه سابقاً<sup>(٢)</sup>، ثم الصحابة والتابعون، وبعدهم علماء المسلمين، ((قال ابن عباس: النَّفْسِيرُ عَلَى أَرْبَعَةِ أَوْجِهٍ: وَجْهٍ تَعْرِفُهُ الْعَرَبُ مِنْ كَلَامِهَا، وَتَفْسِيرٌ لَا يُعْذَرُ أَحَدٌ بِجَهَالَتِهِ، وَتَفْسِيرٌ يَعْلَمُهُ الْعُلَمَاءُ، وَتَفْسِيرٌ لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللَّهُ))<sup>(٣)</sup>، فكان لكلِّ طبقةٍ من طبقات المفسرين منهجٌ مُتَّبَعٌ في تفسير القرآن<sup>(٤)</sup>، بل كان لكلِّ مُفسِّرٍ منهجٌ يَتَّبِعُهُ في بيان معاني القرآن، فمنهم اتَّبَعَ النَّقْلَ في تفسيره، ومنهم اتَّبَعَ الرَّأْيَ والمعتقد، ومنهم من مزج بين الرَّأْيِ والنَّقْلِ، ومنهم من فسَّرَ القرآن بالقرآن، ومنهم من اعتمد على اللغة في بيان معاني القرآن، فتعددت لذلك مناهج التفسير ومن أهم مناهج التفسير:

### أولاً: منهج تفسير القرآن بالقرآن

إنَّ تفسير القرآن بالقرآن من أقدم مناهج التفسير وأرفعها شأنًا، وقد عمَل به الرسول (صلى الله عليه وآله)، وأهل بيته (عليهم السلام)، وكثيرٌ من الصحابة<sup>(٥)</sup>، ويراد به: ((أنَّ تكون النصوص القرآنية بعضها مُفسَّرًا للبعض، وإذا ما عَرَفْنَا أَنَّ التَّفْسِيرَ هو الكشف عن معاني ومرادات النصِّ القرآني، فإنَّه في ضوء هذا المنهج يكون النصُّ القرآني المُراد كشف معانيه مُنْكَشَفًا مُفسَّرًا ... بنصِّ قرآني آخر))<sup>(٦)</sup>، ويعتمد هذا المنهج على القرآن أساسًا في تبيين مطالبه، فقد قيل: إنَّ القرآن يُفسَّرُ بعضه بعضًا<sup>(٧)</sup>، وجاء عن رسول الله (صلى الله

(١)- ينظر: الإكسير في علم التفسير : ٣٣.

(٢)- ينظر: القرآن في الإسلام : ٥٥ .

(٣)- جامع البيان: ١ / ٧٠ .

(٤)- ينظر: القرآن في الإسلام: ٥٧ - ٦١ .

(٥)- ينظر: مناهج تفسير القرآن : ٣٩ - ٤٠ .

(٦)- مناهج تفسير القرآن: ٣٩ .

(٧)- ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل : ٢٣٨/٣ .

عليه وآله): ((نَزَلَ كِتَابُ اللَّهِ يُصَدِّقُ بَعْضُهُ بَعْضًا))<sup>(١)</sup>، وقال الإمام عليّ (عليه السلام) في كلامٍ له يصف فيه القرآن: ((كتاب الله تُبْصِرُونَ به، وتَنْطِقُونَ به، وتَسْمَعُونَ به، وَيَنْطِقُ بَعْضُهُ بِبَعْضٍ، وَيَشْهَدُ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ، وَلَا يَخْتَلَفُ فِي اللَّهِ، وَلَا يُخَالِفُ بِصَاحِبِهِ عَنِ اللَّهِ))<sup>(٢)</sup>، ولَمَّا كَانَ الْقُرْآنَ مُوضِحًا لِكُلِّ شَيْءٍ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ [النحل: من الآية: ٨٩]، فهو مُوضِحٌ لِنَفْسِهِ أَيْضًا<sup>(٣)</sup>.

### ثانيًا: منهج تفسير القرآن بالمأثور

يَشْمَلُ هَذَا الْمَنْهَجُ تَفْسِيرَ الْقُرْآنِ بِمَا جَاءَ عَنِ الرَّسُولِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) وَأَهْلِ بَيْتِهِ (عليه السلام) مِنْ أَحَادِيثٍ تُعْنَى بِتَبْيِينِ مَعَانِي الْقُرْآنِ وَإِضَاحِ الْمُرَادِ مِنْهُ، وَاخْتِلَافِ فِي كَوْنِ قَوْلِ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ مِنَ التَّفْسِيرِ بِالْمَأْثُورِ، أَوْ أَنَّهُ اجْتِهَادٌ مِنْهُمْ، قَالَ مُحَمَّدٌ حَسِينُ الذَّهَبِيِّ فِي تَعْرِيفِ التَّفْسِيرِ بِالْمَأْثُورِ، وَ((يَشْمَلُ التَّفْسِيرَ الْمَأْثُورَ مَا جَاءَ فِي الْقُرْآنِ نَفْسَهُ مِنَ الْبَيَانِ وَالتَّفْصِيلِ لِبَعْضِ آيَاتِهِ، وَمَا نُقِلَ عَنِ الرَّسُولِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، وَمَا نُقِلَ عَنِ الصَّحَابَةِ (رِضْوَانِ اللَّهِ عَلَيْهِمُ)، وَمَا نُقِلَ عَنِ التَّابِعِينَ، مِنْ كُلِّ مَا هُوَ بَيَانٌ وَتَوْضِيحٌ لِمُرَادِ اللَّهِ تَعَالَى مِنْ نصوص كتابه الكريم))<sup>(٤)</sup>، فَالذَّهَبِيُّ أَدْخَلَ تَفْسِيرَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ فِي ضَمَنِ التَّفْسِيرِ بِالْمَأْثُورِ وَعَلَّ ذَلِكَ؛ بِأَنَّ تَفْسِيرَهُمْ وَإِنْ كَانَ فِيهِ خِلَافٌ هَلْ هُوَ مِنَ الْمَأْثُورِ أَمْ لَا؟ إِلَّا إِنَّهُ أَدْرَجَهُ ضَمْنَ التَّفْسِيرِ بِالْمَأْثُورِ؛ لِأَنَّ كُتُبَ التَّفْسِيرِ بِالْمَأْثُورِ لَمْ تَقْتَصِرْ عَلَى أَقْوَالِ الرَّسُولِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) كَتَفْسِيرِ الطَّبْرِيِّ وَغَيْرِهِ، بَلْ ضَمَّتْ أَقْوَالَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ<sup>(٥)</sup>، وَإِبْرَادَ تَفْسِيرِ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ فِي كُتُبِ التَّفْسِيرِ بِالْمَأْثُورِ لَيْسَ دَلِيلًا عَلَى أَنَّ تَفْسِيرَهُمْ تَفْسِيرٌ بِالْمَأْثُورِ، إِلَّا إِذَا عُدَّ التَّفْسِيرُ بِالْمَأْثُورِ قَسْمَيْنِ: قَسْمٌ بِمَا أُثِرَ عَنِ الرَّسُولِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) وَقَسْمٌ بِمَا أُثِرَ عَنِ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ، وَقِيلَ إِنَّ تَفْسِيرَ الصَّحَابَةِ إِذَا كَانَ يَرْجِعُ إِلَى سَبَابِ النَّزُولِ، وَمِمَّا لَا مَجَالَ فِيهِ لِلرَّأْيِ فَهُوَ بِحَكْمِ الْمَرْفُوعِ إِلَى الرَّسُولِ

(١)- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال: ١ / ١٩٢.

(٢)- نهج البلاغة: ١٩٢، خطبة رقم (١٣٣).

(٣)- ينظر: الميزان في تفسير القرآن: ١ / ١٤.

(٤)- التفسير والمفسرون: ١ / ١١٢.

(٥)- ينظر: التفسير والمفسرون: ١ / ١١٢، وبحوث في أصول التفسير ومناهجه: ٨٦.

## الفصل الأول منصح ابن جنبي في التفسير اللغوي للقرآن الكريم .....

(صلى الله عليه وآله) فينبغي الأخذ به، أما إذا كان غير ذلك فهو موقوفٌ على الصحابي<sup>(١)</sup>.

ويرى الطباطبائي أن لا دليل على كون تفسير الصحابة والتابعين هو من التفسير بالمأثور إلا إذا ثبت أنه عن رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فلا يمكن عدُّ أحاديث الصحابة أحاديث نبويّة، ولا يمكن القول إنهم لم يفسروا برأيهم<sup>(٢)</sup>، فالتفسير بالمأثور عنده، هو ما قاله رسول الله (صلى الله عليه وآله) ونقله عنه الصحابة، وأقوال أهل البيت (عليهم السلام)؛ لأنه قد ثبت أن أحاديثهم أحاديث رسول الله فهي امتدادٌ لأقوال الرسول (صلى الله عليه وآله)، فهي حُجّةٌ أيضًا<sup>(٣)</sup>، وقد روى الكليني (ت ٣٢٩هـ) أن أبا عبد الله الصادق (عليه السلام) ((يقول: حَدِيثِي حَدِيثُ أَبِي، وَحَدِيثُ أَبِي حَدِيثُ جَدِّي، وَحَدِيثُ جَدِّي حَدِيثُ الْحُسَيْنِ، وَحَدِيثُ الْحُسَيْنِ حَدِيثُ الْحَسَنِ، وَحَدِيثُ الْحَسَنِ حَدِيثُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ (عليه السلام) وَحَدِيثُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ حَدِيثُ رَسُولِ (الله صلى الله عليه وآله)، وَحَدِيثُ رَسُولِ (الله صلى الله عليه وآله) عَزَّ وَجَلَّ))<sup>(٤)</sup>، فأحاديث أهل البيت متصلةٌ سنَدًا برسول الله (صلى الله عليه وآله) وهو لا ينطق عن الهوى.

### ثالثًا: منهج تفسير القرآن بالرأي

وهو التفسير الذي لم يُنقل عن الرسول (صلى الله عليه وآله)، ويطلق عليه التفسير الاجتهادي أو العقلي أو الاعتقادي أو التفسير بالدراية<sup>(٥)</sup>، فهو ((عبارة عن تفسير القرآن بالاجتهاد بعد معرفة المفسر لكلام العرب ومناحيهم في القول، ومعرفته للألفاظ العربيّة ووجوه دلالاتها، واستعانته في ذلك بالشعر الجاهلي، ووقوفه على أسباب النزول، ومعرفته بالناسخ والمنسوخ من آيات القرآن، وغير ذلك من الأدوات التي يحتاج إليها المفسر))<sup>(٦)</sup>،

(١)- ينظر: التفسير والمفسرون : ١ / ٧١ .

(٢)- ينظر: القرآن في الإسلام : ٥٥ .

(٣)- ينظر: القرآن في الإسلام : ٦٣ .

(٤)- أصول الكافي : ١ / ٤١ .

(٥)- ينظر: التفسير والمفسرون : ١ / ١٨٣، وبحوث في أصول التفسير: ١٠٠ .

(٦)- التفسير والمفسرون: ١ / ١٨٣ .

## الفصل الأول منهج ابن جنبي في التفسير اللغوي للقرآن الكريم .....

واختلف العلماء في هذا النوع من التفسير، فمنهم من يمنعه، ومنهم من يجيزه، ومنهم من يراه قسمين: قسم ممدوح، وقسم مذموم (١).

### رابعاً: منهج التفسير اللغوي

إنَّ بَيْنَ التَّفْسِيرِ وعلوم اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ عِلَاقَةً وثِيقَةً، لا تَكَادُ تَتَفَاكَّرُ عَنْهُ، وَسَوْفَ أُبَيِّنُ بَعْضَهَا فِي مَا سَيَأْتِي (٢)، وسأتكلم في هذا المكان على التفسير اللغوي بوصفه منهجاً من مناهج التفسير له أثر كبير في بيان معاني القرآن.

اختلف واضعو مناهج التفسير المحدثون في التفسير اللغوي، فبعضهم لم يره منهجاً من مناهج التفسير، ولم يفرّد له باباً كالذهبي في (التفسير والمفسرون) والحيدري في كتابيه (أصول التفسير والتأويل، ومناهج تفسير القرآن)، بل اكتفوا بإشارات يسيرة له في مواضع متفرقة، فقد جاء ذكره عند الذهبي في كلامه على التفسير بالرأي المنحرف، ومثل لهذا النوع من التفسير بـ(تفسير الكشاف) وغيره من التفاسير، ثم ذكر أنّ المنهج اللغوي هو أحد الأدوات التي يستعملها المعتزلة في التفسير، بل عدّه المبدأ الأهم عند المعتزلة، لأنهم عن طريقه يبيّنون عقيدتهم ومذهبهم، فقال: ((نجد المعتزلة قد حرصوا كلّ الحرص على الطريقة اللغوية التي تُعتبر [كذا] عندهم المبدأ الأعلى لتفسير القرآن، وهذا المبدأ اللغوي، يظهر أثره واضحاً في تفسيرهم للعبارات القرآنية التي لا يليق ظاهرها عندهم بمقام الإلهوية، أو العبارات التي تحتوي على التشبيه، أو العبارات التي تُصادم بعض أصولهم، فنراهم يحاولون أولاً إبطال المعنى الذي يروونه مشتبهاً في اللفظ القرآني، ثم يُنبئون لهذا اللفظ معنىً موجوداً في اللغة يُزيل هذا الاشتباه ويتفق مع مذهبهم، ويستشهدون على ما يذهبون إليه من المعاني التي يحملون ألفاظ القرآن عليها بأدلة من اللغة والشعر العربي القديم. فمثلاً الآيات التي تدلُّ على رؤية الله تعالى، كقوله سبحانه في الآيتين [٢٢، ٢٣] من سورة القيامة: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾، وقوله تعالى في الآية [٢٣] من سورة المطففين: ﴿عَلَى الْأَرْئِكِ يَنْظُرُونَ ﴿٢٣﴾ نجد المعتزلة ينظرون إليها بعين غير

(١)- ينظر: مقدمة في أصول التفسير: ١٠٥ و١١٤، والتفسير والمفسرون: ١٨٣/١ - ١٨٨، وأصول

التفسير والتأويل: ١٢/١ - ١٢٢، بحوث في أصول التفسير ومناهجه: ١٠١ - ١٠٢.

(٢)- ينظر: الرسالة: ٥٣.

## الفصل الأول منهج ابن جنبي في التفسير اللغوي للقرآن الكريم .....

العين التي ينظر بها أهل السنة، ويحاولون بكل ما يستطيعون أن يطبقوا مبادئهم اللغوي، حتى يتخلصوا من الوزطة التي أوقعهم فيها ظاهر اللفظ الكريم، فإذا بهم يقولون: إنَّ النظر إلى الله معناه الرجاء والتوقع للنعمة والكرامة، واستدلوا على ذلك بأنَّ النظر إلى الشيء في العربية ليس مُختصاً بالرؤية المادية، واستشهدوا على ذلك بقول الشاعر:

وَإِذَا نَظَرْتُ إِلَيْكَ مِنْ مَلِكٍ      وَالْبَحْرُ دُونَكَ زِدْتَنِي نِعَمًا<sup>(١)</sup>.

إنَّ الذهبي لم يذمَّ المنهج اللغوي في التفسير مطلقاً، بل ذمَّ المعتزلة في تطويع اللغة لموافقة معتقداتهم وما يؤمنون به؛ لذا عدَّ تفاسيرهم من تفاسير الرأي المذموم، كتفسير (تنزيه القرآن عن المطاعن) للقاضي عبد الجبار، و(الكشاف). ويرى الجطلابي أنَّ السكوت عن منهج التفسير اللغوي عند بعض واضعي مناهج التفسير يعود إلى أنَّهم بسكوتهم يُقرُّون بأنَّ هذا المنهج يَقصر أن يكون منهجاً، لأنَّه لا يُعبر عن لون فكري ديني، إلا أنَّ غيرهم يرى التفسير اللغوي مدرسة مُميَّزة<sup>(٢)</sup>.

وعدَّ بعض المحدثين مناهج تفسير القرآن الكريم قسمين رئيسين: الأول: التفسير بالمأثور أو النقل، والثاني التفسير بالرأي أو العقل، وكلُّ قسم يضم فروعاً متعددة، واختلفوا في انتماء التفسير اللغوي، فنسبه بعضهم إلى التفسير بالرأي، وبعضهم الآخر نسبه إلى التفسير بالمأثور، فالذهبي كما مرَّ سابقاً عدَّه من التفسير بالرأي وإن لم يصرح بذلك، أمَّا جعفر السُّبحاني فقد عدَّ التفسير اللغوي صورةً من صور التفسير بالمأثور، ومثلاً له ب(معاني القرآن) للفراء و(مجاز القرآن) لأبي عبيدة (ت ٢١٠هـ) و(تلخيص البيان في مجازات القرآن) للشرف الرضي (ت ٤٠٦هـ)<sup>(٣)</sup>، ويرى محمود الصغير أنَّ التفسير اللغوي الذي جاءنا عن ابن عباس والفراء وأبي عبيدة والأخفش ليس تفسيراً بالرأي وإنَّ أهملوا ذكر الأسانيد، لأنَّهم كانوا حريصين على ربط التفسير اللغوي بالمأثور عن الرسول (صلى الله عليه وآله) وكُنَّهم تُشير إلى ذلك، إذ قال: ((إنَّ مصطلح التفسير بالرأي كبير على جهود

(١) - التفسير والمفسرون: ١ / ٢٦٧ والبيت نسبه الطوسي لطريح بن إسماعيل الثقفي: ينظر: التبيان

في تفسير القرآن: ١ / ٢٢٩، ولم أعر عليه في شعره المجموع، ينظر: شعر طريح .

(٢) - ينظر: قضايا اللغة في كتب التفسير: ٤٨.

(٣) - ينظر: المناهج التفسيرية في علوم القرآن: ١٥٤ - ١٥٧.

## الفصل الأول منهج ابن جنبي في التفسير اللغوي للقرآن الكريم .....

ابن عباس، وعلى غيره ممن سلك سبيله وطوره. وما يمكن قوله هو أن هؤلاء جميعاً قد اجتهدوا في ظل لغة القرآن، وأفياء الشريعة، وأوضحوا ما سكنت عنه الروايات والأسانيد المعزوة أسوة بالاجتهادات الأخرى الملتزمة، فكان التفسير وعلو العربية في جهودهم حقيقةً واحدة لا يمكن فصلها<sup>(١)</sup>، ويخلص الصغير إلى أن التفسير اللغوي أرفع شأنًا من أن يكون تفسيرًا بالرأي في الأقل عند الأسماء الذين ذكرهم.

ولا يعدُّ اختلاف واضعي مناهج التفسير في نسبة التفسير اللغوي تناقضًا؛ لأن كل واحد منهم نظر إلى التفسير اللغوي بغير منظار الآخر، فإذا جاءنا التفسير اللغوي متأثرًا عن الرسول (صلى الله عليه وآله) وأهل البيت أو عن الصحابة عند بعضهم، فهو تفسيرٌ لغويٌّ بالمأثور، أمّا إذا كان إجهادًا من المفسر أو اللغوي، فهو تفسيرٌ بالرأي أو الاجتهاد، ويرى خالد العك أن التفسير اللغوي لا يخرج عن التفسير بالنقل فهو تفسيرٌ بما نُقل عن لغة العرب، فشروطه كشروط التفسير النقلي<sup>(٢)</sup>.

إن علاقة التفسير باللغة علاقة لا يمكن فكها؛ لذا نرى أغلب مناهج التفسير، كان التفسير اللغوي ركنًا أساسيًا من أركانها، فنرى الطبري في تفسيره اعتمد على التفسير باللغة، و(جامع البيان) يعدُّ تفسيرًا بالمأثور في أغلبه، ومن صور تفسيره اللغوي عن طريق المأثور ما جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ﴾ [البقرة: من الآية: ١٧٠] فقال: ((يَعْنِي وَجِدْنَا ... وكما حَدَّثَنَا بِشْرُ بْنُ مُعَاذٍ ... عَنْ قَتَادَةَ، ﴿ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ﴾ أي ما وَجِدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا))<sup>(٣)</sup>، فهو هنا فسّر ﴿ أَلْفَيْنَا ﴾ تفسيرًا لغويًا بالمأثور عن الصحابة، ((وكان جميعهم [أي المفسرين] يوظفون علمهم بالعربية في تفسير النص واستنباط معناه ودلالة تراكيبه وأساليبه))<sup>(٤)</sup>، فالتفسير اللغوي طبعٌ لكل منهج من مناهج التفسير. فالمنهج البياني يعتمد على اللغة، أو هو فرع

(١) - الأدوات النحوية في كتب التفسير: ٢٦.

(٢) - أصول التفسير وقواعده: ١٤٧.

(٣) - جامع البيان: ٣ / ٤٣.

(٤) - المعرفة اللغوية في تفسير النص القرآني: ٨٠٣، مجلة اللغة العربية بدمشق المجلد: ٨١، الجزء:

٤، ٢٠٠٦م.

## الفصل الأول منهج ابن جنبي في التفسير اللغوي للقرآن الكريم .....

من التفسير اللغوي<sup>(١)</sup>، والمنهج العقلي يعتمد على اللغة<sup>(٢)</sup>، والمنهج العلمي يعتمد على اللغة أيضاً<sup>(٣)</sup>، والمنهج الفقهي كذلك ليس له غنى عنها.

### نشأة التفسير اللغوي

إنَّ التفسير اللغويَّ من أقدم مناهج التفسير وقد مرَّ بمراحل متعدِّدة، وقيل إنَّ أوَّل من فسَّر القرآن لغويًّا هو رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وإنَّ كان تفسيره قليلاً ونادراً؛ لأنَّه كان يُفسِّر ما يُسألُ عنه، وما يحتاج النَّاس إلى تفسيره وتبَيُّينه<sup>(٤)</sup>، وكانت أسئلة الصَّحابة عن معاني ألفاظ القرآن التي وردت بغير لهجتهم، أو لم تكن مستعملة في زمنهم، أو أنَّ القرآن أراد بها غير المعنى المألوف منها<sup>(٥)</sup>، ومن أمثلة تفسيره اللغوي ما رُوِيَ ((عن النَّبي (صلى الله عليه وسلم) في قوله: ﴿وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ [ الأنعام: من الآية: ٨٢ ] قال: بِشْرِكٍ))<sup>(٦)</sup>، فالرَّسول (صلى الله عليه وآله) فسَّر الظلم بالشرك، وهو تفسر لغويٌّ، وفسَّر الخيط الأبيض والأسود في قوله تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾ [البقرة: من الآية: ١٨٧] ببياض النَّهار وسواد الليل<sup>(٧)</sup>، وكذلك فسَّر القوَّة في قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾ [ الأنفال من الآية : ٦٠ ] بالرَّمي<sup>(٨)</sup>، فالتفسير في هذه الآي تفسيرٌ لمعاني الألفاظ، والملاحظ على تفسير الرسول (صلى الله عليه وآله) أنَّه خلا من الشواهد ، لأنَّه ليس محتاجاً للدليل، فهو مؤيد من السماء، وذو ((سُلْطة لغوية ترفعه عن البحث على صحَّة ما يشرح، إذ الدليل يَسْتَمِدُّه من شخصه ذاته، فليس مُحتاجاً إلى الشَّعر يُدَعَّم به المعنى المعجمي))<sup>(٩)</sup>. وبذلك

(١)- ينظر: المناهج التفسيرية في علوم القرآن: ١٥٠، وخطوات التفسير البياني: ٢٨.

(٢)- ينظر: أصول التفسير وقواعده: ١٦٧.

(٣)- ينظر: مناهج تفسير القرآن: ١٢٠.

(٤)- ينظر: التفسير اللغوي: ٦٥، وقضايا اللغة في كتب التفسير: ٤٣.

(٥)- ينظر: مناهج المفسرين: ١٢٣.

(٦)- تفسير القرآن العظيم لأبي حاتم: ١٣٣٣.

(٧)- ينظر: تفسير القرآن العظيم لأبي حاتم: ٣١٨.

(٨)- ينظر: البرهان في علوم القرآن: ٢ / ١٥٧.

(٩)- قضايا اللغة في كتب التفسير: ٤٣.

## الفصل الأول منهج ابن جنبي في التفسير اللغوي للقرآن الكريم .....

تكون نشأة التفسير اللغوي في مراحلہ الأولى في عصر الرسول (صلى الله عليه وآله) إلا أنه تفسيراً قليلاً ونادر كما تقدّم سابقاً.

ويُعدُّ ابن عباس أول من ألف في التفسير اللغوي<sup>(١)</sup>، ويُعدُّ كتابه (مسائل نافع ابن الأزرق) - الذي جمعه بعض تلاميذه أو من جاء بعده، فهو لم يخطئه بيده ولم يُمله - أول شرح معجمي لألفاظ القرآن الكريم، وهو النواة الأولى للتفسير اللغوي، وتفسير ابن عباس اللغوي كان مُنصباً على بيان معاني ألفاظ، والاستشهاد لها من شعر العرب، فكان يرى أن الشعر ديوان العرب، فإذا خفي معنى لفظ وجد في شعر العرب<sup>(٢)</sup>، قال: ((الشعر ديوان العرب فإذا خفي عليهم الحرف من القرآن الذي أنزله الله بلغة العرب رجعوا إلى ديوانها فالتمسوا معرفة ذلك))<sup>(٣)</sup>، وقال أيضاً: ((إذا أعينكم العربية في القرآن فالتمسوها في الشعر فإنه ديوان العرب))<sup>(٤)</sup>، وكان منهج ابن عباس في المسائل أن يسأله نافع بن الأزرق (ت ٦٥هـ) عن معنى اللفظ القرآني فيقول: أخبرني عن قوله تعالى، فيجيبه ابن عباس عن معنى اللفظ، ثم يقول نافع هل كانت العرب تعرف ذلك، فيقول ابن عباس نعم، ويذكر له شاهداً من شعر العرب. ومن سؤالات نافع ((قال أخبرني عن قول الله عز وجل: ﴿وَنَحَاسٌ فَلَا تَنْتَصِرَانِ﴾ [الرحمن: من الآية: ٣٥] ؟ قال: ما النحاس ؟ قال: هو الدخان الذي لا لهب فيه. قال: وهل كانت العرب تعرف ذلك ؟ قال نعم. أما سمعت بقول النابغة:

يُضِيءُ كضوءِ سِرَاجِ السَّلْيِ طِ لَمْ يَجْعَلِ اللهُ فِيهِ نُحَاسًا

يعني دخاناً . قال : صدقت))<sup>(٥)</sup>، واستمر هكذا في جميع السؤالات، ثم تطوّر التفسير اللغوي بعد ابن عباس فأخذ متاجي أخرى كالتفسير اعتماداً على الصّرف والنحو وغيرهما، وهو ما نجده في كتب غريب القرآن ومجازه ، ومعانيه.

(١)- ينظر: بحوث في أصول التفسير: ١٢٥.

(٢)- ينظر: تعريف الدارسين بمنهج المفسرين: ١ / ٢٤٣.

(٣)- إيضاح الوقف والابتداء: ١ / ١٠٠.

(٤)- إيضاح الوقف والابتداء: ١ / ١٠١، وينظر البيت في، ديوان النابغة الجعدي: ١٠٠.

(٥)- مسائل نافع بن الأزرق: ٣٦ - ٣٧.

## مكانة التفسير اللغوي للقرآن الكريم

تتبع أهمية اللغة العربية وأساليبها في تفسير القرآن وبيان معانيه من كون القرآن قد شرفها فنزل بها، قال تعالى: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [يوسف : ٢]، ومن سنن الله عز وجل أن يُرسل الرسول بلسان قومه حتى لا تكون للقوم حجة على الرسول بأنه جاءهم بغير لسانهم، قال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [إبراهيم : ٤]، فكان لزاماً على كل من يريد الوقوف على معاني القرآن، والمراد منه أن يقف على لغة العرب وأساليبها في الكلام والتعبير عن المعنى<sup>(١)</sup>، وجعل السيوطي العلوم التي يحتاج إليها المفسر حتى يكون مفسراً خمسة عشر علماً منها سبعة علوم من علوم اللغة وهي:

- ١- أن يكون المفسر عارفاً بالتصريف، ومعاني الأبنية، ودلالاتها، وأصول الألفاظ.
- ٢- أن يكون المفسر عارفاً باللغة ومعاني مفرداتها، ومدلولاتها بحسب الوضع، وهو جانب الدلالة المعجمية للألفاظ.
- ٣- أن يكون المفسر عارفاً بالنحو؛ لأن المعاني تتغير، وتختلف باختلاف الإعراب.
- ٤- أن يكون المفسر عارفاً بالاشتقاق، والاشتقاق حقه أن يكون ضمن التصريف.
- ٥- أن يكون المفسر عارفاً بعلم المعاني، الذي يهتم بدراسة خواص التراكيب من جهة إفادتها المعنى.
- ٦- أن يكون المفسر عارفاً بعلم البيان، الذي يهتم بدراسة خواص التراكيب من حيث اختلافها بحسب وضوح الدلالة وخفائها.
- ٧- أن يكون المفسر عارفاً بعلم البديع، الذي يُعنى بدراسة تحسين الكلام. وهذه العلوم الثلاثة الأخيرة تسمى علوم البلاغة<sup>(٢)</sup>.

(١)- ينظر: التفسير اللغوي: ٤٠.

(٢)- ينظر: الإتقان في علوم القرآن: ٤ / ٢١٣ - ٢١٤.

## الفصل الأول من مع ابن جنبي في التفسير اللغوي للقرآن الكريم .....

وهذه الشروط تُبيّن أهمية اللغة وفنونها وأساليبها، في تفسير القرآن وتبيين معانيه، بحيث يكون واضح الدلالة ومفهوم المعنى.

ولأهمية أساليب اللغة في تفسير القرآن، جعل الثعالبي (ت ٤٢٩هـ) القسم الثاني من كتابه (فقه اللغة وسر العربية) بعنوان مجاري كلام العرب وسننها في التعبير عن المعاني<sup>(١)</sup>، وجعل أغلب شواهد هذا القسم من القرآن الكريم، وجعله تسعة وتسعين فصلاً، ويبدأ كل فصلٍ على الأغلب بقوله: (ومن سنن العرب) ثم يذكر لهذه السنّة شاهداً قرآنيّاً، ومن ذلك قوله في الفصل الثامن والعشرين في إضافة الشّيء إلى نفسه و((هي من سنن العرب إذ تقول: صلاةُ الأولى ومسجدُ الجامع، وكتابُ الكامل، وحمّادُ عَجْرَدٍ، وعنقاء مُعْرِبٍ، ويوم الجمعة، وفي القرآن: ﴿وَلِدَارُ الْأَخِرَةِ خَيْرٌ﴾ [يوسف: من الآية: ١٠٩] وكما قال عزّ ذكره في مكان آخر: ﴿قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً﴾ [البقرة: من الآية: ٩٤]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ﴾ [الواقعة: ٩٥] فأماً إضافة الشّيء إلى جنسه فكقولهم: خاتم فضة، وثوب حرير، وخبز شعير))<sup>(٢)</sup>، فالثعالبي في هذا القسم يشير إلى أساليب العرب في كلامها، وأثر تلك الأساليب في بيان معاني القرآن الكريم، التي يجدرُ بالمفسّر للقرآن الكريم أن يكون مطلعاً عليها حتى يقف على المراد من أي القرآن، ومن المحدثين الذين نظروا في أساليب القرآن إبراهيم السامرائي في كتابه (من أساليب القرآن الكريم)، وفاضل السامرائي في كتابه (التعبير القرآني)، فقد وقفا على كثير من أساليب القرآن في التعبير عن المعاني كالتعجب والتّقديم والتأخير، وغير ذلك<sup>(٣)</sup>.

إنّ المعرفة بأساليب العرب في كلامها، ومعرفة دقائق اللغة تعين المفسّر على الوقوف على المعنى الصحيح، ومن ذلك ما ذكره الخطّابي (ت ٣٨٨هـ) ((عن محمد بن سعدية ... عن مالك بن دينار قال: جَمَعْنَا الْحَسَنَ لِعَرْضِ الْمَصَاحِفِ أَنَا وَأَبَا الْعَالِيَةَ ... فَقَالَ رَجُلٌ: يَا أَبَا الْعَالِيَةَ قَوْلَ اللَّهِ فِي كِتَابِهِ: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ﴿الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ [الماعون: ٤، ٥] ما هذا السّهو؟ قال الذي لا يدري عن كم ينصرف؛ عن شفع أو عن

(١)- ينظر: فقه اللغة وسر العربية: ٢١٩.

(٢)- فقه اللغة وسر العربية: ٢٣٢.

(٣)- ينظر: من أساليب القرآن: ٦٧ - ٧٤، والتعبير القرآني: ٤٩ - ٧٤.

## الفصل الأول منصح ابن جنبي في التفسير اللغوي للقرآن الكريم .....

وثر، فقال الحسن: مه يا أبا العالية ليس هذا، بل الذين سهوا من ميقاتهم حتى تفوتهم، قال الحسن: ألا ترى قوله عز وجل ﴿عَنْ صَلَاتِهِمْ﴾<sup>(١)</sup>، فذكر الخطابي بعد هذه الرواية تعليقا له قال فيه: ((وإنما أتى أبو العالية في هذا حيث لم يفرق بين حرف (عن) و(في) فنتبّه له الحسن، فقال ألا ترى قوله: ﴿عَنْ صَلَاتِهِمْ﴾ يؤيد أن السهو الذي هو الغلط في العدد إنما هو يعرض في الصلاة بعد ملابستها، فلو كان هو المراد، لقل: (في صلاتهم ساهون)، فلما قال: ﴿عَنْ صَلَاتِهِمْ﴾ دلّ على أن المراد به الذهاب عن الوقت))<sup>(٢)</sup>، وقول أبي العالية (ت ٩٣هـ) سببه عدم التفريق بين معنى (عن) و(في) وما تدلّ في النصّ القرآني.

### مصادر التفسير اللغوي

إنّ التفسير المعتمد على اللغة وفنونها من أقدم أنواع التفسير كما تقدّم سابقا<sup>(٣)</sup>، وتعرض له جمع من العلماء، ومنهم من خصّه بمؤلف كالفراء والأخفش، ومنهم من جاء في عرض كتابه كسيبويه (ت ١٨٠هـ) والمبرد (ت ٢٨٥هـ)، وتعددت مصادر وأنواعها حتى عدّها مساعد الطيار بخمسة أنواع، وهي: كتب غريب القرآن وكتاب مجاز القرآن لأبي عبيدة، وكتب معاني القرآن، ومعاجم اللغة، وكتب التفسير، وكتب أخرى لها علاقة بالتفسير ككتب الاحتجاج للقراءات، وكتب الشروح الشعرية، وكتب الأدب<sup>(٤)</sup>. وأذكر منها:

### أولا: كتب غريب القرآن، ومجاز القرآن لأبي عبيدة

تعدّ كتب غريب القرآن ومجاز القرآن المصدر الأوّل من مصادر التفسير اللغوي، فهي أقدم الكتب التي تهتمّ بالتفسير اللغوي، وإنّ أول من ألف في غريب القرآن أبان بن تغلب الجريدي (ت ١٤١هـ) فقد ذكر الطوسي، وتبعه ياقوت الحموي (ت ٦٢٦هـ)، والبغدادي أنّ لأبان بن تغلب كتابا باسم (غريب القرآن)<sup>(٥)</sup>، وذكر ابن النديم (ت ٣٧٧هـ)، أنّه باسم

(١) - بيان إعجاز القرآن للخطابي: ٣٢.

(٢) - بيان إعجاز القرآن للخطابي: ٣٣.

(٣) - ينظر: الرسالة: ٢٠.

(٤) - ينظر: التفسير اللغوي: ١٨٢.

(٥) - ينظر: الفهرست للطوسي: ١٧، ومعجم الأدباء: ٣٨ / ١، وهدية العارفين: ١ / ١.

## الفصل الأول من مع ابن جنبي في التفسير اللغوي للقرآن الكريم .....

(معاني القرآن)، ويرى إبراهيم رفيده أن كون كتاب أبان في غريب القرآن أقرب إلى كونه في معاني القرآن إلا أنه رجح قول ابن النديم؛ لأنه الأقرب لعصر المؤلف<sup>(١)</sup>، وأرجح أنه في غريب القرآن فقد أطال ياقوت الحموي الكلام عليه بهذا الاسم، إذ قال: ((وصنف كتاب الغريب في القرآن، وذكر شواهد من الشعر، فجاء فيما بعد عبد الرحمن بن محمد الأزدي الكوفي، فجمع من كتاب أبان، ومحمد بن السائب الكلبي، وابن روق عطية بن الحارث، فجعله كتاباً، فيما اختلفوا فيه وما اختلفوا عليه، فتارة يجيء كتاب أبان مفرداً، وتارة يجيء مشتركاً، على ما عمله عبد الرحمن))<sup>(٢)</sup>، وأول كتاب وصل إلينا في غريب القرآن، كتاب (غريب القرآن) لزيد بن علي (ت ١٢٢هـ) (عليه السلام) إن صحّت نسبة الكتاب إليه، ثم كتاب (غريب القرآن وتفسيره) لابن اليزيدي (ت ٢٣٧هـ)، ثم غريب القرآن لابن قتيبة وغيرها، وكتب غريب القرآن، من الكتب التي تُعنى بتفسير غريب ألفاظ القرآن تفسيراً لغوياً، وتبيين المعاني المحتملة اعتماداً على اللغة كتبيين أصل اللفظ، وذكر مفرده وجمعه، وذكر معناه اعتماداً على الشواهد الشعرية، وأغلب تفسير كتب غريب القرآن من التفسير الخاص الذي يهتم بتفسير الألفاظ، ومن الألفاظ التي فسرها ابن قتيبة لفظ (يأتل) من قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ﴾ [النور: من الآية: ٢٢] ((أي لا يحلف، وهو يفتعل من الألية، وهي اليمين))<sup>(٣)</sup>، وعلى هذا المنوال سارت كتب غريب القرآن.

وألف في مجاز القرآن أبو عبيدة، وهو الكتاب الوحيد الذي وصل إلينا في مجاز القرآن، عمد فيه إلى تفسير القرآن بوسائل لغوية متعددة من صرف ونحو ومعجم وأساليب العرب، ولا يقصد أبو عبيدة بالمجاز في كتابه المجاز الذي يقابل الحقيقة، بل ما يجوز في لغة العرب من الألفاظ والأساليب، وهو تفسير في ألفاظ القرآن الكريم، ويغلب عليه أن يكون كتاباً في لغة القرآن وغريبه<sup>(٤)</sup>، ((وكان (مجاز القرآن) من جهة أخرى تأسيساً لمنهج لغوي في مباشرة النص. توظف فيه اللغة في خدمة الدلالة، وهنالك حجاب المعنى، فحرص أبو عبيدة حيث كان الغموض حاصلاً، أو محتملاً أن يُعرّف بأسبابه المعجمية أو

(١)- ينظر: الفهرست لابن النديم: ٦ / ٧١، والنحو وكتب التفسير: ١ / ١١٣.

(٢)- معجم الأدباء: ١ / ٣٨.

(٣)- تفسير غريب القرآن: ٣٠٢.

(٤)- ينظر: النحو وكتب التفسير: ١ / ١٥٣، والتفسير اللغوي: ٣٣٦.

## الفصل الأول من مع ابن جنبي في التفسير اللغوي للقرآن الكريم .....

الإعرابية أو التركيبية أو البلاغية، وأن يُخرج الكلام إلى الوضوح والفهم في مستواه الأول، وهو مستوى التفسير دون أن يتخطى ذلك إلى مستوى التأويل<sup>(١)</sup>، واعتمد في تفسير ألفاظ القرآن صورًا متعددة<sup>(٢)</sup> منها:

١- بيان معاني الألفاظ والاستشهاد لها بالشعر، كما قال في تفسير قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاحة: ٢] أي: ربُّ المخلوقين، واستشهد لهذا المعنى بشعر أبيد:

ما إن رأيت ولا سمعُ      ت بمثلهم في العالمينا<sup>(٣)</sup>

وواحدهم عالم<sup>(٤)</sup>.

٢- اعتمد على الأساليب العربية في بيان معاني القرآن، واستعمل لذلك ألفاظًا منها (تقول العرب) و(العرب تجعل) وغيرها، وهذه الأساليب لها أثر في بيان المعنى، ومن ذلك تفسير قوله تعالى: ﴿قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ [فصلت: من الآية: ١١]، فخرج ذلك على فعل الآدميين، والعرب قد تفعل ذلك<sup>(٥)</sup>.

٣- عمد إلى تبين معاني القراءات، وتوجيهها بما يُناسب المعنى، وتبيين معاني القراءات وتوجيهها يُعدُّ أحد الميادين التي يُعنى بها التفسير اللغوي للقرآن<sup>(٦)</sup>.

ووصف إبراهيم رفيده أبا عبيدة بصفتين امتاز بهما في (مجاز القرآن) أولاهما: أنه لم ينفذ بمذهب نحوي معين، فهو حرٌّ في الانتقاء من أقوال النحويين بما ينسجم مع تفكيره، ويطبق ذلك على الآية، وثانيهما: كان جريئاً في تبني أقوال لم يقل بها أحدٌ غيره<sup>(٧)</sup>.

(١)- قضايا اللغة في كتب التفسير: ٥٧.

(٢)- ينظر: التفسير اللغوي: ٣٣٨ - ٣٤٦.

(٣)- ديوان ليبيد: ١٣٧.

(٤)- ينظر: مجاز القرآن: ١ / ٢٢.

(٥)- ينظر: مجاز القرآن: ٢ / ٨٣.

(٦)- ينظر: التفسير اللغوي: ٣٤٥.

(٧)- ينظر: النحو وكتب التفسير: ١ / ١٨٥.

## ثانياً: كتب معاني القرآن

تعدُّ كُتُبُ معاني القرآن المصدر الثانية من مصادر التفسير اللغوي، إذ وظَّف مؤلفو هذه الكُتُبُ اللُّغة بكل فنونها لبيان المعنى القرآني، فهُم لم يكتفوا ببيان المعنى المعجمي، بل جاوزوه إلى توظيف عِلْمِ النُّحو والبلاغة لبيان معاني القرآن، والمراد من آياته، فنجد كُتُبَهُم تحتوي على كثيرٍ من النُّحو واللُّغة وغيرها من فنون اللُّغة، حتى عدَّ كتاب معاني القرآن للفراء مصدر النُّحو الكوفي لكثرة مباحثه النحوية التي وظَّفها في بيان معاني القرآن<sup>(١)</sup>، ويرى مساعد الطيار أنَّ أوَّل من ألف في معاني القرآن هو أبان بن تغلب (ت ١٤١هـ)، إن صحَّ أنَّه ألف في معاني القرآن، وإنَّ جعلت سنة الوفاة دليلاً للسِّبْق<sup>(٢)</sup>، أمَّا إبراهيم رُفَيْدَهُ فذكر أنَّ أول من ألف في معاني القرآن هو واصل بن عطاء (ت ١٣١هـ)<sup>(٣)</sup>، (ت ١٣١هـ)<sup>(٣)</sup>، ولا أعرف ما الذي دعا مساعد الطيار أن ينسب السِّبْق في التأليف لأبان بن تغلب، ويترك واصل بن عطاء مع أنَّ مساعد الطيار اعتمد على إبراهيم رُفَيْدَهُ في ترجيحه لـ(أبان)، ورجع إلى الصفحة نفسها التي جعل إبراهيم رُفَيْدَهُ أبان فيها ثاني من ألف في معاني القرآن، فضلاً على ذلك أنَّه اعتمد سنة الوفاة دليلاً على السِّبْق، وأبان متأخر بالوفاة عن واصل، وإنَّ كانت سنة الوفاة بين المتعاصرين لا تُعدُّ دليلاً في السِّبْق فهما عاشا في المرحلة نفسها.

وأوَّل كتاب وصل إلينا في معاني القرآن هو كتاب (معاني القرآن) للفراء، اعتماداً على سنة وفاته، وعمد فيه إلى تفسير القرآن عن طريق اللُّغة وعلومها، وطغى التفسير النُّحويُّ على أكثر بحوثه في بيان المعنى، وتعليل القراءات وبيان معانيها، حتى أنَّه كان يخالف تفسير الصحابة، ولم يعتمد أقوالهم في تفسير القرآن بل كان يعتمد اللُّغة وفنونها، ومن صور التفسير اللغوي:

١- بيان دلالة الألفاظ، أي: بيان معاني الألفاظ معجمياً، كما قال في قوله تعالى: ﴿ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ﴾ [البقرة: من الآية: ١٤٤] أي ولُّوا وجوهكم تلقاءه .

(١)- ينظر: النحو وكتب التفسير: ١ / ١٧٩.

(٢)- ينظر: التفسير اللغوي: ٢٥٦.

(٣)- ينظر: النحو وكتب التفسير: ١ / ١١٢.

## الفصل الأول من مع ابن جنبي في التفسير اللغوي للقرآن الكريم .....

٢- بيان لغات العرب، كما قال في قوله تعالى: ﴿ وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصْلِهَا ﴾ [ البقرة: من الآية: ٦١]، فالقوم في لغة بعض العرب الحنطة.

٣- ذكر المحتملات اللغوية للنص القرآني، كما قال في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴾ [القمر: ٥٤]، فالنهر واحدٌ بمعنى الجمع ومعناه أنهار، أي حمل النهر على الجنس، والجنس يفيد العموم، أو في ضياء أو في سعة<sup>(١)</sup>.

وهذه بعض صور التفسير اللغويّ، مضافاً على ذلك أنّ الفراء، انتصر لمذهبه النحوي الكوفي في تفسيره. وبعد الفراء ألف في معاني جماعة منهم الأخفش والزجاج والنحاس، وكلُّ تلك الكتب تعتمد اللغة مصدرًا مهمًّا لبيان معاني القرآن.

### ثالثاً: كتب التفسير

اعتمد أكثر المفسرين في تفسيرهم على اللغة في بيان معاني القرآن، وكان نصيب اللغة في بيان معاني القرآن متفاوتاً من مفسرٍ إلى آخر، فمنهم المقلِّ ومنهم المكثّر، فالمفسرون الذين اعتمدوا على التفسير بالمأثور يكون نصيب اللغة في تفسيرهم قليلاً بقدر الحاجة إلى ذلك، كتفسير ابن أبي حاتم، فروى في معنى قوله تعالى: ﴿ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ ﴾ [البقرة: من الآية: ١٩٧] ((الرَّفَثُ إِيْتَانُ النِّسَاءِ، وَالتَّكَلُّمُ بِذَلِكَ، الرَّجَالُ وَالنِّسَاءُ، إِذَا ذَكَرُوا ذَلِكَ بِأَفْوَاهِهِمْ))<sup>(٢)</sup>، أمّا في التفاسير الجامعة التي تعتمد كلِّ الوسائل الممكنة لبيان المعنى القرآني، كالمأثور واللغة وأسباب النزول وغيرها من العلوم التي تساعد على بيان المعنى، فيكون أثر اللغة فيها أكثر من غيرها، وهي أيضاً متفاوتة في نسبة الإفادة من اللغة، فنصيب تفسير الطبري والطوسي أقلُّ من نصيب تفسير ابن عطية والسمين الحلبي وأبي حيان الأندلسي، وهذه التفاسير الأخيرة كانت اللغة وعلومها فيها ركنًا أساسيًا لتبيين المعنى وإيضاحه، ويصحُّ أن تُسمّى تفاسير لغوية، وعدّ الجلاوي تفسير (البحر المحيط) من قسم التفسير المكتفي باللغة، فالتفسير عنده ثلاثة أقسام: مكتفٍ باللغة، ومستعينٌ بها، وغير لغوي<sup>(٣)</sup>، وعدّ إبراهيم رفيده تفسير المحرر الوجيز مبتدأ المرحلة الثالثة

(١)- ينظر: التفسير اللغوي: ٢٧٤ - ٢٩٠.

(٢)- تفسير القرآن العظيم لأبي حاتم: ٣٤٦.

(٣)- قضايا اللغة في كتب التفسير: ٦٧.

## الفصل الأول منمنح ابن جنبي في التفسير اللغوي للقرآن الكريم .....

من المراحل التي مرَّ فيها علم التفسير، وهي مرحلة اعتنى مفسروها بالبحوث النحوية في تفاسيرهم لبيان المعنى معتمدين على أقوال النحويين السابقين، مع إضافة شيء جديد عليها، وتطبيقها بما يخدم التفسير، ويبيِّن المعنى<sup>(١)</sup>، ومن أهم ما تميَّز به تفسير ابن عطية إفادته من المصادر اللغوية كثيرًا في تفسير معاني الألفاظ، وكذلك إيراد أقوال النحويين في إعراب الآيات التي تحمل أكثر من وجه<sup>(٢)</sup>، ومن صور تفسيره اللغوي، تفسيره لفظ (الغيب) في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ [البقرة: من الآية: ٣] إذ قال: ((والغيب في اللغة: ما غاب عنك من أمرٍ، ومن مُطمئن الأرض الذي يغيب فيه داخله))<sup>(٣)</sup>. فابن عطية اعتمد على اللغة في تبين المعنى، وذكر جميع المعاني الممكنة في اللفظ من خلال تفسيره اللغوي، وذلك لما فيه من السعة، فهو عرض أكثر من رأي في معنى لفظ (الغيب) قبل أن يذكر رأيه.

وهناك مصادر كثيرة يُكوِّن التفسير اللغوي جزءًا كبيرًا منها ككُتُب الاحتجاج للقراءات وكُتُب النحو ككتاب سيبويه وغيره من كُتُب النحو، فضلًا عن كُتُب الأمالي، فهي تحتوي على كثير من التفسير اللغوي لأي القرآن الكريم - وهي جديرة بالدراسة، فقد اطلعت على كثير منها كأمالي الزجاجي (ت٣٣٧هـ)، وأمالي المرزوقي (ت٤٢١هـ)، وأمالي المرتضى (ت٤٣٦هـ)، ووجدت التفسير اللغوي فيها تفسيرًا يستحق الوقوف عليه وتبينه - فالبحث اللغوي فيها أكثر دقة وعمقًا .

### قواعد التفسير اللغوي

استنبط كثير من المحدثين المهتمين بمناهج تفسير القرآن قواعدًا للتفسير اللغوي للقرآن الكريم<sup>(٤)</sup>، مُتعلِّقة باللغة والنحو وأساليب العرب في كلامها من أقوال المفسرين واللغويين في تفسيرهم اللغوي للقرآن، وهي فرضيات قد لا تصدق على كل القرآن،

(١)- ينظر: النحو وكتب التفسير: ٢ / ٧٥١ - ٧٥٢.

(٢)- ينظر: درس النحوي في تفسير ابن عطية: ١٧، ومنهج ابن عطية في تفسير القرآن: ١٤٧

(٣)- المحرر الوجيز: ١ / ٨٤.

(٤)- ينظر: قواعد التفسير: ١ / ٢٤٨ - ٢٦٥، وأصول التفسير وقواعده: ١٤٧ - ١٥٥٠، والمقدمات

الأساسية في علوم القرآن: ٤٠٣ - ٤٢٣، والتفسير اللغوي: ٥٥٨.

## الفصل الأول منهج ابن جنبي في التفسير اللغوي للقرآن الكريم .....

واستنباط القاعدة تابع لِظَرْ الْمُسْتَنْبِطِ، ((وهذا أمرٌ لِلنَّظَرِ وَالذُّوقِ فِيهِ مَجَالٌ رَحْبٌ، فَلَا يَنْبَغِي النَّعْتُ وَالنَّضِيْقُ فِيهِ))<sup>(١)</sup>، وَمِنْ تِلْكَ الْقَوَاعِدُ:

١- إِذَا كَانَ تَقْدِيرُ الْإِعْرَابِ مُخَالَفًا لِتَفْسِيرِ الْمَعْنَى، وَجَبَ الْأَخْذُ بِتَفْسِيرِ الْمَعْنَى، وَتَصْحِيحُ طَرِيقِ الْإِعْرَابِ بِمَا يُوَافِقُ الْمَعْنَى<sup>(٢)</sup>.

٢- إِذَا وَرَدَ لِلْفِظِ الْقُرْآنِيِّ أَكْثَرُ مِنْ مَعْنَى بِلَا تَضَادٍّ جَازَ تَفْسِيرُ الْآيَةِ بِهِ، وَيَرْجِعُ ذَلِكَ لِاخْتِلَافِ الْمَفْسِّرِينَ<sup>(٣)</sup>.

٣- ((يَجِبُ حَمْلُ كَلَامِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى الْمَعْرُوفِ مِنْ كَلَامِ الْعَرَبِ دُونَ الشَّاذِّ وَالضَّعِيفِ وَالْمُنْكَرِ))<sup>(٤)</sup>، أَيْ الْقِيَاسُ فِيهِ عَلَى الْكَثِيرِ دُونَ الشَّاذِّ.

### التفسير اللغوي عند المحدثين

أُولَى الْمُحَدِّثُونَ التَّفْسِيرَ اللَّغْوِيَّ عِنَايَةً كَبِيرَةً، فَافْرَدُوا لَهُ مُصَنَّفَاتٍ مُنْفَرِدَةً فِي الْمَنْهَجِ وَالنَّطَبِيقِ، وَوَقَفُوا عَلَى مَرَاكِلِ نُشُوئِهِ وَتَطْوَرِهِ، وَتَكَلَّمُوا عَلَى الْمُصَنَّفَاتِ الَّتِي تُمَثِّلُ هَذَا النَّوْعَ مِنَ التَّفْسِيرِ، وَبَيَّنُّوا مَنْهَجَ كُلِّ مُصَنِّفٍ فِي تَفْسِيرِهِ اللَّغْوِيِّ، وَوَقَفُوا عَلَى نَمَاجٍ مِنْ تَفْسِيرِهِمُ اللَّغْوِيِّ، وَمِنْهُمْ مَنْ جَمَعَ التَّفْسِيرَ اللَّغْوِيَّ عِنْدَ الْقَدَامِيِّ مِنَ اللَّغَوِيِّينَ وَالْمَفْسِّرِينَ وَكَانَتْ الرِّيَادَةُ فِي تَطَبِيقِ هَذَا الْمَنْهَجِ لِعَائِشَةَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ فِي كِتَابِهَا التَّفْسِيرَ الْبَيَانِيَّ، فَهِيَ قَدْ اعْتَمَدَتْ اللُّغَةَ وَعِلْمُهَا فِي التَّفْسِيرِ. وَقَدْ اتَّجَهَ التَّأْلِيفُ فِي التَّفْسِيرِ اللَّغْوِيِّ عِنْدَ الْمُحَدِّثِينَ اتِّجَاهَيْنِ:

### الاتجاه الأول

يُعْنَى هَذَا الْإِتِّجَاهُ بِدِرَاسَةِ التَّفْسِيرِ اللَّغْوِيِّ بِوَصْفِهِ مِنْهَجًا مُهِمًّا مِنْ مَنَاجِجِ التَّفْسِيرِ، وَبَيَانِ أَثَرِ اللُّغَةِ وَفَنُونِهَا فِي تَبْيِينِ الْمَعْنَى الْقُرْآنِيَّةِ، وَتَمَثُّلِ هَذَا الْإِتِّجَاهِ بِثَلَاثَةِ كُتُبٍ هِيَ: (النَّحْوُ وَكُتُبُ التَّفْسِيرِ) تَأْلِيفُ إِبْرَاهِيمَ عَبْدِ اللَّهِ رَفِيدِهِ، وَقَفَ فِيهِ عَلَى مَنْهَجِ التَّفْسِيرِ اللَّغْوِيِّ، وَبَيَّنَّ أَثَرَ اللُّغَةِ وَعِلْمُهَا فِي التَّفْسِيرِ، وَقَسَمَ التَّفْسِيرَ إِلَى مَرَاكِلَ، كُلِّ مَرِحَلَةٍ تَضُمُّ مَجْمُوعَةً مِنَ التَّفَاسِيرِ، وَكُتُبَ مَعَانِي الْقُرْآنِ تَمَثِّلُ الْمَرِحَلَةَ الْأُولَى مِنْ مَرَاكِلِ التَّفْسِيرِ، وَوَقَفَ عِنْدَ كُلِّ

(١)- قواعد التفسير: ١ / ٤٤٨.

(٢)- ينظر: أصول التفسير وقواعده: ١٥٠، والخصائص: ١ / ٢٨٤.

(٣)- ينظر: التفسير اللغوي: ٥٩١.

(٤)- ينظر: قواعد الترجيح عند المفسرين: ٣٦٩.

## الفصل الأول منهج ابن جنبي في التفسير اللغوي للقرآن الكريم .....

كتاب من هذه الكتب وبين منهج المؤلف في كتابه وأثر اللغة والنحو في تفسير القرآن وبيان معانيه، مع أن عنوان كتابه (النحو وكُتُب التفسير) يوحي أنه وقف على النحو وأثره عند المفسرين، إلا أنه لم يقتصر على أثر النحو في كتب المفسرين، بل وقف على المعنى اللغوي والقراءات وتوجيهها عند كل مؤلف<sup>(١)</sup>، ويبيّن منهج كل مفسر وأثر النحو واللغة في تفسيره، وهو أول دراسة عامة اعتنت بأثر النحو واللغة في كتب التفسير. والكتاب الثاني (قضايا اللغة في كتب التفسير) تأليف الهادي الجطلاوي، قسم التفسير في كتابه على ثلاثة أقسام: قسم مكتفٍ باللغة، وكان باكورته كتاب سيبويه، وقسم مُستعين باللغة، وقسم غير لغوي، وعرض في كل قسم مجموعة من التفاسير، ووقف عند التأويل وعلاقة باللغة وتوظيفها في الكشف عن المعنى. والكتاب الثالث (التفسير اللغوي للقرآن الكريم) تأليف مساعد ناصر الطيّار، وهو أول دراسة صريحة في منهج التفسير اللغوي للقرآن الكريم، عرض فيها منهج التفسير اللغوي، وبيّن طرائقه وأساليبه وتوظيفه علوم اللغة في الكشف عن المعنى، ووقف فيه عند مصادر التفسير اللغوي، وهي خمسة أنواع: كتب غريب القرآن، وكتب معاني القرآن، وكتب معاجم اللغة، وكتب التفسير، وكتب أخرى لها علاقة بالتفسير ككتب الاحتجاج للقراءات، وكتب الشروح الشعرية وكتب الأدب، ومثّل لكل مصدر من مصادر التفسير اللغوي ببعض الكتب، وحاول أن يكشف منهج كل مفسر وإفادته من اللغة وعلومها في تفسير القرآن الكريم، فهو أول كتاب أسس لمنهج التفسير اللغوي.

### الاتجاه الثاني

عني هذا الاتجاه بالدراسات التّطبيقيّة على التفسير اللغوي عند المفسرين واللغويين، وجرى في هذا الاتجاه التّعرّض إلى التفسير اللغوي للمفسر أو اللغوي، وتبيين منهجه اللغوي في التفسير والأساليب اللغوية التي استعملها في تبيين معاني ألفاظ القرآن الكريم، وتفسير غريبه، وبيّن هذا الاتجاه أثر هذه الفنون اللغوية في تفسير القرآن كأثر النحو وأساليبه من الحذف، والتقديم والتأخير وغيرها، وأثر الصّرف ببيان دلالة أبنية الأفعال وما تدلّ عليه كل صيغة صرفية، وأثر المعجم ببيان معاني الألفاظ معجمياً، والاستشهاد عليها من شعر العرب، وتمثّل هذا الاتجاه بدراستين أكاديميتين: الأولى (التفسير اللغوي في

(١)- ينظر: النحو وكتب التفسير: ١ / ٣٧٠، و ٣٧١، و ٣٧٦.

## الفصل الأول من معجم ابن جنبي في التفسير اللغوي للقرآن الكريم .....

لسان العرب) تأليف يعقوب حسن المشهداني، وأصل الكتاب أطروحة دكتوراه، جمع الباحث التفسير اللغوي للقرآن الكريم من معجم (لسان العرب) ووزعه على فصول بحثه بحسب موضوعاته اللغوية والنحوية، وهو دراسة تطبيقية على التفسير اللغوي المبيثوث في (لسان العرب)<sup>(١)</sup>، والثانية (التفسير اللغوي في محاسن التأويل لمحمد جمال الدين القاسمي)<sup>(٢)</sup>، وهي أطروحة دكتوراه، عرض فيها التفسير اللغوي عند القاسمي، وبيّن مصادره التي اعتمدها في تفسيره اللغوي، ووقف وقوفاً مفصلاً عند أثر اللغة والنحو في الكشف عن المعنى، وكان محمد جمال في أطروحة شاملاً جامعاً لأغلب القضايا اللغوية التي تناولها القاسمي في تفسيره ولها أثرٌ في توجيه المعنى . وهناك دراسة بعنوان (الطَّبْرَسِيُّ ومنهجه في التفسير اللغوي) تأليف ناصر كاظم السراجي، وأصل الكتاب أطروحة دكتوراه<sup>(٣)</sup>، ولم أطلع على منهج المؤلف لانعدام توافر الكتاب.

(١)- ينظر: التفسير اللغوي في لسان العرب : ٧ - ١٠ .

(٢)- أطروحة دكتوراه لماهر جاسم حسن، تقدم بها إلى كلية الآداب جامعة الموصل عام (٢٠٠٣م).

(٣)- أصل الكتاب أطروحة دكتوراه نُوقِشت بجامعة دمشق عام (١٩٨٧م).

## المبحث الثاني

### القرآن الكريم في كتب ابن جنبي

حَظِيَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ بِحَظٍّ وَافِرٍ مِنْ دَرَسَاتِ ابْنِ جَنبِي فِي أَغْلَبِ مُصَنَّفَاتِهِ بِوصفه شَاهِدًا عَلَى قَاعِدَةِ نَحْوِيَّةٍ، أَوْ مَعْنَى لَفْظٍ، أَوْ مَدَارِ بَحْثٍ وَتَفْسِيرٍ. ((وابن جنبي من ... العلماء الذين جعلوا القرآن الكريم مصدرًا يؤيد آراءه، وبيَّنَتْ به قاعدته ، فكان أُثْبِتَ ما يكون عنده تَمَثُّلًا وَاسْتِشْهَادًا، إذ لم يَعْرضْ لِقَاعِدَةٍ أَوْ جَزِيئَةٍ إِلَّا كان شَاهِدَهُ الْقُرْآنِي حَاضِرًا مَسْتَوْفِيًا لِمَسْأَلَتِهِ، وَهُوَ لَا يَأْلُو جُهْدًا فِي بَيَانِهَا وَتَوْضِيحِهَا مَعْنَى وَإِعْرَابًا، وَقَدْ بَلَغَتْ شَوَاهِدُهُ الْقُرْآنِيَّةَ (٩٠٢) مَوْضِعًا))<sup>(١)</sup>، وَلَمْ يَكُنِ الْقُرْآنُ شَاهِدًا عِنْدَ ابْنِ جَنبِي وَحَسْبُ، بَلْ كان مَدَارَ بَحْثٍ وَتَحْلِيلٍ وَتَفْسِيرٍ، وَيَكادُ لَا يَخْلُو مُصَنَّفٌ مِنْ مُصَنَّفَاتِهِ مِنْ أَثَرِ الْقُرْآنِ إِمَّا شَاهِدًا أَوْ مَدَارَ بَحْثٍ، وَكان تَنَاولَهُ لِلْقُرْآنِ الْكَرِيمِ فِي دَرَسَاتِهِ اللَّغْوِيَّةِ عَلَى أَنْواعٍ مُتَعَدِّدَةٍ.

### طرائق إيراد القرآن الكريم:

القسم الأول: أن يأتي بالآية شاهدًا على قاعدة لغوية أو نحوية أو غيرها من فنون اللغة وأبوابها، ويكون هذا على وجوه هي:

١- أن يأتي بالآية شاهدًا لغويًا أو نحويًا، دون أن يُبيِّنَ موضع الشاهد ويشرحه ، فيذكره ويسكت عن شرحه، ومن ذلك قوله في كلامه على الشرط: ((وجواب الشرط على ضربين: الفعل و(الفاء)، فإذا كان الجواب فعلًا كان مجزومًا على ما تقدم نحو قولك: إن تذهب أذهب معك. وأمَّا (الفاء) فيرتفع الفعل بعدها نحو قول الله تعالى: ﴿ وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمْ اللَّهُ مِنْهُ ﴾ [المائدة: من الآية: ٩٥] ، وقال تعالى: ﴿ فَمَنْ يُؤْمِنِ بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ﴾ [الجن: من الآية: ١٣]]<sup>(٢)</sup>، فجاء بالآيتين شاهدًا على قاعدة نحوية دون أن يعلق عليهما أو يُبيِّنَ موضع الشاهد فيهما مُعْتَمِدًا عَلَى فَهْمِ الْقَارِئِ لِمَحَلِّ الشَّاهِدِ.

٢- أن يأتي بالآية شاهدًا على قاعدة لغوية أو نحوية، وبيِّنَ محل الشاهد فيها، من غير الإشارة إلى معنى الآية ومن ذلك قوله في الخصائص: ((وكذلك قولهم: أرايتك زيدًا ما

(١)- الشاهد القرآني عند ابن جنبي: ١٩، (أطروحة).

(٢)- اللع في العربية: ٥٩ .

صنع، وحكى أبو زيد: بَلَاكَ والله وكَلَّاكَ والله أي: بَلَى وَكَلَّا، فالكاف في جميع ذلك حرف خطاب مخلوعةٌ عنه دلالةٌ الاسمِية، وعليه قول سيبويه، ومن زعم أنَّ الكاف في (ذلك) اسم انبغى له أن يقول: ذلك نفسك. وهذا كله مشروح في أماكنه، فلا موضع إذا لهذه الكاف من الإعراب، وكذلك هي إذا وُصِلت بالميم والألف والواو، نحو ذلكما، وذلكمو، فعلى هذا يكون قولُ الله سبحانه: ﴿ أَلَمْ أَنهَكُمَا عَنْ تِلْكَمَا الشَّجَرَةِ ﴾ [الأعراف: من الآية: ٢٢] (كُمَا) من ﴿ أَنهَكُمَا ﴾ منصوبة الموضع و(كُمَا) من ﴿ تِلْكَمَا ﴾ لا موضع لها لأنها حرف خطاب<sup>(١)</sup>، فابن جنبي لم يتعرَّض لشرح الآية وتبيين المراد منها، بل جاء بها شاهداً وحسب ، والوجهان الأوَّل والثَّاني ليس فيهما تفسيرٌ وتبيين للمعنى؛ لذا لا يدخلان في ضمن دراستي؛ لأنَّ دراستي تُعنى بأثر اللغة وفنونها في تفسير القرآن عند ابن جنبي.

٣- أن يأتي بالآية شاهداً على قاعدة لغوية أو نحوية، دون تفسيرها وبيان معناها، ولكنه مع ذلك جاء بها للإشارة إلى دفع احتمال الخطأ في تفسيرها ومن ذلك قوله في قوله تعالى: ﴿ إِنَّا كُلُّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾ [القم: ٤٩] برفع ﴿ كُلُّ ﴾ على قراءة أبي السَّمَّال: ((الرفع هنا أقوى من النَّصب، وإن كانت الجماعة على النَّصب؛ وذلك أنه من مواضع الابتداء، فهو كقولك: زيدٌ ضربته، وهو مذهب صاحب الكتاب والجماعة؛ وذلك لأنها جملة وقعت في الأصل خبراً عن مبتدأ في قولك: نحن كلُّ شيءٍ خلقناه بقدر، فهو كقولك: هندٌ زيدٌ ضربها ثم تدخل (إنَّ)، فتنصب الاسم، وبقي الخبر على تركيبه الذي كان عليه من كونه جملة من مبتدأ وخبر<sup>(٢)</sup>، قصدي من هذا المثال أن ابن جنبي أعرب جملة (كلُّ شيءٍ خلقناه بقدر) خبراً متكوِّناً من جملة اسمية هي: (كلُّ شيءٍ) مبتدأ وخبره الجملة الفعلية ﴿ خَلَقْنَاهُ ﴾ ، وهو بإعرابه هذا يدفع الاحتمال المتوهم في إعراب جملة ﴿ خَلَقْنَاهُ ﴾ وصفاً<sup>(٣)</sup>.

٤- أن يأتي بالآية شاهداً على قاعدة لغوية أو نحوية، ويقوم بشرح الشاهد وتفسيره وتبيين معناه ومن ذلك قوله: ((فأما ما أنشده أبو الحسن من قوله:

لسنا كمن حلت إياها دارها تكريت ترقب حبها أن يحصداً

(١)- الخصائص: ٢ / ١٨٥.

(٢)- المحتسب: ٢ / ٣٠٠.

(٣)- ينظر تفصيل المسألة في الرسالة: ١١٥-١١٧.

فمعناه: لَسْنَا كَمَنْ حَلَّتْ دَارَهَا ثم أبدل (إيادٍ) مِنْ (مَنْ حَلَّتْ دَارَهَا) فَإِنْ حَمَلْتَهُ عَلَى هَذَا كَانَ لِحْنًا؛ لِفَصْلِكَ بِالْبَدَلِ بَيْنَ بَعْضِ الصَّلَةِ وَبَعْضِ، فَجَرَى ذَلِكَ فِي فَسَادِهِ مَجْرَى قَوْلِكَ: مَرَرْتُ بِالضَّارِبِ زَيْدٍ جَعْفَرًا. وَذَلِكَ أَنَّ الْبَدَلَ إِذَا جَرَى عَلَى الْمُبْدَلِ مِنْهُ آذَنَ بِتَمَامِهِ وَانْقِضَاءِ أَجْزَائِهِ، فَكَيْفَ يَسُوغُ لَكَ أَنْ تُبَدِّلَ مِنْهُ وَقَدْ بَقِيََتْ مِنْهُ بَقِيَّةٌ! هَذَا خَطَأٌ فِي الصَّنَاعَةِ، وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ وَالْمَعْنَى عَلَيْهِ أَضْمَرْتَ مَا يَدُلُّ عَلَيْهِ (حَلَّتْ) فَانصبت به الدار، فصار تقديره: لَسْنَا كَمَنْ حَلَّتْ إِيَادَ أَي كإِيَادِ الَّتِي حَلَّتْ، ثُمَّ قَلْتِ مِنْ بَعْدِهِ حَلَّتْ دَارَهَا، فَدَلَّ (حَلَّتْ) فِي الصَّلَةِ عَلَى (حَلَّتْ) هَذِهِ الَّتِي نَصَبْتَ (دَارَهَا). وَمِثْلُهُ قَوْلُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ: ﴿ إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ ﴿ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ ﴾ [الطارق: ٨، ٩] أَي: يُرْجِعُهُ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ، فَدَلَّ ﴿ رَجْعِهِ ﴾ عَلَى (يُرْجِعُهُ)، وَلَا يَجُوزُ أَنْ تُعْلَقَ ﴿ يَوْمَ ﴾ بِقَوْلِهِ ﴿ لَقَادِرٌ ﴾ لِئَلَّا يَصْغُرَ الْمَعْنَى؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَادِرٌ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ وَغَيْرِهِ فِي كُلِّ وَقْتٍ، وَعَلَى كُلِّ حَالٍ عَلَى رَجْعِ الْبَشَرِ))<sup>(١)</sup>، فابن جنبي هنا بعد أن استشهد بالآية بيّن موضع الشاهد فيها وفسّر المعنى الذي تدلُّ عليه الآية تفسيرًا لغويًا. وهذا القسم، التفسير فيه غير مباشر.

القسم الثاني: أن تكون الآية مدار بحثٍ وتفسير بما يملكه من أدوات لغوية تُعِينُهُ عَلَى تَفْسِيرِ الْمَعْنَى وَإِيضَاحِهِ، وَيَكْثُرُ هَذَا النُّوعُ مِنَ الْآيَاتِ فِي كِتَابِ الْمُحْتَسَبِ؛ لِأَنَّهُ وَضَعَهُ لِنَتْفِيسِ الْقَرَاءَاتِ عَلَى وَفْقِ اللَّغَةِ، وَكِتَابِ الْخَاطِرِيَّاتِ؛ لِأَنَّهُ عِبَارَةٌ عَنْ مَسَائِلِ يَطْرَحُهَا ابْنُ جَنبِيٍّ وَيَجِيبُ عَنْهَا، وَاتَّبَعَ فِي كِتَابِهِ هَذَا مِنْهَجَ شَيْخِهِ أَبِي عَلِيٍّ فِي كِتَابِهِ الَّتِي يَبِينُهَا عَلَى الْمَسَائِلِ، إِلَّا أَنَّ مَسَائِلَهُ لَمْ تَكُنْ كُلُّهَا قُرْآنِيَّةً، وَأَيْضًا مِثْلَ ذَلِكَ فِي الْخِصَائِصِ، وَهَذَا الْقِسْمُ مِنَ التَّفْسِيرِ تَفْسِيرٌ مُبَاشِرٌ، وَمِنْ أَمْثَلِهِ هَذَا الْقِسْمُ:

١- قال في الخاطريات: ((قوله عز اسمه: ﴿ وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ فِتْمَ مِيقَاتٍ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ﴾ [الأعراف: من الآية: ١٤٢] ، ﴿ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ﴾ حَالٌ وَلَيْسَ ظَرْفًا، أَي: فِتْمَ الْمِيقَاتُ مَقْدَارًا هَذَا مَبْلُغُهُ، أَلَا تَرَى أَنَّهُ لَيْسَ مَعْنَاهُ: تَمَّ الْمِيقَاتُ فِي أَرْبَعِينَ لَيْلَةً، وَإِنَّمَا تَمَّ عِنْدَ انْقِضَائِهَا))<sup>(٢)</sup>، وَتَبَعَ ابْنُ جَنبِيٍّ فِي تَفْسِيرِهِ هَذَا قَوْلَ شَيْخِهِ أَبِي عَلِيٍّ الْفَارِسِيِّ (ت٣٧٧هـ)، إِذْ قَالَ: ((فَأَمَّا انْتِصَابُ الْأَرْبَعِينَ فِي قَوْلِهِ: ﴿ فِتْمَ مِيقَاتٍ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ

(١)- الخصاص: ٤٠٢/٢، وينظر البيت ديوان الأعشى الكبير: ٢٣١، وروايته في الديوان برفع

(إياد): (لَسْنَا كَمَنْ جَعَلَتْ إِيَادُ دَارَهَا تَكْرِيبَ تَنْظُرُ حَبَّهَا أَنْ يُحْصَدَا).

(٢)- الخاطريات: ٤٢.

نَيْلَةً ﴿ فكقولك: تَمَّ القوم عشرين رجلاً والمعنى: تَمَّ القوم معدودين هذا العدد))<sup>(١)</sup>،  
و(عشرين) حال كما أن معدودين كذلك<sup>(٢)</sup>.

٢- ومن ذلك أيضاً قوله في بقية الخاطريات : ((قوله عزَّ اسمه : ﴿ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ  
وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴾ أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ ﴾ [ المطففين: ٣ ، ٤ ] إن شئت كانت  
﴿ يَظُنُّ ﴾ هنا بمعنى (يعلم)، وهو فاشٍ في اللُّغة، نحو قوله:

\* فَقُلْتُ لَهُمْ ظَنُّوا بِالْفِي مَدَجَج \*  
\*

أي تيقنوا. وإن شئت كانت ﴿ يَظُنُّ ﴾ هنا على بابها تصوراً وتظنيًا، وهو مع ذلك أقوى  
معنى، وإنما كان أقوى معنى؛ لأنه يصير إلى أنه كأنه قال: ألا يتوهم أولئك أنهم  
مبعوثون، أي: فقد يُقنع في هذا بالتوهم فيه كافٍ من تحقُّقه لعظم الأمر وشدته فيكون إذاً  
كقول الشاعر:

\* يَكْفِكَ مِنْ شَرِّ سَمَاعُهُ \*  
\*

أي فقد يجب لتوهم البعث والنشور، وما هناك وعظم الأمر وشدته أن تجتنب المعاصي  
وتحذر كلَّ الحذر، فضلاً عن تحقيق الأمر والقطع بنفسه، فلذلك كان أبلغ<sup>(٣)</sup>. فابن جنبي  
في النصين السابقين نظر إلى الآية بوصفها مسألة قرآنية مستقلة لا شاهداً لغوياً، وفسرها  
تفسيراً لغوياً، من خلال ما يملك من حصيلة لغوية، تؤهله بأن يكون مفسراً لغوياً.

(١)- الحجة للقراء السبعة: ٢ / ٦٥.

(٢)- ينظر: إعراب القرآن للباقولي المنسوب خطأً للزجاج: ١ / ٤٥.

(٣)- بقية الخاطريات: ٤٩ - ٥٠، والشطر الأول لدريد بن الصَّمَّة، ينظر ديوان دريد: ٦٠، وروايته  
فيه: (عَلَانِيَةً لَهُمْ ظَنُّوا بِالْفِي مَدَجَجٍ سَرَائِهِمْ فِي الْفَارِسِيِّ الْمُسَرِّدِ)، والشطر الثاني ظنَّ المحقق أنه  
لعاتكة بنت عبد المطلب من قولها: (سائلُ بنا في قومنا وَلْيَكْفِ مِنْ شَرِّ سَمَاعُهُ) ولم يصب ظنُّه،  
فالشطر الثاني مثل عربي ضمَّنه كثير من الشعراء في شعرهم ، ونسب للإمام علي وهو في ديوانه :  
(قَدْ قِيلَ فِي أَمْثَالِهِمْ يَكْفِيكَ مِنْ شَرِّ سَمَاعُهُ)، ينظر: ديوان الإمام علي: ٨٣ ، ونسب ليزيد بن معاوية  
وروايته: (قَدْ قِيلَ فِي مِثْلِ حَلَا يَكْفِيكَ مِنْ شَرِّ سَمَاعُهُ)، ينظر: البصائر والذخائر: ٣ / ٥٤، ونسب  
لخالد بن يزيد بن معاوية وروايته: (قَدْ قَالَ فِي أَمْثَالِهِ يَكْفِيكَ مِنْ شَرِّ سَمَاعُهُ)، ينظر: أنساب  
الأشراف: ٥ / ٢٢٣٦.

٣- قال في المحتسب: ((وَأَمَّا قِرَاءَةُ الْعَامَّةِ: ﴿فَلَا يُنَازِعُكَ فِي الْأَمْرِ﴾ [الحج: من الآية: ٦٧] أي: فاثبتت على يقينك في صحة دينك ولا تلتفت إلى فساد أقوالهم، حتى إذا رأوك كذلك أمسكوا عنك، ولم يَنَازِعُوكَ، فَلَفِظَ النَّهْيَ لَهُمْ، وَمَعْنَاهُ لَهُ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ). ومثله قولهم: لا أَرَيْنَاكَ هَهُنَا، أَلَا تَرَى أَنَّ مَعْنَاهُ: لَا تَكُنْ هُنَا فَارَاكَ، فَالْنَهْيُ فِي اللَّفْظِ لِنَفْسِهِ، وَمَحْصُولُ مَعْنَاهُ لِلْمُخَاطَبِ. ومثله قول النابغة:

لَا أَعْرِفَا رَبْرَبًا حُورًا مَدَامِعُهَا      كَأَنَّ أَبْكَارَهَا نِعَاجُ دُورِ

أي لا تَدُنُّ مَنِّي كَذَلِكَ فَأَعْرِفَهَا، وَكَلَامٌ لِلْعَرَبِ كَثِيرُ الْإِنْحِرَافَاتِ، وَأَطِيفُ الْمَقَاصِدِ وَالْجِهَاتِ، وَأَعْدَبُ مَا فِيهِ تَلَفُّتُهُ وَتَنْتِيهِهِ<sup>(١)</sup>، فَسَّرَ ابْنُ جَنبِي هُنَا الْآيَةَ تَفْسِيرًا لُغَوِيًّا عَلَى وَفْقِ أَسَالِيْبِ الْعَرَبِ فِي التَّعْبِيرِ، وَاسْتَشْهَدَ لِتَفْسِيرِهِ بِمَثَالٍ مَنْثُورٍ وَأَخَّرَ شِعْرِي.

### أثر القرآن في كتب ابن جنبي

تَقَاوَتَ أَثَرُ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ فِي تَرَاثِ ابْنِ جَنبِي، فَهُوَ فِي بَعْضِ كُتُبِهِ مُكْتَرَّرٌ مِنْ إِيرَادِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ شَاهِدًا عَلَى أَمْرِ لُغَوِيٍّ أَوْ نَحْوِيٍّ، أَوْ مَفْسَّرًا لِمَعْنَى آيَةٍ، وَفِي بَعْضِهَا الْآخَرُ مُقَلٌّ، وَفِي بَعْضِهَا مَخْصَصٌ فِي فَنٍّ مِنْ فُنُونِ الْقُرْآنِ، وَبَعْضُ كُتُبِهِ يَكَادُ يَخْلُو مِنْ إِيرَادِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَبَعْضُهَا لَا أَثَرَ فِيهَا لِلْقُرْآنِ الْكَرِيمِ.

### أولاً: كتب القراءات والنحو واللغة

#### المُحْتَسَبُ

(المُحْتَسَبُ فِي تَبْيِينِ وَجْهِهِ شَوَادُّ الْقِرَاءَاتِ وَالْإِيضَاحِ عَنْهَا) وَضَعَهُ ابْنُ جَنبِي فِي الْإِحْتِجَاجِ لِلْقِرَاءَاتِ الشَّوَادِ، وَتَبْيِينِ مَعْنَى مَا يُسَمَّى شَادًّا فِي عَصْرِهِ، أَوْ هُوَ خِلَافُ مَا جَاءَ بِهِ الْفُرَّاءُ السَّبْعَةُ عِنْدَ ابْنِ مَجَاهِدٍ، قَالَ فِي مَقْدَمَتِهِ: ((لَسْنَا نَقُولُ ذَلِكَ فَسَحًا بِخِلَافِ الْفُرَّاءِ الْمُجْتَمِعِ فِي أَهْلِ الْأَمْصَارِ عَلَى قِرَاءَاتِهِمْ، أَوْ تَسْوِيعًا لِلْعَدُولِ عَمَّا أَقْرَبَتْهُ النَّقَاتُ عَنْهُمْ؛ لَكِنْ عَرَضْنَا مِنْهُ أَنَّ نُرِيَّ وَجْهَ قُوَّةٍ مَا يُسَمَّى الْآنَ شَادًّا، وَأَنَّهُ ضَارِبٌ فِي صِحَّةِ الرَّوَايَةِ بِجِرَانِهِ، أَخَذَ مِنْ سَمْتِ الْعَرَبِيَّةِ مَهَلَةَ مِيدَانِهِ؛ لِئَلَّا يُرَى مُرَى أَنَّ الْعَدُولَ عَنْهُ إِنَّمَا هُوَ غَضٌّ مِنْهُ، أَوْ

(١)- المحتسب: ٢ / ٨٦ ، وينظر البيت في ديوان النابغة الذبياني: ١٢٣، وروايته فيه ( لا أعرفن ربربًا حورًا مدامعها كأن أبكارها نجاج دوار).

تُهْمَةٌ له))<sup>(١)</sup>، فابن جنبي يُعَوِّل على العربيَّة في تَبْيِين ما يُسَمَّى شاذًّا، مع أنَّه رُوِيَ عن رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وهذا الذي دفعه لِكَي يَحْتَجَّ للقراءات الشَّواذ ؛ لِكونها جاءت عن طريق الرِّواية.

ومع أنَّ المُحتَسَب كتابٌ في تفسير شواذِّ القراءات إلَّا أنَّه لا يخلو من تفسيرٍ لقراءة العامة، أي: قراءة حفص عن عاصم، وكان كثيرًا ما يُورد قراءة العامة بعد كلامه على القراءة الشَّاذَّة، ومن ذلك كلامه على قوله تعالى: ﴿ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [المائدة : ٣٠] في قراءة الحسن بن عمران (فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ) ((يَبْنَعِي - والله أعلم - أن يكون هذا على أنَّ قَتْلَ أَخِيهِ جَذَبَهُ إلى نفسه ودعاه إلى ذلك، فأجابته نَفْسُهُ وطَوَّعَتْهُ، وقراءة العامَّة: ﴿ فَطَوَّعَتْ لَهُ ﴾ أي: حَسَنَتْهُ له وسَهَّلَتْهُ عليه))<sup>(٢)</sup>، ففي هذا النَّص بعد أن فَصَّل القول في القراءة الشَّاذَّة عرَّج على قراءة العامة وبيَّن معناها، وربما يبدأ بتفسير القراءة العامَّة قبل الشَّاذَّة، ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿ فَاجْعَلْ أَفْتِدَاءَ مَنْ النَّاسِ تَهْوَى إِلَيْهِمْ ﴾ [إبراهيم: من الآية: ٣٧] على (( قراءة علي بن أبي طالب وأبي جعفر محمد بن علي وجعفر بن محمد -عليهم السلام- ومجاهد: (تَهْوَى) بفتح الواو، وقرأ مسلمة بن عبد الله: (تُهْوَى إليهم). قال أبو الفتح: أما قراءة الجماعة: ﴿ تَهْوَى إِلَيْهِمْ ﴾ بكسر الواو فتميل إليهم، أي: تُحِبُّهُمْ، فهذا في المعنى كقولهم: فلان يَنحَطُّ في هواك؛ أي: يُخلد إليه ويُقيم عليه؛ وذلك أنَّ الإنسان إذا أَحَبَّ شيئًا أكثر من ذِكْرِهِ وأقام عليه، فإذا كَرِهَهُ أسرع عنه وَخَفَّ إلى سواه، وعلى ذلك قالوا: أَحَبَّ البعيرُ: إذا برك في موضعه، قال:

حُنْتُ عَلَيْهِ بِالْقَطِيعِ ضَرْبًا      ضَرْبَ بَعِيرِ السُّوءِ إِذَا أَحَبَّ

أي: بَرَك. ومنه قولهم: هَوَيْتَ فلانًا، فهذا من لفظ هَوَى الشيءُ يَهْوِي، إلَّا أنَّهم خالفوا بين المثاليين لاختلاف ظاهر الأمرين، وإنَّ كانا على معنَى واحدٍ متلاقين، فقراءة عليٍّ (عليه السلام): (تَهْوَى إليهم) بفتح الواو؛ وهو من هَوَيْتُ الشيءَ إذا أَحْبَبْتَهُ، إلَّا أنَّه قال: (إليهم)، وأنت لا تقول: هَوَيْتُ إلى فلان؛ لكنَّك تقول: هَوَيْتَ فلانًا؛ لأنَّه - عليه السلام - حمله على المعنى، ألا ترى أنَّ معنى هَوَيْتُ الشيءَ مِلْتُ إليه ؟ فقال : (تَهْوَى إليهم) لأنَّه لاحظ

(١)- المحتسب: ١ / ٣٢ - ٣٣.

(٢)- المحتسب: ١ / ٢٠٩.

معنى تميل إليهم ، وهذا باب من العربية ذو غور))<sup>(١)</sup> ففي هذا النص نجد ابن جنبي بدأ بالكلام على قراءة العامة وبيّن معناها، ثم بعد ذلك شرع بتوجيه القراءة الشاذة وتبيين معناها .

وفي كلامه على تفسير القراءة الشاذة قد يستشهد بالقراءة العامة، ثم يفسرها ومن ذلك قوله في الاستشهاد على قراءة الإمام علي (عليه السلام) السابقة في قضية (الحمل على المعنى) قال: ((ومنه قول الله تعالى: ﴿ أَحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ ﴾ [البقرة: من الآية: ١٨٧]، عدّاه بـ(إلى)، وأنت لا تقول: رَفَثْتُ إِلَى الْمَرْأَةِ، وإنما تقول: رَفَثْتُ بِهَا أو معها؛ لكنّه لَمَّا كان معنى الرَّفَثِ معنى الإفْضَاءِ عدّاه بـ(إلى) ملاحظةً لمعنى ما هو مثله ، فكأنّه قال: الإفْضَاءُ إِلَى نِسَائِكُمْ، ومنه قول الله تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ ﴾ [ الشورى: من الآية: ٢٥] لَمَّا كانت التَّوْبَةُ سببًا للعفو لاحظ معناها، فقال: عن عباده، حتى كأنّه قال: وهو الذي يَقْبَلُ سبب العفو عن عباده))<sup>(٢)</sup>. كان القصد من إيراد هذه النصوص من كتاب الْمُحْتَسَبِ أَنْ أُبَيَّنَّ أَنَّ الْكِتَابَ لَمْ يَقْتَصِرْ عَلَى تَفْسِيرِ شَوَازِ الْقَرَاءَاتِ بَلْ أورد فيه شيئاً من تفسير قراءة العامة.

### الخصائص

يُعدُّ كتاب الخصائص من أهمِّ كُتُبِ ابن جنبي في اللُّغة العربيَّة وخصائصها، فهو كتاب بَثَّ فيه فِكْرَه اللُّغويّ، وأَسَّس فيه لِأَصُولِ النُّحو<sup>(٣)</sup>، وضمَّنه أكثر نظرياته اللُّغويَّة التي انفرد بها، كمنظريَّة الاشتقاق الأكبر، وتَصَاقِبِ الألفاظ لِتَصَاقِبِ المعاني، وغيرها من النِّظريات، وكان للقرآن الكريم أثرٌ كبيرٌ في كتاب الخصائص بوصفه شاهداً لغويّاً، وهو لا

(١) - المحتسب: ٣٦٤/١، والبيت لأبي محمد الفقعسي، وروايته في أراجيزه المجموعة (قُمتَ إليه بالفقيل ضَرْبًا ضَرْبًا بِعَيْرِ السُّوءِ إِذْ أَحَبًّا) ينظر: ما تبقى من أراجيز أبي محمد: ١٦، وروايته في لسان العرب (حُلْتُ عَلَيْهِ بِالْفَقِيلِ ضَرْبًا ضَرْبًا بِعَيْرِ السُّوءِ إِذْ أَحَبًّا) ، لسان العرب: ١ / ٢٩٢، (حب)، واختُلِفَ في رواية (حلت) في البيت فمنهم من رواه بالإسناد إلى ضمير المتكلم (حُلْتُ)، ينظر: الفصول والغايات: ٣٤٠، والمحکم والمحيط الأعظم: ٢ / ٣٨٠، (حب)، ومنهم من رواه بالإسناد إلى ضمير المخاطب (حُلْتُ) ، ينظر: جمهرة اللغة: ١ / ٦٥، (حب)، وعند ابن جنبي من غير تحريك.

(٢) - المحتسب: ١ / ٣٦٤.

(٣) - ينظر: أصول التفكير النحوي: ١٨.

يتوقف عند الاستشهاد بالآية وحسب، بل في كثير من الأحيان يقوم بتفسير الآية وتبيين معناها، وذكر محل الشاهد فيها، وقد ذكرت بعضاً من الأمثلة سابقاً في كلامي على طرائق إيراد آي القرآن الكريم ، وقد يكون القرآن الكريم شاهداً على نظرية من نظرياته التي تناولها في كتابه وهي نظريات ذات منحنى دلالي، ومن ذلك قوله في باب (إمساس الألفاظ أشباه المعاني): ((النضخ للماء ونحوه، والنضخ أقوى من النضح، قال الله سبحانه: ﴿ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّخَتَا ﴾ [ الرحمن: ٦٦ ] ، فجعلوا الحاء ليرقتها للماء الضعيف والخاء لغلظها لما هو أقوى منه))<sup>(١)</sup>، وقال أيضاً في باب (قوة اللفظ لقوة المعنى): ((ومثله باب فَعَلَ وَاَفْتَعَلَ؛ نحو قَدَرَ وَاَفْتَدَرَ، فَافْتَدَرَ) أقوى معنى من قولهم: (قَدَرَ)، كذلك قال أبو العباس [المبرد]، وهو محض القياس، قال الله سبحانه: ﴿ أَخَذَ عَزِيزٌ مُّقْتَدِرٌ ﴾ [ القمر: من الآية: ٤٢]، فمقتدر هنا أوفق من قادر من حيث كان الموضع لتفخيم الأمر وشدة الأخذ، وعليه عندي قول الله عز وجل: ﴿ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ﴾ [البقرة من الآية: ٢٨٦]، وتأويل ذلك أن كَسَبَ الحسنة بالإضافة إلى اكتساب السيئة أمر يسير ومُسْتَنْغَرٌ))<sup>(٢)</sup>، فابن جنبي في النصين السابقين استشهد على نظريتين من نظرياته اللغوية ببعض آي القرآن الكريم ، وطبق نظريتيه على ألفاظ القرآن الكريم للإفادة منهما في تبيين معاني ألفاظ القرآن الكريم.

ولا يخلو كتاب الخصائص من القراءات القرآنية التي يوردها بها ابن جنبي للاستشهاد على أمر لغوي ، ثم يقوم بتفسيرها، وقال إبراهيم ططعان في دراسته: إن ابن جنبي استشهد بما يقارب المئة قراءة<sup>(٣)</sup>، وما يهمني من تلك القراءات، هي تلك التي حوت تفسيراً لغوياً، ومنها ما جاء في قوله تعالى: ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ [الفاتحة : ١] وقال في باب (امتناع العرب من الكلام بما يجوز في القياس): ((وما يحتمله القياس ولم يرد به السماع كثير منه القراءات التي تؤثر روايةً ولا تتجاوز ؛ لأنها لم يُسمع فيها ذلك؛ كقوله عز اسمه ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ ، فالسنة المأخوذ بها في ذلك إتباع الصفتين إعراب اسم الله سبحانه، والقياس يُبيح أشياء فيها، وإن لم يكن سبيل إلى استعمال شيء

(١) - الخصائص: ٢ / ١٥٨، وينظر المقتضب : ٣٩٢/١ .

(٢) - الخصائص: ٣ / ٢٦٤ - ٢٦٥ .

(٣) - الاستدلال بالقراءات القرآنية في كتاب الخصائص: ١ . رسالة ماجستير كلية الآداب جامعة أهل

منها. نعم وهناك من قوّة غير هذا المقزوء به ما لا يشكّ أحدٌ من أهل هذه الصنّاعة في حسنه كأن يُقرأ (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) برفع الصّفتين جميعاً على المدح، ويجوز (الرَّحْمَنَ الرَّحِيمِ) بنصبهما جميعاً عليه، ويجوز (الرَّحْمَنُ الرَّحِيمِ) برفع الأوّل ونصب الثاني ويجوز (الرَّحْمَنَ الرَّحِيمِ) بنصب الأوّل ورفع الثاني. كلُّ ذلك على وجه المدح؛ وما أحسنه ههنا! وذلك أنّ الله تعالى إذا وُصِفَ، فليس الغرض في ذلك تعريفه بما يتبعه من صِفته؛ لأنّ هذا الاسم لا يعترض شكّ فيه، فيحتاج إلى وصفه لتخليصه؛ لأنّه الاسم الذي لا يُشارك فيه على وجهه، وبقية أسمائه - عزّ وعلا - كالأوصاف التّابعة لهذا الاسم، وإذا لم يعترض شكّ فيه لم تجئ صِفته لتخليصه، بل للثناء على الله تعالى، وإذا كان ثناءً، فالعدول عن إعراب الأوّل أولى به، وذلك أنّ إتياعه إعرابه جارٍ في اللفظ مجرى ما يتبع للتخليص والتخصيص، فإذا هو عدلٌ به عن إعرابه علم أنّه للمدح أو الذمّ في غير هذا، عزّ الله وتعالى، فلم يبقَ فيه هنا إلا المدح. فلذلك قوّي عندنا اختلاف الإعراب في (الرَّحْمَنُ الرَّحِيمِ) بتلك الأوجه التي ذكرناها، ولهذا في القرآن والشعر نظائر كثيرة<sup>(١)</sup>، في هذا النصّ أمران ذكرهما ابن جنبي، فضلاً عن تفسيره لمعنى القراءات الواردة في الآية:

١- تحرّزه في أخذ القراءة، فقد ذكر أنّ القراءة وإن كانت مروية يجب أن يدعمها السّماع، والقراءة بها، وتلك القراءات لم تُعزَّ إلى قاري.

٢- اعتماده على القياس والصنعة النحويّة في قبُول القراءة، وتفسير معناها.

ونبّه ابن جنبي في نصه السابق على أنّ الصفة إذا كان الغرض منها المدح وليس التخصيص والتخليص فالعدل في إعرابها أولى، أي: مخالفة المتبوع في الإعراب.

### سر صناعة الإعراب

(سر صناعة الإعراب) كتاب وضعه ابن جنبي في الحروف العربيّة، فعرض فيه لأصواتها، وما يتعلق بها من صوت وصرّف وغيرهما، وعقد لكل حرف باباً تناول فيه ما يتعلق بالحرف مُبَدِّئاً بذكر مخرج الحرف وبيان صفاته، وكونه أصلاً في الكلمة أو زائداً ويعدّ هذا كتاب فريداً من نوعه في عصره، قال ابن جنبي في مقدّمته: ((وأحرز في

(١)- الخصائص: ١/ ٣٩٨-٣٩٩، وتنتظر القراءات في شواذ القراءات: ٤٣، بلا عزو.

بتوفيق الله قَصَبَ السَّبْقِ إِلَى الغَايَةِ))<sup>(١)</sup>، ترد الآيات القرآنية في هذا الكتاب بوصفها شاهداً على قضايا لغوية أو نحوية مما يتعلق بالحرف الذي يعقد له الباب، فقد يكون الشاهد مُتَعَلِّقًا بمسألة ما، عقدها ابن جنبي على حرفٍ من الحروف، ومن ذلك كلامه على الفاء الداخلة على جواب الشرط، فيقول: ((واعلم أن المعارف الموصولة، والنكرات الموصوفة إذا تَضَمَّنَتْ صِلَاتَهَا وصفاتها معنى الشرط دخلت الفاء في أخبارها، وذلك نحو قولك: الذي يَكْرِمُنِي فَلَهُ دِرْهَمٌ، فَلَمَّا كَانَ الإِكْرَامَ سَبَبَ وَجُوبِ الدَّرْهِمِ دَخَلَتْ (الفاء) في الكلام، ولو قُلْتَ الذي يَكْرِمُنِي لَهُ دِرْهَمٌ لم يَدُلْ هذا القول على أَنَّ الدَّرْهَمَ إِنَّمَا يُسْتَحَقُّ للإِكْرَامِ، بل هو حاصل للمُكْرَمِ على كلِّ حالٍ ... فلأجل معنى الشرط في الصلّة والصفة ما دخلت الفاء في آخر الكلام، قال الله تعالى: ﴿ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾ [البقرة: من الآية: ٢٧٤]، فالفاء قد دَلَّتْ على أَنَّ الأَجْرَ إِنَّمَا اسْتَحَقَّ عن الإنفاق))<sup>(٢)</sup>. فابن جنبي في هذا النص يشير إلى أن دخول الفاء في صلة الموصول قد أفاد أن استحقاق الأجر كان عن الإنفاق الذي قدّمه، ثم تلاه الأجر. وهناك كثير من الآيات في هذا الكتاب تناولها ابن جنبي بسبب حرفٍ من حروفها نحو كاف التشبيه في قوله تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ [الشورى: من الآية: ١١]<sup>(٣)</sup>، والباء في قوله تعالى: ﴿ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا ﴾ [يونس: من الآية: ٢٧]<sup>(٤)</sup>.

### المنصف

وهو كتاب شرح فيه ابن جنبي كتاب أبي عثمان المازني في التصريف، وهو وإن كان كتاباً في الصرف إلا أنني لم أجد فيه تفسيراً متأثراً بعلم الصرف إلا نادراً، وهو يأتي ممزوجاً بغيره من العلوم كالدلالة والمعجم، أي إنه لا يوجد فيه تفسير صرفي منفرد، ومن ذلك قوله في أثناء كلامه على الشيطان، قال: ((وفسروا بيت الشماخ :

دَعَرْتُ بِهِ القَطَا وَنَفَيْتُ عَنْهُ مَقَامَ الذُّنْبِ كَالرَّجُلِ اللِّعِينِ

(١)- سر صناعة الإعراب: ١ / ٤ .

(٢)- سر صناعة الإعراب: ١ / ٢٥٨ - ٢٥٩ .

(٣)- ينظر: سر صناعة الإعراب: ١ / ٢٩١ - ٢٩٦ .

(٤)- ينظر: سر صناعة الإعراب: ١ / ١٣٨ - ١٤١ .

أي: البعيد. فمن هنا قيل له: شيطان؛ لأن الله قد أبعد، ولهذا كان الوجه في (شيطان) أن يكون (فيعالاً) بمنزلة العَيْدَاقِ والْفَيْامِ، ومن أخذه من (تَشَيَّبَ) جعله (فَعْلان)، ووجه الاشتقاق فيه من (تَشَيَّبَ) أنهم قد قالوا: غَضِبَ فاستَشَطَّ أي: احتدَّ والتَّهَبَ في الغَضَبِ وتَشَيَّبَ بمعناه، وهذا المعنى موجود في الشَّيْطَانِ؛ لأنَّ الالتهاب في الغَضَبِ مُشَبَّهٌ بالجنون والتخبُّط، قال الله تبارك وتعالى: ﴿ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ﴾ [البقرة: من الآية: ٢٧٥] ، وهذا واضح لا خفاء به<sup>(١)</sup>، ففي هذا النص وظَّف ابن جنبي إلى جانب الصِّرف الدِّلالة المعجمية في إيضاح المعنى وكشفه.

وجعل الجزء الثالث من كتابه قسامين: قسم في تفسير غريب اللغة في كتاب المازني، والآخر جعله في عويص التصريف، والذي يعينني من هذا الجزء هو القسم الأول، فقد وقف فيه ابن جنبي على الألفاظ التي يراها من غريب اللغة في كتاب المازني، وكان عنوانه: ((تفسير اللُّغة من كتاب أبي عثمان بشواهد وحججه، وإنما ذلك في الغريب منها))<sup>(٢)</sup>، ويعدُّ هذا القسم من كتابه كتاباً مستقلاً في غريب اللغة، فقد جعله سبعة عشر باباً، يقف في كلِّ بابٍ على بعض الألفاظ، من غير ترتيب الألفاظ التي يوردها ترتيباً هجائياً ، وفسَّر فيه غريب الألفاظ وكان من بين تلك الألفاظ ألفاظاً قرآنيةً ، وكان تناوله لألفاظ القرآن على نوعين: الأول أن يُفسِّر اللفظ القرآني من غير إشارة إلى الآية، ومن ذلك قوله في معنى (الكوثر): (( كوثر: الرَّجُلُ الكثير العطاء، قال الشاعر:

وأنت كَثِيرٌ يا ابنَ مروانَ طيِّبٌ      وكان أبوك ابنُ العقائلِ كوثرًا

والكوثر أيضاً: نهرٌ في الجَنَّةِ ))<sup>(٣)</sup> ، فابن جنبي لم يشر إلى أن لفظ (الكوثر) لفظٌ قرآنيٌّ، بل ساقه بوصفه لفظاً غريباً، أو أن تفسيره (الكوثر) (نهرٌ في الجَنَّةِ) يُغني عن القول بأنَّه لفظٌ قرآنيٌّ، فهذا المعنى لم تعرفه العرب قبل نزول القرآن. والآخر: أن يُشير إلى أن اللفظ لفظٌ قرآنيٌّ، ومن ذلك قوله في تفسير معنى (القِمَطْرُ) إذ قال: (( قِمَطْرٌ: وهو الشَّدِيدُ، ومنه قوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴾ [الإنسان: ١٠] أي شديداً، وكذلك اقْمَطَّرَ الأمر أي اشتدَّ. قال الراجز:

(١)- المنصف: ١ / ١٠٩ - ١١٠، وينظر البيت في ديوان الشَّمَاخ: ٣٢١ .

(٢)- المنصف: ٣ / ٣.

(٣)- المنصف: ٣ / ٦، وينظر البيت في: شعر الكميت: ١ / ٢٠٩.

ثُمَّ رَأَيْتُ صُنْتُعًا فَمَطْرًا      ذَا صَهَوَاتٍ يَتَوَقَّى الصَّخْرًا<sup>(١)</sup>.

ففي نصه هذا صرَّح بأنَّ (الْقِمَطْرَ) لفظٌ قرآني وهو ﴿فَمَطْرِيْرًا﴾، فبين معناه في الآية واستشهد للمعنى ببيت من الشعر.

### الخاطريات

أتبع ابن جنبي في كتابه هذا منهج شيخه أبي علي الفارسي في عرض مادته على مسائل، وتتوعت مسائله في كتابه هذا، فمنها مسائل قرآنية كما عند شيخه، ومنها مسائل لغوية ومنها مسائل أدبية، وطبع كتاب الخاطريات بتحقيق علي ذو الفقار، وقد سقطت منه بعض المسائل لم يحققها، ثم سندرک محمد أحمد الدالي ما كان قد سقط من تحقيق علي ذو الفقار معتمداً على نفس المخطوطة التي اعتمدها علي ذو الفقار، بعنوان (بقية الخاطريات)، ونشرها في مجلة مجمع اللغة العربية في دمشق<sup>(٢)</sup>، وأعاد المجمع طبعها بكتيب مستقل، ثم أعاد نشرها الدالي في كتاب جامع سماه (الحصائل)<sup>(٣)</sup>، وكان مجموع المسائل التي استدرکها الدالي إحدى وتسعين مسألة، وعلل الدالي سقوط هذه المسائل من تحقيق علي ذو الفقار بسبب حله وترحاله أثناء تحقيقه الكتاب<sup>(٤)</sup>، ونفس هذه المسائل المستدركة، استدرکها عبد الفتاح سليم علي علي ذو الفقار شاکر، حققها ونشرها باسم (الخاطريات المنسية) في مجلة عالم الكتب<sup>(٥)</sup> مع خلاف في الترتيب، في عدد المسائل عن تحقيق الدالي، وأعاد طبعها في كتاب جامع سماه (أربع مسائل في النحو)<sup>(٦)</sup>.

وَحَقَّقَ سَعِيدٌ مُحَمَّدٌ عَبْدُ اللَّهِ مَخْطُوطَةً بِعَنْوَانِ (الْجُزْءُ الثَّانِي مِنَ الْخَاطِرِيَّاتِ لِأَبِي الْفَتْحِ عُثْمَانَ بْنِ جَنِّي النَّحْوِيِّ اللَّغَوِيِّ)، وَهِيَ رِسَالَةٌ لِلْمَاجِسْتِيرِ، وَعَدَّدَ الْمَسَائِلَ فِي هَذَا الْجُزْءِ

(١) - المنصف: ٣ / ٣، والبيت مجهول القائل، ورواية البيت في كتاب الجيم: (ذَا صَهَوَاتٍ يَتَوَقَّى الصَّخْرًا      مَثَلُ الْفَنِيْقِ صُنْتُعًا فَمَطْرًا) الجيم: ٣ / ٩٨.

(٢) - ينظر: بقية الخاطريات: ٤١٩، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، المجلد: ٦٧، الجزء: ٣، عام ١٩٩٢م.

(٣) - ينظر الحصائل: ٣ / ١٣٣.

(٤) - ينظر: بقية الخاطريات: ٧.

(٥) - ينظر: الخاطريات المنسية: ٦٥٥، مجلة عالم الكتب، المجلد ١٤، العدد: ٦، عام ١٩٩٣م.

(٦) - ينظر: الخاطريات المنسية: ٥٦.

مئتان وسبع وستون مسألة، وهي مسائلٌ مُتَّوَعَةٌ، اتَّبَعَ فيها المنهج نفسه في الخاطريات وبقيتها، وهي مسائل لا توجد في الخاطريات وبقيتها، وأشار المحقق إلى أنَّ الخاطريات كتاب واحد تفرقت نسخه<sup>(١)</sup>. وبهذه الرسالة يكون هذا كلُّ ما نُشِرَ من الخاطريات.

وضمت الخاطريات كثيرًا من المسائل القرآنية التي من خلالها فسَّرَ ابن جنبي القرآن تفسيرًا لغويًا، وهي مسائل مستقلة في تفسير القرآن، كما بيَّنتُ ذلك في الأمثلة السابقة من الخاطريات وبقيتها<sup>(٢)</sup>، أمَّا في الجزء الثاني من الخاطريات، فقال في تفسير قوله تعالى: ﴿ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ ﴾ [هود: ١٠٠] ((فَهُنَا لَا بُدَّ مِنْ تَقْدِيرِ (مِنْ) مَعَادٍ، أَيْ: وَمِنْهَا حَصِيدٌ، وَتَقُولُ: عِنْدِي مِنْهَا عَالِمٌ وَحَاسِبٌ، عَلَى مَا قَدَّمْنَا مِنْ أَنَّ الْعِلْمَ وَالْحِسَابَ لَا يَتَنَافِيَانِ كَتَنَافِيِ الْقَائِمِ وَالْحَصِيدِ))<sup>(٣)</sup>.

### بعض كتب اللغة والنحو

لابن جنبي بعض كتب اللغة والنحو المختصرة والصغيرة، وكان أثر القرآن فيها قليلًا لأنَّها كتب مختصرة وصغيرة وهي:

١- (اللمع في العربية) هو كتاب مختصر في النحو والصرف، ويُعدُّ من الكتب التعلیمیَّة؛ لِيُسْرَهُ وَابْتِعَادَهُ عَنِ إِيرَادِ الْأَرَاءِ، وَقِلَّةِ الشَّوَاهِدِ الشَّعْرِيَّةِ، وَكَذَلِكَ الْقُرْآنِيَّةِ<sup>(٤)</sup>، فَقَدْ اسْتَشْهَدَ بِثَمَانِي عَشْرَةَ آيَةً لَمْ تَحْوِ كُلُّهَا تَفْسِيرًا لُغَوِيًّا .

٢- (التصريف الملوكي) هو كتاب مختصر في الصرف، عُنِيَ فِيهِ ابْنُ جَنبِي بِأَحْوَالِ بِنْيَةِ الْكَلِمَةِ مِنْ حَيْثُ الزِّيَادَةُ وَالنَّقْصُ، قَالَ فِي مَقْدَمَتِهِ: ((فَمَعْنَى التَّصْرِيفِ مَا أَرَيْنَاكَ مِنَ التَّلْعُبِ بِالْحُرُوفِ الْأَصُولِ لِمَا يُرَادُ فِيهَا مِنَ الْمَعَانِي الْمُقَادَةِ مِنْهَا وَغَيْرِ ذَلِكَ))<sup>(٥)</sup>، وَاسْتَشْهَدَ فِيهِ بِبَعْضِ الْآيَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ الَّتِي لَا تَتَجَاوَزُ الْأَرْبَعَةَ<sup>(٦)</sup> وَلَا يَوْجَدُ فِيهَا تَفْسِيرٌ لُغَوِيٌّ.

(١)- ينظر: الخاطريات: ٢ / ٤٩، (رسالة).

(٢)- الرسالة: ٣٥.

(٣)- ينظر: الخاطريات: ٢ / ٨١، (رسالة).

(٤)- ينظر: اللمع (مقدمة المحقق): ٣.

(٥)- التصريف الملوكي: ٣.

(٦)- ينظر: التصريف الملوكي: ٢٠ و ٤٠.

٣- (ما يحتاج إليه الكاتب من مهموزٍ ومقصورٍ وممدودٍ )، وهو كتاب صغيرٍ وضعه ابن جنبي في بعض الألفاظ المهموزة، وبين معانيها، وطريقة كتابة المقصور والممدود، ولم يكن فيه أثر للقرآن إلا شاهدًا واحدًا<sup>(١)</sup> خلا من التفسير الغويّ، وله أيضًا كتاب اسمه (عقود الهمز) هو كتاب صغير، تكلم فيه ابن جنبي عن رسم الهمزة وأحوالها، ولا أثر فيه للقرآن.

٤- (المُقْتَضَب في اسم المفعول من الثلاثي المعتل العين)، وهو كتاب صغير في اسم المفعول من الفعل الثلاثي المعتل العين كما في (خاط)، واستشهد فيه ابن جنبي بتسع آياتٍ من القرآن حوى بعضها تفسيرًا لغويًا كقوله: ((وَالرَّجُلُ مَرِيْنٌ عَلَى قَلْبِهِ، مِنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين: من الآية: ١٤]، أي: غطى عليها وغشها))<sup>(٢)</sup>.

٥- (مسألَتان من كتاب الأيمان)، وهو رسالة صغيرة ألقها ابن جنبي في بعض مسائل أبي عبد الله محمد بن الحسن الشيباني (ت ١٨٩هـ) في كتاب الأيمان، وكتاب الأيمان باب من كتاب المبسوط للشيباني<sup>(٣)</sup> وهو كتابٌ في الفقه، عَرَض ابن جنبي فيه لمسألتين من مسائل الشيباني، وأورد فيه أربع عشرة آية<sup>(٤)</sup>، وكان في بعضها تفسيرًا لغويًا.

٦- (المُبْهَج في تفسير أسماء شعراء الحماسة) هو كتاب في تفسير معاني أسماء شعراء حماسة أبي تمام التي شرحها، وقف فيه على الأسماء الغريبة التي يغمض أصلها ومعناها، وقسم الأسماء إلى قسمين: الأول مُرْتَجَل، والآخر منقول، واستشهد في شرحه للأسماء بعشرين آية أحتوى بعضها تفسيرًا لغويًا ومن ذلك ما جاء في كلامه على قوله تعالى: ﴿فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ﴾ [طه: ٩٦] على قراءة الحَسَن (قَبَضْتُ قَبْضَةً) بالصاد، قال: ((وهو الأخذُ بأطرافِ الأصابع))<sup>(٥)</sup>، وهذا تفسيرٌ لغويٌّ لمعنى القراءة.

(١)- ينظر: ما يحتاج إليه الكاتب: ٧٦.

(٢)- المقتضب لابن جنبي: ٩٧ - ٩٨.

(٣)- ينظر: المبسوط: ٣ / ١٣٩.

(٤)- ينظر: مسألَتان من كتاب الأيمان: ١٠٨، مجلة معهد المخطوطات العربية، المجلد: ٣٣، الجزء: الجزء: ١، ١٩٨٩م.

(٥)- المبهج: ٦٣، وتتنظر القراءة في المحتسب: ٥٥/٢.

٧- (عِلُّ التَّنْيَةِ) هو كتاب صغير، تكلم فيه ابن جنبي على ألف الاثنين، ولم يكن فيه أثر للقرآن الكريم.

٨- (المُذَكَّر والمُؤنَّث) وهو كتاب صغير في الأسماء المُذَكَّرَة والمُؤنَّثَة وما يستوي فيه الأمران، ولا يوجد فيه أثر للقرآن.

٩- (مُختار تَذكرة أبي علي الفارسي وتَهذِيبها) هو كتاب جمع فيه المختار من تذكرة شيخه أبي علي الفارسي، وأغلب ما فيه، فهو من التذكرة، إلا أن ابن جنبي قد يُعَلِّق على بعض المسائل ويستشهد لها بالقرآن مبتدئاً بكلامه بحرف (ع) إشارة إلى اسمه (عثمان)<sup>(١)</sup>، أو يُعَلِّق على تفسير أبي علي، ومن ذلك قوله على كلام شيخه (( قال: ﴿ وَلِتَسْمَعَنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا ﴾ [ آل عمران: من الآية: ١٨٦]، فهذا على حذف المضاف، أو يكون جعل الكلام أذًى حيث كان الأذى يكون به . ع : هذا عندي أشبه الوجهين لقوله ﴿ وَلِتَسْمَعَنَّ ﴾؛ لأن الأذى في الحقيقة لا يُسمع، وإنما يصل إلى النَّفس ))<sup>(٢)</sup>، فابن جنبي بعد أن أورد كلام شيخه علَّق عليه وبين رأيه في الآية، ومن غير الرمز (ع) يصعب التفريق بين كلام ابن جنبي وكلام شيخه أبي علي الفارسي، وذكر محقق الكتاب أن هذا الرمز تكرر في الكتاب خمسة وأربعين مرة<sup>(٣)</sup> .

ثانياً: كتب الأدب

الفسر

(الفسر شرح ابن جنبي الكبير على ديوان المتنبي) وهو كتاب شرح فيه ابن جنبي شعر المتنبي (ت ٣٥٤هـ) لسلطان الدولة البويهية، يقول في مقدمته: (( سألت، أدام الله تسديك، وأحسن من كلِّ عارِفَةٍ مَزِيدك، أن أصنع لك شعر أبي الطَّيِّب أحمد بن الحسن المتنبي بفسر معانيه وإيراد الأشباه فيه، وإيضاح عويص إعرابه، وإقامة الشواهد على غريبه ))<sup>(٤)</sup>، وقد استشهد ابن جنبي على إيضاح الإعراب، وتفسير غريب شعر المتنبي بأي

(١)- مختار تذكرة أبي علي (مقدمة المحقق): ٢٧ .

(٢)- مختار تذكرة أبي علي: ١١٨ .

(٣)- ينظر: مختار تذكرة أبي علي (مقدمة المحقق): ٢٧ .

(٤)- الفسر: ١ / ٣ .

من القرآن الكريم، ثم يفسر معنى الآية، ومن ذلك قوله في معنى (تهجرون) من قوله تعالى: ﴿مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَامِرًا تَهْجُرُونَ﴾ [المؤمنون: ٦٧] في أثناء شرح بيت المتنبي، إذ قال: ((

أَنْطِقُ فِيكَ هُجْرًا بَعْدَ عِلْمِي بِأَنَّكَ خَيْرٌ مَنْ تَحْتَ السَّمَاءِ؟

(الهُجْرُ): الفُحْشُ من القول، يقال: هَجَرَ المَرِيضُ في مَنطِقِهِ: إذا هَدَى وأهَجَرَ الرَّجُلُ: إذا جاء بِالخَنَا<sup>(١)</sup> في مَنطِقِهِ. قال تعالى: ﴿سَامِرًا تَهْجُرُونَ﴾ أي: تَهْذِرُونَ، ومن قرأ تَهْجُرُونَ أراد تَقُولون الهُجْرَ، وهو الخَنَا<sup>(٢)</sup>، فابن جنبي بعد أن بيّن معنى (الهُجْرُ) في بيت المتنبي، استشهد له من القرآن وبين معنى الشاهد وفسره، وأكثر تفسيره في هذا الكتاب تفسير للألفاظ وبيان غريبها.

### التنبيه

(التنبيه على شرح مُشكِل أبيات الحماسة) هو كتاب في شرح مُشكِل أبيات حماسة أبي تمام، إذ قال في مقدمته: (( وقد أجبناك - أيدك الله - إلى مُلْتَمَسِك، من عمل ما في الحماسة من إعرابٍ، وما يلحق به من اشتقاقٍ أو تصريفٍ أو عَرُوضٍ أو قَوَافٍ، وَتَحَامِيثُ شرح أخبارها أو تفسير شيء من معانيها إلا ما ينعقد بالإعراب، فيجب لذلك ذكره))<sup>(٣)</sup>، فابن جنبي بين أنه في شرحه هذا يركز على الإعراب، والتصريف وغيرهما، وكان التفسير اللُغويّ فيه متنوعاً معجمياً وصرفياً ونحوياً ودلالياً، فتكون الآية شاهداً على قاعدة نحوية أو ظاهرة لغوية، ومن ذلك ما جاء في كلامه على قوله تعالى: ﴿فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَهٌ إِلَّا أَنَا تَزَكَّى﴾ [النازعات: ١٨]، إذ قال: (( ولم يقل: في أن تَزَكَّى لَمَّا كان معنى (هل لك) في هذا معنى أدعوك إلى أن تَزَكَّى، وعليه قول الفرزدق:

\* قَدْ قَتَلَ اللهُ زِيَادًا عَنِّي \*

(١)- الخَنَا: القَبِيحُ من الكلام، خَنَا في مَنطِقِهِ يَخْتُو خَنَا، ينظر: لسان العرب: ١٤ / ٢٤٤، (خنا).

(٢)- الفسر: ١ / ٥٩ - ٦٠، وينظر البيت ديوان المتنبي: ٧٩.

(٣)- التنبيه: ٩.

لمّا كان معناه قد صرفه الله عني<sup>(١)</sup>، فابن جني وجّه المعنى بلحاظ السياق، وحمل معنى (هل لك) على (أدعوك).

### تفسير أرجوزة أبي نواس

(تفسير أرجوزة أبي نواس في تقرّيض الفضل بن الربيع)، هو كتاب شرح فيه أرجوزة أبي نواس، لشخص لم يذكر اسمه، ويبدو أنّ شروحه الشعرية كانت موجهة لشخص واحد، كان مهتمًا بالشعر ممّا جعل ابن جني يصنع له أكثر من كتاب في تفسير الشعر، وإيضاح إعرابه وتفسير غريبه، والأرجوزة كغيرها من شروحه الشعرية استشهد فيها بالقرآن الكريم، ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾ [يوسف: من الآية: ٤٩] وفي قوله تعالى: ﴿كَلَّا لَا وَزَرَ﴾ [القيامة: ١١]، إذ قال ((والعصر المنجاة، ومنه قوله تعالى: ﴿وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾ أي ينجون، وقال تعالى: ﴿كَلَّا لَا وَزَرَ﴾ أي: كَلَّا، لا مُجَابًا))<sup>(٢)</sup>، وهذا تفسير لغوي، وكذلك بقية الشواهد فيها تفسير لغوي ونحوي ودلالي.

### التمام

(التمام في تفسير أشعار هذيل ممّا أغفله أبو سعيد السكّري) وهو كتاب فسّر فيه ابن جني شعر الهدليين، والكتاب يخلو من مقدمة لبيان منهج ابن جني في كتابه، كما عهدناه في كتبه المتقدّمة، فلعلّ المقدمة قد سقطت من المخطوطة، ومهما يكن من أمر ابن جني سار في شرحه هذا كما في غيره من شروحه الشعرية حيث يستعمل اللغة وفنونها لتبئين المعنى، واستشهد لكلامه بالقرآن الكريم، ويفسر معنى الشاهد القرآني بعد ذكره، وقد بلغت شواهد الكتاب عشرين شاهدًا قرآنيًا حوى بعضها تفسيرًا لغويًا ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ﴾ [المائدة: من الآية: ٦٤]، معناه: نعمة الله، فسّر اليد بالنعمة<sup>(٣)</sup>.

(١) - التنبية: ١٠٤، وينظر شطر البيت: شرح ديوان الفرزدق: ٨٨١، وتمام البيت: (كيف تراني قالبًا مجني قد قتل الله زيادًا عني).

(٢) - تفسير أرجوزة أبي نواس: ١٥٥ - ١٥٦.

(٣) - ينظر: التمام في تفسير أشعار هذيل: ٣٥.

## الفتح الوهبي

(الفتح الوهبي على مشكلات المتنبي) هو شرح صغير على أبيات المعاني في ديوان المتنبي، انتهى فيه إلى: ((استخلاص أبيات المعاني، وما يتصل بها مما هو جارٍ في احتمال السؤال عنه مجراها من جملة ديوان أحمد بن الحسن المتنبي، وتجريدها ووضع اليد عليها وتحديدها؛ ليقرب تناولها ومشارفتها))<sup>(١)</sup>، ويُعدُّ هذا الكتاب شرحًا لأبيات مشكلة المعنى أرد ابن جنبي شرحها وتبيين معناها، واستشهد في شرحه هذا بخمس عشرة آية، وقد حوى بعض شواهد تفسيرًا لغويًا، ومن ذلك ما ذكره في قوله تعالى: ﴿وَأَصْلَبَكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ﴾ [طه: من الآية: ٧١]، فقد ضمن حرف الجر (في) معنى الحرف (على) ويكون المعنى: عليها، أي أصلبكم على جدوع النخل<sup>(٢)</sup>.

وله كتابان لم يرد فيهما أثر للقرآن هما: (العروض)، وهو في أبحر الشعر، و(مختصر القوافي) وهو في قوافي الشعر وأنواعها وعيوبها، وهذا كلُّ ما طُبِعَ من كتب ابن جنبي (رحمه الله).

## المغرب في شرح قوافي أبي الحسن (مخطوط)

توجد في مكتبة عبد العزيز العامّة في الرياض مخطوطة نادرة فريدة لابن جنبي تقع تحت الرقم (٤٤٧٤)، وكُتِبَتْ على جلدٍ حيواني بخطٍ مغربيٍّ واضح، ومُشَكَّلٌ بالحركات في كثير من الكلمات، وعدد أوراقها ثمانٍ وخمسون ورقةً، في كلِّ صفحة ثلاثة عشر سطرًا تقريبًا، وفي كلِّ سطرٍ من ثمانٍ إلى عشر كلمات، وقد سقط من المخطوطة صفحة العنوان وبعض الصفحات، إذ تبدأ المخطوطة بنص مبتور، وهو: ((مُذَكِّرٌ وَمِذْكَارٌ وَمُؤَنِّثٌ وَمِثْنَاتٌ وَمُحَمِّقٌ وَمِحْمَاقٌ وغير ذلك، فصار جمَعُ أحدهما كجمَعِ صاحبه، فإذا جمَعِ مُحَمِّقًا فكأنه قد جمع مُحَمَّاقًا))<sup>(٣)</sup>، وتنتهي بقول الناسخ: ((تَمَّ الاشتقاق، ونجز الكتاب إلى

(١)- الفتح الوهبي على مشكلات المتنبي: ٢٥.

(٢)- ينظر: الفتح الوهبي: ٦٢.

(٣)- المغرب في شرح قوافي أبي الحسن (مخطوط): الورقة: ١ أ، (نسخة مصورة على قرص).

آخره بحمد الله وعونه وصلى الله على محمد النبي وآله وسلم في شهر ذي الحجة من سنة ست وأربع مائة<sup>(١)</sup>، وثبت لي أنّ المخطوطة لابن جنبي من أمور عدة:

١- بعد قراءة المخطوطة بتأنٍ وإنعام تَبَيَّن لي أنّ المخطوطة هي شرح لقوافي أبي الحسن الأخفش ، إذ تبدأ فقراتها بقول صاحب المتن أبي الحسن ، وهو كقول الأَخْفَش في القوافي إذ قال ابن جنبي في المَعْرَب: ((ويجوز ذلك في الرَّمَلِ الذي على أربعة أجزاء، نحو قوله:

قِيلُ قَمٍ فَا نَظَرُ إِلَيْهِمْ      ثُمَّ دَعَا عَنكَ السُّمُودًا))<sup>(٢)</sup>.

ونصُّ هذا كلام ورد في قوافي الأَخْفَش حرفاً بحرف ، إلا أنّ القافية عند الأَخْفَش ساكنة الدال (السُّمُودُ)<sup>(٣)</sup>، ثم بعد أن يذكر كلام الماتن يبدأ بالشرح مبتدئاً بحرف عين مضموم (ع) إشارة للشارح، وهذا الرمز كثيرٌ ما يرد في كتب ابن جنبي إشارة إلى اسمه (عثمان)<sup>(٤)</sup>. ولمَّا لم يكن لقوافي أبي الحسن الأَخْفَش شرحاً يُعرف غير شرح ابن جنبي، فلا بدُّ أن يكون هذا الشرح لابن جنبي، وقد أشار ابن جنبي في أكثر من كتبه أنّ له كتاب بعنوان (المَعْرَب في شرح قوافي أبي الحسن) <sup>(٥)</sup>، وذكره ياقوت الحموي باسم (المَعْرَب في شرح قوافي أبي الحسن) بالعين المعجمة، ورَجَّح محمد سعيد أطلس ذلك، ويرى أنّ مُحَقِّق الخصائص أخطأ بقوله أنّ (المَعْرَب) مُصَحَّف، وإنَّ اسمه (المَعْرَب)<sup>(٦)</sup>، ومهما يكن من أمر، فبذلك يكون قد ثبت لنا مؤلف المخطوطة وعنوانها.

٢- إن لم يكن الدليل الأوَّل يرقى إلى اليقين، فالدليل الثاني لا يدخله الشك البتَّة، وهو أنّ شارح المخطوطة أحال إلى غير واحدٍ من كُتبه، في أكثر من موضع في المخطوطة ومن ذلك كلامه على أبدال الياء والواو ألفاً فقال: ((قالوا: يَوَجِلُ يَاجِلُ ... وقد ذكرتُ نحو هذا

(١)- المعرب (مخطوط) : الورقة: ٥٨ ب.

(٢)- المعرب (مخطوط): الورقة: ٥ أ.

(٣)- ينظر: القوافي: ٩٤.

(٤)- ينظر: الخاطريات: ١٦٦.

(٥)- ينظر: التمام: ٤٣، الخصائص: ١ / ٤٨.

(٦)- ينظر: الخصائص (المقدمة المحقق): ٦٦، ومعجم الأدباء: ٤ / ١٦٠٠، وأبو الفتح بن جنبي وأثره في اللغة: ٦٦٢، مجلة المجمع العلمي العربي دمشق، المجلد ٣٢، الجزء ٤، ١٩٥٧م.

## الفصل الأول منهج ابن جنبي في التفسير اللغوي للقرآن الكريم.....

... في شرح تصريف أبي عثمان ، وسر صناعة الإعراب<sup>(١)</sup>، وهناك بعض النقول في المخطوط عن سر صناعة الإعراب، والأصل موجود في سر صناعة الإعراب<sup>(٢)</sup>، وهذا الدليل يُثب عنوان المخطوط ومؤلفه؛ لأنه لما كان مؤلفه ابن جنبي فيكون عنوان الكتاب (المُعرب).

وقد استشهد ابن جنبي في كتابه هذا ببعض الآيات التي حوت تفسيراً لغوياً، وأغلبها في تفسير معاني الألفاظ، إذ إنَّ ابن جنبي عرض في كتابه لتفسير ألفاظ الشعر وأسماء البحور، والألفاظ التي تتعلَّق بعلم العروض والقوافي، وكان يستشهد على ذلك بأي من القرآن الكريم ويبيِّن معناها لغةً ، ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى: (( **ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِرُسُلِنَا** )) [الحديد: من الآية: ٢٧] ، أي: أتبعناهم<sup>(٣)</sup>، ومن ذلك أيضاً قوله في قوله تعالى: (( **إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا** )) [يوسف: من الآية: ٣٦] إذ قال: ((والعرب تُسمِّي الشيء باسم ما يؤول إليه ومن ذلك قول الله عزَّ وجلَّ **﴿ إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا ﴾** ))<sup>(٤)</sup>، أي سموا العنب خمرًا مجازًا .

(١)- المعرب: (مخطوط): ٥٧ أ، وينظر سر صناعة الإعراب: ٢ / ٦٦٧.

(٢)- ينظر: المعرب (مخطوط): ٣٩ أ، سر صناعة الإعراب: ٦٢٠.

(٣)- المعرب (مخطوط): ٣٨ ب، وجاءت الآية في المخطوط (وقَفَّيْنَا) بالواو.

(٤)- المعرب (مخطوط): ٥٢ أ.

### المبحث الثالث

#### أثر اللغة وعلومها في التفسير اللغوي عند ابن جنبي

مِمَّا لا شكَّ فيه أنَّ للغة العربيَّة وعلومها أثرًا كبيرًا في تفسير القرآن، وتبَيَّن معانيه، إذ لا يكاد يخلو تفسيرٌ من التفاسير من أثر اللغة العربيَّة وعلومها في تبَيِّن المعنى القرآني، وإيضاح المراد من آي القرآن الكريم<sup>(١)</sup>، مَهْمَا كان منهج هذا التفسير، ومَهْمَا كان مذهب هذا المفسِّر، فإنَّه لا بُدَّ أن يُفِيد من اللُّغة وعلومها في تفسيره.

وظَّف ابن جنبي علوم اللُّغة في تفسير القرآن وتبَيِّن معانيه خير توظيف، إذ إنَّ له اليد الطُّولى في علوم اللغة وأصولها، فلم يترك شيئًا من فنونها لم يلج فيه، وكان له في بعضها السُّبُق في التأسيس كما في الاشتقاق الأكبر، وغيرها من النُّظريات اللُّغويَّة التي نَظَرَ لها، وظهر أثرها في تفسير القرآن، كما سيأتي.

#### أولاً: أثر النُّحو

كان للنُّحو أثرٌ كبيرٌ في تفسير ابن جنبي اللُّغويِّ، إذ إنَّ أغلب تفسيره اللُّغويِّ ذا الاتجاه العام، هو تفسيرٌ نحويٌّ أو متأثرٌ بعلم النُّحو، وتباين أثر الموضوعات النُّحوية في تفسيره، فكان لأسلوب الحذف الأثر الأكبر في تفسيره وتوجيهه للقراءات، وتبَيِّن معانيها، ثم بعد الحذف وظَّف التوابع كالعطف والتوكيد والوصف، في تبَيِّن معاني القرآن، وأدرك ابن جنبي العلاقة بين النُّحو والتفسير في تبَيِّن معاني القرآن، فعقد في كتاب الخصائص بابًا في الفرق بين تقدير الإعراب وتفسير المعنى إذ قال: ((ألا ترى إلى فرق ما بين تقدير الإعراب وتفسير المعنى، فإذا مرَّ بك شيء من هذا عن أصحابنا فأحفظ نفسك منه ولا تسترسل إليه، فإنَّ أمكنك أن يكون تقدير الإعراب على سَمْت تفسير المعنى فهو مالا غاية وراءه، وإنَّ كان تقدير الإعراب مخالفًا لتفسير المعنى تقبَّلت تفسير المعنى على ما هو عليه، وصحَّحت طريق تقدير الإعراب حتى لا يشدَّ شيء منها عليك، وإياك أن تَسْتَرْسِل فتفسد ما تُؤثِّر إصلاحه))<sup>(٢)</sup>، فابن جنبي هنا، يؤكد علاقة الإعراب بالمعنى؛ لأنَّ الإعراب مفتاح المعنى، وهو الأصل، أمَّا إذا خالف الإعراب المعنى، فيُلجأ إلى تصحيح

(١)- ينظر: الأدوات النحوية في كتب التفسير: ٢٣.

(٢)- الخصائص: ١ / ٢٨٣ - ٢٨٤.

الإعراب وجعله موافقاً للمعنى، ومن تفسيره النحوي قوله في بقية الخاطريات في قوله تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيْمَانِهِمْ وَاللَّهُ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ لِيُدْخَلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفَّرُ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ فَوْرًا عَظِيمًا ﴾ وَيُعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّالِمِينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ [ الفتح: ٤، ٥، ٦ ]، قال: ((قوله سبحانه ﴿ لِيُدْخَلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ﴾ [الفتح: من الآية: ٥] ليس ببدلٍ من قوله: ﴿ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيْمَانِهِمْ ﴾ [الفتح: من الآية: ٤] ؛ لأنَّ ازديادهم إيمانًا من أفعالهم، وإدخاله إياهم الجنات من أفعاله تعالى، أي: اللام في قوله ﴿ لِيُدْخَلَ ﴾ متعلقة بنفس (يزدادوا) أي: ليزدادوا إيمانًا للدخول إلى الجنات أي يكون ازديادهم منه للدخول ، ومن أجل الدخول . ويجوز أيضًا أن تكون متعلقة بنفس ﴿ إِيْمَانِهِمْ ﴾ أي : مع إيمانهم لأجل دُخُولِهِم الجنات ، كأنهم إنما آمنوا لِيُدْخَلُوا. ولا يَحْسُنُ أَنْ تكون اللام مُتَعَلِّقَةً بقوله ﴿ إِيْمَانًا ﴾؛ لأنَّ بعده ﴿ مَعَ إِيْمَانِهِمْ ﴾، وليس من صلة (إيمان) فهو أجنبي، وإذا كان أجنبيًا لم يَجُزْ أَنْ تَتَعَلَّقَ اللام بنفس قوله ﴿ إِيْمَانًا ﴾ لِمَا فِيهِ من استحالة الفصل بين الموصول والصلة بالأجنبي . وإن شئت عَلَّقْتَهَا بمحذوف يدلُّ عليه جملة الكلام، أي وقعت هذه الأشياء ﴿ لِيُدْخَلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾، وحسن إضمار هذا الفعل مع جواز تناول الظاهر من أجل المعنى. ألا ترى أنَّه أجمع للمراد المقصود هنا، ألا ترى أنَّ بعده ﴿ وَيُعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ ﴾ [ الفتح: من الآية: ٦]، وهذا واضح))<sup>(١)</sup>، فابن جنبي وظَّفَ جملة أشياء من علم النَّحو في هذا النص القرآني لتبيين معناه ، ومنها :

١- نفي كون الآية الخامسة بدلًا من الرابعة؛ لأنَّ المعنى لا يستقيم.

٢- كلامه في تَعَلُّقِ اللام من قوله تعالى ﴿ لِيُدْخَلَ ﴾، فتبَيَّنَّ الْمُعَلَّقُ يكشف عن المعنى.

٣- توظيفه الحذف، وتقدير المحذوف، في الكشف عن المعنى. وغيرها من الأمور النحوية التي تعين في فهم المعنى.

(١)- بقية الخاطريات: ٧١.

وفي تفسير ابن جنبي النحويّ أمور عامة، تجدها في أغلب تفسيره النحوي، أو هي سمات عامة في تفسيره النحوي وهي:

١- تعدد الوجوه الإعرابية، وهو سمة عامة في تفسيره، فلا تكاد تخلو آية مما فسره نحويًا من تعدد الوجوه، ومن ذلك قوله السابق في تعدد مُعَلَّق اللام، وهذه السمة تكشف عن سعة فهم ابن جنبي لعلوم العربية، وموسوعيته.

٢- وفي أغلب الأحيان يتجاذب أكثر من موضوع نحويّ في تفسير آية، كما في الآية السابقة، فقد وظّف الحذف والبدل والموصول وصلته والتعليق، في الكشف عن معنى الآية، لا بل قد يتجاذب أكثر من علم من علوم اللغة في تفسير آية وتبيين معناها.

٣- بعد جمع تفسير ابن جنبي النحوي تبين أنّه وظّف الحذف أكثر من سائر الموضوعات النحويّة في الكشف عن المعنى؛ لذا جعلت له مبحثًا منفصلًا، ثم تباينت الموضوعات الأخرى.

### ثانيًا: أثر الصرف

الصرف أحد العلوم التي تساعد على كشف المعنى، بل هو يكشف عن المعنى الدقيق بين الألفاظ بحسب صيغها ((والصرف علم دلاليّ لا يقف عند معرفة بنية الكلمة وإرجاعها إلى أصلها وحسب، بل يتعدى ذلك إلى دراسة الصيغ واشتقاقها، ومعانيها التي وجود بها السياق))<sup>(١)</sup>، فكلُّ لفظةٍ تحمل معنىً لغويًا عامًّا، وتُحدِّدُ صيغتها الصّرفية معناه الخاص في أغلب الأحيان، فالتعبير بالمصدر ليس كالتعبير بالفعل، والتعبير بصيغة جمع المذكر ليس كالجمع المُكسّر وهكذا، فضلًا عن ذلك، أنّ لأغلب الأبنية الصّرفية معاني محددة، وقد وظّف ابن جنبي معرفته الصّرفية التي له بها القُدْحُ المعلى في الكشف عن المعنى القرآني، إلاّ إنّ أثر الصرف في تفسيره اللغوي لا يرقى إلى أثر النحو والدلالة، فتفسيره الصّرفي قليلٌ إذا ما قيس بغيره، وأكثر تفسيره الصّرفي كان في توجيه معاني القراءات، ومن ذلك كلامه على قوله تعالى: ﴿أولم ير الذين كفروا أنّ السماوات والأرض كانتا رتقًا ففلقناهما وجعلنا من الماء كلّ شيءٍ حيٍّ أفلا يؤمنون﴾ [ الأنبياء: ٣٠ ] بفتح

(١)- الاستعمال الصرفي ومظاهره في التعبير القرآني: ٢٤٠، مجلة مركز دراسات الكوفة المجلد: ١،

التاء من ﴿رَتَقًا﴾ على قراءة الحسن: ((قال أبو الفتح: قد كثر عنهم مجيء المصدر على (فَعَل) ساكن العين، واسم مفعول منه على (فَعَل) مفتوحها، وذلك قولهم: (النَّقْضُ) للمصدر، و(النَّقْضُ) للمنفوض، و(الخبْطُ). المصدر والخبْطُ: الشيء المخبوط، والطرْدُ المصدر والطرْدُ المطرود، وإن كان قد يستعمل مصدرًا، نحو: (الحَلْب) و(الحَلْبُ)، فقراءة الجماعة: ﴿كَانَتَا رَتَقًا﴾ كأنه ممّا وضع من المصدر موضع اسم المفعول، كالصيد في معنى الصيد، والخَلْقُ بمعنى المخلوق. وأما (رَتَقًا)، بفتح التاء فهو المرتوق، أي: كانتا شيئًا واحدًا مرتوقًا، فهو إذا كالنَّقْضُ والخبْطُ، بمعنى المنفوض والمخبوط ... وسَوْغ الانحراف عن المصدر تارة على (فَعَل) والأخرى إلى (فَعَل) تعاقبُ (فَعَل) و(فَعَل) في أماكن صالحة على المعنى الواحد، وهو المِثْلُ والمِثْلُ، والبِدْلُ والبَدَلُ، والشَّبْهُ والشَّبْهُ))<sup>(١)</sup>، فابن جنبي في هذا النص أفاد من علم الصَّرْف في توجيه معنى القراءة ، وحمل معنى القراءة الشاذة على معنى القراءة العامة، وإن لم يُشِرْ إلى ذلك؛ لأنّه قال في قراءة العامة: كأنه ممّا وضع من المصدر موضع اسم المفعول، وقال في الشاذة: وأما (رَتَقًا)، بفتح التاء فهو المرتوق.

### ثالثًا: أثر الصوت

للصوت أثر في تحدد المعنى، فالصوت والمعنى مرتبط أحدهما بالآخر في بعض الأحيان، وإنّ الألفاظ تكسب دلالتها من جرسها الصوتي<sup>(٢)</sup>، ((ولاشكَّ أنّ استقلالية آية كلمة بحروف معينة، يكسبها صوتيًا ذاتقة سمعية منفردة ، تختلف دون شكِّ عمّا سواها من الكلمات التي تؤدي المعنى نفسه، ممّا يجعل كلمة ما دون كلمة وإن اتحدا [كذا] بالمعنى، لها استقلاليتها الصوتية، إمّا في الصدى المؤثر، وإمّا في البعد الصوتي الخاص، وإمّا بتكثيف المعنى بزيادة المبنى))<sup>(٣)</sup>، وابن جنبي من العلماء الذين أدركوا صلة الصوت بالمعنى، وإن لم تكن تلك الصلة عامّة في كلّ الألفاظ ، وعقد لهذه الصلة أربعة أبواب في كتابه الخصائص وهي:

(١)- المحتسب: ٢ / ٦٢ - ٦٣، وينظر أيضًا: ١ / ٥٧، و ١ / ٨١، و ١ / ٢٣٨.

(٢)- ينظر: أثر الصوت في توجيه الدلالة: ٢٩٠ ، مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية ، المجلد: ١٧، العدد : ٣ ، عام ٢٠١٠ .

(٣)- الصوت اللغوي في القرآن: ١٦٤.

١- باب في تلاقي المعاني على اختلاف الأصول والمباني.

٢- باب في الاشتقاق الأكبر.

٣- باب في تصائب الألفاظ لتصائب المعاني.

٤- إمساس الألفاظ أشباه المعاني<sup>(١)</sup>.

وكان لبعض هذه الأبواب أثرٌ في تفسير بعض آي القرآن الكريم، كتقارب الحروف لتقارب المعاني، إذ قال في باب تصائب الألفاظ لتصائب المعاني: ((من ذلك قول الله سبحانه: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَوَسُّمًا أَرَّا ﴾ [ مريم: ٨٣ ] أي تزعمهم وتقلقهم، فهذا في معنى (تهزهم هزًا)، والهمزة أخت الهاء؛ فتقارب اللفظان لتقارب المعنيين، وكأنهم خصّوا هذا المعنى بالهمزة؛ لأنها أقوى من الهاء، وهذا المعنى أعظم في النفوس من الهز؛ لأنك قد تهز ما لا بال له كالجدع وساق الشجرة، ونحو ذلك))<sup>(٢)</sup>، فابن جني في هذا النص، وظف دلالة الصوت في الكشف عن المعنى، فضلًا عن ذلك جعل الهز عامًّا في ما يعقل وما لا يعقل، وكأنه ألمح إلى أن الأزر خاص بما يعقل، أي أن الهز أعم من الأزر؛ وذلك لأن الهز تحريك حسي، مجاله واسع في الاستعمال، والأزر تحريك معنوي مجاله ضيق<sup>(٣)</sup>، وكذلك وظف ابن جني التنعيم والنبر في الكشف عن المعنى، وأثر الصوت في تفسيره اللغوي قليل جدًا.

#### رابعًا : أثر الدلالة

الدلالة علمٌ واسع يشتمل كل ما قدّم من قول في أثر اللغة لتفسير القرآن عند ابن جني، فهي دلالة صوتية وصرفية ونحوية ولغوية، فكل هذه العنوانات يصدق عليها مصطلح الدلالة؛ لأن الغاية منها عند ابن جني إيضاح المعنى والكشف عنه، وتعدّ الدلالة بكل فروعها من أهم الأسس التي اعتمدها المفسرون للكشف عن معاني القرآن وفهم المراد

(١)- ينظر: الخصائص: ٢ / ١١٣، و ٢ / ١٣٣، و ٢ / ١٤٥، و ٢ / ١٥٢، ونظرات ابن جني في

الصوت والمعنى: ٣٣٥، مجلة مركز دراسات الكوفة، المجلد: ١، العدد: ٤، عام: ٢٠٠٥.

(٢)- الخصائص: ٢ / ١٤٦.

(٣)- ينظر: نظريات ابن جني في دلالة الألفاظ ومواقف المحدثين: ٢٠٧، حولية كلية الإنسانيات

والعلوم الاجتماعية، جامعة قطر، العدد: ١، عام ١٩٧٩م.

من آياته وسوره، واستنباط أحكامه<sup>(١)</sup>، وسأقف هنا عند الدلالة اللغوية أو المعجمية والدلالة السياقية لما لهما من أثر في تفسير ابن جني، وكذلك بعض نظريات ابن جني الدلالية.

### الدلالة المعجمية

وأقصد بالدلالة المعجمية التفسير اللغوي للألفاظ التي يقف عندها ابن جني ويفسر معناه في ضوء المعنى المعجمي، أي: المعنى اللغوي، وذلك بسبب كون هذه الألفاظ من الغريب الذي به حاجة إلى توضيح وتبيين، كما صرح بذلك في (المنصف)، أو كونها مما غمض معناها. وللمعنى المعجمي أثر في تبيين المعنى القرآني للألفاظ؛ لأنَّ ((المعنى المعجمي يكون له أثره في بناء الجملة وتحديد التوافق والانسجام الدلالي بين مفردات تلك الجملة في سياق معين، فالوحدة المعجمية بامتداداتها العلائقية وارتباطها الدلالي تجعل النظر إلى صحة الجملة ودقة التعبير واضحا والحكم على ذلك سهلا))<sup>(٢)</sup>، ومن غريب الألفاظ التي فسرها في المنصف لفظ (زِيل) في قوله تعالى: ﴿لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الفتح: من الآية: ٢٥] إذ قال: ((يقال: زَيْلُ الأمر، أي: فُرْقَتُهُ فَتَزَيَّلَ، قال تعالى ﴿لَوْ تَزَيَّلُوا﴾ أي: لو تَفَرَّقُوا))<sup>(٣)</sup>، أمَّا كون ﴿تَزَيَّلُوا﴾ من الغريب عند ابن جني فهو قد سمى القسم الذي ورد فيه هذا اللفظ: تفسير الغريب من كتاب المازني<sup>(٤)</sup>، ومن تفسيره اللغوي قوله: ((الأمُّ: القصد، ومثله الأمُّت، ومنه الإمام؛ لأنَّه المقصود المعتمد، والإمام أيضا: خيط البئاء؛ لأنَّه يمدُّه ويعتمد بالبناء عليه، والأُمَّة: الطريقة؛ لأنَّها متعمدة، قال الله سبحانه: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ﴾ [الزخرف: من الآية: ٢٢] أي: على طريقة مقصودة))<sup>(٥)</sup>، فابن جني هنا فسّر (أُمَّة) تفسيراً لغوياً معجمياً.

(١)- ينظر: أثر الدلالة اللغوية في التأويل عند المفسرين: ٢٤٩، المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، المجلد: ٥، العدد: ٣، عام ٢٠٠٩م.

(٢)- القرينة المعجمية وأثرها في توجيه المعنى: ٢٨٩-٢٩٠، مجلة العميد، المجلد: ٣، العدد: ٥، عام ٢٠١٣م.

(٣)- المنصف: ٣ / ٦١.

(٤)- ينظر: المنصف: ٣ / ٣.

(٥)- المحتسب: ١/ ١٣٩، وخرج المحقق جزء الآية على الآية ٢٣، من سورة الزخرف وكان حقها الآية ٢٢، لأنَّ جزء الآية ورد في الآيتين، وحقه بالترجح الآية الأسبق.

## الدلالة السياقية

الدلالة السياقية هي: ((فَهُمُ النَّصُّ بِمُرَاعَاةِ مَا قَبْلَهُ وَمَا بَعْدَهُ))<sup>(١)</sup>، وللسياق أهمية كبيرة في الكشف عن معاني الألفاظ القرآنية ، وأفاد ابن جني من السياق في تحدد معاني الألفاظ مفردة، ومركبة داخل الجملة، وقد وظّف الدلالة السياقية في الكشف عن المعنى لكثير من آي القرآن، فكان للسياق أثر كبير في تفسير ابن جني اللغوي، ومن توظيفه للسياق في الكشف عن المعنى قوله في تفسير بيت الحماسة: ((

إِذَا بَلَ مِنْ دَاءٍ بِهِ ظَنَّ أَنَّهُ نَجَا، وَبِهِ الدَّاءُ الَّذِي هُوَ قَاتِلُهُ

وأصله: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ [الزمر: ٣٠ أي: كلُّكم ستموتون]]<sup>(٢)</sup>. فهو يحمل البيت والآية على العموم والاستقبال بما دلَّ عليه السياق.

## توظيفه بعض النظريات الدلالية

وظّف ابن جني بعض النظريات التي يصدّق عليها أن تُسمّى نظريات دلالية للكشف عن معاني الألفاظ والتراكيب<sup>(٣)</sup>، وقد كان لها أثر في التفسير اللغويّ عنده، ومن تلك النظريات (باب في قوة اللفظ لقوة المعنى)، إذ قال فيه: ((هذا فصل من العربية حسن. منه قولهم: حَسُنَ واخشوشن. فمعنى حَسُنَ دون معنى اخشوشن لما فيه من تكرير العين وزيادة الواو... ومثله باب (فَعَلَ) و(افْتَعَلَ) نحو (قَدَرَ) و(افْتَدَرَ). فافْتَدَرَ أقوى معنًى من قولهم: قَدَرَ. كذلك قال أبو العباس قال الله سبحانه: ﴿أَخَذَ عَزِيزٌ مُّقْتَدِرٌ﴾ [القمر: من الآية: ٤٢] فَمُقْتَدِرٌ هنا أوفق من قادر من حيث كان الموضع لِنَقْخِيمِ الأمرِ وشِدَّةِ (الأخذ))<sup>(٤)</sup>، فقد وظّف ابن جني هذه النَّظْرِيَّةَ الصَّوْتِيَّةَ في الكشف عن مناسبة اللَّفْظِ للمعنى، وإيضاح المعنى القرآني وهو المراد.

(١) - دلالة السياق القرآني وأثرها في التفسير: ٦٢، (رسالة).

(٢) - التنبيه: ٣١٤، والبيت مجهول القائل، ينظر: العين: ٨ / ٣١٩.

(٣) - ينظر: نظريات ابن جني في دلالة الألفاظ ومواقف المحدثين: ١٨٦، حولية كلية الإنسانيات والعلوم الاجتماعية، جامعة قطر، العدد: ١، عام ١٩٧٩م.

(٤) - الخصائص: ٣ / ٢٦٤.

### خامساً: تعدد الاحتمالات اللغوية في تفسيره

تعدد الاحتمالات والوجوه في تفسير ابن جني سمة عامة، وذلك يرجع إلى أمور منها تعدد وجوه الإعراب مما يؤدي إلى تعدد المعاني التفسيرية، أو بسبب تعدد المعاني التي يقبلها اللفظ من غير تضاد، أو بسبب الأبنية الصرفية وهكذا، وقد يذكر الاحتمالات في تفسيره من غير ترجيح وجه منها، أي أنّ هذه الوجوه كلّها ممكنة في الآية، أو قد يذكر الاحتمالات، ثم يبدأ بتفنيدها بعضها وترجيح الوجوه التي يرتضيها على وفق الدليل الذي توصل إليه، وهذا يدل على موسوعيته وعلو شأنه في التفسير واللغة، ومن الأمثلة على تعدد الاحتمالات بالتفسير بسبب الإعراب ما ذكره في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُدَبُّونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِّنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴾ [البقرة: ٤٩]، فهو يورد لقوله تعالى: ﴿ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ ﴾ ثلاثة وجوه:

الأول: أن تكون جملة ﴿ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ ﴾ في موضع نصب حالاً من ﴿ آلِ فِرْعَوْنَ ﴾ ويكون المعنى: نجيناكم منهم، وهم في حال سؤمكم العذاب.  
الوجه الثاني: أن تكون الجملة حالاً من الضمير المتصل (كم) في قوله: ﴿ نَجَّيْنَاكُمْ ﴾، أي: نجيناكم في حال سؤمكم.

الوجه الثالث: أن تكون الجملة حالاً من جميع ذلك، ويكون المعنى: نجيناكم من آل فرعون وهذه أحوالكم<sup>(١)</sup>.

فابن جني ذكر هذه الوجوه في الآية من غير ترجيح وجه، فلعلّ كلّ هذه الوجوه على ما يراه ممكنة في تفسير الآية طالما لا تتعارض في ما بينها. ومن ذلك كلامه على قوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ ﴾ [الحاقة: ٥]، إذ يحتمل المعنى عنده أمرين: الأول: أن يكون معنى (أُهْلِكُوا بِطُغْيَانِهِمْ)، كقولك: أُهْلِكُوا بِالْبَلِيَّةِ الطَّاغِيَةِ؛ أي: التي لا قبل لهم بها.

الأمر الثاني: أن يكون معنى (أُهْلِكُوا بِطُغْيَانِهِمْ)؛ أي: يكفّرهم<sup>(٢)</sup>.

(١)- ينظر: الخاطريات: ٤١.

(٢)- ينظر: المحتسب: ١ / ١٣٣.

## توجيهه للقراءات القرآنية

وضع ابن جني كتاب المُحْتَسَب؛ لتوجيه القراءات القرآنية الشاذة، قال في مقدّمته: ((اعلم أنّ جميع ما شذَّ عن قراءة القُرَّاء السَّبْعَة - وشهرتهم مُغْنِيَةٌ عن تسميتهم - ضربان: ضربٌ شذَّ عن القراءة عارياً من الصَّنْعَة، ليس فيه إلّا ما يَتَنَاولُهُ الظَّاهِرُ ممَّا هذه سبيله، فلا وجه لِلتَّشَاغُلِ به؛ وذلك لأنَّ كتابنا هذا ليس موضوعاً على جميع كافة القراءات الشاذة عن قراءة السَّبْعَة؛ وإنّما الغرض منه إِبَانَةٌ ما لَطُفَتْ صِفَتُهُ، وأُغْرِبَتْ طَرِيقَتُهُ. وضربٌ ثانٍ، وهو هذا الذي نحن على سَمْتِهِ؛ أعني: ما شذَّ عن السَّبْعَة، وَعَمَضَ عن ظاهر الصَّنْعَة، وهو المُعْتَمَدُ المُعَوَّلُ عليه، المولى جهة الاشتغال به))<sup>(١)</sup>، وهذا الضرب الثاني وجَّهه ابن جني بوسائل لغوية متنوعة من صوتٍ وصرفٍ ونحوٍ وغيرها من الوسائل، ويقصد ابن جني بالقراءات الشاذة ما كان من القراءات مخالفاً للقراءات السبع عند ابن مجاهد ((إلّا أنّه مع خروجه عنها نازع بالثقة إلى قرّائه، محفوف بالروايات من أمامه وورائه، ولعلّه أو كثيراً منه مساوٍ في الفصاحة للمجتمع عليه. نعم، وربما كان فيه ما تَلَطَّفَ صنعته، وتَعَنَّفَ بغيره فصاحته، وتَمَطَّوهُ قوى أسبابه، وترسو به قَدَمُ إعرابه))<sup>(٢)</sup> فقد يكون هذا الشاذُّ الخارج عن السَّبْعَة توافرت فيه شروط الصَّحَّة، وهي موافقة العربية ولو بوجهٍ، وموافقة أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالاً، وصحَّة السَّنَدِ<sup>(٣)</sup>؛ لذا تَصَحُّ بعض القراءات غير السبعة إذا تتوافر فيها شروط الصَّحَّة.

وقد وقف غانم كامل في دراسته (التوجيه النحوي للقراءات الشاذة في المُحْتَسَب) على منهج ابن جني في توجيه القراءات بشيء من التَّفْصِيلِ<sup>(٤)</sup>، فلا حاجة بنا لإعادة ما ذكره، وسأقف هنا عند أمور تَتَعَلَّقُ بالمعنى لم يقف عندها الباحث من هذا الجانب؛ لأنّه كان معنياً بالتَّوْجِيهِ النَّحْوِيِّ سواء تَعَلَّقَ التوجيه بالمعنى أم لم يَتَعَلَّقْ.

(١) - المحتسب: ٣٥ / ١.

(٢) - المحتسب: ٣٢ / ١.

(٣) - ينظر: النشر في القراءات العشر: ١ / ٩.

(٤) - ينظر: التوجيه النحوي للقراءات الشاذة في المحتسب: ٢٦ - ٥٥، (أطروحة).

### أولاً: تفضيل معنى قراءة العامة على القراءة الشاذة

وضع ابن جنبي كتابه المحتسب لإنصاف القراءات الشاذة إلا أنه كان يُفضّل قراءة العامة على القراءة الشاذة في كثير من توجيهاته للقراءات، ومن تلك القراءات، كلام ابن جنبي على قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴾ ﴿ اسْتِكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئِ إِلَّا بِأَهْلِهِ ﴾ [ فاطر: من الآية: ٤٢، ومن الآية: ٤٣ ]، بتتكير ﴿ الْمَكْرُ السَّيِّئِ ﴾ إذ قال: ((ومن ذلك قراءة ابن مسعود: (وَمَكْرًا سَيِّئًا) قال أبو الفتح: يشهد لتتكيره تتكبير ما قبله من قول الله سبحانه: ﴿ اسْتِكْبَارًا فِي الْأَرْضِ ﴾ وقراءة العامة أقوى معنى؛ وذلك أن ﴿ الْمَكْرُ ﴾ فيها معرفة لإضافته إلى معرفة، أعني ﴿ السَّيِّئِ ﴾، فكأنه قال: والمكر السيئ الذي هو عالٍ مستكره مستتكر في النفوس. وعليه قال من بعد: ﴿ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئِ إِلَّا بِأَهْلِهِ ﴾، وأبدل ﴿ اسْتِكْبَارًا ﴾ وما بعده من النكرة قبله، وهي من قوله: ﴿ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴾، وحسن تتكبير الاستكبار لأنه أدنى إلى (نفور) ممّا بعده. وقد يحسن مع القرب فيه ما لا يحسن مع البعد، واعتمد ذلك لقوة معناه بتعريفه، والإخبار عنه بأن مثله لا يخفى، لعظمه وشناعته))<sup>(١)</sup>.

### ثانياً: حمل معنى القراءة الشاذة على القراءة العامة

حمل ابن جنبي كثيراً من معاني القراءات الشاذة على معنى القراءة العامة، ويكاد يكون حملُهُ الشاذَّ على الصَّحيح هو أكثر ما وجَّه به القراءات القرآنية؛ لأنَّ الأصل في القراءات توافقها بالمعنى<sup>(٢)</sup>، ومن القراءات التي حمل معناها على قراءة العامة، ما جاء من كلامه على قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا لَا تُرِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا ﴾ [ آل عمران: من الآية: ٨ ] بفتح التاء من ﴿ تُرِغْ ﴾ ورفع ﴿ قُلُوبَنَا ﴾ على قراءة أبي واقد (( رَبَّنَا لَا تُرِغْ قُلُوبَنَا)). قال أبو الفتح: هذا في المعنى عائد إلى قراءة الجماعة: ﴿ رَبَّنَا لَا تُرِغْ ﴾ وذلك أنه في الظاهر طلب من القلوب ورغبة إليها، فهو كقول الراجز فيما أنشده ابن الأعرابي:

\* يَا رَبِّ لَا يَرْجِعْ إِلَيْنَا طَفِيلًا \*

(١)- المحتسب: ٢ / ٢٠٢.

(٢)- ينظر: الدر المصون: ٣ / ٥٥٥، وروح المعاني: ٩ / ١٥٠.

وفسره طفلاً، فظاهره الطلب والرغبة إلى ذلك الإنسان المدعو إليه؛ وإنما المسؤول الله سبحانه، حتى كأنه قال: اللهم لا تُرجعه إلينا، ويؤكد في ذلك النداء في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا﴾ ويزيد في شرحه لك أنك تقول للأمير: لا ترهقني؛ لأنه يملك التنفيس عنك، ولا تقول له: أيها الأمير، أدخلني الجنة؛ لأن ذلك ليس له ولا إليه؛ فقد علمت إذن أن معنى (لا تُرغ قلوبنا) هو معنى ﴿رَبَّنَا لَا تُرغ﴾؛ ألا ترى أن القلوب لا تملك شيئاً فيطلب منها؟ فالمسؤول إذن واحد وهو الله سبحانه<sup>(١)</sup>، فابن جنبي في هذا النص حمل معنى القراءة الشاذة على معنى قراءة العامة واستدل لذلك ببيت من الرجز، والنداء في الآية؛ لأن المنادى هو الرب، ((وعلى القراءتين فالقلوب فاعل بالفعل المنهية عنه ... والنهي في اللفظ للقلوب وفي المعنى دعاء الله تعالى، أي: لا تُرغ قلوبنا فتزغ، فهو من باب: لا أريتك ههنا))<sup>(٢)</sup>.

ومن ذلك أيضاً ما ذكره في قوله تعالى: ﴿وَحَرَّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدَ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرْمًا﴾ [المائدة: من الآية: ٩٦] بفتح الحاء والراء من ﴿وَحَرَّمَ﴾، ونصب (الصيّد)، وفتح الحاء والراء من ﴿حُرْمًا﴾، قال: ((ومن ذلك قراءة ابن عباس: (وَحَرَّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدَ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حَرْمًا). قال أبو الفتح: معنى (حَرْمًا) راجع إلى معنى قراءة الجماعة (حُرْمًا)؛ وذلك أن الحُرْم جمع حَرَم، والحَرَم المُحَرَّم، فهو في المعنى مفعول، فجعلهم حَرْمًا؛ أي: هم في امتناعهم مما يمتنع منع المُحَرَّم، وامتناع ذلك أيضاً منهم كالحَرَم، فالمعنيان إذن واحد من حيث أرينا))<sup>(٣)</sup>، وكذلك حمل ابن عطية قراءة ابن عباس على معنى قراءة الجماعة<sup>(٤)</sup>.

### ثالثاً: تحسين معنى القراءة الشاذة

قد يُحسن ابن جنبي بعض القراءات الشاذة من جهة المعنى من غير تفضيلها على قراءة العامة، ويكون تحسينه للمعنى على وفق أمور استلطفها في القراءة، تتسجم مع المعنى المراد من الآية، أو المعنى الذي يفهمه من الآية، ومن القراءات التي حسنها قوله في قوله تعالى: ﴿يَرَوْنَهُمْ مَثْنِيهِمْ رَآيَ الْعَيْنِ﴾ [آل عمران: من الآية: ١٣] بضم الياء من

(١) - المحتسب: ١ / ١٥٤، والبيت لكهذل، ينظر: المحكم والمحيط الأعظم: ٢ / ٣٥٥.

(٢) - الدر المصون: ٣ / ٢٩-٣٠.

(٣) - المحتسب: ١ / ٢١٩.

(٤) - المحرر الوجيز: ٢ / ٢٤٢.

﴿ يَرَوْنَهُمْ ﴾ على قراءة ابن عباس (( يَرَوْنَهُمْ مِثْلِهِمْ )) بياء مضمومة. قال أبو الفتح: هذه قراءة حسنة المعنى؛ وذلك أن (رَأَيْتُ وَأَرَى) أقوى في اليقين من (أَرَيْتُ وَأَرَى)، نقول: أرى أن سيكون كذا؛ أي: هذا غالب ظني، وأرى أن سيكون كذا؛ أي أعلمه وأتحققه؛ وسبب ذلك أن الإنسان قد يُريه غيره الشيء فلا يصح له، فمعناه إذن أن غيره يشترط في أن يراه ولا أنه هو لا يراه... فهذا يحسن هذه القراءة. وأمّا قراءة الجماعة: ﴿ يَرَوْنَهُمْ ﴾ فلأنها أقوى معنى؛ وذلك أنه أوكد لفظاً، أي: حتى لا يقع شك فيهم ولا ارتياب بهم أنهم مثلام، فهذا أبلغ في معناه من أن يكون مُرِ يُرِيهِمْ ذلك))<sup>(١)</sup>، فهو وإنّ حسن القراءة الشاذة إلا أنه لم يُفضّلها على قراءة العامة.

ومن ذلك أيضاً ما ذكره في قوله تعالى: ﴿ وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ إِنْ آدَا لَمِنَ الْآثِمِينَ ﴾ [المائدة: من الآية: ١٠٦] بتتوين ﴿ شَهَادَةَ ﴾ وقطعها عن الإضافة ومدّ لفظ الجلالة (شهادة الله) على قراءة الإمام علي (عليه السلام) إذ قال: ((أما (شهادة) فهي أعم من قراءة الجماعة: ﴿ شَهَادَةَ اللَّهِ ﴾ بالإضافة، غير أنها بالإضافة أفخم وأشرف وأحرى بترك كتمانها؛ لإضافتها إلى الله سبحانه))، جعل ابن جنبي قراءة التتوين أعم من الإضافة، وقال ابن عطية في معنى قراءة الإمام علي (عليه السلام): (( (شهادة) بالتتوين (الله) نصب ب(نكتم)، كأنّ الكلام: وَلَا نَكْتُمُ اللَّهُ شَهَادَةً، قال الزهري ويحتمل أن يكون المعنى: وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ وَاللَّهِ، ثم حُذِفَتِ الْوَاوُ وَنُصِبَ الْفِعْلُ إِيجَازًا))<sup>(٢)</sup>، فابن جنبي في النصين حسن القراءة الشاذة، ومع ذلك فضّل عليها قراءة العامة؛ لأنها أوكد وأبلغ.

#### رابعاً: تفضيل معنى القراءة الشاذة على العامة

ممّا يُعرّف عن ابن حني ويؤخذ عليه أنه فضّل بعض معاني القراءات الشاذة على معاني القراءة العامة؛ وذلك لأنه يرى أن القراءة الشاذة في بعض الأحيان أقرب للمعنى من العامة حسب تفسيره، وإن كانت السمة العامة عنده في الحكم على القراءات الشاذة أن تكون القراءة العامة أفضل معنى من الشاذة، أو يجري معنى الشاذة على العامة، وهو الأصل في القراءات كما تقدم. ومن تفضيله الشاذ على العام ما ذكره في قوله تعالى: ﴿ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ ﴾ [الأعراف: من الآية: ١٥٦] بالسين بدل الشين من

(١)- المحتسب: ١ / ١٥٤ - ١٥٥.

(٢)- المحرر الوجيز: ٢ / ٢٥٣.

﴿أَشَاء﴾، قال: ((ومن ذلك قراءة الحسن وعمرو الأسواري: (أُصِيبُ بِهِ مَنَ أَسَاءَ). قال أبو الفتح: هذه القراءة أشد إ فصاحًا بالعدل من القراءة الفاشية التي هي: ﴿مَنْ أَشَاء﴾؛ لأنَّ العذاب في القراءة الشاذَّة مذكورٌ علَّةُ الاستحقاق له، وهو الإساءة، والقراءة الفاشية لا يُتَّوَلَّى من ظاهرها علَّةُ إصابة العذاب له، وأنَّ ذلك لشيء يرجع إلى الإنسان، وإنَّ كُنَّا قد أحطنا علمًا بأنَّ الله تعالى لا يظلم عباده، وأنَّه لا يعذب أحدًا منهم إلا بما جناه واجترمه على نفسه، إلا أنَّنا لم نعلم ذلك من هذه الآية؛ بل من أماكن غيرها، وظاهر قوله تعالى: ﴿مَنْ أَشَاء﴾ بالشين معجمة رُبَّمَا أوهم من يضعف نظره من المخالفين أنَّه يُعَذَّب من يشاء من عباده، أساء أو لم يسيء، نعوذ بالله من اعتقاد ما هذه سبيله، وهو حسبنا وولينا))<sup>(١)</sup>، وعذره لِتَحْسِينِ الشَّاذِّ توهم من يضعف نظره بأنَّ الله يعذب من يشاء، أساء أو لم يسيء.

#### خامسًا: تفضيل القراءة بسبب الصنعة النحوية

فضَّل ابن جنبي بعض القراءات الشاذَّة، وجعلها أظهر من القراءة العامَّة بسبب الصناعة النحوية، وعلى وفق ما ترتضيه قواعد المنهج البصري في النحو، كرفع الاسم المشغول عنه بالابتداء عند البصريين، ونصبه على المفعولية عند الكوفيين، ومن القراءات التي فضَّلها بسبب الصنعة النحوية ما ذكره في قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ﴾ [الرحمن: ٧] برفع ﴿وَالسَّمَاءَ﴾ على قراءة أبي السَّمَّال، إذ قال: ((الرفع هنا أظهر من قراءة الجماعة؛ وذلك أنَّه صرفه إلى الابتداء؛ لأنَّه عطفه على الجملة الكبيرة التي هي قوله تعالى: ﴿وَالنَّجْمِ وَالشَّجَرِ يَسْجُدَانِ﴾ [الرحمن: ٦]، فكما أنَّ هذه الجملة مركبة من مبتدأ وخبر، فكذلك قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا﴾ جملة من مبتدأ وخبر، معطوفة على قوله: ﴿وَالنَّجْمِ وَالشَّجَرِ يَسْجُدَانِ﴾<sup>(٢)</sup>، وتفضيله لهذه القراءة كان بسبب المذهب النحوي الذي تبناه، وكذلك فضَّل الرفع في القراءة الشاذَّة في قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩] برفع (كل) على قراءة أبي السَّمَّال، وسيأتي الكلام عليها<sup>(٣)</sup>.

(١)- المحتسب: ١ / ٢٦١.

(٢)- المحتسب: ٢ / ٣٠٢.

(٣)- ينظر: الرسالة: ١٢٣ - ١٢٥.

سادساً: حمل القراءة على أنها لغة

هناك بعض القراءات نشأت نتيجة لتعدد لغات العرب - أي (لهجاتها) - وكانت بعض القبائل تقرأ القرآن بلغاتها مما أدى إلى نشوء بعض القراءات بسبب تعدد اللغات<sup>(١)</sup>، وقد حمل ابن جني كثيراً من الألفاظ في القراءات الشاذة على أنها لغة في اللفظ، وربما ينسب اللغة لِقَوْمٍ كأن يقول: هذه لغة بني تميم، أو من غير نسب، أو يصف اللغة بأنها قليلة أو غريبة، أو أن يكون في اللفظ أكثر من لغة جاءت القراءة على إحداها<sup>(٢)</sup>، ومن القراءات التي حملها على أنها لغة جاءت في كلامه على قوله تعالى: ﴿ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ ﴾ [الذاريات: ٧] بتسكين الباء من ﴿ الْحُبُكِ ﴾ على قراءة الحسن، قال: (( فأما (الحُبُكِ)، فَمَخْفَفٌ من (الحُبُكِ)، وهي لغة بني تميم، كَرُسُلٌ وَعُمُدٌ، في رُسُلٍ وَعُمُدٍ))<sup>(٣)</sup>، ومن أمثلة ذلك أيضاً ما جاء في كلامه على قوله تعالى: ﴿ الْمَصْبَاحِ فِي زُجَاجَةٍ زُجَاجَةٌ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ ﴾ [النور: من الآية: ٣٥] بفتح زاي ﴿ زُجَاجَةٍ ﴾ في اللفظين، قال: ((ومن ذلك قراءة نصر بن عاصم: (في زُجَاجَةٍ زُجَاجَةٍ) بفتح الزاي فيهما. قال أبو الفتح: فيها ثلاث لغات: زُجَاجَةٌ، وَزُجَاجَةٌ، وَزُجَاجَةٌ: بالفتح والضم والكسر. وفي الجمع زُجَاجٌ وَزُجَاجٌ وَزُجَاجٌ: كنعامة ونعام، ورُقَاقَةٌ ورُقَاقٌ، وعمامة وعمام))<sup>(٤)</sup>، وهذا من المثلث اللغوي الذي يتفوق في معناه.

نقد ابن جني للعلماء في التفسير اللغوي

يعدُّ ابن جني لغويًا ونحويًا بارعًا، ذا ثقافة واسعة أتيح له أن يبرع في كل فنون اللغة، ويعدُّ كذلك ناقدًا لغويًا، ((يضع النقد في موضعه السليم من القول، مادام يجري فيه الناقد على سنن الحق، وينحو فيه طريق الصدق، من غير أن يحيف على أحدٍ من السلف - رحمهم الله - أو يتكتر على أحد من الخلف، بتجاوز الواقع وطمس الحقائق. فإذا فعل الناقد ذلك - يقول ابن جني - كان رأيه سديدًا وخاطره صوابًا، وقد عضد رأيه هذا بقول أبي عثمان الجاحظ (ت ٢٥٥هـ): ما على الناس أضرَّ من قولهم: ما ترك الأول للآخر

(١)- ينظر: أثر القراءات القرآنية في الدراسات النحوية: ٨٩.

(٢)- ينظر: المحتسب: ١ / ٢٠٥، و ٢٣١، و ٢٤٣، ٢٢٠، ٢ / ١٥٢.

(٣)- المحتسب: ٢ / ٢٨٧.

(٤)- المحتسب: ٢ / ١٠٩.

شيئاً))<sup>(١)</sup>، وكان ابن جني يملك شروط الناقد التي تؤهله ليقوم تفسير سابقه، ويقف على مواضع الضعف فيه، فهو يملك موهبة الناقد، فضلاً عما كسبه من شيوخه وملازمته لهم فصارت له بذلك قدرة على التحليل والتعليل والنقد<sup>(٢)</sup>، وقد نبه على قاعدة في النقد تُعدُّ هي الأساس في العملية النقدية، إذ قال في رده على ابن درستويه في مؤاخذه ثعلب في نهاية كلامه: ((ولقد كنت أعتقد فيه [ أي ابن درستويه ] الترفع عنها [ أي مؤاخذه ثعلب ]، وإن كان من أصحابي، وقائلاً بقول مشيخة البصريين في غالب أمره، وكان أحمد بن يحيى كوفيّاً قلباً، فالحقُّ أحقُّ أن يتبع أين حلَّ وحيثُ صقع))<sup>(٣)</sup>، فلم يشفع لابن درستويه كونه بصريّاً عند ابن جني، ولم يحمل على ثعلب كونه كوفيّاً؛ لأنَّ معيار ابن جني في النقد هو الحقُّ، وهو معيار أصيل في كلِّ عملية نقدية.

لقد وقف ابن جني على تفسير بعض العلماء الذين سبقوه ناقداً بما يملك من أدوات تُعينه من الوقوف على مواضع الضعف في تفسيرهم اللغوي لأي القرآن، ولم يكن في نقده رافضاً لتفسيرهم وحسب، بل يضع البديل ويدلُّ عليه، ليكون حجةً على من بعده، ((وربما كان النقد رقيقاً أو عنيفاً))<sup>(٤)</sup>، ومن العلماء الذين نقدهم ابن جني في مواضع متعدّدة ابن مجاهد في تخطئته بعض القراءات التي لها وجه من العربية على رأي ابن جني، ونقد الرجاء في مواضع من تفسيره، وكذلك الفراء، ووقف في مواضع قليلة مع المبرد.

### الفراء (ت ٢٠٧ هـ)

أخذ ابن جني الفراء في مواضع كثيرة في تفسيره اللغوي، وقد وصفه بالتمحل في غير موضع بقوله: (وهذا تمحل للإعراب) و(وقد تمحل الفراء في هذا)<sup>(٥)</sup>، وكانت مأخذه على

(١) - دراسات نقدية في اللغة والنحو: ١٠٨، وينظر: الخصائص: ١ / ١٩٠.

(٢) - ينظر: ابن جني ناقداً لغويّاً: ٦ - ٧ . (أطروحة).

(٣) - سر صناعة الإعراب: ٢ / ٥٦٨.

(٤) - مصطلح القراءة الشاذة في المحتسب: ١٦٥، مجلة مجمع اللغة في دمشق المجلد: ٨٤، الجزء: ١، ٢٠٠٩م.

(٥) - ينظر: المحتسب: ٢ / ١٩١، و٢٩١.

نوعين: نوع ليس له علاقة بالمعنى<sup>(١)</sup>، ومن ذلك قوله في قوله تعالى: ﴿ ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ ﴾ [ق: ١] في قراءة النثقي بكسر الفاء وفتحها من (قاف): ((وقيل: (قاف) جبل محيط بالأرض، فكان قياسه الرِّفْع، أي: هو قافٌ، وقد تَمَحَّل الفراء في هذا، فقال: جاء ببعض الاسم كقوله:

\* قُلْنَا لَهَا فِيفِي لَنَا قَالَتْ قَاف \*

وفي هذا ضَعْف، ألا ترى إلى الفتح والكسر فيه))<sup>(٢)</sup>، وردُّ ابن جنبي لقول الفراء بأنَّ (القاف) جزء من اسم الجبل علَّه بأنَّه لمَّا ظهرت الكسرة والفتحة على الفاء من قولك (قاف) فهو ليس بجزء من الكلمة، بل هو كلمة مستقلة، غير أنَّ الفراء نقل هذا الكلام على أنَّه وجه في الآية فبدأه بالترجي إذ قال: ((ويقال: إنَّ (قاف) جبل محيط بالأرض، فإنَّ يكن كذلك فكأنَّه في موضع رفع، أي هو قافٌ والله، وكان ينبغي لرفعه أنَّ يظهر لأنَّه اسم وليس بهجاء ، فلعلَّ القاف وحدها ذكرت من اسمه كما قال الشاعر:

\* قُلْنَا لَهَا فِيفِي لَنَا قَالَتْ قَاف \*

ذَكَرَتْ القَاف، أَرَادَتْ القَاف من الوقوف، أي: إنِّي واقفة))<sup>(٣)</sup>، فالفراء لم يجزم بأنَّ القاف جزء من الاسم، بل لعلَّها كذلك كما قال، بل هو غير مُتَيَقِّن من كون (قاف) في الآية أسم أصلاً فضلاً عن كونه جزءاً من الاسم، فإنَّه نقل هذا الوجه بصيغ التمريض (يُقال).

أما النوع الآخر فله علاقة بالمعنى، ومنه كلامه على قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [سبأ: ٢٠]، بتخفيف ﴿ صَدَقَ ﴾ ونصب ﴿ إِبْلِيسُ ﴾، ورفع ﴿ ظَنَّهُ ﴾ على قراءة الزهري (صَدَقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ) إذ قال: ((معنى هذه القراءة أنَّ إبليس كان سَوَّلَ له ظنُّه شيئاً فيهم، فصدَّقه ظنُّه فيما كان عقَدَ عليهم معهم من ذلك الشَّيء. وأما قراءة العامَّة: ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ ﴾ ... فإنَّه كان قدَّر فيهم شيئاً فبلَّغَه مِنْهُمْ، فصدَّق ما كان أودَّعه ظنُّه في معناه. فالمعنيان من

(١)- ينظر: المحتسب: ١ / ٦١، و ٢٤٠.

(٢)- المحتسب: ٢ / ٢٨١، وصدر البيت للوليد بن عقبة وتمامه (لا تحسبينا قد نسنا الإيجاف)، ينظر: شرح شواهد الشافية: ٤ / ٢٧١.

(٣)- معاني القرآن للفراء: ٣ / ٧٥.

بَعْدُ متراجعان إلى موضع واحد؛ لَأَنَّهُ قَدَّرَ تقديرًا فوق ما كان من تقديره فيهم. و(عَلَى) مُتَعَلِّقَةٌ بـ(صَدَقَ)، كقولك: صَدَقْتُ عَلَيْكَ فِيمَا ظَنَنْتُهُ بِكَ، ولا تكون مُتَعَلِّقَةٌ بِالظَّنِّ؛ لاستحالة جواز تقدم شيءٍ من الصَّلَةِ على الموصول. وذهب الفراء إلى أَنَّهُ على معنى: في ظَنِّهِ، وهذا تَمَحُّلٌ لِلإِعْرَابِ، وَتَحَرُّفٌ عَنِ الْمَعْنَى. أَلَا تَرَى أَنَّ مِنْ رَفَعِ (ظَنَّهُ) فَإِنَّمَا جَعَلَهُ فَاعِلًا؟ فَكَذَلِكَ إِذَا نَصَبَهُ جَعَلَهُ مَفْعُولًا عَلَى مَا مَضَى. كَذَلِكَ أَيْضًا مِنْ شَدَّدَ، فَقَالَ: ﴿صَدَقَ﴾، فَنَصَبَ (الظَّنَّ) عَلَى أَنَّهُ مَفْعُولٌ بِهِ<sup>(١)</sup>، وَيَكْمُنُ نَقْدُ ابْنِ جَنبِيٍّ لِلْفَرَاءِ فِي أَمْرَيْنِ:

- ١- أَنَّ الْفَرَاءَ فِي تَأْوِيلِهِ الْمَعْنَى سَارَ عَلَى غَيْرِ صِنَاعَةِ الإِعْرَابِ.
- ٢- أَعْطَى الْمَعْنَى الْبَدِيلَ لِلآيَةِ عَلَى ضَوْءِ الإِعْرَابِ، وَتَقْدِيرِهِ: كَانَ قَدَّرَ فِيهِمْ شَيْئًا فَبَلَّغَهُ مِنْهُمْ، فَصَدَقَ مَا كَانَ أَوْدَعَهُ ظَنُّهُ.

### الزجاج (ت ٣١١هـ)

أخذ ابن جنبي الرَّجَّاحَ فِي مَوَاضِعٍ مِنْ تَفْسِيرِهِ اللَّغَوِيِّ<sup>(٢)</sup>، وَأَكْثَرُهَا مِمَّا يَتَعَلَّقُ بِالنَّحْوِ، وَمِنْ ذَلِكَ مَا جَاءَ فِي كَلَامِهِ عَلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قَالُوا إِنَّ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ﴾ [طه: من الآية: ٦٣] بِتَشْدِيدِ (إِنَّ) عَلَى قِرَاءَةِ نَافِعِ (إِنَّ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ) إِذْ قَالَ: ((وَأَخْبَرْنَا أَبُو عَلِيٍّ أَنَّ أَبَا إِسْحَاقَ ذَهَبَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى (إِنَّ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ) إِلَى أَنَّ (إِنَّ) بِمَعْنَى نَعْمَ، وَ(هَذَانِ) مَرْفُوعٌ بِالْإِبْتِدَاءِ، وَأَنَّ اللَّامَ فِي (لَسَاحِرَانِ) دَاخِلَةٌ فِي مَوْضِعِهَا عَلَى غَيْرِ ضَرُورَةٍ، وَأَنَّ تَقْدِيرَهُ: نَعْمَ هَذَانِ لِهَمَا سَاحِرَانِ، وَحَكَى عَنِ أَبِي إِسْحَاقَ أَنَّهُ قَالَ: هَذَا الَّذِي عِنْدِي فِيهِ وَاللَّهِ أَعْلَمُ، وَكَانَتْ عَرْضَتُهُ عَلَى عَالِمِينَ مُحَمَّدَ بْنَ يَزِيدَ، وَعَلَى إِسْمَاعِيلَ بْنَ إِسْحَاقَ فَقَبِلَاهُ وَذَكَرَا أَنَّهُ أَجُودُ مَا سَمِعَاهُ. وَاعْلَمْ أَنَّ هَذَا الَّذِي رَوَاهُ أَبُو إِسْحَاقَ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ مَدْحُولٌ غَيْرٌ صَحِيحٌ، وَأَنَا أَذْكَرُهُ لِتَقَفٍ مِنْهُ عَلَى مَا فِي قَوْلِهِ، وَوَجْهَ الْخَطَأِ فِيهِ أَنَّ (هُمَا) الْمَحذُوفَةَ الَّتِي قَدَرَهَا مَرْفُوعَةٌ بِالْإِبْتِدَاءِ لَمْ تُحْذَفْ إِلَّا بَعْدَ الْعِلْمِ بِهَا وَالْمَعْرِفَةِ بِمَوْضِعِهَا، وَكَذَلِكَ كُلُّ مَحذُوفٍ لَا يُحْذَفُ إِلَّا مَعَ الْعِلْمِ بِهِ، وَلَوْلَا ذَلِكَ لَكَانَ فِي حَذْفِهِ مَعَ الْجَهْلِ بِمَكَانِهِ ضَرْبٌ مِنْ تَكْلِيفِ عِلْمِ الْغَيْبِ لِلْمَخَاطَبِ، وَإِذَا كَانَ مَعْرُوفًا فَلَقَدْ اسْتَعْنِيَ بِمَعْرِفَتِهِ عَنِ تَأْكِيدِهِ بِاللَّامِ أَلَّا تَرَى أَنَّهُ يَقْبَحُ أَنْ تَأْتِيَ بِالْمُؤَكَّدِ وَتَتْرَكَ الْمُؤَكَّدَ فَلَا تَأْتِي بِهِ أَلَّا تَرَى أَنَّ التَّوَكِيدَ مِنْ مَوَاضِعِ الإِطْنَابِ وَالِإِسْهَابِ، وَالْحَذْفُ مِنْ مَوَاضِعِ الْإِكْتِفَاءِ وَالِإِخْتِصَارِ، فَهَمَا إِذْنٌ كَمَا ذَكَرْتُ لَكَ

(١)- المحتسب: ٢ / ١٩١، وينظر معاني القرآن للفراء: ٢ / ٣٦٠.

(٢)- ينظر: سر صناعة الإعراب: ١ / ٤٠١، ٢ / ٦٥٦، والخصائص: ٢ / ٢٨٧.

ضِدَّانَ لَا يَجُوزُ أَنْ يَشْتَمَلَ عَلَيْهِمَا عَقْدُ كَلَامٍ))<sup>(١)</sup>، وبنى ابن جنبي نقده وردّه على الزجّاج على أمور منها:

١- لا يجوز الحذف إلا بعد الدلالة عليه، وقول الزجّاج بحذف (هما) لا دليل عليه يدلُّ على أنّه في الكلام حذف يُقَدَّرُ بـ(هما).

٢- لا يجوز حذف المؤكّد والإتيان بالمؤكّد؛ لأنّ هذا خلاف المراد من التأكيد.

وكان الزّجّاج قد عرض لهذه المسألة بشيء من التفصيل فذكر وجوه القراءة فيها ، وأقوال النحويين ثم رجّح هذا الرأي الذي ذكره ابن جنبي عنه إذ قال: ((والذي عندي - والله أعلم - وكنت عرضته على عالميننا - محمد بن يزيد، وعلى إسماعيل بن إسحاق ... فقبلاه وذكرنا أنّه أجود ما سمعاه في هذا، هو (أَنَّ) وقعت موقع (نعم)، وأنّ اللام وقعت مَوْقِعَهَا، وأنّ المعنى: هذان لهما ساحران ))<sup>(٢)</sup>.

وممّا أخذ به ابن جنبي الزّجّاج ما جاء في قوله تعالى : ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاحة: ٥] إذ قال: ((وَحَكَى لِي حَاكٍ عَنِ أَبِي إِسْحَاقَ أَرَاهُ قَالَ لِي سَمِعْتَهُ يَقُولُ وَقَدْ سُئِلَ عَنْ مَعْنَى قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ مَا تَأْوِيلُهُ، فَقَالَ: حَقِيقَتُكَ نَعْبُدُ، قَالَ: وَاشْتِقَاقُهُ مِنَ الْآيَةِ وَهِيَ الْعَلَامَةُ، وَهَذَا الْقَوْلُ مِنْ أَبِي إِسْحَاقَ عِنْدِي غَيْرَ مَرْضِيٍّ، وَذَلِكَ أَنَّ جَمِيعَ الْأَسْمَاءِ الْمَضْمُرَةِ مَبْنِي غَيْرَ مُشْتَقٍّ نَحْوُ: أَنَا وَأَنْتَ وَهُوَ وَهِيَ، وَقَدْ قَامَتِ الدَّلَالَةُ عَلَى كَوْنِ (إِيَّا) اسْمًا مَضْمُرًا فَيَجِبُ أَنْ لَا يَكُونَ مُشْتَقًّا، فَإِنْ ذُهِبَ إِلَى أَنَّ (إِيَّا) اسْمٌ غَيْرُ مَضْمُرٍ، وَذَلِكَ قَوْلُهُ عَلَى مَا بَيَّنَّاهُ فِي حَرْفِ الْكَافِ، فَقَدْ أَفْسَدَنَاهُ هُنَاكَ بِمَا أَغْنَى عَنْ إِعَادَتِهِ هُنَا))<sup>(٣)</sup>، وهذا القول لم أجده في كتب الزّجّاج.

ابن مجاهد (ت ٣٢٤هـ)

أخذ ابن جنبي ابن مجاهد في تَحْطِيطِهِ بعض القراءات التي يرى ابن جنبي أنّ لها وجهًا في العربية يُمكن حَمَلُهَا عليه، والقراءات التي أخذها عليها على نوعين: الأول ليس له علاقة بالتفسير ومعنى الآية، بل هي أمورٌ صوتيّة أو صرفيّة أو لغويّة لا أثر لها في المعنى،

(١)- سر صناعة الإعراب: ٣٨٠/١ - ٣٨١، وينظر: معاني القرآن وإعرابه: ٣٦ - ٣٦٤.

(٢)- معاني القرآن وإعرابه: ٣ / ٣٦٣.

(٣)- سر صناعة الإعراب: ٢ / ٦٥٦.

ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ ﴾ [الأنعام: من الآية: ١٥٨] على قراءة أبي العالفة: (( لا تَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا) بالثناء ففما يُرَوى عنه، قال ابن مجاهد: وهذا غلط. قال أبو الفتح: لفس يُنْبَغى أن يُطْلَق على شفة له وجة في العربية قائم - وإن كان غيره أقوى منه - أنه غلط، وعلى الجملة فقد كثر عنهم تأنيث فعل المضاف المذكور إذا كانت إضافته إلى مؤنث، وكان المضاف بعض المضاف إليه أو منه أو به. وأنشدنا أبو علي لابن مقبل:

قَدْ صرَحَ السَّيْرُ عَن كُتْمَانَ، وَابْتَدَلَتْ وَقَعُ الْمَحَاجِنِ بِالْمَهْرِيَّةِ الذُّقْنِ

فأنت (الوقع) وإن كان مذكراً لماً كان مضافاً إلى (المحاجن)، وهي مؤنثة؛ إذ كان الوقع (منها))<sup>(١)</sup>، وأكثر نقد ابن جنبي لابن مجاهد من هذا النوع.

والنوع الآخر له علاقة بالمعنى، ومن ذلك ما ذكره في قوله تعالى: ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْعَمَامِ ﴾ [البقرة: من الآية: ٢١٠] في قراءة قتادة، إذ قال: ((زوي عن قتادة في قول الله سبحانه: (في ظلالٍ من العمام). قال ابن مجاهد: هو جمع ظلّ. قال أبو الفتح: الوجه أن يكون جمع (ظلة)، كجلاة وجلال، وقلة وقلال؛ وذلك أن الظلّ ليس بالغيم، وإنما الظلة الغيم، فأما الظلّ فهو عدم الشمس في أول النهار، وهو عرض والغيم جسم))<sup>(٢)</sup>، فابن جنبي في نقده لقول ابن مجاهد اتبع خطوات نقدية محكمة وهي:

١- خطأ قول ابن مجاهد في كون (ظلال) جمع ظلّ.

٢- بين سبب تحطّيبه لابن مجاهد بقوله: أن الظلّ ليس بالغيم، بل الظلّ عدم الشمس في أول النهار، وهو عرض.

٣- أعطى البديل لما خطأ به ابن مجاهد بقوله: وإنما الظلة الغيم، وهو جسم.

وابن جنبي في رده على ابن مجاهد في هذا النصّ اعتمد على المعنى؛ لأنّ سياق الآية يتحدث عن الغيم، فلا يستقيم السياق وكلام ابن مجاهد.

(١)- المحتسب: ٢٣٦/١-٢٣٧، وينظر البيت في ديوان ابن مقبل: ٢١٦، ورواية فيه من غير (قد).

(٢)- المحتسب: ١/١٢٢.

ومن ذلك أيضاً ما جاء في قوله تعالى: ﴿ وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً ﴾ [الحاقة: ١٤] في قراءة ابن عامر، ((قال ابن مجاهد حدثنا الطبري ... عن ابن عامر: (وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ)، مشددة الميم. قال ابن مجاهد: وما أدري ما هذا؟ قال أبو الفتح: هذا الذي تَبَشَّعَ على ابن مجاهد حتى أنكره من هذه القراءة - صحيح وواضح؛ وذلك أنه أسند الفعل إلى المفعول الثاني، حتى كأنه في الأصل: وَحَمَلْنَا قُدْرَتَنَا، أو مَلَكًا من مَلَائِكَتِنَا، أو نحو ذلك - الأرض، ثم أسند الفعل إلى المفعول الثاني، فبني له، فقيل: فَحُمِلَتِ الْأَرْضُ. ولو جُنِّتَ بالمفعول الأول لَأَسْنَدتِ الفعل إليه، فقلت: وَحُمِلَتِ قُدْرَتُنَا الْأَرْضُ. وهذا كقولك: أَلْبَسْتُ زَيْدًا الْجَبَّةَ، فَإِنْ أَقَمْتُ المفعول الأول مقام الفاعل قلت: أَلْبَسْتُ زَيْدًا الْجَبَّةَ، وَإِنْ حَذَفْتُ المفعول الأول أَقَمْتُ الثاني مقامه، فقلت: أَلْبَسْتُ الْجَبَّةَ. نعم، وقد كان أيضاً يجوز مع استيفاء المفعول الأول أَنْ يُبْنَى الفعل للمفعول الثاني، فنقول: أَلْبَسْتُ الْجَبَّةَ زَيْدًا، على طريق القلب؛ للتوسع، وارتفاع الشك. فإذا جاز على هذا أَنْ تَقُولَ حُمِلَتِ الْأَرْضُ الْمَلَكُ، فَتُقِيمُ الْأَرْضُ مقام الفاعل مع ذكر المفعول الأول - فما ظنُّكَ بجواز ذلك وَحُسْنِهِ، بل بوجوبه إِذَا حُذِفَ المفعول الأول؟ وكذلك أَطْعَمْتُ زَيْدًا الْخَبِزَ، وَأَطْعَمَ زَيْدُ الْخَبِزَ، وتوسع فنقول: أَطْعَمَ الْخَبِزُ زَيْدًا، ثم تحذف زَيْدًا، فلا تَجِدَ بُدَاً من إقامة الخبز مقام الفاعل، فنقول: أَطْعَمَ الْخَبِزُ. ومثله أَرْكَبَ الْفَرَسُ وَأَبِثَّ الْحَدِيثُ، وَكُسِيتِ الْجَبَّةُ، وَأَطْعَمَ الطَّعَامُ، وَسُقِيَ الشَّرَابُ، وَلُقِيَ الْخَيْرُ، وَوُقِيَ الشَّرُّ. ورحم الله ابن مجاهد! فلقد كان كبيراً في موضعه، مُسَلِّماً فيما لم يَمَهَّرَ به))<sup>(١)</sup>.

اتبع ابن جنبي في نقده لابن مجاهد على تَبَشُّعِهِ هذه القراءة (وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ) أموراً منها:

١- صَحَّحَ القراءة على وفق العربية، أي هي ليست مُنْكَرَةً بِشِعَةٍ على وفق اللُّغَةِ وقوانينها، بل ما أنكره ابن مجاهد واضح عند ابن جنبي كما عبر عن ذلك.

٢- حَلَّلَ القراءة على ضوء الصناعة النَّحْوِيَّة، فَقَدَّرَ الكلام في القراءة: حُمِلَتِ قُدْرَتُنَا الْأَرْضَ، ثم حُذِفَ المفعول الأول نائب الفاعل (قُدْرَتُنَا) وأقام المفعول الثاني مقامه ورفع بالنيابة عن الفاعل.

(١)- المحتسب: ٢ / ٣٢٨ - ٣٢٩.

٣- تَمَثَّلَ لِتَحْلِيلِهِ هَذَا بِأَكْثَرِ مِنْ مِثَالٍ، وَمِنْهَا: أَلْبَسْتُ زَيْدًا الْجَبَّةَ، فَتَصِيرُ بَعْدَ بِنَاءِ الْفِعْلِ لِلْمَفْعُولِ وَحَذْفِ الْمَفْعُولِ الْأَوَّلِ: أَلْبَسْتُ الْجَبَّةَ.

٤- وابن جنبي في أغلب نقده للعلماء كان مؤدبًا ومهذبًا، فلم يُعَنِّفْهُمْ بِخَشْنِ الْقَوْلِ وَمِرْذُولِهِ، قَالَ عَنْهُ مُحَقِّقُ الْخِصَائِصِ: ((كَانَ ابْنُ جَنبِي رَجُلًا جَدًّا وَامْرَأً صَدِيقًا فِي فِعْلِهِ وَقَوْلِهِ ... وَكَانَ عَفَّ اللَّسَانَ وَالْقَلَمَ يَتَجَنَّبُ الْأَلْفَاظَ الْمُؤْذِيَةَ لِلجَبِينِ))<sup>(١)</sup>، وَهَذَا مَا نَلْحِظُهُ فِي آخِرِ كَلَامِهِ فِي رَدِّهِ عَلَى ابْنِ مَجَاهِدِ الْمَتَقَدِّمِ، إِذْ قَالَ: وَرَحِمَ اللَّهُ ابْنَ مَجَاهِدٍ! فَلَقَدْ كَانَ كَبِيرًا فِي مَوْضِعِهِ، مُسَلِّمًا فِيمَا لَمْ يَمَهَّرْ بِهِ.

### قواعد التفسير اللغوي عند ابن جنبي

يمكن لي أن استنبط بعض القواعد اللغوية العامة التي اعتمدها ابن جنبي في الكشف عن معاني آي القرآن الكريم ، في ضوء تفسيره، وهذه القواعد قد يكون في تفسيره ما يخالفها إلا أن ذلك لا يُفقد القاعدة عُمومها؛ لأنه في الأغلب يعتمدها ويسير على خطاها.

القاعدة الأولى: لا يجوز الحذف إلا إذا دلَّ عليه دليل، ((فكلُّ محذوفٍ لا يُحذفُ إلا مع العلم به، ولولا ذلك لكان في حذفه مع الجهل بمكانه ضربٌ من تكليف علم الغيب للمخاطب))<sup>(٢)</sup>.

والحذف عند ابن جنبي بابٌ من شجاعة العربية، قال: ((قد حَدَّثَتِ الْعَرَبُ الْجُمْلَةَ وَالْمَفْرُودَ وَالْحَرْفَ وَالْحُرْكََةَ. وَلَيْسَ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ إِلَّا عَنْ دَلِيلٍ عَلَيْهِ، وَإِلَّا كَانَ فِيهِ ضَرْبٌ مِنْ تَكْلِيفِ عِلْمِ الْغَيْبِ فِي مَعْرِفَتِهِ))<sup>(٣)</sup>، وَمِنْ أَمْثَلَةِ هَذِهِ الْقَاعِدَةِ رَدُّ ابْنِ جَنبِي عَلَى الزَّجَاجِ فِي النَّصِّ الَّذِي سَبَقَ ذَكَرَهُ ، فِي تَقْدِيرِهِ لِلضَّمِيرِ (هُمَا) مِنْ غَيْرِ أَنْ يَدُلَّ عَلَيْهِ دَلِيلٌ ، وَقَدْ وَقَفْتُ عَلَى كَثِيرٍ مِنَ الْمَسَائِلِ الَّتِي خَرَجَهَا ابْنُ جَنبِي عَلَى الْحَذْفِ، فَوَجَدْتَهُ لَا يَقُولُ بِالْحَذْفِ إِلَّا وَيَذَكُرُ مَا يَدُلُّ عَلَى الْمَحذُوفِ، فَلَا حَاجَةَ بِنَا لَذِكْرِ أَمْثَلَةِ عَلَى هَذِهِ الْقَاعِدَةِ ، وَتَدْخُلُ تَحْتَ

(١)- الخصائص (مقدمة المحقق): ١ / ١٤.

(٢)- سر صناعة الإعراب: ١ / ٣٨٠.

(٣)- الخصائص: ٢ / ٣٦٠.

هذه القاعدة قواعد فرعية أشار إليها ابن جنبي ومنها: لا يجوز حذف التوكيد؛ لأنَّ ((التوكيد من مواضع الإطناب والإسهاب ولا يليق به الحذف والاختصار))<sup>(١)</sup>.

القاعدة الثانية: ((ليس يَنْبَغِي أَنْ يُطْلَقَ عَلَى شَيْءٍ لَهُ وَجْهٌ فِي الْعَرَبِيَّةِ قَائِمٌ - وَإِنْ كَانَ غَيْرُهُ أَقْوَى مِنْهُ - أَنَّهُ غَلَطٌ))<sup>(٢)</sup>.

وطبق ابن جنبي هذه القاعدة التفسيرية في توجيه القراءات الشاذة التي يخطئها بعضهم من جهة اللغة، ومنهم ابن مجاهد وابن أبي حاتم، ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ [المائدة: ٥٠] برفع الميم من (أَفَحُكْمَ) على قراءة يحيى، إذ قال: ((ومن ذلك قراءة يحيى وإبراهيم والسلمي (أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ) بالياء ورفع الميم. قال ابن مجاهد: وهو خطأ ... قال أبو الفتح: قول ابن مجاهد إنه خطأ فيه سرف؛ لكنَّه وجه غيره أقوى منه، وهو جائز في الشعر، قال أبو النجم:

قد أصبَحَتْ أَمْ الْخِيَارِ تَدَّعِي      عَلَيَّ ذَنْبًا كُلُّهُ لَمْ أَصْنَعِ

أي: لم أصنعه، فحذف الهاء. نعم، ولو نصب فقال: (كلُّهُ) لم ينكسر الوزن، فهذا يؤنسك بأنه ليس للضرورة مطلقة؛ بل لأنَّ له وجهًا من القياس، وهو تشبيهه عائد الخبر بعائد الحال أو الصفة))<sup>(٣)</sup>، ومن ذلك أيضًا كلامه على قوله تعالى: ﴿ لَوْلَا أَنْ تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِ لُنُبِدَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴾ [القلم: ٤٩] بتشديد الدال من ﴿ تَدَارَكَهُ ﴾ على قراءة ابن هُرْمَزٍ والحسن (( لَوْلَا أَنْ تَدَارَكَهُ ))، مشددة. قال أبو الفتح: روى هذه القراءة أبو حاتم عن الأعرج لا غير... قال أبو حاتم: لا يجوز ذلك؛ لأنَّه فعل ماضٍ، وليست فيها إلا تاء واحدة، ولا يجوز (تَدَارَكَهُ)، وهذا خطأ منه؛ أو عليه. قال أبو الفتح: قول أبي حاتم: هذا خطأ - لا وجه له؛ وذلك أنه يجوز على حكاية الحال الماضية المنقضية، أي: لولا أن كان يُقَالُ فِيهِ: تَدَارَكَهُ، كما تقول: كان زيدٌ سيقوم، أي: كان متوقعًا منه القيام، فكذلك هذا

(١) - سر صناعة الإعراب: ١ / ٨٢.

(٢) - المحتسب: ١ / ٢٣٦.

(٣) - المحتسب: ١ / ٢١١، وينظر البيت في ديوان أبي النجم: ٢٥٦، وروايته فيه بنصب (كلُّهُ).

لولا أن يُقال: تتداركه نعمة من ربه لنبذ بالعراء<sup>(١)</sup>، ولهذه القاعدة شواهد كثيرة عند ابن جني<sup>(٢)</sup>، وهذه القاعدة منحصرة في توجيه القراءات الشاذة؛ لأنَّ بعض القراءات قد تخالف مشهور القواعد العربية؛ لذا يحملها بعضهم على الخطأ. وليس لهذه القاعدة شواهد من قراءة العامة؛ وذلك لأنَّ قراءة العامة لا تخالف مشهور العربية في أغلبها.

### شواهد ابن جني على تفسيره اللغوي

تَنَوَّعتْ شواهد ابن جني على تفسيره اللُّغويّ، وقد وقف فاضل السامرائي، وحسام النعيمي على شواهد ابن جني في دراساته اللغوية بشكل عام، فقسّمها شواهد على ثلاثة أقسام: شواهد من القرآن، وشواهد من الحديث، وشواهد من كلام العرب وشعرهم<sup>(٣)</sup>، وشواهد على تفسيره اللغوي لا تخرج عن هذه الشواهد، إلاَّ أنَّهما تحدثا عن شواهد على أمور اللُّغة والنَّحو، فكانت أمثلتهما على شواهد أمثلةً تَتعلَّق بإثبات قاعدة صوتية أو صرفية أو نحوية، أو غيرها من أمور اللُّغة التي يَسْتَدُلُّ عليها، بشواهد القرآن والشعر وكلام العرب من النثر.

### شواهد من القرآن الكريم

استشهد ابن جني بالقرآن الكريم وقراءاته على تفسيره اللُّغوي من جهة النَّحو واللُّغة، أو يستشهد بمعنى آية على معنى آية أخرى، وسأعرض لشواهد من قراءة العامة أولاً ومن القراءات الأخرى ثانياً.

### أولاً: شواهد من قراءة العامة

استشهد ابن جني على كثير من تفسيره اللُّغويّ للقرآن الكريم بالقرآن الكريم، وكان يأتي بالشَّاهد القرآني لإثبات معنى آيةٍ أخرى، أو إثبات معنى لفظ من ألفاظ القرآن الكريم، ومن شواهد على تفسيره كلامه على قوله تعالى: ﴿ قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ ﴾ [يوسف: من الآية: ٧٧] ، قال: ((وَمِنْ حُكْمِ الْجَوَابِ أَنْ يَكُونَ مُسَبِّبًا عَنِ الشَّرْطِ،

(١) - المحتسب: ٢ / ٣٢٦ - ٣٢٧.

(٢) - ينظر: المحتسب: ١ / ١٢١، و ٢ / ٦٨، و ٢٢٠.

(٣) - ينظر: ابن جني النحوي: ١٢٣ - ١٣٨، الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني: ٤٢ - ٤٦، وابن جني عالم العربية: ٥١ - ٥٤.

وسرَقُ أخيه كان قبل سرَقِهِ المشروط به؛ وذلك لأَنَّهُ حَمَلٌ على المعنى، فكأنَّه قال: إنَّ يَسْرِقُ، يجرِ بذلك على شاكلته؛ لأنَّ هذا معلوم من أخيه. وكذلك قوله تعالى: ﴿ فَإِنْ فَأَوْوَا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [البقرة: من الآية: ٢٢٦]، وليس كون الله تعالى غَفُورًا رَحِيمًا مُسَبَّبًا عن توبتهم؛ لأنَّ هاتين صفتان من صفات الله سبحانه وتعالى قبل التوبة وبعدها، وكلام العرب أكثره هكذا حَمَلًا على المعنى، واكتفاء من المُسَبَّب بالسبب، وبالسبب من المُسَبَّب، فتأويله: يغفر الله لهم ويرحمهم))<sup>(١)</sup>، فابن جني هنا استشهد بآية على آية أخرى، وكان شاهده في الآية التي استشهد بها هو الأسلوب الذي جاءت عليه الآية، وهو الحمل على المعنى. وكذلك استشهد بقوله تعالى: ﴿ إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴾ [النمل: ٢٣] إذ قال: ((ومن التوكيد في المجاز قوله تعالى: ﴿ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ ولم تُؤْتِ لِحْيَةً وَلَا ذَكَرًا. ووجه هذا عندي، أن يكون مِمَّا حُدِفَتْ صِفَتُهُ حتى كأنَّه قال: وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ تُؤْتَاهِ الْمَرْأَةُ الْمَلِكَةَ؛ أَلَا تَرَى أَنَّهَا لَوْ أُوتِيَتْ لِحْيَةً وَذَكَرًا لَمْ تَكُنْ امْرَأَةً أَصْلًا وَلَمَّا قِيلَ فِيهَا: أُوتِيَتْ وَلَقِيلَ أُوتِيَتْ. ومثله قوله تعالى: ﴿ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ [الرعد: ٦١] وهو سبحانه شيء. وهذا ممَّا يستثنيه العقل ببديهيته، ولا يحوج إلى التشاغل باستثنائه، أَلَا تَرَى أَنَّ الشَّيْءَ كَائِنًا مَا كَانَ لَا يَخْلُقُ نَفْسَهُ، كَمَا أَنَّ الْمَرْأَةَ لَا تُؤْتِي لِحْيَةً وَلَا ذَكَرًا))<sup>(٢)</sup>، ففي هذا النصُّ استشهد ابن جني بآية على معنى آية، ولم يكتفِ بالاستشهاد وحسب، بل بيَّن موضع الشَّاهد وربطه بمعنى الآية المستشهد لها، كما هو واضح في نصِّه.

#### ثانيًا : شواهد من القراءات الأخرى

استشهد ابن جني بالقراءات القرآنية على معنى بعض الآيات من قراءة العامة، وتسمَّى هذه القراءات بالقراءات التفسيرية، وأكثرها مروى عن ابن مسعود، ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُمَطِّرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [الأحقاف: ٢٤] على قراءة ابن مسعود)) (هَذَا عَارِضٌ مُمَطِّرُنَا قَالَ هُوَ بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ) ، قال أبو الفتح ... وكذلك هذه القراءة، مُفسِّرة لقراءة الجماعة: ﴿ بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ ﴾ لو لم تأتِ قراءة عبد الله هذه لَمَا كَانَ

(١)- الخاطريات: ٣٠.

(٢)- الخصائص: ٢ / ٤٥٦.

المعنى إلا عليها، فكيف وقد جاءت ناصرة لتفسيرها؟<sup>(١)</sup>، فابن جنبي وإن قدم القراءة الشاذة في كلامه وأخر قراءة العامة، إلا إنه جعل الشاذة دالة على معنى قراءة العامة.

### شواهد من الحديث الشريف

استشهد ابن جنبي في كتبه بالحديث الشريف في مواضع متعددة، واختلف فاضل السامرائي وحسام النعيمي في نظريتهما للشاهد الحديثي عند ابن جنبي، فالسامرائي يرى أن الحديث عند ابن جنبي لم يأت به لإثبات قاعدة نحوية أو يجعله ((أصلاً يرجع إليه في تقرير قاعدة أو إثبات نص لغوي))، وإنما يُورد في النادر حديثاً للاستئناس به في ما لم يخرم قاعدة، ولم يقرراً أصلاً جديداً<sup>(٢)</sup>، وكان السامرائي في كلامه هذا راداً على من يرى أن ابن جنبي ممن يحتج بالحديث ويجعله أصلاً في تحقيق الألفاظ وتقرير القواعد<sup>(٣)</sup>، ويرى حسام النعيمي أن ابن جنبي كان يُجيز الاستشهاد بالحديث، ولا يوجد ما يُدلل على أنه لا يرى صحة الاستشهاد بالحديث، فقسم شواهد ابن جنبي من الحديث على قسمين: الأول ما أورده لفائدة غير لغوية، والآخر ما أورده لفائدة لغوية، وهو كثير، وهذا الآخر دلل عليه بشواهد كثيرة مما استشهد به ابن جنبي<sup>(٤)</sup>، وفي هذا الوجه الأخير لم يتفق مع السامرائي، والذي يهمنى هنا أن ابن جنبي استشهد بالحديث الشريف على تفسيره اللغوي في معاني بعض الألفاظ، فقال في ((قول الله تعالى: ﴿إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ﴾ [الأنفال: من الآية: ١٩] أي: تَسْتَنْصِرُوا فقد جاءكم النصر وعليه سموا الظفر بالعدو فتتحاً، ومنه الحديث أن النبي - صلى الله عليه وسلم - (كان يستفتح بصعاليك المهاجرين؛ أي: يَسْتَنْصِرُ بِهِمْ))<sup>(٥)</sup>.

### شواهد من الشعر

أخذ الشاهد الشعري حيزاً كبيراً من شواهد ابن جنبي العامة، ومن شواهد في تفسيره اللغوي أيضاً، فبلغت شواهد الشعريّة في كتاب المُحتَسَب أكثر من ست مئة شاهد، وكان

(١) - المحتسب: ٢ / ٢٦٥.

(٢) - ابن جنبي النحوي: ١٣٣.

(٣) - ينظر: ابن جنبي النحوي: ١٣٢.

(٤) - ينظر: الدراسات اللهجية: ٤٣ - ٤٤.

(٥) - المحتسب: ١ / ٣٦٠، وينظر الحديث في المعجم الكبير: ١ / ٢٩٢.

استشهاده بالشعر يدور على بعض الأمور النحوية في آية ما، أو على معنى لفظ من الألفاظ، ومن ذلك كلامه على قوله تعالى: ﴿ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ ﴾ [يوسف: من الآية: ٢٣]، في معنى ﴿ هَيْتَ ﴾ إذ قال: ((ومن لَفْظِ الْهَيْوَةِ ومعناها قولهم: مَضَى هَيْتَاءً من اللَّيْلِ، وهو فِعْلَاءٌ مِنْهُ، أَلَا تَرَاهُمْ قَالُوا قد تَهَوَّرَ اللَّيْلُ، ولو كَسَرْتَ (هَيْتَاءً) لَقُلْتَ (هَوَاتِي)، وقريب من لَفْظِهِ ومعناه قول الله سبحانه ﴿ هَيْتَ لَكَ ﴾ إِنَّمَا معناه: هَلُمَّ لَكَ، وهذا اجْتِدَابٌ واستِدْعَاءٌ له، قال:

أَنَّ الْعِرَاقَ وَأَهْلَهُ عُنُقُ إِلَيْكَ فَهَيْتَ هَيْتًا<sup>(١)</sup>.

ومما استشهد به على أمور النحو ما جاء في قوله تعالى: ﴿ وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ ﴾ [الأنعام: من الآية: ٩٢]، ((فقوله ﴿ مُبَارَكٌ ﴾ في موضع رفع؛ لأنه وصف لـ ﴿ كِتَابٌ ﴾، وهو بدل من قوله: ﴿ أَنْزَلْنَاهُ ﴾ في موضع رفع؛ لأنه وصف لـ ﴿ كِتَابٌ ﴾، ومثله قول الشاعر:

لَعَلَّكَ يَا تَيْسًا نَزَا فِي مَرِيرَةٍ مُعَدَّبٌ لِيَلِيَ أَنْ تَرَانِي أَزُورُهَا

فقوله: (نَزَا فِي مَرِيرَةٍ) في موضع نصب؛ لأنه وصف لقوله (تَيْسًا) ((<sup>(٢)</sup>))، ومن شواهد الشعريّة في النحو قول أبي النجم الذي تقدّم ذكره<sup>(٣)</sup>.

قد أَصْبَحَتْ أُمُّ الْخِيَارِ تَدَّعِي عَلَيَّ ذَنْبًا كُلُّهُ لَمْ أَصْنَعِ

### شواهد من كلام العرب المنثور

استشهد ابن جنبي بكلام العرب المنثور على تفسيره اللغوي، وكان استشهاده به قليلاً جداً، إذ ما قيس بغيره من شواهد، واستشهد به على بعض الأساليب التي ترد في القرآن الكريم، ولها مثيل من كلام العرب، من ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ ﴾ [سبأ: من الآية: ٣] بتذكير الفعل ﴿ لَتَأْتِيَنَّكُمْ ﴾

(١) - الخصائص: ٢٧٩ / ١، ولم ينسب البيت لشاعر، ينظر: مجاز القرآن: ١ / ٣٠٥.

(٢) - تفسير أرجوزة أبي نواس: ١٨ - ١٩، وينظر البيت في ديوان توبة بن الحمير: ٣٩، وروايته فيه (معاقب) بدل (مُعَدَّب).

(٣) - ينظر: الرسالة: ٧٤.

على ما رواه هارون، ((عن طَلِيْقِ الْمُعَلِّمِ قَالَ: سَمِعْتُ أَشْيَاخَنَا يَقْرَأُونَ: (لِيَأْتِيَنَّكُمْ)، بالياء. قال أبو الفتح: جاز التَّنْكِيرُ هنا بعد قوله تعالى: ﴿لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ﴾؛ لَأَنَّ الْمَخُوفَ مِنْهَا إِنَّمَا هُوَ عِقَابُهَا، وَالْمَأْمُولُ ثَوَابُهَا؛ فَغَلَبَ مَعْنَى التَّنْكِيرِ الَّذِي هُوَ مَرْجُوٌّ أَوْ مَخُوفٌ؛ فَذَكَرَ عَلَى ذَلِكَ، وَإِذَا جَازَ تَأْنِيثَ الْمُذَكَّرِ عَلَى ضَرْبٍ مِنَ التَّأْوِيلِ كَانَ تَذْكِيرَ الْمُؤَنَّثِ - لِغَلْبَةِ التَّنْكِيرِ - أُخْرَى وَأَجْدَر... وَعَلَيْهِ قَوْلُهُمْ: ذَهَبَتْ بَعْضُ أَصَابِعِهِ؛ لِأَنَّ بَعْضَهَا إِصْبَعٌ فِي الْمَعْنَى. وَحَكَى الْأَصْمَعِيُّ عَنِ أَبِي عَمْرٍو قَالَ: سَمِعْتُ رَجُلًا مِنَ الْيَمَنِ يَقُولُ: فَلَانَ لَغُوبٌ، جَاءَتْهُ كِتَابِي فَاحْتَقَرَهَا. فَقُلْتُ لَهُ: أَتَقُولُ: جَاءَتْهُ كِتَابِي؟ فَقَالَ: نَعَمْ، أَلَيْسَ بِصَحِيفَةٍ؟ وَهَذَا مِنْ أَعْرَابِيٍّ جَافٍ هُوَ الَّذِي نَبَّهَ أَصْحَابُنَا عَلَى انْتِزَاعِ الْعَلَلِ. وَكَذَلِكَ مَا يَجْرِي مَجْرَاهُ فَاعْرِفْهُ، وَكَذَلِكَ الْآيَةُ الْمَقْدَمُ ذَكَرَهَا))<sup>(١)</sup>، اسْتَشْهَدَ ابْنَ جَنْبِي فِي هَذَا النَّصِّ عَلَى أُسْلُوبٍ مِنْ أُسَالِيْبِ الْقُرْآنِ بِأَسَالِيْبِ الْعَرَبِ فِي كَلَامِهِمْ، وَأَغْلَبَ شَوَاهِدُهُ مِنْ كَلَامِ الْعَرَبِ هِيَ عَلَى أُسَالِيْبِ الْقُرْآنِ فِي التَّعْبِيرِ وَمِنْ شَوَاهِدِهِ مِنْ كَلَامِ الْعَرَبِ قَوْلُهُ (أَكْلُونِي الْبِرَاغِيثُ) وَ (أَطْرُقُ كَرًا) وَغَيْرُهُمَا<sup>(٢)</sup>.

(١) - المحتسب: ٢ / ١٨٦.

(٢) - ينظر: الفسر: ٣ / ٢٢ - ٢٣، والمحتسب: ٢ / ٦٩ - ٧٠.

## المبحث الرابع

### مصادر ابن جنبي في التفسير اللغوي

إنَّ أهمَّ مَصَدِرٍ من مصادر ابن جنبي في تفسيره اللُّغوي هو عَقْلِيَّتُهُ الفَذَّةُ في الكشف والتحليل والتعليل، ودقَّة ملاحظته لِدَقَائِقِ الأمور اللُّغويَّة في التفسير، فهو عالمٌ ((بلغ ... في علوم العربيَّة من الجلالة والخطر ما لم يبلغه أحد إلا القليل))<sup>(١)</sup>، وكان لهذه المعرفة اللُّغويَّة أثرٌ كبيرٌ في تفسيره اللُّغوي، وما في هذه الرِّسالة من تفسير يَشْهَدُ بأنَّ ابن جنبي مُفسِّرٌ لغويٌّ فذٌّ.

كان ابن جنبي في أخذه التفسير يَعْتَمِدُ الأخذ من الشيوخ، والرواية عن العلماء، وقد أكثر من الأخذ عنهم ، لكنَّه لا يذكر أسماء المصادر التي يأخذ عنها تفسيره اللُّغوي، بل كان يذكر العالم باسمه كأن يقول (قال سيبيويه) و(قال أبو الحسن الأخفش) وهكذا<sup>(٢)</sup>؛ لذا سأذكر مصادر تفسيره بأسماء العلماء الذين أخذ عنهم، ثم مصدر العالم الذي ورد فيه النص، وأكثر التفسير الذي أخذه ابن جنبي هو عن اللُّغويين، أمَّا أخذه عن المفسرين، فهو قليل جدًا إذا ما قيس بأخذه عن اللُّغويين، فأخذه عن المفسرين لا يتعدى خمسة مواضع.

### أخذه عن المفسرين

إنَّ طريقة ابن جنبي في أخذه عن المفسرين أن يذكر المفسرين بالمُعْوم، فيقول: (قال المفسرون)، أو جاء (في التفسير)، أو يذكرهم بالتَّبْعِيض فيقول: (وذهب بعض أهل التفسير)، فلا يُعْرَفُ عن مَنْ أخذ من المفسرين ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأُقْدَامِ﴾ [الرحمن: ٤١] ((جاء في التفسير أنَّها رُزْقَةُ العيون، وسواد الوجوه. ويَشْهَدُ لهذا قوله تعالى: ﴿وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾ [طه: من الآية: ١٠٢])<sup>(٣)</sup>، وعند الرجوع إلى المفسرين الذين عاصروا ابن جنبي، أو الذين سبقوه نجد أنَّ هذا القول هو قول أكثرهم، إذ قال به الطبري وابن أبي حاتم (ت٣٢٧هـ)،

(١)- الخصائص (مقدمة المحقق): ٢٤/ ١ .

(٢)- ينظر: ابن جنبي علم العربية: ٤١ .

(٣)- المحتسب: ١٥٩ / ٢ .

وأبو الليث السمرقندي (ت ٣٧٥هـ)، وابن أبي زمنين (ت ٣٩٩هـ)<sup>(١)</sup>، وبهذا يكون قول ابن جنبي هو قول عامة المفسرين.

ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ﴾ [آل عمران: ٥٢]، قال في باب التفسير على المعنى دون اللفظ: ((ومنه قول المفسرين في قول الله تعالى: ﴿مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ﴾ أي: مع الله، ليس أن (إلى) في اللُّغَة بمعنى (مع) ألا تراك لا تقول: سرت إلى زيدٍ وأنت تريد: سرت مع زيدٍ، هذا لا يُعرف في كلامهم؛ وإنما جاز هذا التفسير في هذا الموضع؛ لأنَّ النَّبِيَّ إذا كان له أَنْصَارٌ فقد انضموا في نُصْرَتِهِ إلى الله، فكأنَّه قال: مَنْ أَنْصَارِي مُنْضَمِّينَ إلى الله؛ كما تقول: زيدٌ إلى خيرٍ وإلى دَعَاةٍ وسِتْرٍ، أي أو إلى هذه الأشياءِ ومُنْضَمِّ إِلَيْهَا، فإذا انضَمَّ إلى الله، فهو معه لا محالة، فعلى هذا فسر المفسرون هذا الموضع))<sup>(٢)</sup>، وهذا التفسير ورد عن الطبري إذ قال: ((وإنَّما حَسُنَ أن يُقال: ﴿إِلَى اللَّهِ﴾، بمعنى: (مع الله)؛ لأنَّ من شأن العرب إذا ضَمُّوا الشيء إلى غيره، ثم أرادوا الخبر عنهما بضمٍّ أحدهما مع الآخر إذا ضَمَّ إليه، جعلوا مكان (مع) (إلى) أحياناً، وأحياناً تُخبر عنهما بـ(مع) فتقول: الذَّوْدُ إلى الذَّوْدِ إبِلٌ، بمعنى: إذا ضَمَّمت الذَّوْدِ إلى الذَّوْدِ صارت إبلاً . فأما إذا كان الشيء مع الشيء لم يقلوه بـ(إلى)، ولم يجعلوا مكان (مع) (إلى)، غير جائز أن يُقال: قَدِمَ فلانٌ وإليه مالٌ بمعنى: (ومعه مالٌ))<sup>(٣)</sup>، وكذلك وَرَدَ عن ابن أبي حاتم، وأبي الليث السَّمْرَقَنْدِيِّ، وابن أبي زَمَنِينَ<sup>(٤)</sup>، ويبدو أنَّ ابن جنبي ومن قبله الطَّبْرِي نظروا إلى سياق الآية ومعناها العام فَوَجَّهَ إليها تفسيريهما.

(١)- ينظر: جامع البيان: ٢٢ / ٢٣١، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم: ٣٠١٣، و بحر العلوم:

٣ / ٣٠٩، وتفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين: ٤ / ٣٣١.

(٢)- الخصائص: ٣ / ٢٦٣، وخرج المحقق الآية على سورة الصف الآية (١٤)، وهذا الجزء من الآية ورد في سورة آل عمران قبل سورة الصف.

(٣)- جامع البيان: ٥ / ٤٣٦.

(٤)- ينظر: تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم: ٦٥٩، و بحر العلوم: ١ / ٢٧٠، وتفسير القرآن العزيز

لابن أبي زمنين: ١ / ٢٩٠.

## أخذه عن اللغويين

الخليل (ت ١٧٥هـ)، وسيبويه (ت ١٨٠هـ) في (الكتاب)

جمعتُ الخليل وسيبويه؛ لأنَّ أكثرَ علمِ الخليل جاءنا عن سيبويه، ومن ذلك تفسيره بعض الآيات، وكان سيبويه ينقل عن الخليل بقوله (سألت الخليل عن قوله تعالى) أو (سألته عن قوله تعالى)، وكذلك ابن جنبي ينقله عن الخليل وسيبويه مجموعين، وقد ينقل عن الخليل منفرداً، وهو موجود في كتاب سيبويه.

يُعدُّ التفسير في كتاب سيبويه من بواكير التفسير اللغوي، وكان لسيبويه الفضل في فتح باب النظر لغويًا في القرآن الكريم من حيث الإعراب والمعاني، وكان لسفره الضخم (الكتاب) أثرٌ كبيرٌ في توجُّه العلماء نحو التفسير اللغوي<sup>(١)</sup>، و((إنَّ غزارة الشواهد القرآنيَّة فيه، وعناية سيبويه بتحليلها وتبيين معانيها يدفعنا إلى اعتبار [كذا] (الكتاب) من المصادر المهيأة للتفسير اللغوي))<sup>(٢)</sup>، وقد كان للخليل الأثر الأكبر في كتاب سيبويه، وإنَّ النقل عن الخليل في (الكتاب) هو الأكثر، ومن ضمن ذلك النقل ما كان متعلِّقًا بتفسير القرآن<sup>(٣)</sup>، وقد نهل ابن جنبي من كتاب سيبويه كثيرًا من فنون اللغة، ومنها التفسير اللغوي، ونقل ابن جنبي عن الخليل وسيبويه في التفسير قليلٌ جدًا لا يتعدى عشرة مواضع<sup>(٤)</sup>، ومن ذلك كلامه على قوله تعالى: ﴿ وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيَكَانَ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيَكَانَهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴾ [القصص: ٨٢] ((والوجه فيه عندنا قول الخليل وسيبويه، وهو أنَّ (وي) على قياس مذهبهما اسم سُمِّيَ به الفعل في الخبر، فكأنَّه اسمُ أعجب، ثم ابتداءً فقال: (كأنَّه لا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ)، و(وي) كأنَّ اللهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ)، ف(كأنَّ) هنا إخبارٌ عارٍ من معنى التشبيه، ومعناه: أنَّ اللهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ، و(وي) مُنْفَصِلَةٌ من (كأنَّ))<sup>(٥)</sup>، وكان سيبويه قد سأل: ((الخليل (رحمه الله تعالى) عن قوله: ﴿ وَيَكَانَهُ لَا

(١)- ينظر: النحو وكتب التفسير: ١ / ١٠١.

(٢)- قضايا اللغة في كتب التفسير: ٥١.

(٣)- ينظر: النحو وكتب التفسير: ١ / ١٠٣.

(٤)- ينظر: الخصائص: ٢ / ٤٧٣، و١١٨/٣، والمحتسب: ١ / ٢٢١، و٢ / ٣٠١.

(٥)- المحتسب: ٢ / ١٥٥، وينظر: الخصائص: ٣ / ٤٠.

يُفْلِحُ ﴿ وعن قوله تعالى جدّه: ﴿ وَيَكَنَّ اللَّهُ ﴾ فَرَعَمَ أَتَاهَا (وي) مَفْصُولَةٌ مِنْ (كَانَ)، والمعنى: وَقَعَ، عَلَى أَنَّ الْقَوْمَ انْتَبَهُوا فَتَكَلَّمُوا عَلَى قَدْرِ عِلْمِهِمْ، أَوْ نُبَّهُوا فَقِيلَ لَهُمْ: أَمَا يُشْبِهُ أَنْ يَكُونَ هَذَا عِنْدَكُمْ هَكَذَا))<sup>(١)</sup>.

ومِمَّا نَقَلَهُ ابْنُ جَنبِيٍّ عَنْ سَيَّبِيئِهِ مَا جَاءَ فِي كَلَامِهِ عَلَى (أَنْ) بِمَعْنَى (أَي) فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ وَانْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنْ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهِتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ ﴾ [ص: ٦] قَالَ: ((وَانْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنْ امْشُوا))، مَعْنَاهُ أَي: امْشُوا. قَالَ سَيَّبِيئِيُّهُ: لِأَنَّهَا لَا تَأْتِي إِلَّا بَعْدَ كَلَامٍ تَامٍ، وَقَوْلُهُ: ﴿ وَانْطَلَقَ الْمَلَأُ ﴾ كَلَامٌ تَامٌ))<sup>(٢)</sup>، وَهَذَا التَّفْسِيرُ بِمَعْنَاهُ عِنْدَ سَيَّبِيئِيِّهِ فِي بَابِ مَا تَكُونُ فِيهِ (أَنْ) بِمَنْزِلَةِ (أَي)، وَنَقَلَهُ عَنِ الْخَلِيلِ أَيْضًا<sup>(٣)</sup>.

ومِمَّا نَقَلَهُ عَنِ الْخَلِيلِ مَنْفَرِدًا مَا جَاءَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ وَلَئِن أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ ﴾ [الروم: ٥١] ((قَالَ الْخَلِيلُ مَعْنَاهَا لَيَظَلُّنَّ فَأَوْقَعَ الْمَاضِي مَوْقِعَ الْمُسْتَقْبَلِ))<sup>(٤)</sup>، وَهَذَا التَّفْسِيرُ نَقَلَهُ سَيَّبِيئِيُّهُ عَنِ الْخَلِيلِ، فَقَالَ: ((وَسَأَلْتَهُ عَنِ قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ وَلَئِن أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ ﴾ فَقَالَ: هِيَ فِي مَعْنَى لَيَفْعَلَنَّ، كَأَنَّهُ قَالَ لَيَظَلُّنَّ، كَمَا تَقُولُ: وَاللَّهِ لَا فَعَلْتُ ذَلِكَ أَبَدًا، تَرِيدُ مَعْنَى لَا أَفْعَلُ))<sup>(٥)</sup>، فَابْنُ جَنبِيٍّ نَقَلَ كَلَامَ الْخَلِيلِ بِالْمَعْنَى، وَعَلَّلَ ابْنُ عَطِيَّةٍ وَقَوَعَ جَوَابَ الشَّرْطِ بِالْفِعْلِ الْمَاضِي بِمَعْنَى الْمُسْتَقْبَلِ؛ بَأَنَّ الْجَزَاءَ لَا يَكُونُ إِلَّا مُسْتَقْبَلًا، لَكِنْ يَسْتَعْمَلُ الْفِعْلُ الْمَاضِي بَدَلِ الْمُسْتَقْبَلِ فِي بَعْضِ الْمَوَاضِعِ تَوْثِيقًا لَوْقَعِهِ<sup>(٦)</sup>.

### الكسائي (ت ١٨٩ هـ)

أَخَذَ ابْنُ جَنبِيٍّ عَنِ الْكَسَائِيِّ فِي مَوَاضِعٍ قَلِيلَةٍ جَدًّا، وَكَانَتْ طَرِيقَةً أَخَذَهُ عَنْهُ أَنْ يَقُولَ: (قَالَ الْكَسَائِيُّ)، أَوْ (ذَهَبَ الْكَسَائِيُّ)، أَوْ (بَرَى الْكَسَائِيُّ)، وَيُعَدُّ الْكَسَائِيُّ مِنْ أَوَائِلِ الْعُلَمَاءِ الَّذِينَ أَلْفَوْا فِي مَعَانِي الْقُرْآنِ، وَقَدْ ذَكَرَ ابْنُ النَّدِيمِ أَنَّ لَهُ كِتَابًا فِي (مَعَانِي

(١) - الكتاب: ٢ / ١٥٤.

(٢) - المحتسب: ٢ / ١٠٣.

(٣) - ينظر: الكتاب: ٣ / ١٦٢.

(٤) - سر صناعة الإعراب: ١ / ٣٩٧.

(٥) - الكتاب: ٣ / ١٠٨.

(٦) - ينظر: المحرر الوجيز: ٤ / ٣٤٣.

القرآن<sup>(١)</sup> هو من الكتب المفقودة، فقد يكون ابن جنبي نقل عنه، ومما نقله عنه ما ذكره في قوله تعالى: ﴿ وَيَكَاَنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴾ [القصص: من الآية: ٨٢] في كلامه على ﴿ وَيَكَاَنَّهُ ﴾، قال: ((وقال الكسائي: أراد ويلك، ثم حذف اللام))<sup>(٢)</sup>، ومن ذلك أيضاً ما جاء في قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ﴾ [الكهف: من الآية: ٧١]، فذكر أن الكسائي ذهب إلى أن ((معناه: شيئاً داهياً منكرًا عجباً، واشتقَّ له من قولهم أمرَ القوم: إذا كثروا))<sup>(٣)</sup>، وأخذه عنه لا يتعدى خمسة مواضع<sup>(٤)</sup>.

### الفراء (ت ٢٠٧ هـ) (معاني القرآن)

تُعدُّ كُتُبُ معاني القرآن من أهمِّ كُتُبِ التفسير اللغوي، وهي من المؤلفات الصريحة في تفسير القرآن لغويًا، و(معاني القرآن) للفراء أحد مصادر ابن جنبي التي اعتمدها، وقد تنوع في الأخذ منه مما له صلة بالتفسير والمعنى، أو ليس له صلة كرواية القراءات، ويُمكن إجمال الأخذ عنه بنقطتين:

١- كان كثيرًا ما يروي عنه القراءات، ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿ وَذَلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾ [الأحقاف من الآية: ٢٨] ((حكى الفراء فيها قراءة أخرى، وهي (وَذَلِكَ أَفْكُهُمْ)، وقال فيه: الإفكُ والأفكُ، كالجذرِ والحذرِ))<sup>(٥)</sup>، ونصُّ هذا حرفًا بحرف عند الفراء<sup>(٦)</sup>، وهذا ليس له صلة بالتفسير اللغوي.

٢- كان ابن جنبي في ما ينقله عن الفراء ناقدًا له، ومُفندًا لرأيه، في تفسيره اللغوي، وقد تقدّم ذكر أمثلة ذلك في نقده للفراء<sup>(٧)</sup>، وهذا النوع هو الذي يدخل في تفسير الفراء اللغوي.

(١)- ينظر: الفهرست لابن النديم: ١ / ١٩٦.

(٢)- ينظر: الخصائص: ٣ / ١٧٠.

(٣)- ينظر: سر صناعة الإعراب: ٢ / ٦٢٣.

(٤)- ينظر: المحتسب: ٢ / ١٦، وسر صناعة الإعراب: ٢ / ٦٠٥.

(٥)- المحتسب: ٢ / ٢٦٨، وينظر: ١ / ٥٩، و ٦١، و ٣٤٦.

(٦)- معاني القرآن للفراء: ٣ / ٥٦.

(٧)- ينظر الرسالة: ٦٧.

ومما نقله عنه في بيان معاني الألفاظ في قوله تعالى : ﴿ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ ﴾ [سبأ: من الآية: ١٤]، نقل عن الفراء أن (المنسأة) هي: العصا العظيمة تكون مع الراعي، وهي من سئة القوس<sup>(١)</sup>، وهذا الكلام قاله الفراء في معاني القرآن إلا أنه قال إنها من نسأت البعير<sup>(٢)</sup>، وأخذ ابن جنبي عن الفراء في أكثر من عشرة مواضع<sup>(٣)</sup>.

### أبو عبيدة (ت ٢١٠هـ) (مجاز القرآن)

لئن كان القرآن في كتاب سيبويه شاهداً تستدعيه أبواب اللغة والنحو عنده فيعرض له بالتفسير، فإن أبا عبيدة حمل لواء التفسير اللغوي، إذ إنه كان مفسراً لغوياً وأديباً، فكان تفسيره للقرآن قصداً لا عرضاً، وكانت اللغة وفنونها أكثر أدوات تفسيره التي استعملها في كتابه<sup>(٤)</sup>، وكان (مجاز القرآن) أحد المصادر التي استقى منها ابن جنبي تفسيره اللغوي، وأكثر نقله عنه لبيان معاني الألفاظ، واتبع في نقله عنه طريقتين الأول: بأن يقول قال أبو عبيدة، وكأنه يأخذ نقلاً عن كتابه، والآخر أن يأخذ عنه رواية عن شيخه فيقول: أخبرنا أو حدثنا أبو علي بإسناده عن أبي عبيدة، أو يقول: (أخبرنا أبو علي بإسناده عن يعقوب قال: قال أبو عبيدة)، أو غيرها من الألفاظ<sup>(٥)</sup>، ومن ذلك ما جاء في كلامه على قوله تعالى: ﴿ عُرْبًا أَتْرَابًا ﴾ [الأنبياء: ٣٧، ٣٨]؛ لأن (المرأة قد تُوصَف بالحياء والخفر، فكذلك أيضاً قد تُوصَف بتغرلها ودمانة حديثها، ألا ترى إلى قول الله سبحانه: ﴿ عُرْبًا أَتْرَابًا ﴾ [الأنبياء: ٣٧، ٣٨]؛ وأن العروب في التفسير هي المتحبة إلى زوجها المظهرة له ذلك؛ بذلك فسره أبو عبيدة، وهذا لا يكون مع الصمت، وحذف أطراف

(١)- ينظر: المحتسب: ٢ / ١٨٧.

(٢)- ينظر: معاني القرآن للفراء: ٢ / ٣٥٦.

(٣)- ينظر: الخصائص: ٢/٤٦١، و٣/٦٥، وسر صناعة الإعراب: ١/٤٠٦، المحتسب: ١/٢٤٠، و٢٩٢، و٣١١.

(٤)- ينظر: قضايا اللغة في كتب التفسير: ٥٣، و٥٦.

(٥)- ينظر: سر صناعة الإعراب: ٢/٦٠٨، و٥، و٧٦.

القول، بل إنَّما يكون مع الفكاهة والمداعبة<sup>(١)</sup>، وهذا التفسير ورد بمعناه عند أبي عبيدة، إذ إنَّه قال: ((عُرْبًا)) واحدا عَرُوب وهي الحَسَنَةُ النَّبُّعِل، قال لبيد:

وفي الحُدُوجِ عَرُوبٌ غَيْرُ فَاحِشَةٍ رِيًّا الرَّوَادِفِ يَعْشَى دُونَهَا الْبَصْرُ<sup>(٢)</sup>.

وكون العَرُوب هي الحَسَنَةُ النَّبُّعِل، والعَاشِقَةُ لِزَوْجِهَا، هو أكثر ما عليه مفسرو غريب القرآن، فهي من الغريب عندهم<sup>(٣)</sup>، إلَّا أنَّ ابن جنبي انفرد بكون العَرُوب هي الحَسَنَةُ النَّبُّعِل، مع شيء من الفكاهة والمداعبة، وتجادب أطراف الحديث واستشهد لهذا المعنى المضاف ببيت الشَّمَاخ: ((

ولو أَنِّي أَشَاءُ كُنْتُ جَسْمِي إِلَى بَيْضَاءَ بَهْكَنَةٍ<sup>(٤)</sup> شَمُوعِ

قيل فيه: الشَّمَاخ: هي المَزَاخ والمداعبة<sup>(٥)</sup>، وقال مكِّي بن أبي طالب: ((عُرْبًا)) ضواحك<sup>(٦)</sup>. وممَّا نقله رواية عن أبي عبيدة ما جاء في كلامه على قوله تعالى: ((حَتَّى حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ)) [الأحقاف: من الآية: ١٥]، قال: ((فمذهب سيبويه فيه أنَّه جمع (شِدَّة) قال: ومثاله (نِعْمَةٌ وَأَنْعُمٌ) وحدثنا أبو علي أنَّ أبا عبيدة ذهب إلى أنَّه جمع (أشَدَّ) على حذف الزيادة، قال: وقال أبو عبيدة: ورُبَّمَا استكروها في الشَّعْر على حذف الزيادة، وأنشد لعنترة:

عَهْدِي بِهِ شَدَّ النَّهَارِ كَأَنَّمَا خُضِبَ اللَّبَانُ وَرَأْسُهُ بِالْعِظْمِ<sup>(٧)</sup>)).

وتكلَّم أبو عبيدة على لفظ (أشُدَّهُ) في ثلاثة مواضع مختلفة لورود اللفظ في أكثر من آية، إذ تكلَّم عليه في سورة يوسف، والإسراء، والقصاص، وقال في كلامه على سورة

(١)- الخصائص: ١ / ٣١.

(٢)- مجاز القرآن: ٢ / ٢٥١، وينظر البيت في ديوان لبيد: ٣٨.

(٣)- ينظر: تفسير غريب القرآن: ٤٤٩، والغريبين: ٤ / ١٢٤٥، وتفسير المشكل من غريب القرآن: ٣٣٧، والتبيان في تفسير غريب القرآن: ٣١١.

(٤)- البَهْكَنَةُ: امرأة ذات شباب، خفيفة الروح طيبة الرائحة، ينظر: لسان العرب: ٦٠/١٣، (بهكن).

(٥)- الخصائص: ١ / ٣٢، وينظر البيت في ديوان الشَّمَاخ: ٢٢٣، وروايته فيه: (ولو أَنِّي أَشَاءُ كُنْتُ جَسْمِي إِلَى لَبَاتِ هَيْكَلَةِ شَمُوعِ).

(٦)- العمدة في غريب القرآن: ٢٩٨.

(٧)- سر صناعة الإعراب: ٢ / ٦٠٩، وينظر البيت في ديوان عنتره: ٢١٣.

الإسراء: (( حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ )) [الإسراء: من الآية: ٣٤] مجازه: مُنتَهاه من بُلُوغِه، ولا واحد له منه، فإن أَكْرَهُوا على ذلك قالوا: أَشَدَّ، بمنزلة صَبَّ والجميع أَضْبَّ<sup>(١)</sup>، والذي عليه أبو عبيدة أَنَّ (أَشُدَّهُ) جمع لا واحد له من لفظه<sup>(٢)</sup>، ونقل أبو عبيدة عن الفراء والكسائي (ت ١٨٩هـ) وجه آخر إذ (( قال الفراء والكسائي: واحدُ الأَشُدِّ : شُدَّ على فُعل وأفعل ، مثل بَحْرٍ وأُبْحُرُ ))<sup>(٣)</sup>، أي أَنَّ أبا عبيدة لم يقل أَنَّ (أَشُدَّهُ) جمع (أَشَدَّ) كما روى ابن جنبي، بل رواه عن غيره على الإكراه - والله أعلم - واخذ ابن جنبي عن أبي عبيدة في عشرة مواضع<sup>(٤)</sup>.

### الأخفش (ت ٢١٥هـ) (معاني القرآن)

يُعَدُّ (معاني القرآن) للأخفش من أهمِّ مصادر ابن جنبي في تفسيره، فقد نقل عنه في مواضع كثيرة، وكان شديد الإعجاب فيما يَنقُلُه عن الأخفش، وقد صرَّح بإعجابه هذا في غير موضع، وكان فوق ذلك يَبْنِي أحيانًا على ما أسَّسه الأخفش من تفسير وتقدير، وممَّا نقله عنه في قوله تعالى: ﴿ قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ﴾ [الحجر: ٤١]، ((قال أبو الحسن في قراءة الجماعة: ﴿ قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ﴾: هو كقولك: الدلالة اليوم عَلَيَّ، أي: هذا صراطٌ في ذِمَّتِي وتحت ضماني، كقولك: صحَّة هذا المال عَلَيَّ، وتَوْفِيَّة عِدَّتِهِ عَلَيَّ، وليس معناه عنده أَنَّهُ مستقيم عَلَيَّ، كقولنا: قد استقام عَلَيَّ الطريق، واستقر عَلَيَّ كذا، وما أحسن ما ذهب إليه أبو الحسن فيه!))<sup>(٥)</sup>، وورد هذا عن الأخفش في معناه، معناه، إذ قال: (( قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ﴾ يقول: عليّ دِلَالَتُهُ. نحو قول العرب (عَلَيَّ الطَّرِيقُ اللَّيْلَةُ) أي: عَلَيَّ دِلَالَتُهُ))<sup>(٦)</sup>، وابن جنبي في نقله عن الأخفش كان مؤيدًا وموافقًا له في تفسيره اللُّغوي.

(١) - مجاز القرآن: ١ / ٣٧٨.

(٢) - ينظر: مجاز القرآن: ١ / ٣٠٥، و ٢ / ٩٩.

(٣) - مجاز القرآن: ٢ / ٩٩.

(٤) - ينظر: الخصائص: ١ / ٨٦، و ٣ / ١٨٨، وسر صناعة الإعراب: ٢ / ٧٦٨، والفسر: ١ / ٩٢٢،

٩٢٢، و ٢ / ٤٦٧، والمحتسب: ٢ / ٥٩، و ٦٨.

(٥) - المحتسب: ٢ / ٣ - ٤.

(٦) - معاني القرآن للأخفش: ٢ / ٤١٣.

ومِمَّا نقله وحذا فيه حذوه ما ذكره في سورة الناس إذ قال: ((وذهب أبو الحسن في قول الله سبحانه: ﴿ مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ﴾ الَّذِي يُوسُّوسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ﴿ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ﴾ [الناس: ٤، ٥، ٦] إلى أنه أراد: مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ الَّذِي يُوسُّوسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ. ومنه قول الله عزَّ اسمه ﴿ اذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴾ [النمل: ٢٨] أي اذهب بكتابي هذا، فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ، ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ. وقيل في قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ﴾ [المجادلة: من الآية: ٣] إنَّ تقديره: والذين يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ، ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا. ونحو من هذا ما قَدَّمْنَا ذكره من الاعتراض في نحو قوله تعالى: ﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ﴾ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴾ [ الواقعة : ٧٥، ٧٦، ٧٧] تقديره - والله أعلم- فلا أقسم بمواقع النجوم إنَّه لقرآن كريم، وإنَّه لقسم عظيم لو تعلمون))<sup>(١)</sup>، فابن جنبي بنى تفسيره على تفسير الأخفش في سورة الناس، إذ قال الأخفش: ((وقوله: ﴿ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ﴾ يريد: مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ، و(الجنَّة) هم: الجن))<sup>(٢)</sup>، وكلام الأخفش نقله ابن جنبي بالنص، وساق الآيات للاستشهاد بالفصل بين المضاف والمضاف ، وهو كثير كما عبَّر عنه<sup>(٣)</sup>، وأخذ ابن جنبي عن الأخفش في أكثر من خمسين موضعاً<sup>(٤)</sup>.

#### المبرد (ت ٢٨٥هـ)

أخذ ابن جنبي عن المبرد في مواضع قليلة جداً، وكان أخذه عنه إمَّا رواية أو نقلًا، كأنَّ يقول أجاز أبو العباس محمد بن يزيد، أو اختار محمد بن يزيد<sup>(٥)</sup>، وبعض نقل ابن جنبي عن المبرد ليس له وجود في كتبه المطبوعة، إذ إنَّ للمبرد كتبًا كثيرة أحصاها بعض

(١)- الخصائص: ٢ / ٤١٠.

(٢)- معاني القرآن للأخفش: ٢ / ٥٩٠.

(٣)- الخصائص: ٢ / ٤٠٩.

(٤)- ينظر: المحتسب: ١ / ٤٤، و٩٨، و١٣٥، و١٩٢ و ٢ / ٣، و٤٨، و١٦٤، وسر صناعة الإعراب: ١ / ٣٥، و١٣٨، و٣١٣، والخصائص: ١ / ٢٩٣، و٢ / ٤١٠، و٤٥٤.

(٥)- ينظر: المحتسب: ٢ / ٢١٧، و ٣٠٠.

المحققين، وكان عددها أربعة وخمسين كتابًا، ومنها كتاب بعنوان (معاني القرآن)<sup>(١)</sup>، لم يصل إلينا، وأرجح أن يكون الأخذ منه، ومِمَّا أخذه رواية ما جاء في كلامه على قوله تعالى: ﴿فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ﴾ [الصفات: ٩٣] إذ قال: ((حدثنا أبو علي قال: أخبرنا أبو بكر محمد بن السريُّ أنَّ أبا العباس محمد بن يزيد، قال في قوله عزَّ وجلَّ ﴿فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ﴾، قال: بالحلف الذي هو قوله تعالى: ﴿وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ﴾ [الأنبياء: من الآية: ٥٧]، وقيل: باليمين التي هي خلاف اليسار، وقيل: بالقوة<sup>(٢)</sup>)، وهذا النص ليس له وجود في كُتُب المبرد المطبوعة، وهناك مواضع أخرى نقل فيها ابن جنبي عن المبرد سيأتي ذكر بعضها<sup>(٣)</sup>.

### ثعلب (ت ٢٩١ هـ)

أخذ ابن جنبي عن ثعلب في مواضع كثيرة، وكان أخذه عنه إمَّا رواية أو نقلًا، أو يقول: (من جهة أحمد بن يحيى)<sup>(٤)</sup>، وبعض نقل ابن جنبي ليس له وجود في كتب ثعلب المطبوعة، وقد يكون نقل ابن جنبي عن كتب ثعلب المفقودة، وقد أحصى عبد السلام هارون في تحقيقه لـ(مجالس ثعلب) اثنين وأربعين كتابًا له، ومنها ما قد خصصه للقرآن كـ(معاني القرآن) و(إعراب القرآن) و(غريب القرآن)<sup>(٥)</sup>، وقد قرَّض ابن جنبي ثعلبًا في مواضع، فأثنى عليه وردَّ عنه في موضعين: أحدهما في ردِّه على ابن درستويه إذ قال: ((ورأيت أبا محمد بن درستويه قد أنحى على أحمد بن يحيى في هذا الموضع [أي القول المرذول والتصريف الفاسد] من كتابه الموسوم بشرح الفصيح، وظلمه وغصبه حقه، والأمر عندي بخلاف ما ذهب إليه ابن درستويه في كثير ممَّا ألزمه إياه، وما كنت أراه بهذه المنزلة، ولقد كنت أعتقد فيه الترفع عنها وإن كان من أصحابي وقائلًا بقول مشيخة البصريين في غالب أمره، وكان أحمد بن يحيى كوفيًّا قلبًا فالحق أحقُّ أن يتبع أين حلَّ وحيث صقع<sup>(٦)</sup>)، فابن جنبي في هذا الموضع ردَّ ابن درستويه وإن كان بصريًّا؛ لأنَّ الحق

(١)- ينظر: المذكر والمؤنث: ٥٨.

(٢)- الفسر: ٢ / ٦٠٣ - ٦٠٤.

(٣)- ينظر: الخصائص: ٣٧٦، والمنصف: ٣ / ٢، والرسالة: ١١٥.

(٤)- ينظر: المحتسب: ١ / ٢١٦، و ٢ / ٦٥.

(٥)- ينظر: مجالس ثعلب: ١٨ - ٢٢.

(٦)- ينظر: سر صناعة الإعراب: ٢ / ٥٦٨.

الحق كان مع ثعلب في ما أخذه عليه ابن درستويه، أمّا الموضع الآخر، فقد قال في باب صدق النقلة وثقة الرواة والحملة: ((ولله أبو العباس أحمد بن يحيى وتقدّمه في نفوس أصحاب الحديث ثقة وأمانة وعصمة وحصانة، وهم عيار هذا الشأن وأساس هذا البنيان))<sup>(١)</sup>، وفي هذا الموضع مدح وثناء صريح على ثعلب، لكنّه نمّه في موضع واحد في قوله بزيادة الباء في (زغذب) ورماه بالتعجرف وسوء الاعتقاد بقوله هذا من كون الباء زائدة في (زغذب)<sup>(٢)</sup>، وهذا التحامل من ابن جنبي على ثعلب بهذه الألفاظ غريب!

وكان أكثر نقل ابن جنبي عن ثعلب في بيان معاني الألفاظ، ومن ذلك ما جاء في كلامه على قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ﴾ [الكهف: من الآية: ٥٠] قال: ((أخبرنا محمّد بن الحسن عن ثعلب، قال: في قوله تعالى: ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ﴾، (الجنُّ) صنفٌ من الملائكة، وكلُّ ما استتر سُمّي جنًّا))<sup>(٣)</sup>، وقد ورد هذا التفسير حرفاً بحرف عن ثعلب في مجالسه إذ قال: ((الجنُّ صنفٌ من الملائكة، وكلُّ ما استتر سُمّي جنًّا))<sup>(٤)</sup>، ومن ذلك ما نقله عنه في قوله تعالى: ﴿إِنكُمْ إِنْكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٨] على قراءة ابن عبّاس (حَصَب) بالضاد، إذ قال: ((أمّا الحَصَبُ بالضاد مفتوحة، وكذلك بالصاد غير معجمة فكلاهما الحطب، ففيه ثلاث لغات: حَطَبٌ وحَصَبٌ وحَصَبٌ، وإنّما يقال: حَصَبٌ إذا أُلقي في التنور والموقد، فأما ما لم يُسْتَعْمَل فلا يقال له: حَصَبٌ، وقال أحمد بن يحيى: أصل الحَصَبُ الرمي، حطبًا كان أو غيره، فهذا يؤكد ما ذكرناه من كونه المرمي في النَّار))<sup>(٥)</sup>، وهذا التفسير المنقول عن ثعلب لا يوجد في كتبه المطبوعة، ونقله عنه غلامه غلامه أبو عمر الزّهد (ت ٣٤٥هـ) في (ياقوتة الصراط في تفسير غريب القرآن) إذ قال: حدثنا ((ثعلب عن الأعرابي قال: العرب تقول هذا حَصَبُ النَّارِ وحَصَبُهَا وحَطَبُهَا كُلُّهُ

(١) - ينظر: الخصائص: ٣ / ٣١٣.

(٢) - ينظر: سر صناعة الإعراب: ١ / ١٢٢.

(٣) - الفسر: ٣ / ٧٠.

(٤) - مجالس ثعلب: ١٤٦.

(٥) - المحتسب: ٢ / ٦٧.

بمعنى واحد وهو ما تأكله النار ((<sup>(١)</sup>)، وابن جنبي نقل ذلك بالمعنى. وأخذ ابن جنبي عن ثعلب في أكثر من خمسة وعشرين موضعاً<sup>(٢)</sup>.

### الزجاج (ت ٣١١هـ)

كان كتاب معاني القرآن وإعرايه للزجاج من المصادر التي اعتمدها ابن جنبي في تفسيره اللغوي، وأكثر أخذه عنه كان فيه راداً عليه كما بيّنت ذلك سابقاً<sup>(٣)</sup>، ومن أخذه عنه ما جاء في كلامه على قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ﴾ [الأعراف: من الآية: ٥٧] على قراءة أبي عبد الرحمن (بشراً) بفتح الباء وسكون الشين، إذ قال: ((والبشارة: حسن البشارة، قال أبو إسحاق: قيل لما يُفرح به بشارة؛ لأنَّ الإنسان إذا فرح حسنت بشرته))<sup>(٤)</sup>، وقول الزجاج لم يكن في معنى القراءة بل كان في معنى لفظ (البشارة)، وعرض الزجاج إلى لفظ (البشارة) في أكثر من موضع وبين معناه بحسب سياق الآية، وقال في المعنى الذي نقله ابن جنبي عنه: ((فمعنى يُبشرك، ويُبشرك: البشارة، ومعنى يُبشرك يبشرك ويُبشرك. يقال بَشَرْتُ الرَّجُلَ أَبَشَرَهُ وَأَبَشُرُهُ إِذَا أَفْرَحْتَهُ، وَيُقَالُ بَشَرَ الرَّجُلَ يَبْشُرُهُ))<sup>(٥)</sup>. ومن ذلك أيضاً ما ذكره في قوله تعالى: ﴿ يَدْعُو لَمَنْ ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ ﴾ [الحج: من الآية: ١٣] إذ قال: ((وذهب أبو إسحاق في قوله جل ثناؤه: ﴿ يَدْعُو لَمَنْ ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ ﴾ إلى أنَّ التقدير: يدعو مَنْ لَضَرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ، قال ففدّمت اللام عن موضعها، وحكى هذا القول عن البصريين والكوفيين جميعاً، وهذا عندنا على إجماع الكافة عليه في ما حكاه أبو إسحاق غير جائز ولا مرضي، وقد أنكره أبو علي، وذهب في فساده إلى أنَّ اللام على هذا التقدير من صلة (من)، ومحال أن تتقدّم الصلة أو شيء منها على الموصول))<sup>(٦)</sup>، وهذا النصُّ قاله الزجاج عن البصريين والكوفيين مع خلاف يسير، إذ قال: (( قال البصريون والكوفيون: اللام معناها التأخير، المعنى يدعو

(١) - ياقوتة الصراط في غريب القرآن: ٣٦٥.

(٢) - ينظر: المحتسب: ١/ ٢٥٧، و٢/ ٢١٥، و٢/ ٥٢، و٥، و٦٥، و١٣٠، و٢/ ٢٢٢، و٣٢٠، والفسر: ١/ ٢٤، و٨، و٩٢٣، و٢/ ١١، و٣/ ٧٠، وتفسر أرجوزة أبي نواس: ٨٤، والتتبيه: ١٦٣.

(٣) - الرسالة: ٦٩.

(٤) - المحتسب: ١ / ٢٥٦.

(٥) - معاني القرآن وإعرايه: ١ / ٤٠٥.

(٦) - سر صناعة الإعراب: ١ / ٤٠١.

من لَصْرُهُ أَقْرَبُ من نَفْعِهِ ولم يُشْبِعُوا الشرح، ولا قالوا من أين جاز أن تكون اللّام في غير مَوْضِعِهَا. وشرح ذلك أن اللّام لليمين والتوكيد، فحقها أن تكون في أول الكلام فقدمت لِتُجْعَلَ في حقها ، وإن كان أصلها أن تكون في (لَصْرُهُ) كما أن لام (إن) حقها أن تكون في الابتداء، فلمّا لم يجز أن تلي (إن) جُعِلَتْ في الخبر في مثل قولك: إن زيدًا لقائمٌ، ولا يَجُوزُ (إنّ لَزِيدًا قائمٌ)، فإذا أمكن أن يكون ذلك في الاسم كان ذلك أجود الكلام، تقول إن في ذلك لآية، فهذا قول<sup>(١)</sup>. ولابن جنبي والزجاج كلام طويل على الآية، ووجوه متعددة ليس محلها هنا، وأخذ ابن جنبي عن الزجاج في أكثر من عشرة مواضع<sup>(٢)</sup>.

### أبو علي الفارسي (ت ٣٧٧هـ)

صَحِبَ ابن جنبي أبا علي الفارسي مدّةً من الزمن طويلة، فدرس عليه أكثر علوم اللّغة وفنونها، ومنها التفسير اللّغوي، والعلاقة بين ابن جنبي وشيخة علاقة وطيدة سببها مسألة علمية في الصرف سألتها أبو علي ابن جنبي فوجده مقصرًا فقال له: زببت ولم تُحَصِّرِم<sup>(٣)</sup>، وقد عَرَضَ رحيم جمعة علي في أطروحته للعلاقة بين ابن جنبي وأبي علي الفارسي بشيء من التّفصيل فلا حاجة بنا للإعادة<sup>(٤)</sup>، وأخذ ابن جنبي عن أبي علي في مواضع كثيرة جدًّا، وتعدّدت طرائق أخذه عنه ومنها:

١- أن يعرض عليه بعض الآيات يطلب رأيه فيها، أو يندّراساها فيما بينهما، ومن ذلك ما ذكره في قوله تعالى: ﴿وَلَنْ يَنْفَعَكُمْ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنْتُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾ [الزخرف: ٣٩]، إذ قال: ((طاولت أبا علي (رحمه الله تعالى) في هذا، وراجعتُه فيه عودًا على بدء، فكان أكثر ما برد منه في اليد أنّه لمّا كانت الدار الآخرة تلي الدار الدنيا لا فاصل بينهما إنّما هي هذه فهذه، صار ما يقع في الآخرة كأنه واقع في الدنيا، فلذلك أجرى اليوم وهو الآخرة مجرى وقت الظلم وهو قوله ﴿إِذْ ظَلَمْتُمْ﴾ ووقت الظلم إنّما كان في الدنيا. فإن لم تفعل هذا وترتكبه بقي ﴿إِذْ ظَلَمْتُمْ﴾ غير متعلّق بشيء؛ فيصير ما قاله أبو علي إلى أنّه

(١)- معاني القرآن وإعرابه: ٣ / ٤١٥.

(٢)- ينظر: المحتسب: ٤٠/١، و١٨٨ / ٢، وسر صناعة الإعراب: ٣١٤ / ١، و٤٠٤، و٦٥٦/٢، والخصائص: ٢ / ٢٨٧، والخطريات: ٢ / ٢١٧.

(٣)- نزهة الألباء: ٢٤٥.

(٤)- أبو علي الفارسي في مصنفات ابن جنبي: ٨ - ١٥ (أطروحة).

كأنه أبدل ﴿ إِذْ ظَلَمْتُمْ ﴾ من ﴿ الْيَوْمَ ﴾ أو كرّره عليه وهو كأنه هو<sup>(١)</sup>، ولا ابن جنبي في الآية كلام طويل ذكرت منه ما عرضه على أبي علي الفارسي، ومن ذلك أيضاً ما ذكره في قوله تعالى: ﴿ فَادْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ﴾ [البقرة: من الآية: ٢٠٠] إذ قال: ((وكانه قال - والله أعلم - أو ذكراً أشد ذكراً، فجعل للذكر ذكراً مبالغاً، وذاكرت أبا علي (رحمه الله) بهذه الآية فأخذ ينظر فيها مستأنفاً للنظر ويردّد من القول ما دلّني إنّه لم يكن قدّم فيها فيما قبل نظراً فعجبت من ذلك مع كثرة بحثه وطول مزاولته. فأُن قلت فهلاً كان تقديره عندك: (فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو ذكراً أشد) ثم قدّم وصف النكرة عليها فنصب على الحال منها، كقوله من الوافر:

لَمِيَّةٌ مُوحِشًا طَلَّلَ قَدِيمٌ عَفَاهُ كُلُّ أَسْحَمٍ مُسْتَدِيمٌ

قيل إن هذا باب ذكره سيبويه إنّه قلما يجيء في الكلام، وأكثر ما يجيء في الشعر، وما كانت هذه حاله لم يحسن حمل التنزيل عليه<sup>(٢)</sup>.

٢- أن يروي عنه مباشرة، كأن يقول: (حدثنا أبو علي)، ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ ﴾ [الصافات: ٩٣]، قال ابن جنبي: ((حدثنا أبو علي سنة إحدى وأربعين قال: في قول الله - جلّ اسمه- ﴿ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: باليمين التي هي خلاف الشمال، والآخر باليمين التي هي للقوة. والثالث باليمين التي هي قوله: ﴿ وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ ﴾ [الأنبياء: من الآية: ٥٧] فإن جعلت يمينه من قوله: ﴿ مَطْوِيَّاتٍ بِيَمِينِهِ ﴾ [الزمر: من الآية: ٦٧] هي الجارحة مجازاً وتشبيهاً كانت الباء هنا ظرفاً، أي مطويات في يمينه وتحت يمينه. وإن جعلتها القوة لم تكن الباء ظرفاً؛ لكنّها تكون حرفاً، معناه الإصاق والاستعانة به، على التشبيه بما يُسْتَعَانُ به؛ كقولهم: ضَرَبَ بالسيف، وقطع بالسكين وحفر بالفأس. هذا هو المعنى الظاهر وإن كان غيره جائزاً على التشبيه والسعة<sup>(٣)</sup>، وهذا التفسير قاله أبو علي في (الحلييات) وكذلك في (الإغفال) إذ قال: ((وقد فسّر قوله: ﴿ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ ﴾ أنّه بالقوة، وقيل:

(١)- الخصائص: ٢ / ١٧٢.

(٢)- التمام: ٩٢، وينظر البيت في ديوان كثير عزة: ٥٣٦.

(٣)- الخصائص: ٣ / ٢٤٩ - ٢٥٠.

باليامين التي حلفها في قوله: ﴿وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ﴾، وقيل: (الجارحة)<sup>(١)</sup>، فابن جنبي نقل كلام شيخه بالنص تقريباً مع تقديم وتأخير يسير.

٣- أن ينقل عنه بالقول، فيقول: (قال أبو علي)، وهو أكثر أسلوب استعمله في النقل عن أبي علي<sup>(٢)</sup>، أو ينقل عنه في أثناء كلامه على تفسير آية بأن يقول (وكان أبو علي يقول)، ومن ذلك ما ذكره في قوله تعالى: ﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى﴾ [طه: ١٥] إذ قال: ((فمن ذلك قراءة من قرأ: (أُخْفِيهَا). قالوا: معناه أظهرها. قال أبو علي: الغرض فيه أزيل عنها خفاءها، وهو ما تُلف فيه القرية ونحوها: من كساء، وما يجري مجراه))<sup>(٣)</sup>، ولم أجد هذا التفسير في أي من كتب أبي علي الفارسي، ومن ذلك أيضاً ما ذكره في قوله تعالى: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ [البقرة: من الآية: ١٨٥] إذ قال: ((أي: من شهد الشهر منكم صحيحاً بالغاً في مصرٍ فليصمه. وكان أبو علي - رحمه الله - يرى أن نصب (الشهر) هنا إنما هو على الظرف، ويذهب إلى أن المفعول محذوف، أي: فمن شهد منكم المصر في هذا الشهر فليصمه. وكيف تصرفت الحال فلا بُدَّ من حذف))<sup>(٤)</sup>، وهذا قاله أبو علي في (الحجة)، إذ حمل الآية على حذف المفعول به، ونصب (الشهر) على أنه ظرف<sup>(٥)</sup>، وهناك طرائق أخرى للنقل عن أبي علي كأن يقول (سألت أبا علي) أو (قرأت على أبي علي) وغيرهما<sup>(٦)</sup>.

أخذه عن كتب في توجيه القراءات

قطرب (ت ٢١٠هـ)

يُعدُّ كتاب قطرب في القراءات من أهم الكتب التي اعتمدها ابن جنبي في تفسيره وتوجيهه للقراءات، إذ إن كتاب قطرب وضعه لتوجيه القراءات وتفسير معانيها، وقد توسع فيه، وكان فيه تفسير لبعض القراءات وتبيين لمعاني الألفاظ كما نقل عنه ابن جنبي، وقد

(١) - المسائل الحلبيات: ٢٩، وينظر: الإغفال: ٢ / ١٨٨.

(٢) - ينظر: المحتسب: ١ / ٩٥، و ٢ / ٤٧، و ٢٣٠.

(٣) - المحتسب: ٢ / ٤٧.

(٤) - الخصائص: ٢ / ٣٧٣.

(٥) - ينظر: الحجة للقراء السبعة: ١ / ٣٤.

(٦) - ينظر: المحتسب: ١ / ١٨٩، وسر صناعة الإعراب: ٢ / ٧٥٨.

أشار في مقدّمة المُحتَسَب إلى أنّه اعتمد على كتاب قطرب<sup>(١)</sup>، فكان يشير إليه في غير موضع وسمّاه أو وصفه بكتاب قطرب الكبير إذ قال: ((وروينا عن قطرب في كتابه الكبير))<sup>(٢)</sup>، ولا يتّضح لنا إن كان الكتاب اسمه (الكتاب الكبير) أو كان لفظ الكبير وصفاً له، وقد جمع خضير حسين (جهود قطرب في معاني القرآن وإعرابه) فعَدَّ (الكتاب الكبير) من الكتب التي لم يذكرها الذين حققوا كتب قطرب، وقال: ((فإذا لم يكن هذا الكتاب بهذا الاسم (اعني الكتاب الكبير) فمن الرَّاجح أن يكون هو: معاني القرآن؛ لأنّ هذا الكتاب يُعنى بالقراءات، ومعاني القرآن يعنى بذلك. زد على ذلك أنّ كتاب معاني القرآن قد أثنى عليه أصحاب التّراجم فمثلاً قال حاجي خليفة: وعليه اعتماد القُراء ولم يُسبق إلى مثله))<sup>(٣)</sup>، ولم يكن خضير حسين مصيباً في ترجيحه، إذ إنّ ابن جنبي صرّح أنّه كتاب في القراءات الشّاذّة إذ قال: ((وروينا أيضاً في كتاب أبي محمد بن المستنير قُطْرُب من هذه الشواذ صدراً كبيراً))<sup>(٤)</sup>، وقول خضير حسين: إنّ الكتاب الكبير يُعنى بالقراءات، ومعاني القرآن يُعنى بذلك، لا يُحتمّ أن يكون العنوانان لِكِتَابٍ واحدٍ، إذ إنّ بعضاً ممّن عاصر قطرب أو جاء بعده لهم كُتُب في القراءات، وكتب في معاني القرآن وإعراب القرآن، ومنهم ابن خالويه (ت ٣٧٠هـ)، وأبو علي الفارسي، فله كتاب في القراءات السبعة، وله كتاب في معاني القرآن يعرف بـ(الإغفال) وهو في مسائل مُصَلَّحة يرويها عن الزجاج في كتابه (معاني القرآن وإعرابه)، وعليه يكون الكتاب الكبير كتاباً في القراءات سواء كان (الكتاب الكبير) اسماً له أو وصفاً، غير كتاب معاني القرآن.

وكان نقل ابن جنبي عن قطرب يأخذ أسلوب الرواية عن كتابه فيقول: (روينا عن قطرب في كتابه) أو (روينا عن قطرب)<sup>(٥)</sup>، وكان أكثر أخذه عنه في تفسير الألفاظ القرآنية، ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا ﴾ [آل عمران: من الآية: ١٥٤] بتسكين الميم من ﴿ أَمَنَةً ﴾ في قراءة ابن محيصن، إذ قال: ((روينا عن قطرب أنّه قال: الأمانة: الأمن، والأمنة بفتح الميم: أشبه بمعاينة الأمن،

(١) - المحتسب: ١ / ٣٦.

(٢) - المحتسب: ١ / ١٣٣، و١٨٩، و٢٥٧.

(٣) - جهود قطرب في معاني القرآن وإعرابه: ١٧، (أطروحة)، وينظر: كشف الظنون: ٢ / ١٧٣٠.

(٤) - المحتسب: ١ / ٣٦.

(٥) - ينظر: المحتسب: ١ / ١٣٣، و١٧٤.

ونظير ذلك قولهم: الحَبَطُ، والحَبَجُ، والرَّمَتْ، كل ذلك في أدواء الإبل<sup>(١)</sup>، وهذا التفسير غير موجد في كتب قطرب المطبوعة. ومن ذلك أيضاً ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعاقِبْتُمْ فَاتُوا الَّذِينَ نَهَبْتُمْ أَزْوَاجَهُمْ مِّثْلَ مَا أَنْفَقْتُمْ﴾ واتقوا الله الذي أنتم به مؤمنون ﴿[الممتحنة: ١١]، قال: ((روينا عن قطرب، قال: (فَعاقِبْتُمْ) أصبتم عقباً منهن. يقال عاقب الرجل شيئاً: إذا أخذ شيئاً، وأنشد لطفرة:

\* فَعَقَبْتُمْ بِذُنُوبٍ غَيْرِ مَرٍّ \*<sup>(٢)</sup>.

وهذا التفسير لا يوجد في كتبه المطبوعة أيضاً. وأخذ ابن جنبي عن قطرب في أكثر من خمسة وعشرين موضعاً<sup>(٣)</sup>.

#### ابن مجاهد (ت ٢٤٥هـ)

أكثر أخذ ابن جنبي عن ابن مجاهد، هو رواية القراءات، فكتاب السبعة لابن مجاهد من الكتب التي اعتمدها ابن جنبي في رواية القراءات الشاذة، مع أن كتاب ابن مجاهد في القراءات السبعة، إلا أنه كان يذكر القراءات الشاذة؛ لكي يردها ويخطئها؛ لذا نرى أكثر أخذ ابن جنبي عن ابن مجاهد كان راداً فيه عليه فيما خطأه من القراءات التي لها وجه من العربية كما يرى ابن جنبي، وقد ذكرت من الأمثلة التي ردَّ فيها ابن جنبي على ابن مجاهد فيما سبق فلا حاجة لإعادة ذكرها هنا<sup>(٤)</sup>، ومما أخذه ابن جنبي عن ابن مجاهد مضافاً على رواية القراءات، هو تفسير بعض معاني الألفاظ، مما يرويها ابن مجاهد، ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَأَمْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكْتُ﴾ [هود: من الآية: ٧١] في كلامه على قراءة محمد بن زياد (فَضَحَكْتُ) بفتح الحاء، إذ قال: ((روى ابن مجاهد قال: قال أبو عبد الله بن الأعرابي: الضحك: هو الحيض، وأنشد:

(١)- المحتسب: ١ / ١٧٤.

(٢)- المحتسب: ٢ / ٣٢٠، وينظر شطر البيت في ديوان لطفرة: ٥٤، وتامامه ( ولقد كُنْتُ عَلَيْكُمْ عاتياً فَعَقَبْتُمْ بِذُنُوبٍ غَيْرِ مَرٍّ ) .

(٣)- المحتسب: ١ / ١٧٣، و ٢٣٠، ٢٥٧، و ٢ / ٦٤، ٨٥، ٩٦، وسر صناع الإعراب: ١ / ٤٠٦، والخصائص: ٢ / ٤٦٠.

(٤)- ينظر: الرسالة: ٧٠.

ضَحْكُ الْأَرَابِ فَوْقَ الصَّفا كَمَثَلِ دَمِ الْجَوْفِ يَوْمَ اللَّقا<sup>(١)</sup>.

ومن ذلك أيضاً ما ذكره في قوله تعالى: ﴿ فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ ﴾ [مريم: من الآية: ٢٣] في قراءة شُبَيْلٍ إذ قال: ((ومن ذلك قراءة شُبَيْلِ بنِ عَزْرَةَ: (فَأَجَأَهَا)، مثل (فَأَلْجَأَهَا). قال أبو الفتح: رواها ابن مجاهد أيضاً أنها من المفاجأة، إلا أن ترك همزها إنما هو بدل لا تخفيف قياسي))<sup>(٢)</sup>، وكلُّ أقوال ابن مجاهد وما يرويه ممَّا ذكرته لم أجد له ذكراً في كتاب (السبعة في القراءات)، وأخذ ابن جنبي عن ابن مجاهد في توجيه القراءات في أكثر من خمسين موضعاً كلّها في المحتسب<sup>(٣)</sup>.

أبو حاتم السجستاني (ت ٢٥٥هـ)

أشار ابن جنبي في مقدّمة كتابه الْمُحتسب إلى أنّه اعتمد على كتاب أبي حاتم السجستاني في القراءات، وفضّله على كتاب قطرب؛ لاقتصاره على القراءات، يقول: ((غير أن كتاب أبي حاتم أجمع من كتاب قطرب لذلك؛ من حيث كان مقصوداً على ذكر القراءات، عارياً من الإسهاب في التعليل والاستشهادات التي انحطّ قطرب فيها، وتناهى إلى متباعد غاياتها))<sup>(٤)</sup>، وكان أكثر أخذة عنه رواية القراءات وتوجيهها، وممَّا يرويه عن العلماء، وكتاب أبي حاتم في القراءات يُعدُّ من الكتب المفقودة<sup>(٥)</sup>، وممَّا أخذ عنه ابن جنبي ما جاء في قوله تعالى: ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَهَدَمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا ﴾ [الحج: من الآية: ٤٠] في معرض كلامه على القراءات في لفظ (الصلوات)، فقال: ((قال أبو حاتم: قال الحسن: تَهْدِيمُهَا: تَعْطِيلُهَا، وقول الله سبحانه: ﴿ لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى ﴾ [النساء: من الآية: ٤٣]، ثم قال: ﴿ وَلَا جُنْبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ ﴾ [النساء: من الآية: ٤٣]، فهذا يدلُّ على أن المراد: لا تقربوا

(١) - المحتسب: ١ / ٣٢٣، والبيت لم ينسب لشاعر، وينظر البيت في المحكم: ٣ / ٢٣، ورواية

(اللِّقا) بالهمزة (اللِّقا).

(٢) - المحتسب: ٢ / ٣٩.

(٣) - ينظر: المحتسب: ١ / ٥١، و٦١ و٨٢، و٩١ و٢ / ٣٩، و٢٠٥، و٢٢٨، وغيرها.

(٤) - المحتسب: ١ / ٣٦.

(٥) - ينظر: كتاب النخلة، (مقدمة المحقق): ١٧.

المسجد، فقال: (الصلاة) ((<sup>(١)</sup>))، ومِمَّا أَخَذَهُ عَنْهُ أَيْضًا فِي بَيَانِ مَعَانِي الْأَفْظَاءِ فِي الْقِرَاءَاتِ مَا ذَكَرَهُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنْتَقِمُونَ﴾ [الدخان: ١٦] عَلَى قِرَاءَةِ الْحَسَنِ (( (يَوْمَ نُبْطِشُ) مضمومة النون، مكسورة الطاء. قال أبو الفتح: معنى (نُبْطِشُ)، أي: نُسَلِّطُ عَلَيْهِمْ مِنْ يَبْطِشُ بِهِمْ، فَهَذَا مِنْ بَطَشَ هُوَ، وَأَبْطَشْتُهُ أَنَا، كَقَوْلِكَ: قَدَّرَ وَأَقْدَرْتُهُ، وَخَرَجَ وَأَخْرَجْتَهُ، وَإِلَى هَذَا ذَهَبَ أَبُو حَاتِمٍ فِي هَذِهِ الْآيَةِ فِيمَا رَوَيْنَاهُ عَنْهُ))<sup>(٢)</sup>، وَأَخَذَ ابْنُ جَنبِي عَنْ أَبِي حَاتِمٍ فِي أَكْثَرِ مِنْ خَمْسَةِ عَشَرَ مَوْضِعًا<sup>(٣)</sup>.

### أثر ابن جنبي في اللغويين والمفسرين في تفسيرهم اللغوي

إِنَّ لِعُلَمَاءِ اللُّغَةِ أَثْرًا كَبِيرًا فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، فَقَدْ مَرَّ أَنْ تَحْصِيلَ عُلُومِ اللُّغَةِ يُعَدُّ مِنْ أَهَمِّ شُرَائِطِ الْمُفَسِّرِ<sup>(٤)</sup>، وَبِهَذَا يَكُونُ لِلْغَوِيِّينَ أَثْرٌ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ؛ لِأَنَّ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ مِيدَانٌ لِدِرَاسَتِهِمُ اللُّغَوِيَّةَ، فَكَانُوا يَعْرِضُونَ لِآيَاتِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ بِالشَّرْحِ وَالتَّفْسِيرِ وَالتَّوْضِيحِ فِي ضَوْءِ اللُّغَةِ وَأَسَالِيْبِهَا، مِمَّا جَعَلَ أَغْلَبَ الْمَفْسِرِينَ يَنْقُلُونَ آرَاءَ اللُّغَوِيِّينَ وَتَوْجِيهَاتِهِمْ لِآيَاتِ الْقُرْآنِ فِي تَفْسِيرِهِمْ، أَوْ يَسْتَشْهَدُونَ بِأَقْوَالِهِمْ عَلَى التَّفْسِيرِ.

وَلَا يَكَادُ يَخْلُو تَفْسِيرُ لُغَوِيٍّ أَوْ مُفَسِّرٍ مِمَّنْ جَاءَ بَعْدَ ابْنِ جَنبِيٍّ مِنْ أَثْرِ لَهُ سِوَاهُ أَكَانَ هَذَا الْأَثْرُ لُغَوِيًّا أَمْ نَحْوِيًّا كَانَ لَهُ أَثْرٌ فِي تَوْجِيهِ الْمَعْنَى، أَوْ لَمْ يَكُنْ لَهُ أَثْرٌ، وَكَانَ أَثْرُهُ الْأَكْبَرَ فِي اللُّغَوِيِّينَ وَالْمَفْسِرِينَ هُوَ تَوْجِيهِهِ لِلْقِرَاءَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ وَالدِّفَاعِ عَمَّا يُسَمَّى شَاذًا مِمَّا خَالَفَ السَّبْعَةَ عِنْدَ ابْنِ مَجَاهِدٍ، وَالْمُطَّلِعُ عَلَى التَّفَاسِيرِ يَرَى أَثْرَ ابْنِ جَنبِيٍّ جَلِيًّا فِي تَفْسِيرِهِمْ، فَأَخَذَ عَنْهُ الزَّمَخْشَرِيُّ فِي أَكْثَرِ مِنْ مِئَةٍ وَخَمْسِينَ مَوْضِعًا، وَابْنُ عَطِيَّةٍ فِي أَكْثَرِ مِنْ مِئَةٍ وَخَمْسِينَ مَوْضِعًا، وَأَبُو حَيَّانٍ فِي أَكْثَرِ مِنْ أَرْبَعِينَ مَوْضِعًا<sup>(٥)</sup>، وَمِنْ اللُّغَوِيِّينَ الَّذِينَ الَّذِينَ أَخَذُوا عَنْهُ الشَّرِيفُ الرَّضِيُّ فِي عَشْرَةِ مَوَاضِعٍ فِي كِتَابِهِ (حَقَائِقُ التَّأْوِيلِ) وَأَخَذَ عَنْهُ الْعُكْبَرِيُّ (ت ٦١٦هـ) فِي (التَّبْيَانِ) ، وَذَلِكَ فِي أَكْثَرِ مِنْ عَشْرَةِ مَوَاضِعٍ ، وَالْمُنْتَجَبُ الْهَمْدَانِيُّ

(١)- المحتسب: ٢ / ٨٥.

(٢)- المحتسب: ٢ / ٢٦٠.

(٣)- ينظر: المحتسب: ١ / ٤٩، و ٣٥٣، و ٢ / ٩٥، و ٢٦١.

(٤)- ينظر: الرسالة: ٢٢.

(٥)- ينظر: الكشاف: ١ / ٢٢٢، و ٢ / ١٨٣، و ٢٠٣، و المحرر الوجيز: ١ / ١١١، و ١١٩، و ١٢٤، والبحر المحيط: ١ / ٦٦، و ٣٠٦، و ٣٧٨.

(ت ٦٤٣هـ) أخذ عنه في مواضع كثيرة<sup>(١)</sup>، وسأف عند أثر ابن جنبي في علمين الأول مُفسّر ، والآخر لغوي:

أثر ابن جنبي في الطبرسي (ت ٥٤٨هـ) في كتابه (مجمع البيان )

الطبرسي: هو أبو علي الفضل بن الحسن، من مُفسّري القرن السادس الهجري، وهو من أجلاء المفسرين، قال عنه القفطي: إنّه نحويٌّ مُفسّر، وقال الزركلي: إنّه مفسرٌ مُحققٌ لغويٌّ<sup>(٢)</sup>، والمُطَّلَع على تفسيره (مَجْمَعُ الْبَيَانِ) يُدْرِكُ أَنَّ الطبرسي مُفسّرٌ لغويٌّ نحويٌّ فقيهٌ محدّثٌ ((وليس عجباً أن يُوصف بكلّ هذا فهو صاحب كتاب (مجمع البيان في تفسير القرآن)... والذي برز فيه مفسراً إخبارياً وفقهياً ونحوياً ولغوياً مقتدرًا واسع الإطلاع، فهو لم يكتفِ بالبحث اللغوي الذي يخدم اللفظة ، بل يستنطرد في جوانبه وكأنّه ينشد إفادة الدارس اللغوي خاصة فجاءت دراسته مصداقاً لقوله في مقدمة كتابه: للأديب عمدة وللنحويّ عمدة<sup>(٣)</sup>))، وذكر صبيح حمود أنّ الطبرسي استشهد وتمثّل بأقوال كثير من اللغويين ومنهم ابن جنبي<sup>(٤)</sup>، وقد أخذ الطبرسي عن ابن جنبي في أكثر من مئة وأربعين موضعاً، وتووع أخذه عنه كتوجيه القراءات نحوياً أو صرفياً أو غير ذلك، وهو أكثر ما أخذه عنه، وكذلك أخذ عنه تفسير معاني بعض الألفاظ والتراكيب وغيرها ممّا يتعلّق بالتفسير، وممّا أخذه عنه في توجيه القراءات ما جاء في كلامه على قوله تعالى: ﴿ يَسْؤُمُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُدَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ ﴾ [البقرة: من الآية: ٤٩] بتخفيف (يُدَبِّحُونَ) في قراءة ابن محيص، إذ قال: ((قال ابن جنبي وجه ذلك أنّ (فَعَلَّتْ) بالتخفيف قد يكون فيه معنى التَكْثِيرِ؛ وذلك لدلالة الفعل على مصدره، والمصدر اسم الجنس وحسبك بالجنس سعة وعموما، وأنشد أبو الحسن:

أنت الفداء لِقَبْلَةِ هَدْمَتِهَا      وَنَقَرْتَهَا بِبَيْدِكَ كُلَّ مُنْقَرٍ

(١)- ينظر: التبيان في إعراب القرآن: ١ / ٦٢١، و٢ / ١٠٦٥، و١١٤٠، وحقائق التأويل في متشابه

التنزيل: ٢١٤، و٣٠٤، و٣٣١، والفريد في إعراب القرآن المجيد: ٣ / ٣٣، و٣٨، و٤٠.

(٢)- ينظر: إنباه الرواة على أنباه النحاة: ٣ / ٦، والأعلام: ٥ / ١٤٨.

(٣)- منهج الطبرسي في تفسير الألفاظ: ٩٩، مجلة آداب الرافدين، العدد ١٣، عام ١٩٨١ م.

(٤)- ينظر: منهج الطبرسي في تفسير الألفاظ: ١٢٧.

فكأنه قال: ونَفَرْتَهَا؛ لأن قوله (كَلَّ مُنْفَرًا) عليه جاء<sup>(١)</sup>، وهذا نصُّ كلام ابن جنبي في المحتسب<sup>(٢)</sup>، وإن كان الطبرسي قد حذف بعضًا من كلام ابن جنبي، ومن ذلك أيضًا قوله في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذُرُونَ أَزْوَاجًا﴾ [البقرة: من الآية: ٢٣٤] بفتح الياء من ﴿يُتَوَفَّوْنَ﴾ في قراءة الإمام علي (عليه السلام)، إذ قال: ((قال ابن جنبي هو على حذف المفعول، أي: الذين يَتَوَفَّوْنَ أَيَّامَهُمْ أو آجَالَهُمْ وأَعْمَارَهُمْ، وحَدَفُ المفعول به كثيرٌ في القرآن وفصيح الكلام إذا كان هناك دليلٌ عليه، كما قال الله: ﴿وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [النمل: من الآية: ٢٣] أي شيئًا. قال الحطبيّة:

### مُنْعَمَةٌ تَصُونُ إِلَيْكَ مِنْهَا كَصَوْنِكَ مِنْ رِذَاءِ شَرْعِيٍّ

أي: تَصُونُ الكلام منها، وتَوَقَّيْتُ الشَّيْءَ، اسْتَوْقَيْتَهُ، أَخَذْتَهُ وَأَفِيًّا<sup>(٣)</sup>، وهذا أيضًا نصُّ كلام ابن جنبي في المحتسب، وكذلك حذف منه شيئًا قليلًا<sup>(٤)</sup>، ويبدو أنّ الطبرسي في نقله عن ابن جنبي في توجيهه للقراءات كان موافقًا له؛ لأنّه ينقل نصَّ كلامه من غير أيّ تَعْلِيْق عليه ولا إضافة، وهو في هذا مُسَلِّمٌ لتوجيه ابن جنبي.

ومِمَّا أَخَذَهُ عَنْهُ فِي تَفْسِيرِ قِرَاءَةِ الْعَامَّةِ مَا ذَكَرَهُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ [الرعد: من الآية: ١١]، ((قال ابن جنبي: وأمَّا قراءة الجماعة ﴿يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ فتقديره: له مُعَقَّبَاتٌ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ يَحْفَظُونَهُ مِمَّا يَخَافُهُ، ف(من) على هذا مرفوعة الموضع؛ لأنّها صفة للمرفوع الذي هو (مُعَقَّبَاتٌ)، وليس هذا على معنى: يحفظونه من أمر الله أن يَنْزِلَ بِهِ؛ لأنّه لو كان كذلك لكانت منصوبة الموضع، كقولك: حَفَظْتُ زَيْدًا مِنَ الْأَسَدِ، والذي ذكرته رأي أبي الحسن<sup>(٥)</sup>، وهذا أيضًا نصُّ كلام ابن جنبي في المحتسب، وله كلام طويل نقله الطبرسي<sup>(٦)</sup>، وهذا بعضه، ويظهر ويظهر لنا من هذه النقول أنّ الطبرسي كان متأثرًا بابن جنبي ممّا جعله يجعل كتابه

(١) - مجمع البيان: ١ / ١٤٠ - ١٤١، والبيت لم ينسب لشاعر.

(٢) - ينظر: المحتسب: ١ / ٨٠ - ٨١.

(٣) - مجمع البيان: ٢ / ٩٥، وينظر البيت في ديوان الحطبيّة: ١٥٤.

(٤) - ينظر: المحتسب: ١ / ١٢٥.

(٥) - مجمع البيان: ٦ / ١٢ - ١٣.

(٦) - ينظر: المحتسب: ١ / ٣٥٥.

المحتسب من الكتب التي يعتمد عليها في توجيه القراءات، وتفسير بعض الآيات أو بعض معاني الألفاظ، ومما أخذه عنه في تفسير ألفاظ القرآن معنى لفظ (القَصْر) في قوله تعالى ﴿ **إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرِّ كَالْقَصْرِ** ﴾ [المرسلات: ٣٢] أنها القصور أي البيوت من آدم<sup>(١)</sup>.

أثر ابن جنبي في الباقولي (ت ٥٤٣هـ) في كتابه (كشف المشكلات وإيضاح المعضلات)

الباقولي وهو أبو الحسن علي بن الحسين الأصفهاني الملقب بـ(جامع العلوم)، وهو من العلماء الذين تأثروا بابن جنبي تأثرًا كبيرًا، فلا يخلو كتاب من كتبه من أثر لابن جنبي، فأخذ عنه في كتابه (إعراب القرآن) - المُسمَّى إعراب القرآن المنسوب للزجاج خطأً - في أكثر من خمسة عشر موضعًا، وكذلك أخذ عنه في كتاب (الاستدراك على أبي علي الفارسي)، في باب عقده في سهو ابن جنبي، و(الإبانة في تفصيل مائة القرآن)، و(كشف المشكلات) وتفاوت النقل عن ابن جنبي من كتاب إلى آخر ففي بعض كتبه كان أكثرًا كإعراب القرآن، وبعضها مُقلًا ك(الإبانة)<sup>(٢)</sup>، وازداد إعجاب الباقولي بابن جنبي حتى شرح كتابه (اللمع) فسمَّاه (شرح اللمع).

أمَّا كتابه (كشف المشكلات) فقال فيه: ((هذا كتاب مؤلف في نكت المعاني والإعراب وعلل القراءات المروية عن الأئمة السبعة الذين يُفتدى بهم في درس القرآن والأخذ عنهم، ألفتُهُ، وهدبته، وحبزته؛ لينتفع به المسلمون))<sup>(٣)</sup>، فهو كتاب يُعنى بمعاني القرآن، وتوجيه القراءات وما أشكل منها، فكان فيه أثر لابن جنبي في تفسير معاني القرآن، وتوجيه القراءات، ومما نقله عنه في توجيه القراءات لقوله تعالى: ﴿ **هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُبَيِّنُونَ** ﴾ [هود: ٧٨]، بنصب ﴿ **أَطَهَرَ** ﴾ على قراءة سعيد بن جبيرة، ((قال عثمان: ولمن قرأ (أَطَهَرَ) بالنصب وجه، وهو أن يكون ﴿ **هُوَ أَعْلَمُ** ﴾ مبتدأ، و﴿ **تُبَيِّنُونَ** ﴾ ابتداء ثانيًا، و﴿ **هُنَّ** ﴾ خبره، والجملة خبر المبتدأ الأول، (أَطَهَرَ) نصب على الحال، والعامل في الحال معنى الإشارة، كما تقول: هذا زيدٌ هو قائمًا))<sup>(٤)</sup>، وهذا كلام ابن جنبي

(١)- ينظر: المحتسب: ٢ / ٣٤٦، ومجمع البيان: ١٠ / ١٧٩.

(٢)- ينظر: إعراب القرآن للباقولي: ٢٢/١، ١٠٩، ٢٢٧، والاستدراك على أبي علي الفارسي: ٦٠٠، و٦٠٩، والإبانة في تفصيل مائة القرآن: ١٧٧.

(٣)- كشف المشكلات وإيضاح المعضلات: ١ / ٣.

(٤)- كشف المشكلات وإيضاح المعضلات: ١ / ٥٨٧.

في المحتسب<sup>(١)</sup>، ومما نقله عنه في غير القراءات، ما جاء في قوله تعالى: ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ﴾ [البقرة: من الآية: ١٧٨]، ((قال عثمان: قد يُمكن أن يكون تقديره: فمن عُفِيَ له من أخيه عن شيءٍ، فلما حُذِفَ حرف الجرِّ ارتفع ﴿شَيْءٌ﴾ بوقوعه موقع الفاعل، كما أنك لو قلت: سيرَ يزيدٍ، وحَدَفْتُ الباء قلت: سيرَ زيدٍ، ويجوز فيه وجه آخر، وهو أن يكون ﴿شَيْءٌ﴾ مرتفعاً بفعل محذوف يدل عليه قوله ﴿عُفِيَ لَهُ﴾؛ لأنَّ معناه تُرك له شيء من أخيه، أي: من حقِّ أخيه، ثم حُذِفَ المضاف وقُدِّمَ الظرف الذي هو صفة للذكرة عليها، فنُصِبَ على الحال في الموضعين منها))<sup>(٢)</sup>، ونقل هذا الكلام في كتاب (إعراب القرآن، المنسوب خطأ للزجاج) ونسبه إلى عثمان ويريد به ابن جنبي، ولم أجد هذا الكلام في أي من كتب ابن جنبي المطبوعة. وأخذ عنه في ما يقارب عشرة مواضع في كتاب كشف المشكلات<sup>(٣)</sup>.

وأخذ الباقرلي ابن جنبي في استشهاده بكلام العرب والشعر ممَّا له شواهد من التنزيل تُغْنِيه عن الاستشهاد بكلام العرب، إذ قال: ((فإذا نظرت إلى عثمان وقد أخذ في تعداد الشواهد على أصل واحد فاعلم أن أفضل منه وأنبأ وأخص وأحسن مقالاً من بدل شواهد من الشعر بشواهد من التنزيل ... فلم أفنيت عمرك في تعداد هذا، وطلبت حذف الجار والمجرور، وحذف الموصوف وتأنيت المذكر من قوله: (جاءته كتابي فاحتقرها)، وأين أنت من قوله: ﴿لُونَهَا تَسْرُ النَّاطِرِينَ﴾ [البقرة: من الآية: ٦٩]، وقوله: ﴿فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَارِعَةً قَالَ هَذَا رَبِّي﴾ [الأنعام: من الآية: ٧٨] ... أفتراه في حكايته (جاءته كتابي) هذا فائزاً بالحظ الأوفى أم الذي يعدُّ لك هذه الآي))<sup>(٤)</sup>، وهذه الحكاية رواها ابن جنبي عن الأصمعي و استشهد بها في أكثر من كتاب من كتبه على تأنيث الفعل والفاعل مذكر؛ لأنَّ الفاعل في المعنى مؤنث<sup>(٥)</sup>، وعلى الرغم تحامل الباقرلي على ابن جنبي إلا أن ابن جنبي كان معتدلاً في استشهاده، فقد سار في شواهد على ما سار عليه اللغويون من قبل، من الاستشهاد بالشعر أولاً وهو أكثر الشواهد، وبالقرآن ثانياً، والأمثلة المصنوعة

(١)- ينظر: المحتسب: ١ / ٣٢٦.

(٢)- كشف المشكلات: ١ / ١٣٢.

(٣)- ينظر: كشف المشكلات: ١ / ٥٠٤، و ٥٨٦، و ٢ / ٦٩٥، و ١٠٢٨، و ١٣١٢.

(٤)- كشف المشكلات: ٢ / ٨٨٣ - ٨٨٥.

(٥)- ينظر: سر صناعة الإعراب: ١ / ١٢، والخصائص: ١ / ٢٤٩ والمحتسب: ١ / ٢٣٨.

## الفصل الأول منهج ابن جنبي في التفسير اللغوي للقرآن الكريم.....

وكلام العرب ثالثاً، فمثلاً في كتابه (سر صناعة الإعراب) قد استشهد بمئتين وواحد وخمسين شاهداً قرآنيًا، وقد تكرر منها بعض الشواهد في أكثر من موضع، أمّا شواهد من كلام العرب والأمثلة المصنوعة، فعددها مئة وسبعة شواهد ، وأكثر هذه الشواهد مصنوعة نحو (أكلتُ لحمًا سمكًا تمرًا)، أمّا شواهد من الشعر فهي أكثر من سبع مئة وخمسين شاهدًا، هذا كما جاء في فهرس الكتاب<sup>(١)</sup>، وعلى هذا يكون ابن جنبي غير حائذٍ عن طريق اللغويين في الاستشهاد، ومع ذلك فشواهد من القرآن كثيرة جدًا - كما بيّنت ذلك لمياء أحمد<sup>(٢)</sup> - إلاّ إنّها أقلُّ من الشعر.

(١)- ينظر: سر صناعة الإعراب: ٢ / ٨٣٣ - ٨٦٠.

(٢)- ينظر: الشاهد القرآني عند ابن جنبي: ١٩، (أطروحة) .

# الفصل الثاني

## التفسير اللغوي في المباحث النحوية والصرفية

توطئة: علاقة علم النحو العربي بتفسير القرآن الكريم

المبحث الأول: المبتدأ والخبر، وبعض الموضوعات النحوية وأثرها  
في التفسير اللغوي

المبحث الثاني: الحذف وأثره في التفسير اللغوي

المبحث الثالث: التوابع وأثرها في التفسير اللغوي

المبحث الرابع: الموضوعات الصرفية وأثرها في التفسير اللغوي

## الفصل الثاني

### التفسير اللغوي في المباحث النحوية والصرفية

توطئة:

#### علاقة علم النحو بتفسير القرآن الكريم

يَرْتَبِطُ عِلْمُ النَّحْوِ الْعَرَبِيِّ بِتَفْسِيرِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ ارْتِبَاطًا وَثِيقًا، فَلَا غِنَى لِكُلِّ مَفْسِرٍ لِلْقُرْآنِ الْكَرِيمِ عَنِ عِلْمِ اللُّغَةِ عَمُومًا وَعِلْمِ النَّحْوِ وَأَسَالِيهِه خُصُوصًا؛ لِفَهْمِ مَعَانِي الْقُرْآنِ وَبَيَانِ دِلَالَاتِهِ وَإِدْرَاكِ مَضَامِينِهِ، فَالنَّحْوُ وَالْإِعْرَابُ مِنْ أَهَمِّ مَفَاتِيحِ بَيَانِ الْمَعْنَى الْقُرْآنِي، وَقِيلَ فِي مَعْنَى النَّحْوِ فِي اللُّغَةِ، هُوَ: ((القصْدُ نَحْوَ الشَّيْءِ. نَحَوْتُ نَحْوَهُ، أَي: قَصَدْتُ قَصْدَهُ))<sup>(١)</sup>، وَقَالَ ابْنُ فَارِسٍ: ((النُّونُ وَالْحَاءُ وَالْوَاوُ كَلِمَةٌ تَدُلُّ عَلَى قَصْدٍ، وَنَحَوْتُ نَحْوَهُ، وَلِذَلِكَ سُمِّيَ نَحْوُ الْكَلَامِ؛ لِأَنَّهُ يَقْصِدُ أَصُولَ الْكَلَامِ فَيَتَكَلَّمُ عَلَى حَسَبِ مَا كَانَ الْعَرَبُ تَتَكَلَّمُ بِهِ))<sup>(٢)</sup>، وَقِيلَ فِي الْإِصْطِلَاحِ: هُوَ ((عِلْمٌ بِالْأَحْوَالِ وَالْأَشْكَالِ الَّتِي بِهَا تَدُلُّ أَلْفَاظُ الْعَرَبِ عَلَى الْمَعَانِي، وَيَعْنِي بِالْأَحْوَالِ وَضِعَ الْأَفْظَانِ بَعْضُهَا مَعَ بَعْضٍ فِي تَرْكِيْبِهَا لِلدَّلَالَةِ عَلَى الْمَعَانِي الْمُرَكَّبَةِ، وَيُعْنَى بِالْأَشْكَالِ مَا يَعْضُضُ فِي أَحَدِ طَرَفِي الْفَلْظِ أَوْ وَسْطِهِ، أَوْ جَمَلْتِهِ مِنْ الْآثَارِ وَالنَّعْيِيَّاتِ الَّتِي بِهَا تَدُلُّ أَلْفَاظُ الْعَرَبِ عَلَى الْمَعَانِي))<sup>(٣)</sup>، وَأَمَّا الْإِعْرَابُ لُغَةً، فَهُوَ: الْإِبَانَةُ وَالْإِفْصَاحُ<sup>(٤)</sup>، وَاصْطِلَاحًا: هُوَ ((الْإِبَانَةُ عَنِ الْمَعَانِي بِاخْتِلَافِ أَوَاخِرِ الْكَلِمِ؛ لِتَعَاقُبِ الْعَوَامِلِ فِي أَوَّلِهَا))<sup>(٥)</sup>.

فَالْمَعْنَى اللُّغَوِيَّةُ وَالْإِصْطِلَاحِيَّةُ لِكُلِّ مَنْ (النَّحْوِ) وَ(الْإِعْرَابِ) يُبَيِّنَانِ مَدَى الْإِرْتِبَاطِ بَيْنَ النَّحْوِ وَالتَّفْسِيرِ، إِذْ كُلُّ مِنْهُمَا يَبْحِثُ عَنِ بَيَانِ الْمَعْنَى وَإِيضَاحِهَا؛ وَلِذَلِكَ يُعَدُّ عِلْمُ النَّحْوِ مِنْ عِلْمِ التَّفْسِيرِ؛ لِأَنَّهُ يَنْضَحُ بِهِ مَعْنَى الْقُرْآنِ وَتُدْرِكُ مَقَاصِدَهُ، قَالَ ابْنُ جَنِي (ت ٣٩٢هـ) فِي بَابِ الْقَوْلِ عَلَى الْإِعْرَابِ: ((هُوَ الْإِبَانَةُ عَنِ الْمَعَانِي بِالْأَلْفَاظِ الَّتِي تَرَى أَنَّكَ إِذَا سَمِعْتَ

(١) - العَيْن: ٣ / ٣٠٢، (نحو).

(٢) - معجم مقاييس اللغة: ٥ / ٤٠٣، (نحو).

(٣) - المقاصد الشافية: ١ / ١٧ - ١٨.

(٤) - ينظر: العَيْن: ٢ / ١٢٩، ومعجم مقاييس اللغة: ٤ / ٢٩٩، (عرب).

(٥) - الخصائص: ١ / ١٩٦.

(أكرم سعيداً أباه)، و(شكر سعيداً أبوه) علمت برفع أحدهما ونصب الآخر الفاعل من المفعول، ولو كان الكلام سِرْجاً واحداً لاستبهم أحدهما من صاحبه<sup>(١)</sup>، فالنحو أحد أهم مفاتيح المعنى، ولا بدّ للمفسّر من الإحاطة به ومعرفة أساليبه للوقوف على المراد من كلام الله، ولقد عبّر عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١هـ) عن هذا الارتباط بين النحو والتفسير بقوله: ((إذ كان قد علّم أنّ الألفاظ مغلقة على معانيها حتى يكون الإعراب هو الذي يفتحها، وأنّ الأغراض كامنة فيها حتى يكون هو المستخرج لها، وأنّه المعيار الذي لا يبيّن نقصان كلامٍ ورُجحانه حتى يُعرض عليه، والمقياس الذي لا يُعرفُ صحيحٌ من سقيم حتى يُرجع إليه، لا ينكر ذلك إلاّ من ينكر حسّه وإلاّ من غالط في الحقائق نفسه))<sup>(٢)</sup>.

فالجرجاني يربط بين النحو والمعنى عموماً، ويبيّن هذه العلاقة خصوصاً في ردّه على من رَهَدَ في علم النحو ورأى أنّ بعض مسائله عويصة، يتجشّم الفكر فيها إذ قال: ((وانظروا في الذي اعترفتم بصِحّته وبالحاجة إليه، هل حصّلتُموه على وجهه؟ وهل أحطّتم بحقائقه؟ وهل وفّيتُم كلَّ بابٍ منه حقّه، وأحكمتُموه إحكاماً يؤمّنكم الخطأ فيه إذا أنتم خضّتم في التفسير وتعاطيتم علم التّأويل ووازنتُم بين بعض الأقوال وبعض، وأردتم أن تعرّفوا الصّحيح من السّقيم وعُدّتم في ذلك وبدّاتُم، وزدتم ونقصتم))<sup>(٣)</sup>، وعدّ الزركشي (ت ٧٩٤هـ) النحو علماً من علوم القرآن، إذ قال: ((النوع العشرون: معرفة الأحكام من جهة أفرادها وتركيبها: ويؤخذ ذلك من علم النحو ... وعلى الناظر في كتاب الله الكاشف عن أسراره النّظر في هيئة الكلمة وصيغتها ومحلها ككونها مبتدأً أو خبراً أو فاعلاً أو مفعولاً أو في مبادئ الكلام أو في جواب إلى غير ذلك من تعريف أو تنكير أو جمع قلة أو كثرة إلى غير ذلك))<sup>(٤)</sup>، فالعلاقة بين النحو والتفسير علاقة بيان للمعنى مع صون اللسان من اللحن.

ويعدّ القرآن الكريم من أهم الأسباب التي دعت إلى وضع علم النحو، وشاع عند النحويين القدّامي والمحدثين أنّ من أهم أسباب نشأة النحو هو حفظ القرآن الكريم من وقوع

(١) - الخصائص: ٣٥/١.

(٢) - دلائل الإعجاز: ٢٨.

(٣) - دلائل الإعجاز: ٣٠.

(٤) - البرهان في علوم القرآن: ١ / ٣٠١ - ٣٠٢.

اللحن فيه <sup>(١)</sup>؛ وذلك لما فسدت ألسن الناس بسبب اختلاطهم بغيرهم من الأمم مما أحوجهم إلى وضع قوانين لضبط النحو ، واستشهدوا لذلك بروايات متعددة منها : إن أبا الأسود الدؤلي سمع رجلاً يقرأ من سورة براءة ﴿ أَنْ اللَّهَ بِرِيءٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ ﴾ بكسر اللام من ﴿ رَسُولُهُ ﴾ ، فقال: لا أظنُّ يسعني إلا أن أضع شيئاً أصلح به نحو هذا؛ فوضع النحو <sup>(٢)</sup>، وروي أيضاً أن علياً (عليه السلام) سمع أعرابياً يقرأ من سورة الحاقة: ﴿ لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ ﴾ [الحاقة: ٣٧] بنصب ﴿ الْخَاطِئُونَ ﴾ ، فوضع علم النحو <sup>(٣)</sup>.

إنَّ علم النحو عندما وُضِعَ لم يكن يسعى إلى صون اللسان من الوقوع في الخطأ، أو حفظ النص القرآني من وقوع اللحن فيه وحسب، بل كان يستهدف إلى ما هو أبعد وأسمى من ذلك، فهو علم يبين به معنى الكلام ويتضح به المراد من النص القرآني ؛ لأنَّ النحو هو مفتاح المعنى كما عبر عن ذلك عبد القاهر الجرجاني <sup>(٤)</sup>، فمن الظلم أن يُقصر وضع النحو على شيوع اللحن؛ لأنَّه لو كان هذا السبب لكان هناك ضوابط يسيرة تُعين المعرب، وما كان لنا هذا البناء الشامخ في علم النحو العربي <sup>(٥)</sup>، و((النحو الذي عرفناها من نحو الخليل وسيبويه كما هو ظاهر في (الكتاب) أنَّ النحو علمٌ كاملٌ واسعٌ له أصوله وفروعه وعِلالته ... وليس شيئاً من ذلك يمكن أن يكون علاجاً للعلّة الطارئة وعلى قدرها كما يتوقع مما يُبتلى المرء به فيجد له وسيلة تدفع عنه الشر. وليس النحو الذي عرفناه قبل الخليل ممَّا أثير في أقوال أبي عمرو بن العلاء، وعيسى بن عمر... شيئاً من هذا، بل قل علاج يدفع غائلة اللحن)) <sup>(٦)</sup>، ويرى إبراهيم السامرائي أنَّ هذا النحو الذي وصل إلينا لم يكن ناشئاً بسبب اللحن الذي يمكن أن يُدفع بشيء يسيرٍ من النحو ، بل إنَّه نشأ بسبب الدرس القرآني، كما أفرز القرآن طائفة من العلوم تدعى (علوم العربية) فالنحو شيءٌ من

(١) - ينظر: مراتب النحويين: ٨، وأخبار النحويين البصريين: ١٢، والمدارس النحوية: ٥٠، والنحو وكتب التفسير: ٣٨.

(٢) - ينظر: مراتب النحويين: ٨.

(٣) - ينظر: نزهة الألباء في طبقات الأدباء: ١٩.

(٤) - ينظر: دلائل الإعجاز: ٢٨.

(٥) - ينظر: المدارس النحوية أسطورة وواقع: ١١.

(٦) - من أساليب القرآن: ٧.

## الفصل الثاني التفسير اللغوي في المباحث النحوية والصرفية .....

هذه العلوم<sup>(١)</sup>، فالنحو ((إذن نشأ لفهم القرآن، وفرق كبير بين علم يسعى لفهم النص، وعلم يسعى لحفظه من اللحن، ولو كانت الغاية منه حفظ النص من اللحن لما أنتج العرب هذه الثروة الضخمة في مجال الدرس النحوي))<sup>(٢)</sup>، وليس النحو مجرد صناعة شكلية متعلق بأواخر الكلم لا علاقة له بالمعنى، بل كان الهدف الرئيس له أن يجيد المتكلم العربية نطقاً وفهماً، كما يُستعان به على فهم كلام الله عزّ وجلّ ورسوله (صلى الله عليه وآله) والأدب الرفيع<sup>(٣)</sup>، ((فالتفات النحويين إلى إعراب القرآن كان التفاتاً طبيعياً، لأنّ الغاية من وضع النحو هو خدمة معنى القرآن))<sup>(٤)</sup>، وإيضاحه وكشف المراد منه.

(١) - ينظر: من أساليب القرآن: ٩ .

(٢) - دروس في كتب النحو: ١٠ .

(٣) - ينظر: المجاز وقوانين اللغة: ٩٤ .

(٤) - المناهج التفسيرية في علوم القرآن: ١٥٤ .

## المبحث الأول

### المبتدأ والخبر، وبعض الموضوعات النحوية، وأثرها في التفسير اللغوي

عَرَضْتُ في هذا المبحث إلى المبتدأ والخبر وبعض الموضوعات النحوية، وهي التتكير والتعريف والجملة التفسيرية، والوقوف على هذه الموضوعات وتبنيها في القرآن الكريم يساعد في الكشف عن المعنى وإيضاح المراد من آي القرآن، وهذه الموضوعات من جملة الموضوعات النحوية التي لها أثر في كشف المعنى، إذ إن علم النحو من العلوم التي تُعنى بكشف المعنى، فالمبتدأ والخبر من الموضوعات النحوية التي لها الأثر الكبير في تحديد المعنى وتبيين جهته، فتعيين كون الكلمة مبتدأً أو خبراً يفيد في تحديد المراد، وقد وظّف ابن جني هذا الموضوع في تفسير بعض آي القرآن والقراءات القرآنية، وكذلك التتكير والتعريف، فكون الاسم نكرة يختلف في دلالاته عن كونه معرفة .

#### ١ - المبتدأ والخبر

##### تعدد الخبر

أولاً: القول في قوله تعالى: ﴿ فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين ﴾ [ البقرة: من الآية: ٦٥].

قال ابن جني: ((يُنْبَغِي أَنْ يَكُونَ ﴿ خَاسِئِينَ ﴾ خَبْرًا آخَرَ لـ ﴿ كُونُوا ﴾، وَالأَوَّلُ ﴿ قِرَدَةً ﴾ فهو كقولك: هذا حُلُو حَامِض، وَإِنْ جَعَلْتَهُ وَصْفًا لـ ﴿ قِرَدَةً ﴾ صَغَّرَ مَعْنَاهُ؛ أَلَا تَرَى أَنَّ الْقِرْدَ لِدُلَّةٍ وَصَغَارِهِ خَاسِيٌّ أَبَدًا فَيَكُونُ إِذَا صَفَةً غَيْرَ مَفِيدَةٍ، وَإِذَا جَعَلْتَ ﴿ خَاسِئِينَ ﴾ خَبْرًا ثَانِيًا حَسُنَ وَأَفَادَ حَتَّى كَأَنَّهُ قَالَ: كُونُوا قِرَدَةً، وَكُونُوا خَاسِئِينَ أَلَا تَرَى أَنَّ لَيْسَ لِأَحَدٍ الْأَسْمِينَ مِنَ الْإِخْتِصَاصِ بِالْخَبْرِيَّةِ إِلَّا مَا لِصَاحِبِهِ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ الصِّفَةُ بَعْدَ الْمَوْصُوفِ؛ إِنَّمَا إِخْتِصَاصُ الْعَامِلِ بِالْمَوْصُوفِ ثُمَّ الصِّفَةُ مِنْ بَعْدُ تَابِعَةٌ لَهُ))<sup>(١)</sup>.

بيّن ابن جني أنّ كون ﴿خَاسِئِينَ﴾ خبراً، أفضل من كونه وصفاً، فهو كونه خبراً تتم به الفائدة، ويحسن المعنى، ووصف القرد بالخسوء سيكون تكراراً؛ لأنّ القرد خاسيٌّ أبداً، وقال العكبري: ((﴿خَاسِئِينَ﴾ وهو صفة لِقِرَدَةٍ، ويجوز أن يكون خبراً ثانياً، وأن يكون حالاً

(١) - الخصائص: ٢ / ١٤٩ - ١٥٩.

من فاعل كان والعامل فيها كان))<sup>(١)</sup>، وقال أبو حيان (ت ٧٤٥هـ): (( **﴿ قِرْدَةٌ خَاسِيْنٌ ﴾** كلاهما خبر كان))<sup>(٢)</sup>.

أما كون **﴿ خَاسِيْنٌ ﴾** صفة فهو رأي ضعّفه ابن جني ولم يرجّحه إذ قال: ((ويؤنس بذلك أنه لو كانت **﴿ خَاسِيْنٌ ﴾** صفة لـ **﴿ قِرْدَةٌ ﴾** لكان الأخلق أن يكون **﴿ قِرْدَةٌ خَاسِيَةً ﴾** وفي أن لم يُقرأ بذلك البتّة دلالة على أنه ليس بوصف. وإن كان قد يجوز أن يكون خاسئين صفة لقردة على المعنى إذ كان المعنى أنها هي هم في المعنى إلا أن هذا إنما هو جائز وليس بالوجه؛ بل الوجه أن يكون وصفاً لو كان على اللفظ. فكيف وقد سبق ضعّف الصفة ههنا))<sup>(٣)</sup>، وقال الزمخشري (ت ٥٣٨هـ) في قوله تعالى: **﴿ قِرْدَةٌ خَاسِيْنٌ ﴾** ((خبران ، أي: كونوا جامعين بين القردية، والخسوء، وهو الصغار والطرده))<sup>(٤)</sup>.

لم يُبيّن ابن جني معنى كلمة (خاسئ) صريحاً، وإنما يفهم من سياق كلامه المتقدم أنه الدليل الصغير. وقيل في معنى (الخاسئ) وجهان: الأول: المُبْعَد، والثاني: الصَّاعِرُ، وفي المعنى الأول قال الخليل: ((والخاسئ من الكلاب والخنازير المُبَاعَدُ))<sup>(٥)</sup>، وكذلك قال ابن فارس في المقاييس<sup>(٦)</sup>، والثاني: قال به الزبيدي (ت ١٢٠٥هـ) مضافاً إلى الأول، إذ قال: ((والخاسئ من الكلاب والخنازير: المُبْعَدُ المَطْرُودُ الَّذِي لَا يُنْزَكُ أَنْ يَدْنُوَ مِنَ النَّاسِ وَكَذَلِكَ مِنَ الشَّيَاطِينِ، وَالخَاسِئُ: الصَّاعِرُ القَمِيءُ<sup>(٧)</sup>))<sup>(٨)</sup>، والمعنى الذي يستقيم مع كلام ابن جني هو الثاني؛ لأنه قيل في معنى الصَّاعِرُ: الرَّاضِي بالضَّيْمِ، أَوَالصَّاعِرُ: الرَّاضِي بِالذَّلِّ والضَّيْمِ<sup>(٩)</sup>، وكذلك القيد الذي ذكره الزبيدي في المعنى الأول؛ لأنّ هؤلاء الذين اعتدوا اعتدوا في السَّبْتِ منبوذون مدحورون.

(١) - التبيان في إعراب القرآن: ١ / ٧٣.

(٢) - البحر المحيط: ١ / ٣٩٧.

(٣) - الخصائص: ٢ / ١٥٩.

(٤) - الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: ١ / ١٧٦.

(٥) - العين: ٤ / ٢٨٨، (خساً).

(٦) - ينظر: معجم المقاييس: ٢ / ١٨٢، (خساً).

(٧) - القمّيء: الدليل، رجلٌ قمّيءٌ دليل، ينظر: لسان العرب: ١ / ١٣٤، (قماً).

(٨) - تاج العروس: ١ / ٢١١، (خساً).

(٩) - ينظر: العين: ٤ / ٣٧٢، وتاج العروس: ١٢ / ٣٢٤، (صغر).

ثانياً: القول في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ نَزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ ﴿آل عمران: ٢، ومن الآية: ٣﴾ خفيفة الزَّاي من ﴿نَزَلَ﴾، ورفع الباء من ﴿الْكِتَابَ﴾ على قراءة الأعمش.

قال ابن جني: ((هذه القراءة تدلُّ على استقلال الجملة التي هي قوله عزَّ اسمه: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [آل عمران: ٢] ألا ترى أنه لا ضمير في قوله: (نَزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ) يعود على اسم الله تعالى؟ فعلى هذا ينبغي أن تكون جملة مستقلة أيضاً في قول مَنْ شَدَّدَ الزاي ونصب الكتاب ((<sup>(١)</sup>، ولابن جني أكثر من وجه إعرابي في هذه القراءة تترتب عليها معان لا تختلف إلا أنه يبقى هناك فرق بين وجه وآخر:

الوجه الأول: استقلال الجملة التي هي قوله تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ ولفظ الجلالة (الله) مرفوع بالابتداء، وقوله: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ خبرٌ عنه، و﴿الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ وصفٌ له وثناءٌ عليه.

الوجه الثاني: أن يكون قوله: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ جملة معترضة بين المبتدأ والخبر ويكون ﴿الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ خبرين عن لفظ الجلالة.

الوجه الثالث: أن يكون قوله: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ خبراً أول، وقوله: ﴿الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ خبرين أيضاً، فيكون للمبتدأ ثلاثة أخبار<sup>(٢)</sup>.

وجاء عن كثير من المفسرين واللغويين أن من قرأ الآية بالتخفيف (نَزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ)، فهي تُحمل على وجهين: الأول: أن تكون منقطعة عما قبلها، وهذا رأي ابن جني، والثاني: أن تكون متصلة بما قبلها خبراً عن لفظ الجلالة والعائد محذوف أي: نَزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ مِنْهُ<sup>(٣)</sup>، وهذا الوجه لم يحسنه ابن جني؛ لانعدام وجود عائد على على المبتدأ إلا أنه وجه جائز<sup>(٤)</sup>.

(١)- المحتسب: ١ / ١٦٠.

(٢)- ينظر: المحتسب: ١ / ١٦٠ - ١٦١.

(٣)- ينظر: إعراب القراءات الشواذ: ١ / ٣٠١، والبحر المحيط: ٢ / ٣٩٢، وروح المعاني: ٣ / ٧٦.

(٤)- ينظر: المحتسب: ١ / ١٦٠.

والفرق بين تلك الوجوه الإعرابية من جهة المعنى، هو الفرق بين الوصف والخبر وهما متقاربان، وتعدد الخبر في هذه الوجوه لا يخلو من فائدة إذ قال ابن جني: ((وإن شئت أن تُخبر عن المبتدأ بعشرة أخبارٍ أو بأكثر من ذلك جاز وحسن؛ لِمَا يتضمنه كلُّ خبرٍ منها من الفائدة، فكأنَّه أخبر عنه وأثنى عليه، ثم أخذ يُفصِّ الحديث فقال: (نَزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابُ))<sup>(١)</sup>، ولكلِّ خبرٍ من الأخبار فائدة ذكرها المفسرون ، فالخبر الأول: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ فيه ردٌّ على نصارى نجران الذين وفدوا إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وقالوا إنَّ عيسى (عليه السلام) هو الله، أو أنَّ العبادة لا تحقِّ لسواه<sup>(٢)</sup>، والثاني: فيه ردٌّ على النصارى الذين ادَّعوا الإلهية لعيسى (عليه السلام) أيضًا أي إنَّ ((هذه الصفات لا يمكنهم ادَّعائها لعيسى (عليه السلام) لأنَّهم إذ يقولون إنَّه صُلب؛ فذلك موتٌ في معتقدهم لا محالة إذ من البين أنَّه ليس بقيوم))<sup>(٣)</sup>، ويعدُّ أبو حيان قوله تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ ((كلامًا مبتدأ جزمًا، جملة رادة على نصارى نجران الذين وفدوا على رسول (الله صلى الله عليه وسلم) ، فحاجَّوه في عيسى بن مريم ، وقالوا: إنَّه الله))<sup>(٤)</sup>.

أمَّا قراءة الجماعة، فيرى ابن جني أن قوله تعالى: ﴿نَزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابُ﴾ خبر، وله فيه رأيان الأول: أن يكون خبرًا رابعًا، والثاني: أن يكون جميع ما قبل قوله تعالى: ﴿نَزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابُ﴾ أوصافًا للفظ الجلالة ثناء وإعظامًا عليه، وقوله: تعالى ﴿نَزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابُ﴾ خبرًا عن لفظ الجلالة<sup>(٥)</sup>، ((والخبر هنا مستعمل في الامتتان... وحيء بالمسند فعلاً لإفادة تقوية الخبر، أو للدلالة مع ذلك على الاختصاص: أي الله لا غيره نزل عليك الكتاب إبطالاً لقول المشركين))<sup>(٦)</sup>.

(١)- المحتسب: ١ / ١٦١.

(٢)- ينظر: التبيان في تفسير القرآن: ٢ / ٣٨٩، والبحر المحيط: ٢ / ٣٩٢.

(٣)- المحرر الوجيز: ١ / ٣٩٧، وينظر: التحرير والتنوير: ٣ / ١٤٧.

(٤)- البحر المحيط: ٢ / ٣٩٢.

(٥)- ينظر: المحتسب: ١٦٠ - ١٦١.

(٦)- التحرير والتنوير: ٣ / ١٤٧.

### الاسم بين الرفع على الابتداء والنصب على الاشتغال

أولاً : القول في قوله تعالى: ﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ﴾ [المائدة: من الآية: ٥٠] برفع الميم من ﴿ أَفَحُكْمَ ﴾ على قراءة يحيى.

قال ابن جنى: ((قال ابن مجاهد: وهو خطأ، قال : وقال الأعرج: لا أعرف في العربية (أفحكّم)، وقرأ: ﴿ أَفَحُكْمَ ﴾ نصبًا، وقرأ الأعمش: (أفحكّم الجاهليّة) بفتح الحاء والكاف والميم))<sup>(١)</sup>، ولابن جنى في رفع (حكّم) قولان.

القول الأول: رُفِعَ (حكّم) على الابتداء خبره ﴿ يَبْغُونَ ﴾ حُذِفَ منه العائد على المبتدأ والتقدير (يَبْغُونَهُ)، واستدل على حذف العائد على المبتدأ بحذف العائد على الحال والصفة من حيث الشبه، إذ قال: ((قول ابن مجاهد إنّه خطأ فيه سرف؛ لكنّه وجهٌ غيره أقوى منه، وهو جائزٌ في الشعر، قال أبو النجم:

قد أصبَحَتْ أَمْ الْخِيَارِ تَدَّعِي عَلَيَّ ذَنْبًا كُلَّهُ لَمْ أَصْنَعِ

أي: لم أصنعه، فحذف الهاء. نعم، ولو نصب فقال: (كلّه) لم ينكسر الوزن، فهذا يُؤنِّسُكُ بأنّه ليس للضرورة مطلقه؛ بل لأنّ له وجهًا من القياس، وهو تشبيهه عائد الخبر بعائد الحال أو الصفة، وهو إلى الحال أقرب؛ لأنّها ضرب من الخبر، فالصفة كقولهم: الناس رجلان: رجلٌ أكرمتَ ورجلٌ أهنتَ؛ أي: أكرمته وأهنته، والحال كقولهم: مررتُ بهنْدٍ يضربُ زيدٌ؛ أي: يضربها زيدٌ، فحذف عائد الحال وهو في الصفة أمثل؛ لشبه الصفة بالصلة في نحو قولهم: أكرمتُ الذي أهنتَ؛ أي: أهنته، ومررتُ بالتي لقيتُ؛ أي: لقيتها، فغير بعيد أن يكون قوله: (أفحكّم الجاهليّة يَبْغُونَ يراد به يَبْغُونَهُ)، ثم يُحذف الضمير، وهذا وإن كانت فيه صنعة فإنّه ليس بخطأ))<sup>(٢)</sup>.

القول الثاني: رفعه على أنّه مبتدأ، و﴿ يَبْغُونَ ﴾ وصفٌ لخبرٍ محذوف، إذ قال: ((وإن شئت لم تجعل قوله ﴿ يَبْغُونَ ﴾ خبرًا، بل تجعله صفة خبر موصوف محذوف، فكأنّه قال: (أفحكّم الجاهليّة حُكْمٌ يَبْغُونَهُ)، ثم حذف الموصوف الذي هو (حكّم)، وأقام الجملة التي

(١) - المحتسب: ٢١١ / ١

(٢) - المحتسب: ٢١١ / ١، وينظر البيت في ديوان أبي النجم: ٢٥٦، وروايته فيه بنصب (كلّه).

هي صفته مقامه؛ أعني: (يَبْغُونَ)، كما قال الله سبحانه: ﴿مَنْ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾ [النساء: من الآية: ٤٦] أي: قوم يُحَرِّفُونَ، فحذف الموصوف وأقيمت الصفة مقامه ... كان حذفُ الهاء من قوله تعالى: (أَفَحُكُّمُ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ)، والمراد به حكمٌ يَبْغونه، ثم حذف الموصوف وعائده أسوغٌ وأسهلٌ وأسيرٌ))<sup>(١)</sup>.

فالمعنى المُتَحَصَّل من توجيه ابن جني في قوله، أنَّ الآية جملَةٌ اسمية، والجملَةٌ الاسمية ليست كالفعلية في الدلالة على المعنى، فهي تتصف بالثبوت والدوام، أي: صار ابتغاؤهم لحكم الجاهلية وصفاً ملازماً لهم، وقدَّر الكلام في القول الأول: (أَفَحُكُّمُ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَهُ)، وفي الثاني: (أَفَحُكُّمُ الْجَاهِلِيَّةِ حُكُّمٌ يَبْغُونَهُ) على حذف الخبر و(يَبْغُونَهُ) وصفه، وقال ابن عطية القول برفع (حكم) في الوجه الأول: ضعيف؛ وذلك لسببين: الأول: لأنَّ الفعل بعده لا ضمير فيه ولا عَوْضٌ من الضمير، والثاني: تقدُّم ألف الاستفهام التي تطلب الفعل، ومعها يختار النصب وإنْ لُفِظَ بالضمير<sup>(٢)</sup>، أما الوجه الثاني فوافق فيه ابن جني، إذ قال: ((وإنَّما تتَّجَّه القراءة على أن يكون التقدير (أَفَحُكُّمُ الْجَاهِلِيَّةِ حُكُّمٌ يَبْغُونَ)، فلا تجعل (يَبْغُونَ) خبراً، بل تجعله صفة خبر موصوف محذوف الموصوف، ونظيره قوله تعالى: ﴿مَنْ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ﴾ [النساء: من الآية: ٤٦] تقديره: قوم يُحَرِّفُونَ، فحذف الموصوف وأقام الصفة مقامه))<sup>(٣)</sup>، وإنَّ الوجه الذي ضعفه ابن عطية لم يغفل عنه ابن جني ولا عن الأسباب التي ذكرها، فهو قد ذكر هذين الإشكالين في المسألة، والذي جعل ابن جني يقول بهذا الوجه هو أنَّ له وجهاً من القياس ذكره في بيت أبي النجم الذي تقدم، وقال أبو حيَّان في حذف الضمير في ﴿يَبْغُونَ﴾: ((حسن حذف الضمير قليلاً في هذه القراءة كون الجملة فاصلة))<sup>(٤)</sup>، وقال غانم كامل معيياً على ابن جني توجيهه للآية، وتجوزُه في قاعدة نحوية معروفة في باب الاشتغال فهو يرى: ((أنَّه راح يقدر محذوفاً هنا وهناك ويطوع قاعدة بناها على المحذوف المقدر من أجل أن يُنصف هذه القراءة الشاذة [أي قراءة الرفع]، ثم يحمل معناها من بعد على معنى رسيلتها المشهورة))<sup>(٥)</sup>، وقول غانم

(١) - المحتسب: ١ / ٢١٢.

(٢) - ينظر: المحرر الوجيز: ٢ / ٢٠٣.

(٣) - المحرر الوجيز: ٢ / ٣٠١.

(٤) - البحر المحيط: ٣ / ٥١٦.

(٥) - التوجيه النحوي للقراءات الشاذة في كتاب المحتسب: ٥٤، (أطروحة).

هذا فيه نظر لأن ابن جني لم يحمل معنى قراءة الرفع على معنى القراءة المشهورة، بل حمل معنى قراءة (حَكَمَ) على معنى القراءة المشهورة، وسيجيء الكلام عليها.

أمَّا قراءة الأعمش (حَكَمَ) قال فيها ابن جني: ((فيمن قرأه كذلك، فأمره ظاهر في إعرابه، غير أن (حَكَمًا) هنا ليس مقصودًا به قصد حاكم بعينه؛ وإنما هو بمعنى الشِّيعِ والجنس؛ أي: (أَفْحَكَمَ الْجَاهِلِيَّةَ يَبْعُونَ)؟) وجاز للمضاف أن يقع جنسًا، كما جاء عنهم في الحديث من قولهم: مَنَعَتِ الْعِرَاقُ قَفِيرَهَا وَدِرْهَمَهَا... ثم يرجع المعنى من بَعْدُ إلى أن معناه معنى: (أَفْحَكُمُ الْجَاهِلِيَّةَ يَبْعُونَ)؛ لأنه ليس المراد والمبغى هنا نفس الحُكَّامِ، وإنما المَبْغَى نفس الحُكْمِ، فهو إذاً على حذف المضاف، أي: أَفْحَكَمَ حَكَمَ الْجَاهِلِيَّةَ يَبْعُونَ؟ وهذا هو الأول في المعنى))<sup>(١)</sup>، وكلام ابن جني هذا يراد به أمور عدَّة منها:

الأمر الأول: قوله أمره ظاهر في إعرابه، فإعراب (حَكَمَ) منصوب ب(يَبْعُونَ) ولا بُدَّ من حذف مضاف في هذه القراءة والتقدير (أَفْحَكَمَ حَكَمَ الْجَاهِلِيَّةَ)، أو (أَفْحَكَمَ حُكَّامَ الْجَاهِلِيَّةَ)، وقال القرطبي (ت ٦٧١هـ): ((وقد يكون الحَكَمُ والحَاكِمُ في اللُّغَةِ واحِدًا))<sup>(٢)</sup>، وإنَّ (حَكَمَ) جنس لا يراد به واحد بعينه، وإنما هو بمعنى الشِّيعِاع<sup>(٣)</sup>.

الأمر الثاني: قول ابن جني: ثم يرجع معنى قراءة (حَكَمَ) من بعد إلى معنى (أَفْحَكَمَ الْجَاهِلِيَّةَ يَبْعُونَ)، هذا القول برفع (حَكَمَ) فيه نظر ولا أظنُّه قول ابن جني، وإنما هو من عَمَلِ النَّسَّاحِ أو المُحَقِّقِ أو الطَّبَاعَةِ؛ لأنَّه بعد ذلك قدَّر القراءة على حذف المضاف، أي: أَفْحَكَمَ حَكَمَ الْجَاهِلِيَّةَ يَبْعُونَ؟ فجاء التقدير بنصب (حُكْمَ)، وعليه يكون ابن جني قد حَمَلَ قراءة (حَكَمَ) على القراءة المتواترة، بنصب (حُكْمَ) وليس ما توهمه غانم كامل في ذلك من حمل معنى قراءة الضم (حُكْمُ) على معنى القراءة المتواترة، اعتمادًا على النَّصِّ المصحف برفع (حُكْمُ)، وهذا له شواهد كثيرة منها، قال: ابن عطية: ((قرأ سليمان بن مهران (أَفْحَكَمَ)... ثم ترجع هذه القراءة بالمعنى إلى الأولى))<sup>(٤)</sup>، وقال القرطبي: ((أَفْحَكَمَ)... وهي راجعة إلى معنى قراءة الجماعة، إذ ليس المراد نفس الحَكَمِ، وإنما المراد الحُكْمُ، فكأنَّه

(١) - المحتسب: ١ / ٢١٣.

(٢) - الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان: ٨ / ٤٦.

(٣) - ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ٨ / ٤٦، والدر المصون: ٤ / ٢٩٨.

(٤) - المحرر الوجيز: ١ / ٢٠١.

قال: فأحکم حکم الجاهلية بيغون<sup>(١)</sup>، وكذلك قول السمين الحلبي (ت ٧٥٦هـ) في الدر المصون<sup>(٢)</sup>، مضافاً على ذلك أن قراءة الضم لا تحتاج إلى تقدير مضاف؛ لذا لم يقدر ابن جني مضافاً؛ لأن المبغى هو الحكم وهو متحقق ملفوظ به في قراءة الضم، وتقديره لمضاف في نصه الأخير يؤكد أنه حمل معنى قراءة (حکم) على القراءة المشهورة؛ لذا قال: وهذا هو الأول في المعنى، إشارة إلى قراءة الجماعة.

ثانياً: القول في قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩] برفع ﴿كُلٌّ﴾ على قراءة أبي السَّمَل.

ذكر ابن جني أن ((الرفع هنا أقوى من النصب، وإن كانت الجماعة على النصب؛ وذلك أنه من مواضع الابتداء، فهو كقولك: زيدٌ ضربتُهُ، وهو مذهب صاحب الكتاب والجماعة؛ وذلك لأنها جملة وقعت في الأصل خبراً عن مبتدأ في قولك: نحن كلُّ شيءٍ خلقناه بقدر، فهو كقولك: هندٌ زيدٌ ضربها، ثم تدخل (إن)، فتنصب الاسم، وبقي الخبر على تركيبه الذي كان عليه من كونه جملة من مبتدأ وخبر))<sup>(٣)</sup>، وقراءة الرفع هذه لها معنيان بحسب إعراب جملة ﴿خَلَقْنَاهُ﴾:

المعنى الأول: من أعرب جملة ﴿خَلَقْنَاهُ﴾ خبراً، وليس (وصفاً) يكون المعنى عنده: إِنَّا كُلُّ شَيْءٍ مَخْلُوقٌ لَنَا بِقَدَرٍ<sup>(٤)</sup>، وهناك من رجح قراءة النصب دفعا للتوهم الذي في إعراب ﴿خَلَقْنَاهُ﴾ إذ قال أبو حيَّان: ((إذا كان الفعل يُتوهم فيه الوصف، وأن ما بعده يصلح للخبر، وكان المعنى على أن يكون الفعل هو الخبر، اختير النصب في الاسم الأول حتى يتضح أن الفعل ليس بوصف، ومنه هذا الموضع، لأن في قراءة الرفع يُتخيل أن الفعل وصف، وأن الخبر ﴿بِقَدَرٍ﴾<sup>(٥)</sup>، وهذا التوهم الذي قاله أبو حيَّان، ومن قبله المبرد رده ابن جني بقوله: ((واختار محمد بن يزيد هنا النصب، وقال: لأن تقديره: إِنَّا فعلنا كذا، وقال: فالفعل مُنتظرٌ بعد (إنَّا)، فلما دلَّ ما قبله عليه حسن إضماره، وليس هذا شيئاً؛ لأنَّ

(١) - الجامع لأحكام القرآن: ٨ / ٤٦.

(٢) - ينظر: الدر المصون: ٤ / ٢٩٨.

(٣) - المحتسب: ٢ / ٣٠٠.

(٤) - ينظر: المحرر الوجيز: ٥ / ٢٢١.

(٥) - البحر المحيط: ٨ / ١٨١.

أصل خبر المبتدأ أن يكون اسماً لا فعلاً جزءاً منفرداً، فما معنى توقع الفعل هنا، وخبر إن وأخواتها كأخبار المبتدأ<sup>(١)</sup>، وهذه المسألة من باب الاشتغال ورفع (كل) في الآية هو رأي البصريين، وهو ما عليه سيبويه، إلا أنه قال في الآية إن القراءة لا تخالف لأنها سنة<sup>(٢)</sup>. ويرى كثير من المفسرين أن معنى هذه القراءة بهذا الوجه من الإعراب على معنى قراءة الجماعة، قال البيضاوي (ت ٦٩١هـ) بإعراب «خَلَقْنَاهُ» خبراً وليس صفة إذ قال: ((وقرئ بالرفع على الابتداء وعلى هذا فالأولى أن يجعل «خَلَقْنَاهُ» خبراً لا نعتاً ليطابق المشهورة في الدلالة على أن كل شيء مخلوق بقدر))<sup>(٣)</sup>، وإن لم يكن هناك اختلاف بين القراءتين إلا أنه يبقى هناك فرق بين الرفع والنصب على الاشتغال، وهذا الفرق أشار إليه فاضل السامرائي، إذ إن الرفع يدور الكلام فيه على المبتدأ، وهو محط اهتمام المتكلم، فالمبتدأ هو المُتَحَدِّثُ عنه، أما في النصب فالمسند إليه هو المُتَحَدِّثُ عنه، وقدَّم المشغول عنه للتحديث عنه بصورة ثانوية لا كالمبتدأ، واستدل لكلامه بالمثال الآتي: الظالم يكرهه الناس يحتقرونه في أنفسهم ثقيل عليهم مبغض إلى قلوبهم، فالكلام فيه على الظالم فرفعه بالابتداء، وفي النصب قال: ألا ترى إلى ريك وعقابه، وإنه إذا أمهل لا يُهْمَل، عاقب الكافر، والظالم أهلكه، والمستعبد أدله وقهره، والباطل أزاله، فالكلام على الله سبحانه وتعالى قدم ما قدم للاهتمام، فنصب (الظالم) و(المستعبد) و(الباطل) وهذا وجه الكلام<sup>(٤)</sup>، وقال الرازي: ((فمن قرأ (كل شيء) بالنصب، أفاد أنه تعالى خلق الكل بقدر، ومن قرأ (كل) بالرفع لم يُفد أنه تعالى خلق الكل، بل يفيد أن كل ما كان مخلوقاً له فهو إنما خلقه بقدر))<sup>(٥)</sup>.

المعنى الثاني: من أعرب جملة «خَلَقْنَاهُ» وصفاً لـ(كل) أو لـ «شَيْءٍ»، يكون الخبر «بِقَدْرِ» وتقدير المعنى: إننا كل شيء مخلوق لنا كائن بقدر، حينئذ يلزم من هذا أن يكون ثمة أشياء غير مخلوقة. أو مخلوقة لغير الله، تعالى الله<sup>(٦)</sup>، أو ((أن يكون الشيء

(١)- المحتسب: ٣٠٠ / ٢.

(٢)- ينظر: الكتاب: ٣١ / ١.

(٣)- أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ١٦٨/٥، وينظر: المحرر الوجيز: ٢٢١/٥، وروح المعاني: ٩٤/٢٧.

(٤)- ينظر: معاني النحو: ٢ / ١١٤ - ١١٥.

(٥)- التفسير الكبير: ٢٩ / ٢٢١.

(٦)- ينظر: البيان في غريب إعراب القرآن: ٢ / ٤٠٧، والتفسير الكبير: ٢٩ / ٢٢١.

الذي ليس مخلوقاً لله تعالى لا بقَدَرٍ))<sup>(١)</sup>، ونسب كثير من اللغويين والمفسرين هذا المعنى للقدرية فهم يقولون: كلُّ شيءٍ خلقه الله فهو بقدر وكلُّ شيءٍ لم يَخْلُقْهُ، فهو ليس كذلك كأفعال الإنسان<sup>(٢)</sup>، وهذا المعنى دفع الجمهور إلى اختيار قراءة النصب لدفع هذا التَّوهم الحاصل في المعنى، إلا أن الرّضي الأستراباذي (ت ٦٨٦هـ) لا يرى هناك أيّ تفاوت في المعنى بأيّ وجه بالنصب أو الرفع، وسواء جعلت ﴿ خَلَقْنَاهُ ﴾ وصفاً مع الرفع أم خبراً؛ ((وذلك أن قوله... (خلقنا كلُّ شيءٍ بقدر)، لا يريد به خلقنا كلُّ ما يقع عليه اسم (شيء)؛ لأنَّه تعالى لم يخلق جميع الممكنات غير المتناهية، ويقع على كل واحد منها اسم شيء (كلُّ شيءٍ) في هذه الآية ليس كما في قوله تعالى: ﴿ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [البقرة: من الآية: ٢٨٤]، لأنَّ معناه أنَّه قادر على كل ممكن غير متناه. فإذا تقرر هذا قلنا: أنَّ معنى (كلُّ شيءٍ خلقناه بقدر)، على أنَّ ﴿ خَلَقْنَاهُ ﴾ هو الخبر: كل مخلوقٍ مخلوقٌ بقدر، وعلى أنَّ ﴿ خَلَقْنَاهُ ﴾ صفة: كلُّ شيءٍ مخلوقٍ: كائنٌ بقدر، والمعنيان واحد، إذ لفظ (كلُّ شيءٍ)، في الآية مختص بالمخلوقات، سواء كان ﴿ خَلَقْنَاهُ ﴾ صفة له أو خبراً، وليس مع التقدير الأول أعم منه مع التقدير الثاني))<sup>(٣)</sup>، وردَّ الصبَّان هذا الجمع بين المعاني التي ترتبت على إعراب ﴿ خَلَقْنَاهُ ﴾<sup>(٤)</sup>.

وقال عبد الله عويقل: ((ولعلَّ ابن جني حينما قوَّى القراءة الشاذة نظر إلى الصناعة النحويَّة ولم ينظر إلى المعنى))<sup>(٥)</sup>، وهذا الكلام فيه نظر؛ لأنَّ ابن جني وإنَّ نظر إلى الصناعة النحويَّة، فهو لم يغفل المعنى؛ لذلك قيَّد كون جملة ﴿ خَلَقْنَاهُ ﴾ خبراً بقوله: ((الرفع هنا أقوى من النصب... وذلك أنَّه من مواضع الابتداء، فهو كقولك: زيدٌ ضربته))<sup>(٦)</sup>، و(ضربته) جملة فعلية في محل رفع خبر لزيد، وكذلك ﴿ خَلَقْنَاهُ ﴾.

(١) - الدر المصون: ١٠ / ١٥٥.

(٢) - ينظر: المحرر الوجيز: ٥ / ٢٢١، ونتائج الفكر: ٣٣٦، والبحر المحيط: ٨ / ١٨٢.

(٣) - شرح الرضي على الكافية: ١ / ٤٦٣.

(٤) - ينظر: حاشية الصبان على شرح الأشموني: ٢ / ١١٥.

(٥) - التوجيهات النحوية لقراءة أبي السَّمَّال: ٢٠١، مجلة معهد الإمام الشاطبي للدراسات القرآنية،

العدد: ٢، ١٤٢٧هـ.

(٦) - المحتسب: ٢ / ٣٠٠.

### الاسم بين الظرف والخبر

القول في قوله تعالى: ﴿ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحَى ﴾ [طه: ٥٩] بنصب (يوم) على قراءة الحسن.

قال ابن جني: ((أما نصب (يَوْمَ الزَّيْنَةِ) فعلى الظرف، كقولنا: قيامك يوم الجمعة، فالموعد إذا ههنا مصدر، والظرف بعده خبر عنه، وهو عندي على حذف المضاف، أي: إنجاز موعدنا إياكم في ذلك اليوم. ألا ترى أنه لا يُراد أنه في ذلك اليوم يعدكم؛ لأنَّ الموعد قد وقع الآن، وإنما يتوقع إنجازَه في ذلك اليوم))<sup>(١)</sup>، وعدَّ الموعد مصدرًا، و(يَوْمَ الزَّيْنَةِ) ظرفًا ينتج منه وجهان في المعطوف ﴿ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحَى ﴾ ذكرهما ابن جني، ووجه ثالث ذكره غيره :

الوجه الأول: أن يكون المصدر المؤول ﴿ وَأَنْ يُحْشَرَ ﴾ مجرورًا عطفاً على (الزَّيْنَةِ) حتى كأنه قال: موعدكم يومَ الزَّيْنَةِ وحَشَرَ النَّاسِ ضُحَى، أي: يومَ هذا وهذا.

الوجه الثاني: أن يكون المصدر المؤول مرفوعًا عطفاً على الموعد فكأنه قال: إنجازُ موعدكم وحَشَرَ النَّاسِ ضُحَى في يومِ الزَّيْنَةِ، أي: هذان الفعلان في يومِ الزَّيْنَةِ<sup>(٢)</sup>.

الوجه الثالث: أن يكون المصدر المؤول خبرًا لمبتدأ محذوف دلَّ عليه ما قبله، إذ قال أبو علي الفارسي: ((ولو نصبت اليومَ على أنه ظرف وأضمرت مبتدأ يكون قوله : ﴿ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحَى ﴾ خبرًا له، كأنه قال: وموعدكم أن يُحْشَرَ النَّاسِ ضُحَى؛ لكان ذلك مستقيمًا في قياس العربية))<sup>(٣)</sup>، وهذا الوجه قال به بعض اللغويين، وتقدير الكلام يكون: موعدكم في يومِ الزَّيْنَةِ، وموعدكم في حشر الناس، أو وموعدكم أن يحشر الناس<sup>(٤)</sup>.

وعدَّ (الموعد) مصدرًا في قراءة النصب، وليس مكانًا أو زمانًا؛ ((لأنَّ المكان والزمان لا يقعان في زمان بخلاف الحدث، أمَّا الأول: فلأنَّه لا فائدة فيه لحصوله في جميع الأزمنة، وأمَّا الثاني: فلأنَّ الزمان لا يكون ظرفًا للزمان ظرفية حقيقية؛ لأنَّه يلزم حلول

(١) - المحتسب: ٢ / ٥٣.

(٢) - ينظر: المحتسب: ٢ / ٥٣، وإعراب القرآن للنحاس: ٥٨٤.

(٣) - الحجة للقراء السبعة: ١ / ٢٣ - ٢٤.

(٤) - ينظر: الحجة للقراء السبعة: ٥ / ٢٢٧، وإعراب القرآن للباقولي: ١ / ١٩٩.

الشيء في نفسه))<sup>(١)</sup>، أو حتى لا يؤدي إلى إدخال الزمان في الزمان<sup>(٢)</sup>، وأما حذف المضاف من الظرف فقال به غير واحد من المفسرين، إذ قال ابن عطية في قراءة الحسن: (( يومَ ) بالنصب على الظرف والخبر مقدر))<sup>(٣)</sup>، وقدروا المحذوف بأمر عدّة منها: محلّ موعدكم كائن يوم الزينة أو واقع، أو وعدكم وعد يوم الزينة<sup>(٤)</sup>، أما الرّجّاج و الرّازي فقدرا المحذوف فعلاً، وتقدير الكلام يكون: موعدكم يقع يوم الزينة<sup>(٥)</sup>.

وقد يُعدُّ (الموعد) مبتدأً، والمراد به المصدر بمعنى الوقت و(يَوْمَ الزَّيْنَةِ) ظرف متعلق به، و﴿ ضَحَى ﴾ منصوب على الظرف، فهو خبرٌ للموعد على نيّة التعريف؛ لأنّه ضحى ذلك اليوم بعينه<sup>(٦)</sup>. أو يُعدُّ الموعد اسم زمان في قراءة الحسن، فيكون مبتدأً، وقوله تعالى: ﴿ ضَحَى ﴾ خبره، و(يَوْمَ الزَّيْنَةِ) يكون حالاً من الخبر مُقَدِّماً عليه، وهذا الوجه ليس به حاجة إلى تعريف ﴿ ضَحَى ﴾ كما قال الآلوسي<sup>(٧)</sup>.

أما قراءة العامة فقال ابن جني فيها: ((من رفع فقال: ﴿ يَوْمَ الزَّيْنَةِ ﴾ فإنّ الموعد عنده يَبْغِي أَنْ يكون زماناً، فكأنّه قال: وقتٌ وعدي يومُ الزَّيْنَةِ، كقولنا: مَبَعَثُ الجيوش شهرٌ كذا، أي: وقتٌ بعثها حينئذ، والعطف عليه بقوله: ﴿ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضَحَى ﴾ يؤكد الرفع؛ لأنَّ (أَنْ) لا تكون ظرفاً، ألا ترى أنّ من قال: زيارتك إِيَّاي مَقْدَمُ الحاج لا يقول: زيارتك إِيَّاي أَنْ يَفْدُمُ الحاج؟ وذلك أنّ لفظ المصدر الصريح أشبه بالظرف من (أَنْ) وصلتها التي بمعنى المصدر، إذا كان اسماً لِحْدَث، والظرف اسم للوقت، والوقت يكاد يكون حدثاً، وعلى كل حال فليست تحصل من ظرف الزمان على أكثر من الحدث الذي هو حركات الفلك، فلمّا تدانيا هذا التداني ساغ وقوع أحدهما موقع صاحبه))<sup>(٨)</sup>.

(١)- روح المعاني: ٢١٩ / ١٦.

(٢)- ينظر: باهر البرهان في معاني مشكلات القرآن: ٩٠٨.

(٣)- المحرر الوجيز: ٤٩ / ٤.

(٤)- ينظر: النكت في القرآن: ٣١٨، الدر المصون: ٨ / ٥٩.

(٥)- ينظر: التفسير الكبير: ٢٢ / ٧٢، و معاني القرآن وإعرابه: ٣ / ٣٦٠.

(٦)- ينظر الكشاف: ٤ / ٩٠، والدر المصون: ٨ / ٥٩، وروح المعاني: ١٦ / ٢١٩.

(٧)- ينظر: الدر المصون: ٨ / ٥٩، وروح المعاني: ١٦ / ٢٢٠.

(٨)- المحتسب: ٥٤ / ٢.

وفي قراءة الرفع يُحْمَلُ الموعد على وجهين:

الأول: أن يكون الموعد اسم زمان مبتدأ خبره قوله: ﴿يَوْمُ الزَّيْنَةِ﴾ وهو على تقدير حذف المضاف عند مكِّي بن أبي طالب (ت ٤٣٧هـ) والباقولي، وتقدير الكلام: موعدكم موعداً يوم الزَّيْنَةِ<sup>(١)</sup>، وعلى غير الحذف عند أبي الحسن المُجَاشِعِي (ت ٤٧٩هـ) والسمين الحلبي، والتقدير: زمانُ الوعدِ يومُ الزينة<sup>(٢)</sup>، فيخبر بالظرف عن الظرف، ويكون الثاني هو الأول كما عبَّر أبو علي الفارسي<sup>(٣)</sup>.

الوجه الثاني: أن يكون الموعد مصدرًا مبتدأ خبره ﴿يَوْمُ الزَّيْنَةِ﴾ على تقدير حذف المضاف والتقدير: وعدكم وعداً يوم الزينة<sup>(٤)</sup>.

وفي المعطوف ﴿وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحَى﴾ في قراءة الرفع ثلاثة أوجه من الإعراب:

الوجه الأول: أن يكون المصدر المؤول مرفوعاً عطفاً على (يوم)، والتقدير: موعدكم وقت يوم الزينة ووقت حشر الناس.

الوجه الثاني: أن يكون المصدر المؤول في موضع جرٍّ معطوفاً على الزينة<sup>(٥)</sup>.

الوجه الثالث: أن يكون المصدر المؤول مفعولاً معه، والمعنى: موعدكم يوم الزينة مع حشر الناس في الضحى، وهذا الوجه قال به الطباطبائي، إذ قال: ((وليس من البعيد أن يكون مفعولاً معه))<sup>(٦)</sup>.

(١)- ينظر: مشكل إعراب القرآن: ٢ / ٦٧ ، و إعراب القرآن للباقولي: ١ / ١٩٩ .

(٢)- ينظر: النكت في القرآن: ٣١٧ ، و الدر المصون: ٨ / ٥٩ .

(٣)- ينظر: الحجة للقراء السبعة: ١ / ٢٣ ، والتبيان في إعراب القرآن: ٢ / ٨٩٤ .

(٤)- ينظر: النكت في القرآن: ٣١٧ ، و الدر المصون: ٨ / ٥٩ .

(٥)- ينظر: مشكل إعراب القرآن: ٢ / ٦٧ ، والميزان في تفسير القرآن: ١٤ / ١٧٢ .

(٦)- الميزان في تفسير القرآن: ١٤ / ١٧٢ .

## الاسم بين الخبر والحال

القول في قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [البقرة: ١٣٥].

قال ابن جني: ((ذهب أبو علي الفارسي ، وأظنُّ أيضاً أبا الحسن الأخفش كذلك، في قوله تعالى: ﴿ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ إلى أنّ ﴿ حَنِيفًا ﴾ حال من المضاف إليه وهو ﴿ إِبْرَاهِيمَ ﴾ ... ويجوز عندي أنا فيه وجه غير هذا، وهو أن تجعله خبراً لكان محذوفة، أي كان حنيفاً))<sup>(١)</sup>. وقوله تعالى: ﴿ حَنِيفًا ﴾ نصبه ممّا أشكل على كثير من اللغويين والمفسرين، ولهم فيه أوجه منها:

الوجه الأول: أنه منصوب على الحال من المضاف إليه ﴿ إِبْرَاهِيمَ ﴾ والمعنى: بل نتبع مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ في حال حنفيته، وقيل إنَّ الحال من المضاف إليه ضعيف في القياس؛ وذلك لأنَّ الحال لا بد لها من عامل والعامل فيها عامل في صاحبها ، ولا يصح أن يعمل المضاف عمل الفعل<sup>(٢)</sup>، وجوّز النحويون وقوع الحال من المضاف إليه بشروط منها: أن يكون المضاف جزءاً من المضاف إليه أو مثل جزئه في صحة الاستغناء بالمضاف إليه عنه نحو قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [النحل: ١٢٣] ف ﴿ حَنِيفًا ﴾ حال؛ لأنه مثل الجزء من المِلَّة، وكذلك قوله تعالى: ﴿ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ﴾<sup>(٣)</sup>، ومنع ذلك أبو حيان إذ إنّه قال: ((أمّا الحال من المضاف إليه، إذا كان المضاف غير عامل في المضاف إليه قبل الإضافة، فنحن لا نجيزه، سواء كان جزءاً ممّا أضيف إليه، أو كالجزء، أو غير ذلك))<sup>(٤)</sup>.

الوجه الثاني: أن يكون حالاً من (المِلَّة) والعامل فيه هو العامل في (المِلَّة)، والمعنى: بل نتبع مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حنيفاً، وأمّا عدم مطابقة الحال لصاحبها؛ لأنَّ ﴿ حَنِيفًا ﴾ على وزن فعيل يستوي فيه المذكر والمؤنث، أو ((لأنَّ المِلَّةَ في معنى الدِّين، ألا ترى أنّها قد أُبدلت من

(١)- الخاطريات: ١٤٨ - ١٤٩.

(٢)- ينظر: معاني القرآن وإعرابه: ٢١٣ / ١، والتبيان في إعراب القرآن: ١ / ١٢٠.

(٣)- ينظر: شرح بن عقيل: ٢ / ٢٦٨، والدر المصون: ٢ / ١٣٥.

(٤)- البحر المحيط: ١ / ٥٧٧.

الدين في قوله جلَّ وعزَّ: ﴿ دِينًا قِيمًا مَلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ﴾ [الأنعام: من الآية: ١٦١] فإذا جعلت حنيفًا حالًا من الملة، فالنَّاصِب له هو النَّاصِب للمِلَّة<sup>(١)</sup>، فالحال تكون لازمة؛ لأنَّ دين إبراهيم لم ينفك عن الحنيفية<sup>(٢)</sup>.

الوجه الثالث: قيل إنَّه منصوب على القطع<sup>(٣)</sup>، وهو رأي الكوفيين والأصل عندهم: بل مِلَّة إبراهيم الحنيف، فلما نكَّره، لم تتبع النكرة المعرفة. فانقطع منه فنصب<sup>(٤)</sup>.

الوجه الرابع: وقيل إنَّه منصوب بإضمار فعل، قال ابن عطية: ((و﴿ حَنِيفًا ﴾ حال، وقيل نصب بإضمار فعل، لأنَّ الحال تعلق من المضاف إليه))<sup>(٥)</sup>، تقديره: أعني حنيفًا، نقله مكي بن طالب والعكبري<sup>(٦)</sup>، أو (نتَّبَع حنيفًا) قاله السمين الحلبي<sup>(٧)</sup>.

أما الوجه الذي قاله ابن جني، فلم يقل به أحدٌ غيره على حد علمي وإطلاعي واستدل ابن جني لرأيه هذا معنًى وإعرابًا:

أمَّا معنًى: أنَّ الآية موضع ثناء على إبراهيم (عليه السلام) ولاتق به أن يقال: كان من أمره كذا. كان من سببه كذا، أي: إنَّه كان حنيفًا، مضافًا على ذلك، إن كان ﴿ حَنِيفًا ﴾ حالًا فهي لابدٌ لازمة، والأصل في الحال أنَّها منقلبة<sup>(٨)</sup>. أمَّا إعرابًا: فإذا دلَّ دليل على

(١) - أمالي ابن الشجري: ١ / ٢٥، ٢٦.

(٢) - ينظر: البحر المحيط: ١ / ٥٧٨.

(٣) - قال أكثر مؤلفي كتب المصطلح: أنَّ مصطلح (القطع) مصطلح كوفي يقابله (الحال) عند البصريين، وقال أبو بكر السراج: ((كان الكسائي يقول: رأيتُ زيدًا ظريفًا، فينصب (ظريفًا) على القطع، ومعنى القطع أن يكون أراد النعت فلما كان ما قبله معرفة وهو نكرة انقطع منه وخالفه))، الأصول في النحو: ١/٢١٥، وينظر: (معجم المصطلحات النحوية والصرفية: ١٨٨). وللقطع في النحو العربي صورًا متعددة فيكون في التوابع كلها، والاستثناء وفي الإضافة وفي خبر النواسخ، وقد عرض فاضل السامرائي إلى القطع في النعت، والعطف، ينظر: (ظاهرة القطع في العربية: ٣٥)، مجلة كلية الآداب جامعة بغداد، العدد ٣٧، ١٩٩٠. ولا يبدو أنَّ (القطع) يقابل (الحال)؛ لأنَّ المعنى الذي عليه الكوفيون في القطع يخالف المعنى الذي يريده البصريين من الحال.

(٤) - ينظر: الكشف ولبیان: ١ / ٢٨٢، والدر المصون: ٢ / ١٣٥.

(٥) - المحرر الوجيز: ١ / ٢١٤.

(٦) - ينظر: الهداية إلى بلوغ النهاية: ١ / ٤٦٤، والتبيان في إعراب القرآن: ١ / ١٢١.

(٧) - ينظر: الدر المصون: ٢ / ١٣٦.

(٨) - ينظر: الخاطريات: ١٤٩.

العامل المحذوف كان في حكم الملفوظ به ، نحو : العباد مجزيون بأفعالهم إن خيراً فخيرٌ وإن شراً فشرٌ، أي: إن كان خيراً وإن كان شراً، وأُضْمِرَتْ (كان) لدلالة السياق عليها، وكذلك الآية أي: (كان حنيفاً)، وأيضاً دلّ عليه قوله من بعد: ﴿ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ فدلّ المعطوف على المعطوف عليه، والمعنى: بل ملة إبراهيم كان حنيفاً وما كان من المشركين<sup>(١)</sup>.

## ٢- التعريف والتنكير

### (أ) التعريف

القول في قوله تعالى: ﴿ الرَّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ ﴾ [النساء: من الآية: ٣٤].  
ذكر ابن جني أنّ (أل) التعريف ((هنا لتعريف الجنس ألا ترى أنّ هذا لا يُومأُ به إلى رجال مخصوصين، ولا إلى نساء معروفات وإنما الغرض منه هذا الجنس))<sup>(٢)</sup>، أي استغراق جنس الرجال أنّهم قَوَّامُونَ على جنس النساء بما فضّلهم الله مسلطون عليهنّ في التّدبير والتّأديب<sup>(٣)</sup>، وقال ابن جني في موضع آخر تكلم فيه عن الآية: ((وليس يراد هنا - والله أعلم - القيام الذي هو المثل والتّصّب ضد القعود ، وإنما هو من قولهم (قمت بأمرك) (وعليّ القيام بهذا الشأن) فكأنه - والله أعلم - الرجال متكلفون لأمر النساء معنيون بشؤونهن))<sup>(٤)</sup>، ونقل أبو حيان: أنّه ((قيل: المراد بالرجال هنا من فيهم صدّامة<sup>(٥)</sup>،<sup>(٥)</sup> وحزم، لا مطلق من له لحيّة. فكم من ذي لحيّة لا نفع فيه ولا ضررٌ ولا حرمٌ؛ ولذلك يقال: رجلٌ بيّن الرّجولة؛ ولذلك ادّعى بعض المفسرين أنّ في الكلام حذفاً تقديره: الرّجال قَوَّامُونَ على النّساء إن كانوا رجالاً))<sup>(٦)</sup>، وقال محمّد جواد مغنية: ((المراد بالرّجال هنا مخصوص الأزواج لا كلّ الرّجال، وبالنّساء خصوص الرّوجات لا جميع النّساء))<sup>(٧)</sup>، والذي قاله أبو حيان، ومحمد جواد لا يُخرج (أل التعريف) من كونها للجنس، فهي في قول

(١)- ينظر: الخاطريات: ١٥٠.

(٢)- الخاطريات: ٥٠ / ٢.

(٣)- ينظر: مجمع البيان: ٦٦ / ٣، و التحرير والتنوير: ٣٨ / ٥.

(٤)- سر صناعة الإعراب: ٦٣٤ / ٢.

(٥)- صدّامة: هَجْمَة، ينظر: تكملة المعاجم العربية: ٤٣٣ / ٦، (صدم).

(٦)- البحر المحيط: ٢٤٨ / ٣.

(٧)- التفسير المبين: ١٠٥.

أبي حيان للجنس أي: جنس الرجال المُتَّصِفِينَ بِالرَّجُولَةِ، وكذلك قول محمد جواد فهي للجنس أيضا والمراد بها جنس الأزواج من الرجال والنساء.

### تنكير اسم الجنس

أولاً: القول في تعالى: ﴿ اِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ [الفاتحة: ٤]، بتكثير ﴿ الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ على قراءة الحسن بن علي (عليهما السلام) دون تعريف (صراطاً مسقيماً) .

قال ابن جنبي: ((يُنْبَغِي أَنْ يَكُونَ أَرَادَ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - التَّدْلِيلُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ، وَإِظْهَارُ الطَّاعَةِ لَهُ؛ أَي: قَدْ رَضِينَا مِنْكَ يَا رَبَّنَا بِمَا يُقَالُ لَهُ : صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ، وَلَسْنَا نُرِيدُ الْمَبَالِغَةَ فِي قَوْلٍ مِنْ قَرَأَ: ﴿ الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ أَي: الصِّرَاطَ الَّذِي شَاعَتْ اسْتِقَامَتُهُ، وَتَعُولِمَتْ فِي ذَلِكَ حَالَهُ وَطَرِيقَتَهُ، فَإِنَّ قَلِيلًا هَذَا مِنْكَ لَنَا زَاكَ عِنْدَنَا وَكَثِيرٌ مِنْ نِعْمَتِكَ عَلَيْنَا، وَنَحْنُ لَهُ مُطِيعُونَ، وَإِلَى مَا تَأْمُرُ بِهِ وَتَنْهَى فِيهِ صَائِرُونَ))<sup>(١)</sup>، وحسن ابن جنبي التتكير في هذه الآية إذ قال: ((وزاد في حُسْنِ التَّنْكِيرِ هُنَا مَا دَخَلَهُ مِنَ الْمَعْنَى؛ وَذَلِكَ أَنَّ تَقْدِيرَهُ: أَيْمُ هَدَايَتِكَ لَنَا؛ فَإِنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ بِنَا فَقَدْ هَدَيْتَنَا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ؛ فَجَرَى حِينَئِذٍ مَجْرَى قَوْلِكَ: لَنْ لَقِيَتَ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لِنُتَّقِيَنَّ مِنْهُ رَجُلًا مَتَاهِيًا فِي الْخَيْرِ، وَرَسُولًا جَامِعًا لِسُبُلِ الْفَضْلِ))<sup>(٢)</sup>، مضافاً على ذلك أَنَّ ابْنَ جَنبِي يَرَى مَفَادَ نَكْرَةِ الْجِنْسِ مَفَادَ مَعْرِفَتِهِ، وَنَكْرَةَ الْجِنْسِ تَدُلُّ عَلَى مَطْلُوقِ الْحَقِيقَةِ بِلا قَيْدٍ<sup>(٣)</sup>، واستشهد لذلك بقول الشاعر:

أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى صِرَاطٍ إِذَا أَعْوَجَّ الْمَوَارِدُ مُسْتَقِيمٌ<sup>(٤)</sup>

فكأنه قال بالتعريف، أمير المؤمنين على الصراط المستقيم لا فرق بين التتكير والتعريف لأنَّ الصراط جنس<sup>(٥)</sup>، وقال العكبري: تتكير الصراط يحمل على جهتين:

الجهة الأولى: أَنَّ الصِّرَاطَ جِنْسٌ وَتَعْرِيفُ الْجِنْسِ، وَتَنْكِيرُهُ سِوَاءُ أَلَّا تَرَى أَنَّهُ لَا فَرْقَ بَيْنَ قَوْلِكَ: شَرِبْتَ الْعَسَلَ، شَرِبْتَ عَسَلَ.

(١) - المحتسب: ٤١ / ١ .

(٢) - المحتسب: ٤١ / ١ .

(٣) - ينظر: المحتسب: ٤١ / ١، ومغني اللبيب: ٧٣ / ١ .

(٤) - ديوان جرير: ٢١٨ / ١ .

(٥) - ينظر: المحتسب: ٤٣ / ١ .

الجهة الثانية: أنه أراد النكرة ثم ينصرف إلى المعهود بقريظة، والقريظة شيئان: أحدهما قوله تعالى: ﴿ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ [الفاحة: من الآية: ٧] فأبدل الثاني من الأول فتخصص. أما الثاني: أن الغرض هدايتهم إلى صراط مستقيم وقد ثبت بالدليل أن الإسلام هو الصراط المستقيم ولا مستقيم سواه<sup>(١)</sup>، ويمكن أن نجمل معنى التكرير بقولين: الأول: أن مفاد نكرة الجنس مفاد معرفته، أي أن معنى قراءة التكرير هو معنى قراءة الجماعة، والثاني: أن يكون التكرير دالاً على التقليل، أي: نحن راضون منك يا ربنا بالقليل<sup>(٢)</sup>.

ثانياً: القول في قوله تعالى: ﴿ وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ [فصلت: ٣٥].

قال ابن جني: ((فَعَطَفَ النَّكْرَةَ عَلَى الْمَعْرِفَةِ ، وَلَمْ يَقُلْ : إِلَّا ذُو الْحَظِّ الْعَظِيمِ ، وَعَلْتَهُ - وَاللَّهِ أَعْلَمُ - أَنَّ «الَّذِينَ» هُنَا لَيْسُوا مَخْصُوصِينَ لِأَنَّهُمْ جِنْسٌ ، وَالْجِنْسُ تَفِيدُ نَكْرَتَهُ مَفَادَ مَعْرِفَتِهِ كَقَوْلِهِمْ : إِنِّي لِأَمْرٍ بِالرَّجُلِ خَيْرٌ مِنْكَ ، فَوَصَفَ هَذِهِ الْمَعْرِفَةَ بِالنَّكْرَةِ وَصَحَّ ذَلِكَ فَكَأَنَّهُ قَالَ - وَاللَّهِ أَعْلَمُ - وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا قَوْمٌ صَبَرُوا ؛ فَلِذَلِكَ عَطَفَ عَلَيْهِ قَوْلُهُ : ﴿ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ ))<sup>(٣)</sup> ، فابن جني نفى الخصوص عن الذين صبروا، وحمل الموصول على الجنس وأوله ب(قوم)، وكذلك قال الألويسي: أن الموصول للاستغراق حتى يفيد الكلية؛ لأنه ذكر في الآية: إنها مركبة من موجبتين كليتين أي: كل صابر هو الذي يُلقاها وكل من يُلقاها فهو ذو حظ عظيم، ينتج: كل صابر هو ذو حظ عظيم<sup>(٤)</sup>.

#### تنكير المصدر المؤول وتعريفه

القول في قوله تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ ﴾ [التوبة: من الآية: ١١٣]، وقوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُوْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ [يونس: من الآية: ١٠٠].

قال ابن جني: ((قال أبو الحسن في قول الله تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ ﴾ يقول: وما كان لهم استغفارٌ للمشركين، وقال تعالى: ﴿ وَمَا

(١)- ينظر: إعراب القراءات الشواذ: ٩٨.

(٢)- ينظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ١ / ٣٠٧.

(٣)- الخاطريات: ٩٤.

(٤)- ينظر: روح المعاني: ٢٤ / ١٢٤.

كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ﴿١﴾ أي: ما كان لها الإيمان إلا بإذن الله ففسر أبو الحسن ﴿أَنْ يَسْتَغْفِرُوا﴾ بالنكرة التي هي (استغفار)، وفسر ﴿أَنْ تُؤْمِنَ﴾ بالمعرفة التي هي (الإيمان). أخذ بالأمرين جميعاً؛ وذلك أن أبا الحسن كان يجيز أن تكون (أَنْ) وصلتها الفعل المنصوب بعدها نكرة، كما تجيز الجماعة أن تكون معرفة<sup>(١)</sup>. ويرى ابن جني في تكثير المصدر في قوله: ﴿أَنْ يَسْتَغْفِرُوا﴾ تحقيراً لشأن المشركين؛ لأن الاستغفار للمشركين محظور وإن كان استغفاراً، فنكر المصدر تحقيراً لشأنه؛ لأنهم لا يستحقون حتى استغفاراً. وأمّا قوله: ﴿أَنْ تُؤْمِنَ﴾، فتعريف المصدر فيه تفخيم لشأن الإيمان؛ لأن الإيمان مما يُرغب فيه ويُرجى، فعرف المصدر لذلك<sup>(٢)</sup>. وجاء عن الطبري أن أهل العربية اختلفوا في المصدر المؤول في الآيتين، فذهب بعض نحويي البصرة إلى تعريف المصدر المؤول في الآيتين فقالوا: إن معنى ذلك: ما كان لهم الاستغفار، وما كان لنفس الإيمان ﴿إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾، وذهب بعض أهل الكوفة إلى أن (أَنْ) مع (كان) تأويلها (يُنْبَغِي)، أي: ما كان يُنْبَغِي لهم أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لهم<sup>(٣)</sup>.

### ٣- الجملة التفسيرية

أولاً: القول في قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١].

قوله: ﴿هُوَ﴾ ضمير شأن، وقوله: ﴿اللَّهُ أَحَدٌ﴾ تفسيراً لـ ﴿هُوَ﴾؛ لأن ضمير الشأن والقصة لا بد له أن تُفسره الجملة. وضمير الشأن مبتدأ خبره الجملة الاسمية بعده التي هي تفسير له، ولا عائد له من الجملة لأنها عين الشأن الذي عبر عنه بالضمير<sup>(٤)</sup>، واتفق مع ابن جني أكثر اللغويين والمفسرين<sup>(٥)</sup>، وجاء عن سيبويه والكسائي: أن ﴿هُوَ﴾ عماد<sup>(٦)</sup>، وهذا الوجه ردّه الفراء فقال: ((وقد قال الكسائي قولاً لا أراه شيئاً. قال: هو عماد.

(١)- الخاطريات: ٢ / ١٥٨، وينظر: معاني القرآن للأخفش: ١ / ٣٦٦.

(٢)- ينظر: الخاطريات: ٢ / ١٥٨، ١٥٩.

(٣)- ينظر: جامع البيان: ١٢ / ٢٤ - ٢٥.

(٤)- ينظر: الخصائص: ١ / ١٥٠، والمحتسب: ٢ / ٣٠.

(٥)- ينظر: أمالي ابن الشجري ٣ / ١١٦، و البيان في غريب إعراب القرآن ٢ / ٥٤٥، البحر المحيط:

٨ / ٥٢٩، و الدر المصون: ١١ / ١٤٩.

(٦)- ينظر: مجالس ثعلب: ٨ / ٣٥٤.

مثل قوله: ﴿ إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ ﴾ [النمل: من الآية: ٩] فجعل ﴿ أَحَدٌ ﴾ مرفوعاً بالله، وجعل (هو) بمنزلة الهاء في ﴿ إِنَّهُ ﴾، ولا يكون العماد مستأنفاً به حتى يكون قبله (إن) أو بعض أخواتها، أو (كان) أو (الظن) ((<sup>(١)</sup>، ويرى ابن خالويه: ﴿ هُوَ ﴾ مبتدأ، ولفظ الجلالة ﴿ اللَّهُ ﴾ خبره، و﴿ أَحَدٌ ﴾ بدل من لفظ الجلالة<sup>(٢)</sup>. ويرى السمين الحلبي: أنه يجوز أن يكون لفظ الجلالة ﴿ اللَّهُ ﴾ بدلاً من الضمير، و﴿ أَحَدٌ ﴾ خبر<sup>(٣)</sup>.

ثانياً: القول في قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾ [المؤمنون: ٢١].

قوله: ﴿ نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهَا ﴾ تفسيرٌ للعبرة، فالوقف يكون على العبرة، ثم يستأنف تعالى تفسير العبرة بقوله ﴿ نُسْقِيكُمْ ﴾<sup>(٤)</sup>. وذكر في قوله تعالى: ﴿ يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ ﴾ [النساء: من الآية: ١١]، أن قوله: ﴿ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ ﴾ تفسيرٌ للوصية. وذكر في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ [آل عمران: ٥٩] أن قوله ﴿ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ﴾ تفسيرٌ للمثل<sup>(٥)</sup>. وذكر في قوله تعالى: ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ [المائدة: ٩]، أن قوله: ﴿ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ تفسيرٌ للوعد<sup>(٦)</sup>، ثم قال ابن جني: ((ومتى كانت الجملة تفسيراً لم يحسن الوقوف على ما قبلها دونها؛ لأن تفسير الشيء لاحق به ومتمم له وجارٍ مجرى بعض أجزائه، كالصلة والموصول، أو الصفة والموصوف))<sup>(٧)</sup>.

(١) - معاني القرآن للفراء: ٣ / ٢٩٩.

(٢) - ينظر: إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم: ٢٤٥ - ٢٤٦.

(٣) - ينظر: الدر المصون: ١١ / ١٤٩.

(٤) - ينظر: الخاطريات: ٣٨، والمحتسب: ٢ / ٩٠.

(٥) - ينظر: الخاطريات: ٣٨، والتنبيه: ٣٣٢.

(٦) - ينظر: بقية الخاطريات: ٣٧، والتنبيه: ٣٣٢.

(٧) - ينظر: الخاطريات: ٣٩.

ثالثاً: القول في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُدَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِّنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ [البقرة: ٤٩].

قوله تعالى: ﴿يُدَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ﴾ تفسير لقوله تعالى: ﴿يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾<sup>(١)</sup>، وكذلك عدّ الفراء ﴿يُدَبِّحُونَ﴾ تفسيراً لصفات العذاب<sup>(٢)</sup>. وذكر في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٣٤]، قد يكون قوله: ﴿أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ تفسيراً لامتناعه<sup>(٣)</sup>، وقال أبو السعود (ت ٩٨٢هـ) قوله تعالى: ((﴿أَبَى وَاسْتَكْبَرَ﴾ استئناف استئنافٌ مُبَيِّنٌ لكيفية عدم السجود المفهوم من الاستثناء))<sup>(٤)</sup>.

(١)- ينظر: الخاطريات: ٣٩.

(٢)- ينظر: معاني القرآن للفراء: ٢ / ٦٩.

(٣)- ينظر: الخاطريات: ٣٩.

(٤)- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: ١ / ١٥٦.

## المبحث الثاني

### الحذف وأثره في التفسير اللغوي

الحذف مظهرٌ من مظاهر العربية التي امتازت به من غيرها من اللغات بكثير من الظواهر، وعدّه بعضهم من المجاز وبعضهم الآخر من الاتساع، وهو من الموضوعات النحوية والبلاغية التي لها ارتباط وثيق بالمعنى<sup>(١)</sup>، فقول هو ((ترك اللفظ لمصلحة المعنى))<sup>(٢)</sup>، والوقوف على الحذف في الكلام وتعيين مكان المحذوف ونوعه يُعين المُفسّر على إدراك المعنى من الكلام أو النصّ القرآني، ثمّ إيضاحه، وتقدير المعنى النهائي للنصّ.

وابن جني من العلماء الذين وقفوا على الحذف وقوفاً مُفصّلاً في كتابه الخصائص، وبيّن مكانته في العربية وعدّه من شجاعة العربية، والحذف يقع على ((الجملة والمفرد والحرف والحركة. وليس شيء من ذلك إلا عن دليل عليه. وإلا كان فيه ضرب من تكليف علم الغيب في معرفته))<sup>(٣)</sup>، فابن جني يرى أنّ القول بالحذف يجب أن يكون عليه دليل من الحال أو المقال ؛ وهذا ما نراه في تفسيره في ضوء الحذف ، فهو في الغالب لا يقول بالحذف إلا بعد أن يدلّ على المحذوف ، وعرضت في هذا المبحث إلى حذف الفعل ، ثم الاسم أمّا حذف الحرف، فلم يكن له أثر كبير في تفسير ابن جنّي؛ لذا لن أعرض له.

#### ١- حذف الفعل

##### حذف (كان)

القول في قوله تعالى: ﴿ وَاتَّبِعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكٍ سَلِيمٍ ﴾ [البقرة: من الآية: ١٠٢].

ذكر ابن جنّي أنّ المعنى ((أي: ما كانت تتلو، فحذفت (كان)، وأمّا أهل الحذف من العربية فعندهم أنّ الله تعالى أتى بلفظ فعل الحال على الحكاية، كما قال الشاعر:

(١)- ينظر: في علم دلالة النص نظرات في قصيدة الحذف: ٦.

(٢)- في علم دلالة النص نظرات في قصيدة الحذف: ٤٣.

(٣)- الخصائص: ٢ / ٣٦٠.

## جَارِيَةٌ فِي رَمَازِ الْمَاضِي

### تُقَطَّعُ الْحَدِيثُ بِالْإِيمَاضِ

حكى حالها في الوقت))<sup>(١)</sup>، ولاين جني في الآية وجهان:

الوجه الأول: أَنَّ فِي الْآيَةِ حَذْفًا، وَأَنَّ فِعْلَ التَّلَاوَةِ حَصَلَ فِي الزَّمَنِ الْمَاضِي، أَي: زَمَنِ نَبِيِّ اللَّهِ سَلِيمَانَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ)؛ لِذَا قَدَّرَ فِعْلًا مَاضِيًّا وَهُوَ (كَانَتْ) مَحذُوفٌ لِلدَّلَالَةِ عَلَى الْمُضِيِّ، وَقَالَ بَعْضُ الْمَفْسُرِينَ عَنِ الْكُوفِيِّينَ: أَنَّ الْمَعْنَى مَا كَانَتْ تَتْلُو الشَّيَاطِينُ، وَلَا يَرِيدُونَ بِذَلِكَ أَنَّ صَلَاةَ (مَا) مَحذُوفَةٌ وَهِيَ (كَانَتْ)، وَإِنَّمَا قَصَدُوا تَفْسِيرَ الْمَعْنَى، وَأَنَّ الْمَضَارِعَ وَقَعَ مَوْقِعَ الْمَاضِي<sup>(٢)</sup>، وَجَاءَ عَنِ الْكَسَائِيِّ أَنَّهُ قَالَ فِي الْآيَةِ: ((أَرَادَ مَا كَانَتْ تَتْلُو [كَذَا] ))<sup>(٣)</sup>، إِلَّا أَنَّ ابْنَ جَنِي يَرَى أَنَّ هُنَاكَ حَذْفًا فِي الْكَلَامِ، إِذْ إِنَّهُ أَوْرَدَ الْآيَةَ شَاهِدًا عَلَى حَذْفِ (كَانَ) فِي بَيْتِ الْمَتَنِيِّ: ((

يَا مَنْ يُبَدِّلُ كُلَّ وَقْتٍ حُلَّةً      أَنَّى رَضِيَتْ بِحُلَّةٍ لَا تُنْزَعُ

أَي: يَا مَنْ كَانَ يَبْدِلُ، فَحَذَفَ (كَانَ) وَهُوَ يَرِيدُهَا، وَهَذَا عَلَى قَوْلٍ مِنْ قَالَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ﴾ أَي: مَا كَانَتْ تَتْلُو فَحَذَفَتْ (كَانَ) ))<sup>(٤)</sup>، وَرَفَضَ أَبُو عَلِيٍّ الْفَارَسِيُّ أَنَّ يَكُونَ الْكَلَامُ عَلَى حَذْفِ (كَانَ)؛ لِأَنَّهُ لَا دَلَالَةَ عَلَى الْحَذْفِ فِي الْآيَةِ، وَلَا مَسْوُوعٌ لِإِضْمَارِ (كَانَ)، وَالْآيَةُ عِنْدَهُ نَظِيرُ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [النحل: من الآية: ١٢٤]، ((فَلَوْ أَنَّ (كَانَ) مَرَادٌ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ﴾؛ لَكَانَ (سَيَكُونُ) مَرَادٌ فِي ﴿يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ﴾؛ لِأَنَّهَا قِصَّةٌ آتِيَةٌ، كَمَا أَنَّ هَذِهِ حَالِيَةٌ))<sup>(٥)</sup>، وَلَا بِيَّ عَلِيٍّ فِي الْآيَةِ قَوْلَانِ: الْأَوَّلُ مِنْهُمَا: أَنَّ يَكُونُ (تَتْلُو) بِمَعْنَى تَلَّتْ أَي: مَضَارِعَ بِمَعْنَى الْمَاضِي<sup>(٦)</sup>، وَلَا حَذْفَ فِي الْآيَةِ وَكَذَا قَالَ:

(١)- الفسر: ٢ / ٤١٥، وينظر: البيتان في ديوان رؤبة: ١٧٦.

(٢)- ينظر: البحر المحيط: ١ / ٤٩٤، والدر المصون: ٢ / ٢٨.

(٣)- شرح أبيات الجمل: ١٠.

(٤)- الفسر: ٢ / ٤١٥، وينظر البيت في ديوان المتنبي: ٥٠٧.

(٥)- الإغفال: ١ / ٣٦٤.

(٦)- ينظر: الإغفال: ١ / ٣٥٣.

ابن فارس والثعالبي والماوردي (ت ٤٥٠هـ) وأبو حيان<sup>(١)</sup>، والثاني: ((أَنْ يَكُونَ (يَفْعَلُ) عَلَى بَابِهِ لَا تَرِيدُ بِهِ (فَعَلَ) كَمَا أُرِدْتُ فِي الْأَوَّلِ، وَلَكِنْ تَجْعَلُهُ حِكَايَةً لِلْحَالِ وَإِنْ كَانَ مَاضِيًا ... كَأَنَّهُ حَكَى الْفِعْلَ الَّذِي يُحَدِّثُ بِهِ عَنْهُمْ وَهُوَ لِلْحَالِ))<sup>(٢)</sup>.

الوجه الثاني: لا حذف في الآية وجاء بالفعل المضارع (تَتَلَوُ) على الحكاية، أي: أَنْ ((تَتَلَوُ حِكَايَةً حَالٍ مَاضِيَةً))<sup>(٣)</sup>، ونسب هذا الوجه ابن جني لأهل الحذف من العربية، وقال في موضع آخر ((فمعناه: تَلَّتْ، وهو حكاية حال التلاوة، فلذلك جاء بلفظ الحاضر))<sup>(٤)</sup>، وقيل إنَّه جاء بالمضارع للدلالة على أَنَّ من شأن الشياطين التلاوة<sup>(٥)</sup>، وأنَّ هذا من فعالهم؛ فعالهم؛ لإغواء الناس، فانفرد ابن جني بالقول بحذف (كانت) من الآية، وشارك معظم اللغويين والمفسرين بقولي أبي علي الفارسي السابقين.

### حذف فعل القول

أولاً: القول في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرُؤُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٦٦﴾ جَنَّاتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ﴿٦٧﴾ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٦٨﴾ [الرعد: ٢٢، ٢٤، ٢٣].

قال ابن جني: ((أي يقولون: سلامٌ عليكم فحذف (يقولون) ))<sup>(٦)</sup>، والقول للملائكة الداخلين عليهم، وهو محذوف لإدالة الكلام عليه والقول منصوب على أنه حال من فاعل ﴿يَدْخُلُونَ﴾<sup>(٧)</sup>، وحذف فعل القول من الآية قال به أكثر اللغويين والمفسرين<sup>(٨)</sup>، إلا أن

(١)- ينظر: الصاحبى: ١٦٧، وفقه اللغة وسر العربية: ٢٢٨، والنكت والعيون: ١ / ١٥٩، والبحر المحيط: ١ / ٤٩٤.

(٢)- الإغفال: ١ / ٣٦٤.

(٣)- أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ١ / ٩٧، وينظر: إرشاد العقل السليم: ١ / ٢٢٣.

(٤)- التمام في تفسير أشعار هذيل: ٢٨.

(٥)- ينظر: اللباب في علوم الكتاب: ٢ / ٢٨٩.

(٦)- الفسر: ٢ / ١٨٢، وينظر: المحتسب: ٢ / ٢٦٥.

(٧)- ينظر: مجمع البيان: ٦ / ٢٧، وروح المعاني: ١٣ / ١٤٤.

(٨)- ينظر: معاني القرآن وإعرابه: ٣ / ١٤٧، والتفسير الكبير: ١٩ / ٤٧، والبحر المحيط: ٥ / ٣٧٨،

والجامع لأحكام القرآن: ١٢ / ٦١، ومغني اللبيب: ٢ / ٨٢٧.

للأوسي في الآية وجهًا آخر، إذ قال: ((وجوّز كونها [أي جملة مقول القول] حالًا من غير تقدير، أي: مُسَلِّمين، وهي في الأصل فعلية، أي: يسلمون سلامًا))<sup>(١)</sup>، أي: أنّه لا تقدير لمحذوف في الآية، وكذا يفهم من قول الزمخشري: ((**سَلَامٌ عَلَيْكُمْ**) في موضع الحال؛ لأنّ المعنى: قائلين سلام عليكم أو مُسَلِّمين))<sup>(٢)</sup>، فالزمخشري والأوسي حملاً الآية الآية على وجهين وجه بال حذف، ووجه من غير حذف، وفي كلا الوجهين قوله تعالى: ﴿**سَلَامٌ عَلَيْكُمْ**﴾ حالٌ، وكونها حالًا من غير تقدير أفضل؛ لأنّ المعنى إذا تمّ من غير تقدير فهو أولى، فضلًا عن ذلك أنّ سياق الآية حكايةً عن أصحاب الجَنَّة. وفي الآية أيضًا نكتة لطيفة، وهي أنّ الآية جاءت بلفظ الحال تحكي واقعة مستقبلية؛ ولذلك أثر بالغ في نفوس المؤمنين، إذ كأنّهم يعاينون حال الذين صبروا، وسلام الملائكة عليهم، أي: كأنّ السَّلام واقعٌ في حال التَّكَلُّم، فلا حاجة لفعل القول على هذا المعنى، والله أعلم.

ثانيًا: القول في قوله تعالى: ﴿**وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ**﴾ [البقرة: الآية: ١٢٧]، وقوله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى**﴾ [الزمر: من الآية: ٣] وقوله تعالى: ﴿**وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمْ**﴾ [الأنعام: من الآية: ٩٣].

قال ابن جني في معرض حديثه عمّا جاء في مصحف ابن مسعود من ذكر القول في الآيات السابقات وهي، يقولان ربّنا، وقالوا ما نعبدهم، ويقولون أخرجوا: ((في هذا دليل على صحة ما يذهب إليه أصحابنا من أنّ القول مراد مقدّر في نحو هذه الأشياء، وأنّه ليس كما يذهب إليه الكوفيون من أنّ الكلام محمول على معناه، دون أن يكون القول مقدّرًا معه، وذلك كقول الشاعر:

رَجُلَانِ مِنْ ضَبَّةٍ أَخْبَرَانَا      إِنَّا رَأَيْنَا رَجُلًا عُرْيَانَا

فهو عندنا نحن على قالا: إِنَّا رَأَيْنَا، وعلى قولهم لا إضمار قول هناك؛ لكنّه لمّا كان (أخبرانا) في معنى قالا لنا؛ صار كأنّه: قالا لنا، فأمّا على إضمار قالا في الحقيقة فلا

(١)- روح المعاني: ١٣ / ١٤٤.

(٢)- الكشف: ٣ / ٣٤٩.

وقد رأيت إلى قراءة ابن مسعود كيف ظهر فيها ما نُقِّدَرُه من القول؛ فصار قاطعاً على أنه مراد فيما يجري مجراه))<sup>(١)</sup>.

وحذف فعل القول من هذه الآيات قال به أكثر اللغويين والمفسرين مستشهدين لذلك بقراءة ابن مسعود التي يظهر فيها فعل القول صريحاً ملفوظاً به، وتقدير الكلام: يقولان رَبَّنَا تَقْبَلْ مِنَّا، وقالوا ما نعبدهم إِلَّا لِيُقَرَّبُونَا إِلَى اللَّهِ رَبِّنَا، ويقولون أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمْ<sup>(٢)</sup>.

وظاهرة حذف فعل القول مِمَّا كَثُرَ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ لِلدَّلَالَةِ عَلَيْهِ، قال الفراء: ((والقول قد يُضْمَرُ، ومنه في كتاب الله شيء كثير))<sup>(٣)</sup>، ونقل ابن هشام عن أبي علي الفارسي أنه قال: ((حذف القول من حديث البحر، قُلْ وَلَا حَرْجَ))<sup>(٤)</sup>، وقد وافق الطباطبائي اللغويين والمفسرين القول بحذف فعل القول في الآيتين من سورة الزمر والأنعام<sup>(٥)</sup>، وخالفهم في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ إذ إنه لا يرى أن هناك حذفاً لفعل القول في هذه الآية، فقال: ((وليس على تقدير القول أو ما يشبهه، والمعنى يقولان: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا﴾ إلخ، بل هو في الحقيقة حكاية المقول نفسه، فإنَّ قوله: ﴿يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ﴾، حكاية الحال الماضية، فهما يمثلان بذلك تمثيلاً كأنهما يُشَاهِدَانِ وهما مشتغلان بالرفع، والسَّامِعُ يراهما على حالهما ذلك، ثم يسمع دعاءهما بألفاظهما من غير وساطة المتكلم المشير إلى موقفهما وعملهما، وهذا كثير في القرآن، وهو من أجمل السياقات القرآنية - وكلها جميل - وفيه من تمثيل القصة وتقريبه إلى الحس ما لا يوجد ولا شيء من نوع بداعته في التقبل بمثل القول ونحوه))<sup>(٦)</sup>.

(١) - المحتسب: ١ / ١٠٨ - ١٠٩، والبيت لم يعز إلى شاعر، ينظر: الفاخر: ٨٦، وروايته فيه بفتح همزة (إن).

(٢) - ينظر: معاني القرآن للفراء: ١ / ٧٨، وأمالى ابن الشجري: ٢ / ٤٠٨، والمحمر الوجيز: ١ / ٢١١، ومجمع البيان: ١ / ٢٨٧.

(٣) - معاني القرآن للفراء: ١ / ٢٢٩.

(٤) - مغني اللبيب: ٢ / ٨٢٧.

(٥) - ينظر: الميزان في تفسير القرآن: ٧ / ٢٩٤، و١٧ / ٢٣٥.

(٦) - الميزان في تفسير القرآن: ١ / ٢٧٧، ٢٧٨.

ويبدو من كلام ابن جني أنّ حذف فعل القول في الآيات السابقات وأمثالها من المسائل الخلافية بين البصريين والكوفيين، وهذا الخلاف لم تُشِر إليه كتب الخلاف التي اطلعت عليها كالإنصاف لأبي البركات، والتبئين للعكبري، وائتلاف النصرة لعبد اللطيف (ت ٨٠٢هـ) وانتصر ابن جني في هذه المسألة لأصحابه البصريين كما سمّاهم.

ثالثاً: القول في قوله تعالى: ﴿ أَهْوَاءَ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ ﴾ [الأعراف: ٤٩]، على قراءة عكرمة بجعل ﴿ ادْخُلُوا ﴾ على المضى، أي: (دَخَلُوا)، وقراءة طلحة ببناء ﴿ ادْخُلُوا ﴾ للمفعول، أي (أَدْخِلُوا).

إذ قال ابن جني: ((ومن ذلك قراءة عكرمة: (لا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ دَخَلُوا الْجَنَّةَ)، وقرأ طلحة بن مُصَرِّف: (بِرَحْمَةٍ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أي: فَعِلَ ذلك بهم))<sup>(١)</sup>، وخرَج ابن جني هاتين القراءتين بإضمار فعل القول قبل قوله تعالى: ﴿ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ ﴾ وله فيهما أمور عدة:

الأمر الأول: أن يكون الوقف على قوله تعالى: ﴿ بِرَحْمَةٍ ﴾ إذ قال: ((وطريق ذلك أن قوله: ﴿ أَهْوَاءَ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ ﴾ الوقف هنا، ثم يُستأنف فيقال: (دَخَلُوا الْجَنَّةَ)، أو (ادْخُلُوا الْجَنَّةَ)، أي: قد دَخَلُوا أو ادْخُلُوا، وإضمار (قد) موجود في الكلام نحو قوله: ﴿ أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ ﴾ [النساء: من الآية: ٩٠] أي: قد حَصِرَتْ صُدُورُهُم؛ أي: فقد دَخَلُوا الجنة، فقال لهم: ﴿ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ ﴾<sup>(٢)</sup>.

الأمر الثاني: إضمار القول في قوله تعالى: ﴿ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ ﴾ والتقدير ادْخُلُوا، أو دَخَلُوا الجنة مقولاً لهم: لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون<sup>(٣)</sup>.

الأمر الثالث: لا إضمار في قوله تعالى: ﴿ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ ﴾، فقد يجوز أن يكون ((قولاً مرتجلاً لا على تقدير إضمار القول؛ لكن استأنف الله عزَّ وجلَّ خطابهم، فقال: (ادْخُلُوا الْجَنَّةَ)، كما استأنفه تعالى على القراءة المشهورة وهي: ﴿ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ ﴾ ... فقوله على هذا: ﴿ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ ﴾ جملة لا موضع لها من الإعراب من حيث كانت

(١)- المحتسب: ١ / ٢٤٩.

(٢)- المحتسب: ١ / ٢٥٠.

(٣)- ينظر: المحتسب: ١ / ٢٥٠، والكشاف: ٢ / ٤٤٧.

مرتجلة، وهي في القول الأول منصوبة الموضع على الحال؛ أي: دَخَلُوا الجنة أو أُدْخِلُوا الجنة، مقولاً لهم هذا الكلام الذي هو: لا خوفٌ عليكم، وحُدِفَ القول وهو منصوب على الحال، وأقيم مقامه قوله: ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ﴾ فانصب انتصابه، كما أن قولهم: كَلَّمْتَهُ فاه إلى فيّ منصوب على الحال؛ لأنّه ناب عن: جاعلاً فاه إلى فيّ، أو لأنّه وقع موقع مشافهة، التي هي نائبة عن مشافهة له))<sup>(١)</sup>.

وهذا الأمر الأخير انفرد به ابن جني، وتبعه فيه من المحدثين الطباطبائي، إذ قال راداً على من زعم أن في الآية فعل قول محذوف: وهذا ((مدفوع بعدم مساعدة السياق ودلالة القرائن عليه بوجه كما تقدم بيانه، وليس إذا جاز تقدير القول في محل لتبادر معناه من الكلام جاز ذلك في أي مقام أريد، وأي سياق أم أيّة قرينة تدلّ على ذلك في المقام؟))<sup>(٢)</sup>، أمّا الأمر الثاني، فهو قول أكثر المفسرين<sup>(٣)</sup>.

أمّا في قراءة العامة فيكون قوله تعالى: ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾ متزامناً مع الإيذان لهم بدخول الجنة، أي في الوقت نفسه، ولا يلزم ذلك من القراءتين الأخيرين، أي لا يلزم أن يكون وقت قوله: ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ﴾ مع وقت الإيذان لهم بدخول الجنة، ولا شك أن معنى القراءة العامة أوفق للسياق؛ لأنّ السياق سياق تكذيب لأولئك الذين أقسموا أن رحمة الله ممنوعة عن هؤلاء الضعفاء، فالأقوى في تكذيب دعاوى المدّعين أن يقول الله لهؤلاء الضعفاء ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ﴾ بفعل الأمر، وإلى هذا المعنى أشار الطوسي إذ قال: ((وقوله ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ﴾ فالخوف: هو توقع المكروه، وضدّه الأيمن وهو النّقة بانقضاء المكروه، و﴿لَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾ معناه ادْخُلُوا الْجَنَّةَ، لا خائفين ولا محزونين، وفائدة الآية تفرّيع الزّارئين على ضعفاء المؤمنين حتى حلفوا أنّهم لا خير لهم عند الله، فقيل لهم ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ﴾ على أكمل سرور وأتمّ كرامة))<sup>(٤)</sup>، وبه يكون ذهاب خوفهم وحزنهم.

(١)- المحتسب: ١ / ٢٥٠ - ٢٥١.

(٢)- الميزان في تفسير القرآن: ٨ / ١٣٤.

(٣)- ينظر: الكشاف: ٤٤٧/٢، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل: ١٥/٣، والبحر المحيط: ٤ / ٣٠٦.

(٤)- التبيان في تفسير القرآن: ٤ / ٤١٥.

### حذف الفعل لدلالة الحال عليه

القول في قوله تعالى: ﴿ فَبَشِّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ﴾ [هود: من الآية: ٧١] فيمن قرأ في السبعة بنصب (يعقوب).

ذكر ابن جني في الآية وجهين:

الوجه الأول: أن من قرأ ﴿ يَعْقُوبَ ﴾ بالنصب جعله في موضع الجرِّ معطوفاً على ﴿ بِإِسْحَاقَ ﴾<sup>(١)</sup>، ويكون المعنى: فبشّرناها بإسحاق ويعقوب<sup>(٢)</sup>، وهذا الوجه رفضه ابن جني؛ لأنه لا يجوز فصل الجار عن المجرور، و((في الآية قد فصل بين الواو ويعقوب بقوله ﴿ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ ﴾، والفصل بين الجار ومجروره لا يجوز، وهو أقبح منه بين المضاف والمضاف إليه))<sup>(٣)</sup>، وتبع ابن جني في رأيه هذا رأي شيخه أبي علي الفارسي<sup>(٤)</sup>، وذكر أبو علي الفارسي: إن الأخفش قوى في المعنى أن يكون ﴿ يَعْقُوبَ ﴾ في موضع جرٍّ معطوف على ﴿ بِإِسْحَاقَ ﴾؛ لأنها قد بُشِّرَتْ به، وضَعَفَ في الإعراب لأنه فصل بين الجار والمجرور بالظرف<sup>(٥)</sup>، وكذا قال الأزهري<sup>(٦)</sup>، وقال الأخفش في ﴿ يَعْقُوبَ ﴾ ((فُتِحَ على: ويعقوب من وراء إسحاق))<sup>(٧)</sup>، أي: أن ﴿ يَعْقُوبَ ﴾ في موضع جرٍّ على نية إعادة حرف الجر، وقال الفراء: ((لم يجز الخفض إلا بإعادة الباء: ومن وراء إسحاق بيعقوب))<sup>(٨)</sup>.

الوجه الثاني: أن يكون ﴿ يَعْقُوبَ ﴾ منصوباً بفعل مضمر دلّ عليه ﴿ فَبَشِّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ ﴾ أي: وآتيناه يعقوب، وإذا قدرت فعلاً مضمرًا لم يكن هناك فصل بين الجار والمجرور<sup>(٩)</sup>،

(١)- ينظر: الخصائص: ٣٩٥ / ٢.

(٢)- ينظر: الحجة للقراء السبعة: ٣٦٤ / ٤.

(٣)- الخصائص: ٣٩٥ / ٢.

(٤)- ينظر: الحجة للقراء السبعة: ٣٦٥ / ٤.

(٥)- ينظر: الحجة للقراء السبعة: ٣٦٤ / ٤.

(٦)- تهذيب اللغة: ١ / ٢٧٨.

(٧)- معاني القرآن للأخفش: ٣٨٤ / ١.

(٨)- معاني القرآن للقراء: ١ / ١٩٧، وينظر: ٢٢ / ٢.

(٩)- الخصائص: ٣٩٧ / ٢.

وأوجب أبو علي الفارسي حمل الفتح في ﴿يَعْقُوبَ﴾ على إضمار فعل إذ قال: (( فينبغي أن تُحمل قراءة من قرأ: ﴿يَعْقُوبَ﴾ بالنصب على فعل آخر مضمراً، يدلّ عليه (بشّرنا))<sup>(١)</sup>، والتقدير: ومن وراء إسحاق وهبنا يعقوبَ، وهذا الوجه هو الأحسن عند ابن جني، وارتضاه أكثر اللغويين والمفسرين<sup>(٢)</sup>. وقال الباقولي: ((حَمَلَهُ قَوْمٌ عَلَى إِضْمَارِ فِعْلٍ، وَآخَرُونَ عَلَى إِضْمَارِ الْجَارِ وَالْمَجْرُورِ))<sup>(٣)</sup>.

أغلب اللغويين والمفسرين الذين قالوا بنصب ﴿يَعْقُوبَ﴾ بفعل مضمراً جعلوا فاعل الفعل المقدر الضمير في (بشّرناها)، وهو راجع إلى زوج إبراهيم (عليه السلام)، وكذا هو رأي ابن جني، وهذا واضح ممّا تقدم، أي: إنَّ ﴿يَعْقُوبَ﴾ الذي هو الهبة أو المأتي كان هبة لزوج إبراهيم (عليه السلام)، إلاَّ أنَّ أبا جعفر النَّحَّاسَ وأبا البركات بن الأنباري جعلوا فاعل الفعل المقدر يرجع إلى (إسحاق) لأنَّهما قدرا الكلام: بشّرناها بإسحاقَ ووهبنا له يعقوب من وراء إسحاق<sup>(٤)</sup>.

## ٢- حذف الاسم

### حذف المبتدأ أو الخبر

أولاً: القول في قوله تعالى: ﴿كَانَتْهُمْ يَوْمَ يَرُونَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ بَلَاغٌ فَهَلْ يُهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الْفَاسِقُونَ﴾ [الأحقاف: ٣٥].  
وقوله ﴿بَلَاغٌ﴾ خبر حُذِفَ مبتدأه: أي ذلك بلاغٌ أو هذا بلاغٌ<sup>(٥)</sup>، وقيل في معنى معنى البلاغ ثلاثة أوجه:

الوجه الأول: أنَّ ذلك اللَّبْثُ بلاغٌ، و((معناه ذلك اللَّبْثُ ﴿بَلَاغٌ فَهَلْ يُهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الْفَاسِقُونَ﴾ أي: لا يقع العذاب إلا بالعاصين الخارجين من أمر الله تعالى))<sup>(٦)</sup>.

(١)- الحجة للقراء السبعة: ٤ / ٣٦٥.

(٢)- ينظر: معاني القرآن وإعرابه: ٣ / ٦٢، والمحرر الوجيز: ٣ / ١٩٠، والبيان في غريب إعراب القرآن: ٢ / ٢١، والبحر المحيط: ٥ / ٢٤٤.

(٣)- إعراب القرآن للباقولي: ٦٧٧.

(٤)- ينظر: إعراب القرآن للنحاس: ٤٢٤، والبيان في غريب إعراب القرآن: ٢ / ٢١.

(٥)- الخصائص: ٢ / ٣٦٢.

(٦)- مجمع البيان: ٩ / ١٢١.

الوجه الثاني: قيل إنّه إشارة للقرآن أو ما ذكر من السور، أي: أنّ هذا القرآن بلاغٌ، وقال ابن هشام الأنصاري: ((أي: هذا بلاغٌ، وقد صرح به في ﴿ هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ ﴾ [إبراهيم: من الآية: ٥٢] ))<sup>(١)</sup> إشارة إلى القرآن .

الوجه الثالث: ((أنّ هذا الذي وصفه الله بلاغ، وهو حلول ما وعده إمّا من الهلاك في الدنيا أو العذاب في الآخرة))<sup>(٢)</sup>، وقال الآلوسي: ((وقوله تعالى: ﴿ بَلَاغٌ ﴾ خبر مبتدأ محذوف، أي هذا الذي وُعِظْتُمْ به كفاية في الموعظة أو تبليغ من الرسول))<sup>(٣)</sup>.

ولم يشر ابن جني لأيّ من هذه المعاني صريحاً، بل تحدث عن الحذف وحسب، وكأنّه باسم الإشارة الذي قدره يشير إلى قوله تعالى: ﴿ كَانَهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبُثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنْ نَّهَارٍ ﴾ أي هذا الأمر بلاغٌ .

ثانياً: القول في قوله تعالى: ﴿ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ مِّثْلُهَا ﴾ [يونس: من الآية: ٢٧].

ذكر ابن جني ثلاثة أوجه في إعراب ﴿ بِمِثْلِهَا ﴾ يترتب عليها معان:

الوجه الأول: نسبه ابن جني للأخفش، وخلاصته أنّ ﴿ بِمِثْلِهَا ﴾ خبر والباء زائدة، إذ قال: ((ذهب أبو الحسن إلى أنّ الباء زائدة وتقديره عنده: جزاء سيئة مثلها، وإنّما استدل على هذا بقوله تعالى في موضع آخر ﴿ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ﴾ [الشورى: من الآية: ٤٠]، وهذا مذهب حسن، واستدلال صحيح، إلّا أنّ الآية قد تحتمل مع صحّة هذا القول تأويلين آخرين))<sup>(٤)</sup>، فهذا الوجه ارتضاه ابن جني وحسنه، وكان ابن كيسان (ت ٢٩٩هـ) يذهب إليه فهو يرى: أنّ ((الباء زائدة والمعنى: جزاء سيئة مثلها))<sup>(٥)</sup>.

الوجه الثاني: أنّ تكون الباء مع ما بعدها الخبر، ((وهي متعلقة بمحذوف قامت مقامه))<sup>(٦)</sup>، فكانه قال: جزاء سيئة كائن بمثلها، كما تقول إنّما أنا بك، أي: إنّني كائنٌ

(١) - مغني اللبيب: ٢ / ٨٢٤، وينظر مجمع البيان: ٩ / ١٢١.

(٢) - النكت والعيون: ٥ / ٢٨٩.

(٣) - روح المعاني: ٢٦ / ٣٥ .

(٤) - سر صناعة الإعراب: ١ / ١٣٨، وينظر: معاني القرآن للأخفش: ١ / ٣٧٢.

(٥) - الجامع لأحكام القرآن: ١٠ / ٤٨٦، وينظر: البحر المحيط: ٥ / ١٥٠، ومغني اللبيب: ٢ / ٥١٢.

(٦) - الجامع لأحكام القرآن: ١٠ / ٤٨٦ .

موجود بك، إذا صغرت نفسك له<sup>(١)</sup>، واستدل لذلك بقول كُثِيرَ عَزَّةٌ إذ قال: ((سألت أبا علي عن قول كُثِيرَ:

وَأَنِّي وَتَهْيَامِي بِعَزَّةٍ بَعْدَمَا تَخَلَّيْتُ مِمَّا بَيْنَنَا وَتَخَلَّتْ

فقلت له: ما موضع (تَهْيَامِي) من الإعراب؟ فأفتى بأنه مرفوع بالابتداء، وخبره (بِعَزَّةٍ)... فالباء على هذا في (بِعَزَّةٍ)... فيما ذهب إليه أبو علي متعلقة بمحذوف هو الخبر عن (تَهْيَامِي) في الحقيقة<sup>(٢)</sup>، فابن جني في هذا الوجه جعل الجار والمجرور خبرا لـ(جزاء) متعلق بمحذوف هو الخبر في الحقيقة والمعنى: جزاء سيئة كائنٌ بمثلها، أو كما قدره العُكْبَرِيُّ: ((ويجوز أن تكون غير زائدة [ أي الباء ] والتقدير: جزاء سيئة مقدر بمثلها))<sup>(٣)</sup>.

الوجه الثالث: ((أن تكون الباء في ﴿بِمِثْلِهَا﴾ متعلقة بنفس الجزاء، ويكون الجزاء مرتفعاً بالابتداء وخبره محذوف، كأنه قال: ﴿جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا﴾ كائنٌ، أو واقعٌ، وإذا كان هذا جائزاً، وكان حذف الخبر فيه حسناً متجهاً كما حذف في عدة مواضع غيره ممَّا يطول القول بذكره، كان (تَهْيَامِي) من بيت كُثِيرٌ أيضاً مرتفعاً بالابتداء، والباء متعلقة فيه بنفس المصدر الذي هو التهيام، والخبر أيضا محذوف، كأنه قال: وتَهْيَامِي بعزة كائنٌ، أو واقع على ما يقدر في هذا ونحوه، فهذا ما تحتمله الآية من غير ما ذهب إليه أبو الحسن<sup>(٤)</sup>.

والفرق بين الوجه الثاني والثالث أن الجار والمجرور ﴿بِمِثْلِهَا﴾ متعلق بمحذوف مرة، وبالجزاء مرة أخرى، والخبر محذوف في كلا الوجهين، واتفق مع ابن جني في الوجهين الأخيرين أكثر اللغويين والمفسرين<sup>(٥)</sup>، أمَّا قول الأَخْفَشِ فَاخْتُلِفَ فيه، فذكره بعض العلماء على أنه وجه مُمكن، ونُسِبَ للأَخْفَشِ تارة، ولابن كيسان تارة أخرى<sup>(٦)</sup>، وحسنه واستدل له الباقولي إذ قال: ((والذي أجازه أبو الحسن أقوى من هذا في القياس، وذلك أن خبر المبتدأ

(١)- ينظر: سر صناعة الإعراب: ١ / ١٣٨.

(٢)- سر صناعة الإعراب: ١ / ١٣٨، ١٣٩، وينظر البيت في ديوان كثير عزة: ١٠٣.

(٣)- التبيان في إعراب القرآن: ٢ / ٦٧٢.

(٤)- سر صناعة الإعراب: ١ / ١٤٠، ١٤١.

(٥)- ينظر: إعراب القرآن للباقولي: ٦٦٩، والمحرم الوجيز: ١١٦/٣، والبحر المحيط: ١٥٠/٥.

(٦)- ينظر: مجمع البيان: ٥ / ١٣٦، والجامع لأحكام القرآن: ١٠ / ٤٨٦، والبحر المحيط: ١٥٠ / ١٥٠،

والدر المصون: ٦ / ١٨٥.

يُشبهه الفاعل من حيث لم يكن مستقلاً بالمبتدأ، كما كان الفعل مستقلاً بالفاعل، وقد دَخَلَتْ على الفاعل فيما تدخله بعد، فكذاك يجوز دخولها على الخبر<sup>(١)</sup>، ويرى المرادي (ت ٧٤٩هـ) أَنَّ غيره أَوْلَى منه، والأوْلَى أَنْ يكون الجار والمجرور خبراً، والباء متعلقة بالاستقرار<sup>(٢)</sup>، وقال ابن هشام: ((وَأَمَّا قول أبي الحسن وابن كيسان إِنَّ ﴿بِمِثْلِهَا﴾ هو الخبر، وَإِنَّ الباء زيدت في الخبر كما زيدت في المبتدأ في بحسبك درهم فمردود عند الجمهور، وقد يؤنس قولهما بقوله: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾<sup>(٣)</sup>، وجعل ابن يعيش زيادة الباء مع الخبر في هذا الموضع فقط قال: ((وَأَمَّا زيادتها مع الخبر، ففي موضع واحد أيضاً في قول أبي الحسن، وهو قوله تعالى: ﴿جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا﴾، زعم أَنَّ المعنى: جزاء سيئة مثلها، ودلَّ على ذلك قوله تعالى في موضع آخر: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾ ولا يبعد ذلك؛ لأنَّ ما يدخل على المبتدأ قد يدخل على الخبر<sup>(٤)</sup>).

وأضاف الفراء، والمُجَاشِعي وجهين آخرين في الآية، إذ قال الفراء أرتفع (الجزء) بإضمار (لهم) أي: كَأَنَّكَ قلت: فلهم جزاء السيئة بمثلها، وهذا الوجه على حذف الخبر كالوجه الثالث إلا أَنَّ الحذف كان في الخبر وهو مقدّم وعند ابن جني مؤخر، وهذا الوجه عند الفراء أولى<sup>(٥)</sup>، وقال المُجَاشِعي: يجوز أن يكون (الجزء) فاعل لفعل محذوف والتقدير والتقدير استقر لهم جزاء سيئة بمثلها، ثم حُذِفَ الفعل<sup>(٦)</sup>.

والذي دعا اللُّغَوِيِّينَ والمفسرين إلى هذه الوجوه المختلفة من الحذف في تفسير الآية، هو نَمَسُّكُهُم بقواعد النُّحو التي توجب أن يكون لكلِّ حرفٍ جَرٌّ مُتَعَلِّقٌ يَتَعَلَّقُ به، ممَّا جعل تلك الوجوه تتنوع وتختلف فيما بينها؛ لأنَّها مبنية على التقديرات التي تُوجبها قواعد النُّحويين المستقرة من كلام العرب أو على أكثره، مع أَنَّ بعض ما أسَّس له النحويون، قد يخرج عنه بعض كلام العرب، وسمَّوا هذا الخارج شاذًّا من القاعدة، أمَّا في كلام العرب فهو جارٍ فيه وإنَّ قَلَّ؛ لأنَّه من سليقتهم وكلامهم. وممَّا أسَّس له النحويون، وخالفه بعض

(١) - إعراب القرآن للباقولي: ٦٦٩ .

(٢) - الجنى الداني في حروف المعاني: ٥٥ .

(٣) - مغني اللبيب: ٢ / ٥١٢ .

(٤) - شرح المفصل: ٤ / ٤٧٧ .

(٥) - ينظر: معاني القرآن للفراء: ١ / ٤٦١ .

(٦) - ينظر: النكت في القرآن: ٢٤١ .

كلام العرب لغة (أكلوني البراغيث) فهذا الأسلوب مستعمل في كلام العرب وشعرهم، وإن كان قليلاً، من ذلك قول أمية بن أبي الصلت:

يُؤْمِنَنِي فِي اشْتِرَاءِ النَّخِ      لَأَهْلِي فَكَاؤُهُمْ يَعْذُلُ<sup>(١)</sup>

ولهذا الأسلوب شواهد ليست بالقليلة من شعر العرب قبل الإسلام وبعد الإسلام وفي القرآن الكريم أيضاً، لا بل حتى في اللغات السامية<sup>(٢)</sup>، وعليه يمكن أن تكون الآية خالفت قاعدة نحوية وضعها النحويون؛ لكنّها لم تخالف كلام العرب وسليقتهم، لأنّ الباء تزداد في الخبر كثيراً، لا سيما أنّ النحويين قالوا أنّ الباء تزداد في خبر ليس المنفي، وأمثلة ذلك في القرآن الكريم كثيرة، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ ﴾ [الزمر: من الآية: ٣٦]، ومع ذلك لم يقدروا محذوفاً في الآية وأعرّبوا (بكافٍ) خبر ليس والباء زائدة للتوكيد<sup>(٣)</sup>، ولو حُمِلَتْ الآية على هذا الوجه، أي أعرّبوا (بمثلها) خبر والباء للتوكيد لَمَا كان هناك حاجة لتقدير محذوف، وهذا الوجه قريب من الوجه الأول الذي عليه الأخفش وحسنه ابن جني إلا أنّ الأخفش يرى أنّ الباء زائدة واستدل لذلك بقوله تعالى: ﴿ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا ﴾ أي أنّ المعنى: جزاء سيئة مثلها. وإن كان مراد الأخفش بقوله الباء زائدة، كما قال الزركشي: (( فإنّ مراد النحويين بالزائد من جهة الإعراب لا من جهة المعنى ))<sup>(٤)</sup> ففعله حسنٌ ، وإن أراد أنّ المعنى: جزاء سيئة مثلها، كما في قوله تعالى: ﴿ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا ﴾ ، فهذا بعيد ؛ لأنّ الباء في قوله تعالى: ﴿ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا ﴾ بها فائدة تنبيهية عظيمة ويظهر ذلك بتدبر سياق الآيتين، إذ قال في قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطْعًا مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [يونس: ٢٧]، أمّا قوله: ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ ﴾ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴾ [الشورى: ٤٠، ٣٩]، فالكلام في سورة يونس عن الذين

(١) - ديوان أمية بن أبي الصلت: ٩٩ .

(٢) - ينظر: الإسناد في لغة أكلوني البراغيث: ٣٨٩ - ٣٩٤ ، مجلة أبحاث اليرموك ، المجلد ١٣ ، العدد ٢ ، عام ١٩٩٥ .

(٣) - ينظر: شرح المفصل: ٢ / ١٨٨ ، وشرح ابن عقيل: ١ / ٣٠٩ ، همع الهوامع: ١ / ٤٠٤ .

(٤) - البرهان في علوم القرآن: ٣ / ٧٢ .

كسبوا السيئات وهم أصحاب النار؛ لذا جاءت الباء للتأكيد على أنهم يُجَازون بما عملوا من السيئات، إذ لا شفيح لهم ولا عاصم من أمر الله، أمّا في سورة الشورى، فالأمر مخفّفاً وليس قطعياً، إذ إنّ لِعاملِ السيئة مخرجاً إن عفا وأصلح فيكون أجره على الله؛ لذا لم تدخل الباء لتترك هذه الفسحة من مراجعة النفس والتوبة، والله أعلم.

### حذف مضاف واحد

أولاً: القول في قوله تعالى: ﴿ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى ﴾ [البقرة: من الآية: ١٨٩].

والآية على حذف المضاف من الجهتين أي: من المبتدأ أو من الخبر، قال ابن جني: ((في تقدير حذف المضاف من جهتين، أيّ الجهتين شئت قول الله سبحانه: ﴿ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى ﴾، إن شئت كان على تقدير: ولكنّ البرّ برّ من اتقى، وإن شئت كان تقديره: ولكنّ ذا البرّ من اتقى. والتقدير الأول في هذا أجود عندنا؛ وذلك أنّ تقديره حذف المضاف من الخبر، أعني: برّ من اتقى، والخبر أولى بذلك من المبتدأ؛ وذلك أنّ حذف المضاف ضرب من التوسع، والتوسع آخر الكلام أولى به من أوله، كما أنّ الحذف والبدل كلّما تأخر كان أمثل؛ من حيث كانت الصدور أولى بالحقائق من الأعجاز وهذا واضح، ولذلك اعتمده عندنا صاحب الكتاب فحمّله على أنّ التقدير: ولكنّ البرّ برّ من اتقى))<sup>(١)</sup>.

واختار ابن جني الوجه الأول وحسنه، وقال ابن الأثير في تقدير المعنى على الوجه الأول: البرّ خصلة من اتقى<sup>(٢)</sup>.

وفي الآية أُخْبِرَ عن (البرّ) وهو معنّى من المعاني بالذات، وهذا غير جائز إلّا مجازاً، لذا حمل ابن جني الآية على الحذف، وفي الآية أوجه غير ما ذكره ابن جني، الأول منها: أنّ يكون المصدر بمعنى اسم الفاعل مجازاً على سبيل المبالغة، والمعنى: البرّ من اتقى، والثاني: استعمل المصدر بدل الاسم للدلالة على التأكيد والمبالغة<sup>(٣)</sup>، قال الطباطبائي: ((أثبت [الله] أنّ البرّ هو التقوى، وكان الظاهر أنّ يقال: ولكنّ البرّ هو

(١) - المحتسب: ٢ / ٢١٧، وينظر الخصائص: ٢ / ٢٦٣.

(٢) - ينظر: المثل السائر: ٢ / ٢٩٦.

(٣) - ينظر: مجاز القرآن: ١ / ٦٨، تفسير القرآن للعثيمين سورة البقرة: ٢ / ٣٧٠.

التقوى، و إنما عدل إلى قوله: ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ اتَّقَى﴾، إشعارًا بأن الكمال إنما هو في الاتصاف بالتقوى، وهو المقصود دون المفهوم الخالي كما مرّ نظيره في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قَبْلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ﴾ [البقرة: من الآية: ١٧٧]]<sup>(١)</sup>، وقول الطباطبائي هو الأحسن؛ لأن الآية بصدد تعريف البر - وأجملت التعريف بالتقوى - وذلك لأن بعضهم يقومون بأعمال يعتقدون أنها من البر، وهي ليست كذلك، وذكر أبو حيان في سبب نزول الآية ((أن الله تعالى أنزل هذه الآية رادًا على من جعل إتيان البيوت من ظهورها برًا ، أمرًا بإتيان البيوت من أبوابها))<sup>(٢)</sup>.

ثانيًا: القول في قوله تعالى: ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا﴾ [يوسف: من الآية: ٨٢].

حمل ابن جني الآية على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه، والتقدير أي: واسأل أهل القرية<sup>(٣)</sup>، وهذا الوجه عليه أكثر اللغويين والمفسرين، وحملت على المجاز مرة وعلاقته محلية ، فذكر المحل والمراد به الحال، وعلى حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه مرة أخرى<sup>(٤)</sup>، قال السمين الحلبي: قوله تعالى: ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ﴾ يحتمل ثلاثة أوجه: أولها: وهو المشهور أنه على حذف المضاف، والثاني: أنه مجاز علاقته محلية، والثالث: أنه حقيقة لا مجاز فيه؛ وذلك أنه يجوز أن يسأل القرية نفسها لأنه نبيٌّ يجوز أن ينطق له الجماد والبهائم<sup>(٥)</sup>، والوجه الأخير قال به بعض العلماء فهم لا يرون أن حذفًا أو مجازًا في الآية، فقال الراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢هـ): ((القرية اسم للموضع الذي يجتمع فيه الناس، وللناس جميعا، ويستعمل في كل واحد منهما، قال تعالى: ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ﴾ قال كثير من المفسرين معناه: أهل القرية، وقال بعضهم: بل القرية ههنا القوم أنفسهم، وعلى هذا قوله: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً﴾ [النحل: من الآية: ١١٢]]<sup>(٦)</sup>، ورفض ابن الحاجب (ت ٦٤٦هـ) أن يكون لفظ (القرية) موضوع للناس

(١) - الميزان في تفسير القرآن: ٢ / ٥٨.

(٢) - البحر المحيط: ٢ / ٧١.

(٣) - ينظر: اللع في العربية: ٢٨، وسر صناعة الإعراب: ١ / ٢٤، وتفسير أرجوزة أبي نواس: ١٤٩، والخصائص: ٢ / ٣٦٣.

(٤) - ينظر: الكتاب: ١ / ٢١٢، ومجمع البيان: ٥ / ٣٤٢، والجامع لأحكام القرآن: ١١ / ٤٢٧.

(٥) - ينظر: الدر المصون: ٦ / ٥٤٤.

(٦) - المفردات في غريب القرآن: ٤٠٣.

والجدران معاً، وقال : ليس بجيد أن تكون القرية تدل عليهما معاً؛ ((لأنه معلوم أن القرية موضوعة للجدران المخصوصة دون الأهل، فإذا أُطْلِقَتْ على الأهل لم تطلق إلا بقيام القرينة تدلنا على المحذوف، ولو كانت مشتركة لم تكن كذلك))<sup>(١)</sup>، ويرى النيلي أن اللفظ (القرية) في الآية لا يكون بمعنى (أهل القرية)؛ لأن كلاً الاسمين مستعملان في القرآن ولكل منهما دلالة ليست في الآخر، فالقرية في القرآن تجمع سكاني وكيان اجتماعي له عقل جماعي، وهو يُطلق على المدن الكبرى مثل مكة ومدین، والقرية تضم أهل القرية والمسافرين والمقيمين والعمّال والدارسين الذين ليسوا من أهلها، أمّا (أهل القرية) فهم الأفراد الذين يشكلون النظام الاجتماعي للقرية<sup>(٢)</sup>، وعلى هذا التفسير يجوز سؤال القرية أو إهلاكها، وهو وجه جدير بالقبول، وهذا التفسير قريب من تفسير الراغب الأصفهاني إلا أنه أكثر دقة في التفريق بين الاسمين.

ثالثاً: القول في قوله تعالى: ﴿ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ﴾ [الأنفال: من الآية: ٦٧]، بجر ﴿ الآخرة ﴾ على قراءة ابن الجَمَاز .

يرى ابن جني أن القراءة تُحمل على حذف المضاف، وإبقاء المضاف إليه على حاله، أي أراد: عَرَضَ الآخرة، فإنه لما قال: ﴿ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا ﴾، فجرى ذكر العَرَض فيها، فصار كأنه أعاده ثانيًا، فقال: عَرَضَ الآخرة، أي دلّ على المحذوف ما قبله، وهذا الحذف عزيز ونادر عند ابن جني<sup>(٣)</sup>، وقيل في تقدير عَرَض الآخرة هو من باب التقابل، وهو يعني: ثوابها قاله الزمخشري<sup>(٤)</sup>، أو من باب المشاكلة قاله الألوسي، وإلا وإلا فلا يَحْسُنُ أن يقال: والله يريد عَرَضَ الآخرة؛ لأنّ أمور الآخرة مستمرة<sup>(٥)</sup>. وحذف المضاف من الآية قال به كثير من اللغويين والمفسرين، إلا أن تقدير المضاف ليس كما قدره ابن جني ، إذ قال ابن عقيل : (( والله يريد باقي الآخرة ، ومنهم من يقدره : والله يريد عرض الآخرة ، فيكون المحذوف على هذا مماثلًا للملفوظ به والأوّل أولى ))<sup>(٦)</sup>.

(١) - الإيضاح في شرح المفصل: ١ / ٣٩٦.

(٢) - ينظر: النظام القرآني: ١٥٩ - ١٦٠.

(٣) - ينظر: المحتسب: ١ / ٢٨١.

(٤) - ينظر: الكشاف: ٢ / ٦٠١.

(٥) - ينظر: الدر المصون: ٥ / ٦٣٨، وروح المعاني: ١٠ / ٣٣.

(٦) - شرح ابن عقيل: ٣ / ٧٨.

وقال ابن جني في قراءة العامة: ﴿ وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ﴾ : ((ولعمري إنَّه إذا نصب فقال على قراءة الجماعة: ﴿ وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ﴾، فإنَّما يريد: عَرَضَ الْآخِرَةَ، إلَّا أنَّه يحذف المضاف ويقيم المضاف إليه مقامه، وإذا جرَّ فقال: يريد الْآخِرَةَ، صار كأنَّ العَرَضَ في اللفظ موجود لم يُحذف، فاحتُمل ضعف الإعراب تجريدًا للمعنى وإزالةً للشك أن يظنَّ ظانُّ أنَّه يريد الْآخِرَةَ إرادةً مرسلةً هكذا. هذا إلى ما قدمناه من حذف لفظ لمجيئه فيما قبلُ أو بعدُ))<sup>(١)</sup>، وفي القراءة العامَّة الكلام على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه، فابن جني يوافق بين القراءتين في المعنى، وفي تقدير المضاف، فقال: عَرَضَ الْآخِرَةَ في كلا القراءتين، وقال الطوسي في تقدير المضاف: ((معناه والله يريد عمل الْآخِرَةَ من الطاعات التي تؤدي إلى الثواب، وإرادة الله لنا خير من إرادتنا لأنفسنا))<sup>(٢)</sup>، وقال مكي بن أبي طالب: ((يرد لكم زينة الْآخِرَةَ وخيرها))<sup>(٣)</sup>، وأرى أنَّ تقدير المضاف يُضعف المعنى، فالله يريد لهم الْآخِرَةَ، وإن كان لفظ الْآخِرَةَ لا يعني منه الجَنَّةَ أو الخير عند إطلاقه، لكنَّ لَمَّا أرادها الله فهي خير لهم من عَرَضَ الدنيا لا محالة، والفرق بين عَرَضَ الْآخِرَةَ أو ثوابها والآخره نفسها بما هي، كالفرق بين ثواب العمل والعمل نفسه بما هو، وتقدير المضاف كما رأيت يضعف المعنى.

### حذف المضاف قبل المصدر

أولاً: القول في قوله تعالى: ﴿ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾ [البقرة: ٢٤]، بضم الواو الأولى في قوله: ﴿ وَقُودُهَا ﴾ على قراءة الحسن البصري.

يرى ابن جني أنَّ (الْوُقُود) بالضم هو المصدر ويجوز أن يكون (الْوُقُود) بالفتح المصدر، وقال الأخفش: ((الْوُقُود: الاتقاد هو الفعل - أي المصدر - ويُقرأ الوُقُود والْوُقُود))<sup>(٤)</sup>، فإذا أُريد بالْوُقُود المصدر لا بد من تقدير مضاف محذوف؛ لأنَّ المصدر ليس ليس الناس، بل هو الاتقاد إذ قال ابن جني: ((هذا عندنا على حذف المضاف؛ أي: ذو

(١) - المحتسب: ١ / ٢٨١.

(٢) - التبيان في تفسير القرآن: ٥ / ١٥٦.

(٣) - الهداية إلى بلوغ النهاية: ٤ / ٢٨٧٨.

(٤) - معاني القرآن للأخفش: ١ / ٥٧.

وُقُودِهَا، أو أصحاب وُقُودِهَا الناس؛ وذلك أَنَّ (الْوُقُود) بالضم هو المصدر، والمصدر ليس بالناس<sup>(١)</sup>، وقيل يجوز أن يكون (الْوُقُود) و(الْوُقُود) يعنى بهما الحطب أو المصدر، فإن أُريد بهما الحطب فلا حاجة إلى تقدير مضاف، وإن أُريد بهما المصدر فلا بد من تقدير مضاف محذوف<sup>(٢)</sup>، أو يراد ب(الْوُقُود) المبالغة ((أي جُعِلُوا نفس التوقُّد مبالغةً في وصفهم بالعذاب))<sup>(٣)</sup>، وقيل أن قراءة الضم لغة في الحطب، إذ قال العكبري: ((وقرئ بالضم وهو لغة في الحطب والجيد أن يكون مصدرًا بمعنى التوقُّد))<sup>(٤)</sup>، وقد وردت لفظة (الْوُقُود) في القرآن الكريم أربع مرات، في سور البقرة وتكلمنا عليها، وفي سورة آل عمران الآية العاشرة، وفي سورة التحريم الآية السادسة، وفي سورة البروج الآية الخامسة<sup>(٥)</sup>، وقرأها الحسن كلَّها بالضم ووجَّه ابن جني قراءته في سورة التحريم كما وجهها في سورة البقرة وأحال عليها<sup>(٦)</sup>.

عليها<sup>(٦)</sup>.

ثانياً: القول في قوله تعالى: ﴿وَدَلَّلْنَا لَهُم مِّنْهَا رَكُوبَهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ﴾ [يس: ٧٢] بضم الراء من ﴿رَكُوبُهُمْ﴾ على قراءة الأعمش، و(رَكُوبُهُمْ) من قراءة عائشة وأبيّ بن كعب .

قال ابن جني: ((أما الرُّكُوب: بضم الراء فمصدر، والكلام محمول على حذف المضاف مقدماً أو مؤخراً))<sup>(٧)</sup>، فإذا كان الحذف من الثاني كان التقدير فيها: فمنها ذو رُكُوبِهِمْ، وذو الرُّكُوب هنا هو المركوب، فيرجع المعنى بعد إلى معنى قراءة العامة: ﴿رَكُوبُهُمْ﴾، و(رَكُوبُهُمْ) من قراءة عائشة وأبيّ بن كعب، أما إذا كان الحذف من الأول كان التقدير فيها: فمن منافعها أو من أغراضها رُكُوبِهِمْ، كما تقول لصاحب: من منافعك إعطاؤك لي، ومن بركاتك وصول الخير إليّ على يدك<sup>(٨)</sup>، قال ابن جني: ((أجاز أبو

(١)- المحتسب: ٦٣ / ١، وينظر: ٣٧٠ / ١.

(٢)- ينظر: معاني القرآن للأخفش: ٥٧ / ١، والدر المصون: ٢٠٦ / ١.

(٣)- الدر المصون: ٢٠٦ / ١، وينظر: البحر المحيط: ٢٥٠ / ١.

(٤)- التبيان في إعراب القرآن: ٤١ / ١.

(٥)- ينظر: معجم القراءات القرآنية: ٣٨ / ١، و٨ / ٢، و١٧٨ / ٧، و١٠٧ / ٨.

(٦)- ينظر: المحتسب: ٤٢٤ / ٢.

(٧)- المحتسب: ٢١٦ / ٢.

(٨)- ينظر: المحتسب: ٢١٧ / ٢، والتخرجات النحوية والصرفية لقراءة الأعمش: ٢٨٥.

العباس أن يكون الحذف من الأول على ما مضى، وهو لعمرى جائز، إلا أن الوجه ما قدمنا ذكره، لكن الحذفين في قوله: (فَمِنْهَا رُكُوبُهُمْ) على ما قدمنا متساويان؛ وذلك إن قَدَّرْتَهُ على أنه: فمن منافعها رُكُوبُهُمْ فإنما حذف من الخبر؛ لأنَّ تقديره: فَرُكُوبُهُمْ منها، فهو وإن كان مقدماً في اللفظ مؤخراً في المعنى، وإن قَدَّرْتَهُ على معنى: فمنها ذو رُكُوبُهُمْ، فحسناً أيضاً، وإن كان مقدماً في المعنى فإنه مؤخراً في اللفظ))<sup>(١)</sup>، وخلاصة كلام ابن جني أن قراءة الأعمش على حذف المضاف مقدماً أو مؤخراً ويكون المعنى فيها:

١- إذا كان الحذف مُقَدِّمًا، أي يكون الحذف في المبتدأ، يكون المعنى: فمنها ذو رُكُوبُهُمْ، وهذا الوجه في التقدير هو الأجود عند ابن جني حملاً على قوله تعالى: ﴿ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ اتَّقَى ﴾ [البقرة: من الآية: ١٨٩]، المتقدم ذكره، ويرجع معنى قراءة الأعمش إلى معنى القراءة العامة، لأنَّ ذا الرُّكُوب هو المركوب<sup>(٢)</sup>.

٢- أمَّا إذا كان الحذف مؤخراً، أي يكون الحذف من الخبر، ويكون المعنى فمن منافعها أو من أغراضها رُكُوبُهُمْ، وفي هذا الوجه تقدم الخبر على المبتدأ؛ ((لأنَّ تقديره: فَرُكُوبُهُمْ منها، فهو - وإن كان مقدماً في اللفظ - مؤخراً في المعنى))<sup>(٣)</sup>.

وهذا الذي قاله ابن جني من تقدير المضاف في قراءة الأعمش عليه أكثر اللغويين والمفسرين<sup>(٤)</sup>. وقال العكبري: ((يجوز أن يكون المصدر بمعنى المفعول مثل الخلق بمعنى المخلوق))<sup>(٥)</sup>، وقال الفراء: ((ولو قرأ قارئ: (فَمِنْهَا رُكُوبُهُمْ) كما تقول: منها أكلهم وشربهم ورُكُوبُهُمْ كان وجهًا))<sup>(٦)</sup>.

(١)- المحتسب: ٢ / ٢١٧.

(٢)- ينظر: المحتسب: ٢ / ٢١٧، ومجمع البيان: ٨ / ٢١٩.

(٣)- المحتسب: ٢ / ٢١٧.

(٤)- ينظر: الكشاف: ٥ / ١٩٢، وإعراب القراءات الشواذ: ٢ / ٢٧٢، والبحر المحيط: ٧ / ٣٣١،

والدر المصون: ٩ / ٢٥٨.

(٥)- إعراب القراءات الشواذ: ٢ / ٢٧٣، وينظر: التبيان في إعراب القرآن: ٢ / ١٠٨٦.

(٦)- معاني القرآن للفراء: ٣ / ٣٨١.

أما في قراءة أَبِي (رَكُوبُهُمْ) فهي (فَعُولُهُ) بمعنى (مفعولة) كالحلوبة، والقنوية<sup>(١)</sup>، أي ما يُحَلَب وما يُقْتَب<sup>(٢)</sup>، أي (مَرَكُوبُهُمْ)، وقال العكبري: (( رَكُوبُهُمْ) بزيادة تاءٍ بمعنى: مَرَكُوبُهُمْ، مثل الحلوبة بمعنى المَحْلُوبَة))<sup>(٣)</sup>، أما قراءة العامة: ﴿ رَكُوبُهُمْ ﴾ فقد أشار ابن جني إليها ضمناً أنها فَعُول بمعنى مَفْعُول، أي: مَرَكُوبُهُمْ، إذ إنّه جمع بين قراءة العامة، وقراءة أَبِي في المعنى، فارجع معنى قراءة الأعمش إليهما، فضلاً عن ذلك لا فرق بين قراءة العامة وقراءة أَبِي إلا دخول التاء في قراءة أَبِي على (فَعُول) التي عدّها بعضهم كما قال الحلبي شاذةً على هذا الوزن<sup>(٤)</sup>.

### حذف أكثر من مضاف

أولاً: القول في قوله تعالى: ﴿ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ ﴾ [طه: من الآية: ٩٦]. الآية عند ابن جني على حذف المضاف مكرراً، وتقدير المعنى، أي: من تراب أثر حافر فرس الرسول، ومثله مسألة الكتاب: أنت مئى فرسخان أي ذو مسافة فرسخين<sup>(٥)</sup>، فَقَدَّرَ مضافان محذوفان هما (حافر وفرس)، وقرأ عبد الله بن مسعود: (فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ فَرَسِ الرَّسُولِ) بإرجاع المضاف المحذوف<sup>(٦)</sup>، وقال ابن جني في موضع آخر: ((ولا تستنكر كثرة المضافات المحذوفة هناك، فإنّ المعنى إذا دلّ على شيء وقبله القياس أمضي على ذلك ولم يُستوحش منه، ألا ترى إلى قول الله سبحانه: ﴿ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ ﴾ ألا تراه أنّ معناه: من تراب أرض أثر وطء حافر فرس الرسول، أي: من تراب الأرض الحاملة لأثر وطء فرس الرسول. المعنى على هذا؛ لأنّه في تصحيحه من تقرّبه لاستيفاء معانيه، وإذا دلّ الدليل كان التعجب من حيلة العاجز الدليل))<sup>(٧)</sup>، فابن جني في هذا النص حذف مضافين قبل (أثر) وثلاثة مضافات بعده، وهذا تكلف منه.

(١) - القنّب: إكافُ البعير، والقنوية: الإبل التي توضع الأقتاب على ظهرها، ينظر: لسان العرب ٦٦٠/١ - ٦٦١، (قنّب).

(٢) - ينظر: المحتسب: ٢ / ٢١٧.

(٣) - إعراب القراءات الشواذ: ٢ / ٢٧٣.

(٤) - ينظر: الدر المصون: ٩ / ٢٨٥.

(٥) - ينظر: الخصائص: ٢ / ٣٦٣.

(٦) - ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ١ / ٦٦٩، ومختصر في شواذ القرآن: ٨٩.

(٧) - المحتسب: ٢ / ٢٦٩.

ويبدو أنّ الذي ألجأ ابن جني إلى القول بحذف أكثر من مضاف هو ما جاء من روايات بشأن هذه القصة بين موسى (عليه السلام) والسامري، وإلا لا دليل مقالي أو حالي يقول: بأنّ الأثر يعود إلى حافر فرس الرسول، وأنّ هذا الرسول هو جبرائيل (عليه السلام)، قال الطبري: ((حدثني موسى... عن السدي... أتى جبريل إلى موسى يذهب به إلى الله، فأقبل على فرس، فرآه السامري فأنكره، ويُقال: إنّه فرس الحياة. فقال حين رآه: إنّ لهذا لشأناً، فأخذ من تربة الحافر - حافر الفرس -))<sup>(١)</sup>، وحذف أكثر من مضاف في الآية قال به أكثر اللغويين والمفسرين<sup>(٢)</sup>، إلا أنّ الآلوسي قدّر مضافاً واحداً محذوفاً، ونقل وجهاً آخر لا حذف فيه، إذ قال: ((قوله تعالى: ﴿فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ﴾ أي: من أثر فرس الرسول، وكذا قرأ عبد الله، فالكلام على حذف مضاف كما عليه أكثر المفسرين، وأثر الفرس، التراب الذي تحت حافره، وقيل: لا حاجة إلى تقدير مضاف؛ لأنّ أثر فرسه أثره عليه السلام))<sup>(٣)</sup>.

ثانياً: القول في قوله تعالى: ﴿يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ﴾ [الأحزاب: من الآية: ١٩].

قال ابن جني: ((أي: كدوران عين الذي يُغشى عليه من الموت))<sup>(٤)</sup>، فحذف المضاف المضاف الأول الذي هو (دوران) ثم حذف المضاف الثاني الذي هو (عين)، وقال الزركشي: ((قد يضاف المضاف إلى مضاف فيحذف الأول والثاني ويبقى الثالث كقوله تعالى... ﴿تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ﴾، أي: كدوران عين الذي يغشى عليه من الموت))<sup>(٥)</sup>.

وزاد بعض اللغويين والمفسرين حذفاً ثالثاً في الآية مضافاً على الحذفين اللذين قال بهما ابن جني، إذ قالوا إنّ الجار والمجرور (كالذي) صفة مصدر محذوف وتقدير الكلام:

(١) - جامع البيان: ١ / ٦٧٠.

(٢) - ينظر: جامع البيان: ١٦ / ١٤٩، والهداية إلى بلوغ النهاية: ٧ / ٤٦٩٠، وكشف المشكلات: ١ / ٧٦ و ٢ / ١٠٧٢، والبرهان في علوم القرآن: ٣ / ١٥٣، والكلبيات: ٧٩٧.

(٣) - روح المعاني: ١٦ / ٢٥٣.

(٤) - الخصائص: ٢ / ٣٦٣.

(٥) - البرهان في علوم القرآن: ٣ / ١٥٢.

تدور أعينهم دوراً كدوران عين الذي يُغشى عليه<sup>(١)</sup>، والذي أُلجأ ابن جني وغيره من اللغويين والمفسرين إلى هذا التقدير؛ أنّ معنى الكلام لا يستقيم، والفائدة لا تتم إلا به؛ لأنّ الدوران عرض، والذي يُغشى عليه جسم، والأعراض لا تشبه الأجسام<sup>(٢)</sup>.

### حذف الموصوف

قبل البدء بالكلام على تفسير ابن جني من خلال بيان الموصوف المحذوف ومكانه، والمعنى المترتب على تقدير ذلك المحذوف، سأعرض كلام غانم كامل في رسالته تحت عنوان: (السهو أو التناقض) عند ابن جني، وهو في قوله - الذي سأذكر نصه - جانب الصواب ونسب إلى ابن جني ما ليس فيه، إذ قال: ((لم يكن الوضوح في التوجيه النَّحوي سمة عامة في منهجه، الذي توزع على اتجاهات ثلاثة هي: الاتجاه الصوتي، والاتجاه الصَّرفي، والاتجاه النَّحوي، فقد كان يقع أحياناً في السَّهو، ومن أمثلة ذلك في المُحتَسَب: توجيهه قوله تعالى: ﴿ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ﴾ [الأنعام: من الآية: ١٦٠] بالحمل على المعنى في تأنيث (المثل) لأنّه في المعنى حسنة ورفض أن يحمله على حذف الموصوف))<sup>(٣)</sup>؛ وذلك لأنّ حذف الموصوف وإقامة الصفة مقامه ليس بمستحسن في القياس، وكذلك ضعف حمل ﴿ دَانِيَةً ﴾ من قوله تعالى: ﴿ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا ﴾ [الإنسان: من الآية: ١٤] على أنّه وصف لموصوف محذوف أي: جنة دانية<sup>(٤)</sup>. ((وهذا الرأي ليس بجديد على ابن جني، فهو قد صرح به في كتاب الخصائص، ولكن الجديد أن نجده في المحتسب الذي يمثل ذروة ما ألفه حين ختم به مؤلفاته الكبيرة، والجديد أيضاً أن ينقض رأيه في الكتاب نفسه من دون الإشارة لا إلى خصوصية التعبير القرآني، ولا إلى ما توافق عليه النحاة الذين استقروا أساليب العرب، فوجهوا طائفة من التراكيب الفصيحة على حذف الموصوف وإقامة الصفة مقامه))<sup>(٥)</sup>

(١)- ينظر: إعراب القرآن للباقولي: ١ / ٨٠ ، ومجمع البيان: ٨ / ١٠٦ ، والبيان في غريب إعراب القرآن: ٢ / ٢٦٦ ، وروح المعاني: ٢٠ / ١٦٥ .

(٢)- ينظر: البيان في غريب إعراب القرآن: ٢ / ٢٦٦ .

(٣)- التوجيه النحوي للقراءات القرآنية الشاذة في كتاب المحتسب: ٥٠ .

(٤)- ينظر: المحتسب: ٢ / ٢٤٦ .

(٥)- التوجيه النحوي للقراءات القرآنية الشاذة في كتاب المحتسب: ٥١ .

أقول إنّ ابن جنّي لم يقع في هذا التناقض الذي نسبه إليه غانم كامل، وهذا واضح وجلي لمن استقرى تراث ابن جنّي ووقف عنده وقفة المتدبر المتأنّي، فيجد أنّ ابن جنّي مُبرّأ من هذا التناقض، ويمكن أن يجاب عن ذلك بأمر منها:

الأمر الأول: أنّ ابن جنّي لم يمنع حذف الموصوف مطلقاً، وإنّ قال هذا غير مستحسن في القياس<sup>(١)</sup>، أو غير مستحسن في القرآن<sup>(٢)</sup>، أي إنّه ضعيف في موضع، وحسن في موضع آخر، أو لا بدّ منه.

الأمر الثاني: أنّ ابن جنّي وضع في كتاب المحتسب- الذي يمثل آخر مؤلّف له- قاعدة لحذف الموصف، ومتى يكون حسناً، ومتى لا يكون حسناً، إذ قال: ((واعلم من بعد أن الصفات لا تتساوى أحوالها في قيامها مقام موصوفاتها، بل بعضها في ذلك أحسن من بعض، فمتى دلت الصفة على موصوفها حسنت إقامتها مقامه، ومتى لم تدل على موصوفها قبحت إقامتها مقامه، فمن ذلك قولك: مررت بظريف، فهذا أحسن من قولك: مررت بطويل؛ وذلك أنّ الظريف لا يكون إلاّ إنساناً مذكراً ورجلاً أيضاً، وذلك أن الظرف إنّما هو حسن العبارة، وأنّه أمرٌ يخصّ اللسان؛ فظريف إذا ممّا يختص الرجال دون الصبيان؛ لأنّ الصبي في غالب الأمر لا تصح له صفة الظرف، وليس كذلك قولنا: مررت بطويل؛ لأنّ الطويل قد يجوز أن يكون رجلاً، وأنّ يكون رمحاً، وأنّ يكون حبلاً وجذعاً، ونحو ذلك، فهذا هو الذي يقبح، والأوّل هو الذي يحسن، فإنّ قام دليل من وجه آخر على إرادة الموصوف ساغ وضع صفته موضعه، فاعرف ذلك واعتبره بما ذكرنا. وإنّما قبّح حذف الموصوف من موضعين: أحدهما: أنّ الصفة إنّما لحقت الموصوف إمّا للتخصيص والبيان، أو للإسهاب والإطناب، وكل واحد من هذين لا يليق به الحذف، بل هو من أماكن الإطالة والهضّب<sup>(٣)</sup>. واعلم أنّ الصفة كما تفيد في الموصوف فكذلك قد يفيد الموصوف في صفته، ألا تراك إذا قلت: مررت بسلامٍ طويلٍ، فقد علم أنّ طويلاً هنا إنسان، ولو لم يتقدم ذكر الغلام لم يُعلم أنّه لإنسان أو غيره: من الرمح، أو الجذع، ونحوهما، وكذلك قد علم بقولك: طويل، أنّ الرجل طويل وليس بزبّعة ولا قصير، وهذا أحد

(١)- ينظر: المحتسب: ١ / ٢٣٧.

(٢)- ينظر: المحتسب: ٢ / ٢٤٦.

(٣)- الهضّب كثير الكلام، أو الضخم من الضباب، ينظر لسان العرب: ١ / ٧٨٥، (هضّب).

ما خلط الموصوف بصفته حتى صارت معه كالجزء منه، وذلك لتساويهما في إفادة كل واحد منهما في صاحبه ما لولا مكانه لم يُد فيهِ))<sup>(١)</sup>، وكذلك صرح بهذه الحقيقة في الخصائص، إذ قال: ((وقد حُذِف الموصوف وأُقيمتُ الصفةُ مقامه وأكثر ذلك في الشعر. وإنما كانت كُثرتُهُ فيه دون النثر من حيث كان القياس يكاد يحظره؛ وذلك أن الصفة في الكلام على ضربين: إمّا للتخليص والتخصيص وإمّا للمدح والثناء، وكلاهما من مقامات الإسهاب والإطناب لا من مظان الإيجاز والاختصار، وإذا كان كذلك لم يلق الحذف به ولا تخفيف اللفظ منه. هذا مع ما ينضاف إلى ذلك من الإلباس وضدّ البيان. ألا ترى أنك إذا قلت: مَرَرْتُ بطويل؛ لم يَسْتَبِنْ من ظاهر هذا اللفظ أن الممرور به إنسانٌ دون رمحٍ أو ثوبٍ أو نحو ذلك، وإذا كان كذلك كان حذف الموصوف، إنما هو متى قام الدليل عليه أو شهدت الحال به، وكلما استبهم الموصوفُ كان حذفه غير لائق بالحديث))<sup>(٢)</sup>، وإن طال كلام ابن جني في النصين، فذكرهما ممّا لأبَد منه؛ لأنّه فيهما أسس لقاعدة حذف الموصوف، ومتى يكون حسنًا لأبَد منه، ومتى يكون قبيحًا ممتنعًا. فهو في النصين لم يمنع حذف الموصوف مطلقًا حتى يوصف بالتناقض أو السهو، وهذا تجنّ على ابن جني. ونعود الآن إلى تفسيره في هدى حذف الموصوف.

القول في قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ﴾ [إبراهيم: من الآية: ١٨]، بإضافة يوم على عاصف على قراءة أبي بكر (في يومٍ عاصِفٍ).

قال ابن جني: ((هذا على حذف الموصوف وإقامة الصفة مقامه؛ أي: في يومٍ ريحٍ عاصِفٍ، وحسن حذف الموصوف هنا شيئًا؛ لأنّه قد أُلِفَ حذفه في قراءة الجماعة: ﴿في يومٍ عاصِفٍ﴾. فإن قيل: فإذا كان ﴿عاصِفٍ﴾ قد جرى وصفًا على (يوم) فكيف جاز إضافة (يوم) إليه، والموصوف لا يضاف إلى صفته؛ إذ كانت هي هو في المعنى؛ والشيء لا يُضَاف إلى نفسه، ألا تراك لا تقول: هذا رجلٌ عاقلٌ، ولا غلامٌ ظريفٌ، وأنت تريد الصفة؟ قيل: جاز ذلك من حيث كان (اليوم) غير العاصف في المعنى وإن كان إياه في اللفظ؛ لأنّ العاصف في الحقيقة إنما هو الريح لا اليوم، وليس كذلك هذا رجلٌ

(١) - المحتسب: ٢ / ١٠١، ١٠٢.

(٢) - الخصائص: ٢ / ٣٦٦.

عاقِلٍ؛ لأنَّ الرجل هو العاقل في الحقيقة، والشيء لا يضاف إلى نفسه ، فهذا فرق))<sup>(١)</sup>، وكذلك أول المفسرون بعد ابن جني قراءة أبي بَكير على حذف الموصوف<sup>(٢)</sup>.

أما في قراءة الجماعة: ﴿ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ ﴾ فكذلك حملها على حذف الموصوف، فهو من المألوف حذفه عنده، فحذف الموصوف وأقيمت الصفة مقامه، والمعنى: في يوم رِيحٍ عاصِفٍ، وقيل تقدير المعنى: في يومٍ عاصِفِ الرِّيحِ، إذ قال الفراء: ((فلما جرى ذكر الريح قبل اليوم طرحت من آخره، كأنه قيل: في يومٍ عاصِفِ الرِّيحِ))، وكذلك قال الطبري وأبو إسحاق الثعالبي، والسمين الحلبي<sup>(٣)</sup>.

ثانياً: القول في قوله تعالى: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ ﴾ [يونس: من الآية: ٣٨] بالإضافة (سورة) إلى (مثله)، (بسورةٍ مثله) على قراءة عمرو بن فائدة.

والقراءة عند ابن جني ((على حذف الموصوف وإقامة الصفة مقامه؛ أي: بسورة كلامٍ مثله، أو حديثٍ مثله، أو ذِكْرٍ مثله، وقد ذكرنا حذف الموصوف وإقامة الصفة مقامه))<sup>(٤)</sup>، والضمير الذي في (مثله) على هذه القراءة يعود على القرآن، كما هو في قراءة العامة، ويجوز أن يعود الضمير على النبي (صلى الله عليه وآله)، وتقدير المعنى يكون: فَأَتُوا بسورةٍ بشرٍ مثله<sup>(٥)</sup>. فابن جني حمل النَّصين السابقين على حذف الموصوف وإقامة الصفة مقامه، وثبَّه في نصح الأخير على أنه تكلم على حذف الموصوف سابقاً ووضع شروطاً لحذفه ذكرتها فيما سبق.

### قبح حذف الموصوف

هذا الباب ليس حقه أن يكون ضمن حذف الموصوف؛ لأنَّ ابن جني حمل الآيتين - الآتي ذكرهما - على وجه أقوى وأحسن من حذف الموصوف، لكنَّ لَمَّا حملهما غيره

(١)- المحتسب: ١ / ٣٦٠.

(٢)- ينظر: مجمع البيان: ٦ / ٤٩، و الدر المصون: ٧ / ٨٤، والبحر المحيط: ٥ / ٤٠٥، وروح المعاني: ١٣ / ٢٠٤.

(٣)- ينظر: جامع البيان: ١٣ / ٦٢٣، والكشف والبيان: ٥ / ٣١٢.

(٤)- المحتسب: ١ / ٣١٢.

(٥)- ينظر: البحر المحيط: ٥ / ١٥٩، و الدر المصون: ٦ / ٢٠٥.

على حذف الموصوف، فكان في كلامه ردٌّ على من حملهما على حذف الموصوف؛ لأنه وجه غيره أحسن منه، جاز لنا إيرادهما هنا، مضاف على ذلك أن فيهما ردًّا على مَنْ ظنَّ أن ابن جني ناقض نفسه حينما لم يَسْتَحْسِنِ حذف الموصوف في الآيتين، وقال به في غيرهما من ما بيناه آنفًا؛ وذلك لأنَّ عدم استحسانه حذف الموصوف في الآيتين حملة بعضهم على الإطلاق، فكأنَّ ابن جني لا يقول بحذف الموصوف مطلقًا، والأمر ليس كذلك، بل لم يستحسن حذف الموصوف في الآيتين فحسب وليس مطلقًا.

أولاً: القول في قوله تعالى: ﴿ وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴾ مُتَكْنِنِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَاثِكِ لَا يَرُونَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴾ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلَّتْ أَطْوْفُهَا تَذْلِيلًا ﴿ [الإنسان: ١٢، ١٣، ١٤].

وإعراب ﴿ دَانِيَةً ﴾ فيه عند ابن جني وجهان:

الوجه الأول: أن تكون ﴿ دَانِيَةً ﴾ صفة موصوف محذوف معطوف على ﴿ جَنَّةً ﴾ من قوله تعالى: ﴿ وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴾ وتقدير المعنى: وجزاهم بما صبروا جنةً وحريراً وجنةً دانيةً عليهم ظلالها، ثم حذف الموصوف (جنة) وأقامه الصفة ﴿ دَانِيَةً ﴾ مقامه<sup>(١)</sup>، وهذا الوجه لا يمنعه ابن جني، إلا أن غيره أحسن منه عنده، وعبر عن موقفه هذا في ثلاثة من كتبه، فقال في التنبيه: ((فأجيز أن يكون تقديره: وجزاهم بما صبروا جنةً وحريراً وجنةً دانيةً عليهم ظلالها، ثم حذف الموصوف، وأقوى منه أن تكون ﴿ دَانِيَةً ﴾ حالاً))<sup>(٢)</sup>، وقال في سر صناعة الإعراب: ((ويكون حذف الموصوف هنا جائزاً كما جاز في قول من تأوَّل الآية على إقامة الصفة مقام الموصوف وهي قوله تعالى: ﴿ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا ﴾ ... أن حذف الموصوف وإقامة الصفة مقامه على كل حال قبيح، وهو في بعض الأماكن أقبح منه))<sup>(٣)</sup>، وقال في المحتسب هو وجه ضعيف<sup>(٤)</sup>، فلا وجه لمن رمى ابن جني بالتناقض، فهو لم يمنع حذف الموصوف وإقامة الصفة مقامه مطلقًا، لكنَّه في بعض المواضع حملة على غير ذلك أحسن، كما في الآية.

(١)- ينظر: سر صناعة الإعراب: ١ / ٢٨٣، والتنبيه: ٤٩.

(٢)- التنبيه: ٤٩.

(٣)- سر صناعة الإعراب: ١ / ٢٨٣.

(٤)- ينظر: المحتسب: ١ / ٢٣٧.

الوجه الثاني: أن تكون ﴿ دَانِيَةً ﴾ حالاً معطوفة على الحال التي قبلها في قوله تعالى: ﴿ مُتَكَبِّرِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ ﴾، والتقدير: ﴿ مُتَكَبِّرِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ ﴾ ودانيةٌ عليهم ظلالها، وهذا الوجه أقوى وأولى من غيره عند ابن جني، وعلى هذا الوجه، الآية لا حذف فيها<sup>(١)</sup>.

وقال أبو علي الفارسي في ﴿ دَانِيَةً ﴾ وجهان: الأول: الانتصاب على الحال، وتبعه في ذلك ابن جني، والثاني: مفعول به، والمعنى: وجزاهم جنّةً وحريراً، أي: لبسُ حريرٍ، ودخول جنّةٍ دانيةٍ عليهم ظلالها، أمّا حملها على حذف الموصوف (( فإنّ ذلك ليس بالمُطَرَّح<sup>(٢)</sup>، في كلامهم))<sup>(٣)</sup>، على أنّ أبا علي الفارسي يجيز حذف الموصوف وإقامة الصفة مقامه<sup>(٤)</sup>، وحملها على الحال قال به كثير من اللغويين والمفسرين، إذ قال الرازي: ((ما السبب في نصب ﴿ ودَانِيَةً ﴾؟ الجواب: ذكر الأخفش والكسائي والفراء والزجاج فيه وجهين أحدهما: الحال بالعطف على قوله: ﴿ مُتَكَبِّرِينَ ﴾... والثاني: الحال بالعطف على محل: ﴿ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمَهْرِيرًا ﴾، والتقدير غير رائيين فيها شمسًا ولا زمهريراً ودانيةٌ عليهم ظلالها))<sup>(٥)</sup>، وأمّا حملها على حذف الموصوف فهو وجهٌ مقبول عند كثير من اللغويين والمفسرين ومنهم: القيسي، والباقولي، القرطبي<sup>(٦)</sup>.

ثانياً: القول في قوله تعالى: ﴿ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ﴾ [الأنعام: من الآية: ١٦٠].

قال ابن جني: ((فتأنيث المثل؛ لأنّه في المعنى حسنة. فإن قلت: فهلاً حملته على حذف الموصوف، فكأنّه قال: فله عشر حسنات أمثالها، قيل: حذف الموصوف وإقامة

(١) - ينظر: سر صناعة الإعراب: ١ / ٢٨٤، والتنبيه: ٤٩، والمحتسب: ١ / ٢٣٧.

(٢) - المُطَرَّح: البعيد، وقول مطرّح أي: لا يُلتفت إليه، ينظر: تاج العروس: ٦ / ٥٧٦، (طرح).

(٣) - الحجة للقراء السبعة: ٦ / ٣٥٤.

(٤) - ينظر: الحجة للقراء السبعة: ٢ / ١٢٨.

(٥) - التفسير الكبير: ٣٠ / ٢٤٨، وينظر: ومعاني القرآن للفراء: ٣ / ٢٦١، ومعاني القرآن للأخفش:

٢ / ٥٦٠، ومعاني القرآن وإعرابه: ٥ / ٢٥٩، والكشاف: ٦ / ٢٧٩.

(٦) - ينظر: مشكل إعراب القرآن: ٢ / ٤٣٨، والهداية إلى بلوغ النهاية: ١٢ / ٧٩٢١، وإعراب القرآن

للباقولي: ١ / ٢٩١، والجامع لأحكام القرآن: ٢١ / ٤٧٢.

الصفة مقامه قبلُ ليس بمستحسن في القياس، وأكثر مأتاه إنَّما هو في الشعر... فلهذا يضعف أن يكون تقدير الآية على: فله عشر حسنات أمثالها؛ بل تكون أمثالها غير صفة لكنَّه محمول على المعنى؛ إذ كُنَّ حسنات كما ترى))<sup>(١)</sup>، هذا عليه أبو علي الفارسي<sup>(٢)</sup>، وكون الأمثال صفة لموصوف محذوف هو وجه في الآية عند أكثر اللغويين والمفسرين، وتقدير المعنى: عشر حسنات أمثالها<sup>(٣)</sup>، وقال الباقولي في تأنيث الأمثال: قد يكتسي المضاف التأنيث من المضاف إليه ومنه قوله تعالى: ((فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا)) لما أضاف (الأمثال) إلى المؤنث اكتسى منه التأنيث، ولم يقل (عشرة))<sup>(٤)</sup>.

### حذف المفعول به للعلم به

أولاً: القول في قوله تعالى: ﴿ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ [النمل: من الآية: ٢٣].

يرى ابن جني أن المفعول به في الآية محذوف للعلم به، وأنه مع ذلك عذب عالٍ في اللغة، والتقدير أي: من كلِّ شيءٍ شيئاً، أو أُوتيت منه شيئاً، وهو كثير في القرآن والشعر<sup>(٥)</sup>، وجاء عن المفسرين أن المراد بالذي أُوتيت لملكة سبأ: أي ممَّا تحتاج إليه المملكة من أمر الدنيا<sup>(٦)</sup>، وقال الأخفش: ((أي: أُوتيت من كلِّ شيءٍ في زمانها شيئاً))<sup>(٧)</sup>، وحمل الآية على عدم الذكر أولى من حملها على الحذف، لأنَّ المراد من الآية: ﴿ إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴾ [النمل: ٢٣] - على وفق سياقها - المبالغة في ملكها ووصفه بالسعة، وذكر المفعول به يقيد

(١)- المحتسب: ١ / ٢٣٧.

(٢)- ينظر: الحجة للقراء السبعة: ٣ / ٢٨٨.

(٣)- ينظر: الحجة في القراءات السبع: ١٥٣، والتبيان في تفسير القرآن: ٤ / ٣٣٠، وإعراب القرآن للباقولي: ١ / ٢٩٠، والجامع لأحكام القرآن: ٩ / ١٣٦.

(٤)- إعراب القرآن للباقولي: ٣ / ٨١٣.

(٥)- ينظر: الخصائص: ٣٧٢/٢، والفسر: ٩٩٥/١، والمحتسب: ٣٦٣/١، ومسألثان من كتاب الأيمان: ١٠٦، مجلة معهد المخطوطات العربية، المجلد: ٣٣، الجزء: ١، ١٩٨٩ م.

(٦)- ينظر: المحرر الوجيز: ٤ / ٢٥٦، والبحر المحيط: ٧ / ٦٤، وروح المعاني: ١٩ / ١٩٠، ومجمع ومجمع البيان: ٧ / ٢٣٧.

(٧)- معاني القرآن للأخفش: ٢ / ٤٠٨.

السعة مهما كانت فهو قيد، وليس الغرض من الآية إلا إفادة كثرة ما أوتيت<sup>(١)</sup>، وإلى هذا المعنى أشار الطباطبائي، إذ قال: ((قوله: ﴿ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ وصفٌ لسعة ملكها وعظمتها وهو القرينة على أن المراد بكل شيء في الآية كل شيء هو من لوازم الملك العظيم من حزم وعزم وسطوة ومملكة عريضة وكنوز وجنود مجندة ورعية مطيعة، وخصّ بالذكر من بينها عرشها العظيم))<sup>(٢)</sup>، فالغرض من الآية الإشارة إلى سعة ملكها وليس ذكر تفاصيله.

ثانياً: القول في قوله تعالى ﴿ وَأَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ﴾ [إبراهيم: من الآية: ٣٤]، بتوين (كُلِّ) على قراءة ابن عباس:

قال ابن جني: و((على هذه القراءة فالمفعول ملفوظ به؛ أي: وأتاكم ما سألتموه أن يؤتاكم منه، وأماً على قراءة الجماعة: ﴿ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ﴾ على الإضافة فالمفعول محذوف؛ أي: وأتاكم سؤلکم من كل شيء؛ أي: وأتاكم ما ساغ إيتاؤه إياكم إياه منه، فهو كقوله عز وجل: ﴿ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ أي: أوتيت من كل شيء شيئاً، وقد سبق ذكرنا حذف المفعول للعلم به، وأنه مع ذلك عذب عالٍ في اللغة))<sup>(٣)</sup>، ولم تتفق أحكام اللغويين والمفسرين قبل ابن جني وبعده في تقدير المحذوف مع بقاء المعنى الذي قدره ابن جني نفسه، فقالوا في تقدير المحذوف: أتاكم من كل شيء سألتموه شيئاً، أو أتاكم من كل مسؤول شيئاً أو مسئولاً<sup>(٤)</sup>.

### بين الحذف وعدم الدُّكْر

القول في قوله تعالى: ﴿ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ ﴾ [القصص: من الآية: ٢٣].

(١) - ينظر: روح المعاني: ١٩ / ١٩٠.

(٢) - الميزان في تفسير القرآن: ١٥ / ٣٥٦.

(٣) - المحتسب: ١ / ٣٦٣.

(٤) - ينظر: معاني القرآن للأخفش: ٢ / ٤٠٨، والحجة للقراء السبعة: ٤ / ٣٢٨، والكشف والبيان: ٥ /

٣٢٠ / ٧، والدر المصون: ٧ / ١٠٩.

قال ابن جني: أنَّ المعنى ((أي: تذودان إبلهما، ولو نطق بالمفعول لَمَا كان في عذوبة حذفه ولا في علوه))<sup>(١)</sup>، استملح ابن جني هذا الحذف في الآية، وأقول لَمَا كانت العذوبة والعلو في الحذف، وهما بلا شك لا يكونان إلا بتمام المعنى، وإذا تمَّ المعنى فلا حاجة للقول بالحذف، لأنَّ تقدير المحذوف يكون لتمام المعنى، وهو في الآية تام بعدم الذُّكر؛ لأنَّ الغرض هو بيان فعل الذود لا المفعول، أي: كان منهما ذوداً<sup>(٢)</sup>، إلا إنَّ هذا الاستملاح لم يمنع ابن جني من القول بالحذف في الآية، هذا ما عليه أكثر اللغويين والمفسرين، واختلفوا في تقدير المحذوف فمرة هو: تذودان غنمهما وأخرى تذودان النَّاس عن غنمهما<sup>(٣)</sup>، وصرَّح بعدم الذكر في الآية الجرجاني فقال: ((لأنَّ في حذفه وترك ذكره فائدة جلييلة، وأنَّ الغرض لا يصح إلا على تركه))<sup>(٤)</sup>، وكذلك ابن هشام، إذ قال: ((قد يُظنُّ أنَّ الشيء من باب الحذف، وليس منه ... ألا ترى أنَّه (عليه الصلاة والسلام) إنَّما رحمهما إذ كانتا على صفة الذِّيادة وقومهما على السَّقْي، لا لكون مذودهما غنماً ومسقيهم إبلًا))<sup>(٥)</sup>، وتقدير ابن جني لمفعول به محذوف في الآية ألبَّه الصنعة النحوية، التي تُوجب لكلِّ فعل متعدٍّ أن يكون له مفعول به، وقال عبد الستار الجواري في رفض مثل هذا التقدير: ((وقد يكون غرضهم من التقدير محض توجيه للقاعدة النحوية ومحض التزام بالصنعة الكلامية، إلا أنَّه على كل حال عبث بالنص وخروج على المعنى الذي أُريد به، وهو بعد ذلك كلُّه تضييع لفنية الأسلوب، لا يغتفر فيه التذرع بالتزام القاعدة التي لم تستكمل أسباب قيامها بالاستقراء الشامل))<sup>(٦)</sup>.

### حذف الحال

القول في قوله تعالى: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ [البقرة: من الآية: ١٨٥].

- (١) - المحتسب: ١ / ٣٣٣.
- (٢) - ينظر: دلائل الإعجاز: ١٦١.
- (٣) - ينظر: ومعاني القرآن للفراء: ٢ / ٣٠٥، ومعاني القرآن وإعرابه: ٤ / ١٣٩، والنكت والعيون: ٤ / ٢٤٥، ومجمع البيان: ٧ / ٣١٠، والدر المصون: ٨ / ٢٦٦.
- (٤) - دلائل الإعجاز: ١٦٢.
- (٥) - مغني اللبيب: ٢ / ٧٩٧، ٧٩٨.
- (٦) - نحو القرآن: ٢٦.

ذكر ابن جني في الآية ثلاثة أمور:

الأول: حَذَفُ الحال من الآية، والتقدير أي: من شَهِدَ منكم الشَّهْرَ صحيحًا بالغًا فَلْيَصُمْهُ، وطريق حذف الحال في الآية ((دلَّت الدلالة عليه من الإجماع والسُّنَّةُ جاز حذفه تخفيفًا، وأمَّا لو عُرِّبَتْ الحال من هذه القرينة وتجرَّد الأمر دونها لَمَا جاز حذف الحال على وجه))<sup>(١)</sup>؛ لأنَّ ابن جني لا يحسِّن حذف الحال ؛ وذلك لأنَّ الغرض منها التوكيد، وما كان طريقه التوكيد غير لائق به الحذف<sup>(٢)</sup>، وهذا الأمر انفرد به ابن جني، وتبعه فيه الباقلوي، فأورد نصَّ كلامه من غير تعليق أو رفض، وإنما جاء به شاهدًا على حذف الحال والصفة، إذ قال: ((هذا باب ما جاء في التنزيل من إضمار الحال والصفة جميعًا وهو شيء لطيف غريب))<sup>(٣)</sup>، وذكر الآية شاهدًا لقوله. وتكون الحال من الفاعل، وتقديره مفرد عند ابن جني (صحيحًا)، وجملة عند مكي ابن أبي طالب، فقال: ((أي: فمن شَهِدَ منكم الشهر في المصر وهو صحيح فَلْيَصُمْهُ))<sup>(٤)</sup>.

الأمر الثاني: حَذَفُ الظرف من الآية والتقدير أي: من شَهِدَ الشَّهْرَ منكم صحيحًا بالغًا في مصرٍ فَلْيَصُمْهُ، وعلى هذا التقدير يكون ﴿الشَّهْرُ﴾ مفعولًا به، وهذا ما رفضه أكثر اللغويين والمفسرين - كما سيجيء - و﴿الشَّهْرُ﴾ والظرف (في مصرٍ) متعلقان بـ﴿شَهِدَ﴾ فيكون في الآية ثلاثة محذوفات هي: الحال والظرف والمفعول به كما سيجيء<sup>(٥)</sup>.

الأمر الثالث: نقله ابن جني عن أبي علي الفارسي إذ قال: ((وكان أبو علي - رحمه الله - يرى أنَّ نصب ﴿الشَّهْرُ﴾ هنا إنما هو على الظرف ويذهب إلى أنَّ المفعول محذوف أي فمن شهد منكم المصر في هذا الشهر فليصمه))<sup>(٦)</sup>، ذكره على أنه وجه دون أن يعلق عليه.

(١) - الخصائص: ٢ / ٣٧٨، ٣٧٩.

(٢) - ينظر: الخصائص: ٢ / ٣٧٨.

(٣) - إعراب القرآن للباقلوي: ٣ / ٧٨٣.

(٤) - الهداية إلى بلوغ النهاية: ١ / ٦٠٥.

(٥) - ينظر: الخصائص: ٢ / ٣٧٨.

(٦) - الخصائص: ٢ / ٣٧٣.

وقال أكثر اللغويين والمفسرين: لا يجوز أن يكون ﴿الشَّهْرُ﴾ مفعولاً به؛ لأنَّ ذلك يلزم منه صيام المسافر، كما يلزم صيام الشاهد أي المقيم؛ لأنَّ كليهما يشهد الشَّهر، لذا يكون نصب ﴿الشَّهْرُ﴾ على أنه ظرف، وليس بمفعولٍ به، والتقدير فمن شهد منكم المصر في الشهر فليصمه<sup>(١)</sup>، وقال المبرد: ((ومجاز الآية: فمن كان منكم شاهداً بلدةً في الشهر فليصمه، والتقدير: فمن كان شاهداً في شهر رمضان فليصمه، ونصب الشهر للظرف لا نصب المفعول))<sup>(٢)</sup>.

وأما نصب ﴿الشَّهْرُ﴾ على أنه مفعول به فقال به بعض اللغويين والمفسرين على أنه وجه، وهو على حذف المضاف، أي: من شهد منكم دخول الشهر فليصمه<sup>(٣)</sup>، وقال السمين الحلبي: ((أنه منصوب على المفعول به، وهو على حذف مضاف، ثم اختلفوا في تقدير ذلك المضاف: فالصحيح أن تقديره (دخول الشهر)، وقال بعضهم: هلال الشهر، وهذا ضعف لوجهين، أحدهما: أنك لا تقول: شهدت الهلال، إنما تقول: شاهدت الهلال))<sup>(٤)</sup>. أقول اعتراض أكثر المفسرين واللغويين على كون ﴿الشَّهْرُ﴾ مفعولاً به، يمكن أن يجاب عنه من وجهين:

الوجه الأول: إنَّ إلزام المسافر بالصوم لا وجه له؛ لأنَّه جاء الكلام عليه بعد (الشاهد) واستثني من الصيام في حال السفر والمرض، فقال في تمام الآية: ﴿شَهْرَ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: ١٨٥] فالمرضى والمسافر أخرجوا من الإلزام بصريح الآية.

الوجه الثاني: يمكن حمل ﴿شَهِدَ﴾ على معنى حضر وأقام وهو ضد السفر، وبذلك يخرج المسافر وتقدير المعنى: فمن حضر دخول الشهر فليصمه، وقال الطوسي: ((قيل في

(١) - ينظر: الحجة للقراء السبعة: ٣٤/١، ومشكل إعراب القرآن: ٨٧/١، المخصص: ٧٣ / ١٢، والكشاف: ٣٨٣/١، وإعراب القرآن للباقولي: ٤٤٩ / ٢، ومجمع البيان: ١١ / ٢.

(٢) - فقه اللغة وسر العربية: ٢٥٦، وينظر: الكامل: ٣ / ١٥٠٣.

(٣) - ينظر: والبحر المحيط: ٤٨/٢، الدر المصون: ٢٨٣/٢، والجدول في إعراب القرآن: ٣٧١ / ٢.

(٤) - الدر المصون: ٢ / ٢٨٣.

## الفصل الثاني التفسير اللغوي في المباحث النحوية والصرفية .....

معناها قولان... والثاني: مَنْ شَهِدَهُ، بَأَنْ حَضَرَه، ولم يَغِبْ، لأَنَّهُ يقال: شاهد: بمعنى حاضر وشاهد: بمعنى مُشاهد))<sup>(١)</sup>.

(١) - التبيان في تفسير القرآن: ٢ / ١٢٣.

### المبحث الثالث

#### التوابع وأثرها في التفسير اللغوي

التوابع من الموضوعات النحوية التي لها أثرٌ في كشف المعنى، فتعنين كون التابع صفةً أو بدلاً، وتبين المعطوف والمعطوف عليه يُفيد في الكشف عن المعنى وإيضاحه؛ لذا نرى ابن جني وظف هذه الموضوعات النحوية خير توظيف في تفسير القرآن، والكشف عن المعنى المراد من آي القرآن الكريم، وكذلك أفاد من هذه الموضوعات في تفسير بعض القراءات وتوجيهها ليكون معناها مقبولاً في التفسير، وأوردت في هذا المبحث العطف والصفة والبدل، أمّا التوكيد فأوردت له مثالين وهما ليسا من التوابع؛ فكان إيرادهما هنا لأنّ التوكيد في وجه من وجوهه يدخل في التوابع

#### ١- العطف

##### العطف بالواو

أولاً: القول في قوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٩٨].

قال ابن جني: ((أفردهما [أي الملكين جبريل وميكايل] -صلى الله عليهما- بالذكر مخصوصين به، وإن كانا داخلين في جملة الملائكة المُقدّم ذكرهم، وهذا ظاهر الأمر وبادئ الرأي، وإن كان مذهب الفقهاء العراقيين في نحو هذا، أنّ جبريل وميكايل ليسا داخلين في الآية في جملة الملائكة . قالوا لأنّهما لو كانا داخلين معهم لما جاز عطفهما عليهم. وكذلك القول في قوله عزّ اسمه: ﴿فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرَمَانٌ﴾ [الرحمن: ٦٨])<sup>(١)</sup>.

بيّن ابن جني أنّ عطف ﴿جِبْرِيلَ وَمِيكَالَ﴾ على الملائكة، وإفردهما بالذكر عطفاً ليس تغاييراً بل تخصيصاً للملكين وتشريعاً لهما عن سائر الملائكة، وهذا الذي دلّ عليه ظاهر الآية عنده، وأمّا قول الفقهاء العراقيين، فهو لا يُخرج ﴿جِبْرِيلَ وَمِيكَالَ﴾ من كونهما ملكين، بل هما ليسا داخلين في الآية؛ لأنّ الواو توجب التغاير عندهم، وجاء عن أبي حنيفة (ت ١٥٠هـ) ((إذا حلف الرجل لا يأكل فاكهة ولا نيةً له، فأكل عنباً أو رماناً أو

(١)- التنبيه: ٦٥ - ٦٦.

رطبًا، فإنه لا يحنت))<sup>(١)</sup>. وقال ابن جني في المحتسب: الشيء لا يجوز عطفه على نفسه كما في قوله تعالى: ﴿ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ ﴾ ((لا يكون ﴿ جِبْرِيلَ وَمِيكَالَ ﴾ داخلين في جملة الملائكة؛ لأنهما معطوفان عليهما، فلا بد أن يكونا خارجين منهم، فأما قوله:

أَكْرُ عَلَيْهِمْ دَعْلَجًا وَلَبَانَهُ إِذَا مَا اشْتَكَى وَقَعَ الرِّمَاحُ تَحْمَحَمًا

فيروى (لَبَانَهُ)<sup>(٢)</sup> رفعًا ونصبًا، فمن رفعه فلا نظر فيه؛ لأنه مبتدأ وما بعده خبر عنه، وأما النصب فعلى أنه أخرج عن الجملة (لَبَانَهُ)، ثم عطفه عليه، وساغ له ذلك؛ لأنه مازه من جملة إكبارًا له وتفخيماً منه، كما ماز ﴿ جِبْرِيلَ وَمِيكَالَ ﴾ من جملة الملائكة تشريفًا لهما))<sup>(٣)</sup>.

للوهلة الأولى قد نجد تناقضًا بين قولي ابن جني في التنبيه والمحتسب؛ لكن عند إتمام النظر نجد أن ابن جني في المحتسب لم يُخرج ﴿ جِبْرِيلَ وَمِيكَالَ ﴾ من كونها ملكين بدلالة قوله: (منهم) في قوله: (فلا بد أن يكونا خارجين منهم)، فهم من الملائكة؛ ونتيجة كلامه في النصين واحدة، ونستشعر أنه في التنبيه ينقل كلام الفقهاء، وفي المحتسب لا نستشعر ذلك، والفرق بين القولين يكمن في أنه في التنبيه بدأ مناقشاً بقوله: (وإن كانا

(١)- المبسوط: ٣ / ٢٣٨ - ٢٣٩.

(٢)- اللبأن: الصدر من ذي الحافر خاصة، ينظر: لسان العرب: ١٣ / ٣٧٦، وقال المرزوقي في شرح البيت: (( يقول: أعطف فرسي دعلجاً عليهم، حالاً بعد حال، وكراً بعد فر، وإذا اشتكى من كثرة وقوع الطعن بصدرة محم. وجعل الفعل للصدر على المجاز والسعة؛ لكونه موقع الطعن. هذا إذا رويت: (ولبانته) بالرفع؛ لأن بعض الناس روى (ولبانته) بالنصب، كأنه فر من أن يكون الاشتكاء والتحمم للبان على كثرة نسبة الاشتكاء إلى الأعضاء الآلئة. فوقع فيما هو أقبح؛ لأن المراد أكر عليهم فرسي، فلا معنى لعطف اللبان عليه. وسمعت من يجعله من باب تكرير البعض من الكل بالعطف عليه، وإن كان داخلًا فيما دخل فيه على وجه الاختصاص وتفخيم الشأن، كقوله عز وجل: ﴿ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ ﴾ [البقرة: من الآية: ٩٨]. قال: ووجه الاختصاص أن الذكر بصدرة، كما أن الأنتى بعجزه. والدعلج: المرخ في السير والتردد، ويوصف به الفرس والبعير والحمار))، (شرح ديوان الحماسة: ١ / ١٥٤ - ١٥٥).

(٣)- المحتسب: ٢ / ٥٣ - ٥٤، وينظر البيت في ديوان عامر بن طفيل: ١٣٤، وروايته في الديوان برفع (لبانته).

داخلين في جملة الملائكة المقدم ذكرهم)، أمّا في المحتسب، أرسل النتيجة أولاً بقوله: (لا يكون جبريل وميكائيل داخلين في جملة الملائكة)، وإفادهما بالعطف تشريفاً لهما، كما جاء في آخر كلامه في المُحتَسَب، قال الرازي: ((أفردهما بالذكر لفضلهما كأنهما لكمال فضلهما صاراً جنساً آخر سوى جنس الملائكة))<sup>(١)</sup>؛ لذا جاز عطفهما على الملائكة. وجاء عن أكثر اللغويين والمفسرين أنّ إفردهما من جملة الملائكة؛ لأمرين: أحدهما: تخصيصاً وتشريفاً لهما، وبياناً لفضلهما على سائر الملائكة. والآخر: لقول اليهود: جبريل عدونا وميكايل ولينا، فخصاً بالذكر لإبطال ما يتأولونه من التخصيص بينهما، وهذا الآخر هو قول أكثر المفسرين<sup>(٢)</sup>.

وجاء عن أكثر اللغويين أنّ الآية من عطف الخاص على العام<sup>(٣)</sup>، ولزيادة شرفهما وفضلهما فصيلاً بالواو، عن غيرهم من الملائكة، إذ قال الثعالبي: ((العرب تفعل ذلك فتذكر الشيء على العموم ثم تخص منه الأفضل فالأفضل فتقول: جاء القوم والرئيس والقاضي، وفي القرآن: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى﴾ [البقرة: من الآية: ٢٣٨] ... كما أفرد جبريل وميكائيل من الملائكة، فقال: ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ﴾<sup>(٤)</sup>.

ثانياً: القول في قوله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [التوبة: من الآية: ١٠٠] برفع ﴿الأنصار﴾ على قراءة عمر بن الخطاب.

قال ابن جني: ((الأنصار) معطوف على قوله: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ﴾ فأما قوله: ﴿وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ﴾، فيجوز أن يكون معطوفاً على ﴿الأنصار﴾ في رفعه وجره، ويجوز أن يكون معطوفاً على ﴿السَّابِقُونَ﴾، وأن يكون معطوفاً على ﴿الأنصار﴾ لقربه منه<sup>(٥)</sup>.

(١)- التفسير الكبير: ٣ / ٢١٤.

(٢)- ينظر: والنكت والعيون: ١ / ١٦٣، والتبيان في تفسير القرآن: ١ / ٣٦٤، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير: ١ / ٣٣٥.

(٣)- ينظر: معاني القرآن وإعرابه: ١ / ٣٢٠، وارتشاف الضرب: ٤ / ١٩٨٣، وهمع الهوامع: ٣ / ١٥٧.

(٤)- فقه اللغة وسر العربية: ٢٢٣.

(٥)- المحتسب: ١ / ٣٠٠ - ٣٠١.

و(الأنصار) بالرفع مبتدأ خبره قوله تعالى: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾، وعطف (الأنصار) على السابقين يخرجهم من السابقين؛ لأنَّ العطف يوجب التغاير، فالسابق يكون للمهاجرين خاصة<sup>(١)</sup>، قال الباقولي: ((والأنصار) بالرفع: على أن يجعل (الأنصار) ابتداءً، ولا تجعلهم من السابقين الذين هم المهاجرون. دليل هذه القراءة قوله: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾ [الحشر: من الآية: ١٠]، والذين جاءوا من بعدهم (الأنصار))<sup>(٢)</sup>. وكان عمر بن الخطاب يرى أن قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ﴾ بغير واو صفة للأنصار، إذ روى الزمخشري عن عمر بن الخطاب ((أنه كان يرى أن قوله: ﴿وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ﴾ بغير واو، صفة للأنصار، حتى قال له زيد: إنه بالواو، فقال: انتوني بأبي، فقال تصديق ذلك في أول الجمعة ﴿وَأَخْرَيْنَ مِنْهُمْ﴾ [الجمعة: من الآية: ٣]، وأوسط الحشر ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ [الحشر: من الآية: ١٠]... ورؤي أنه سمع رجلاً يقرؤه بالواو، فقال: من أقرأك؟ قال: أبي فدعاه فقال: أقرأني رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، وإنك لتتبع القُرظ بالبيع، قال: صدقت))<sup>(٣)</sup>، والذي دعا عمر أن يقول بحذف الواو؛ وذلك لأنَّ المعنى لا يستقيم إلا بحذف الواو على قراءته؛ لذا قال برفعها .

ثالثاً: القول في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبُ بآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنعام: ٢٧]، برفع ﴿لَا نُكَذِّبُ﴾<sup>(٤)</sup>.

قال ابن جني عن أبي الحسن الأخفش: ((هو في اللفظ معطوف وفي المعنى جواب، قال وذلك أنهم إنما تمنَّوا الرَّدَّ، ولم يتَمَنَّوا ترك التَّكْذِيبِ والإيمان، بل أوجبهما على

(١) - ينظر: معاني القرآن للنحاس: ٣ / ٢٤٧، والكشف والبيان: ٥ / ٨٣.

(٢) - إعراب القرآن للباقولي: ١ / ٢٠١.

(٣) - الكشاف: ٣ / ٨٥.

(٤) - لكتاب التنبية أكثر من تحقيق، وجاء في تحقيق سيدة حامد وتغريد حسن الآية من سورة الأنعام ﴿لَا نُكَذِّبُ﴾ من غير شكل وهو أمر يُشكَل على القارئ والباحث فأبي الوجهين يرجح؟ لأنَّ الآية تُقرأ بالنصب والرفع، وجاء في تحقيق حسن محمود هنداوي الآية بالنصب، وهو مناقض لما جاء في معاني القرآن للأخفش: ١/٢٩٧، فجاءت الآية بالرفع، ومناقض للنص نفسه؛ لأنه جاء في النص (فكان يجب النصب) وهذا يوحي أنه كان يتكلم على قراءة الرفع. وذكر ابن جني قول أبي الحسن هذا في كتابه المحتسب في موضعين، وهو برفع ﴿لَا نُكَذِّبُ﴾ بالموضعين. ينظر: المحتسب: ١ / ١٩٢، و١/٢٥٢.

أنفسهما عند الردِّ، فكان يجب النَّصْب. أي: إن رُدُّدنا آمناً ولم نَكْذِب. قال: ولكنَّه جرى في اللفظ معطوفاً والمعنى الجواب، وشبهه في الحمل على العطف والمعنى مخالف بقراءة من قرأ ﴿وَأْمَسَحُوا بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلِكُمْ﴾ [المائدة: من الآية: ٦] بالجر فهذا يقتضي مسح الرجلين، وإنما المفروض فيه الغسل لكنَّه جرى في اللفظ على الجر والمعنى معنى النصب<sup>(١)</sup>.

فُرِيَّ قوله تعالى: ﴿وَلَا تُكْذِبْ﴾ بالرفع والنصب، فالرفع قرأ به ابن كثير ونافع وأبو عمرو والكسائي وعاصم في رواية أبي بكر، والنصب قرأ به ابن عامر وحمزة وعاصم في رواية حفص<sup>(٢)</sup>، وأُخْتُلِفَ في (الواو) في كل قراءة على وجوه عدَّة، ففي قراءة الرفع تكون الواو على وجوه:

الوجه الأول: أن تكون الواو عاطفة، عطف (لا نكذب) على ﴿نُرُدُّ﴾، فيكون قوله (لا نكذب) داخل في التمني، ويكون المعنى: يا ليتنا نُرُدُّ ويا ليتنا لا نكذبُ بآيات ربِّنا<sup>(٣)</sup>، وابن جني يرى العطف لفظاً فقط، لا أن يكون (لا نكذب) داخل في التمني، بل هو جوابٌ للتمني أوجبوه على أنفسهم عند الرجوع، وهذا نقله ابن جني عن الأخفش إلا أن قول الأخفش ليس كذلك فقد ((قال: ﴿وَلَا تُكْذِبُ بِآيَاتِ رَبِّنا وَنُكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ نَصْبٌ؛ لأنَّه جواب للتمني وما بعد الواو كما بعد الفاء، وإن شئت رفعت وجعلته على مثل اليمين، كأنهم قالوا: ولا نُكْذِبُ والله بآيات ربِّنا وَنُكُونَ اللهُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ. هذا إذا كان ذا الوجه منقطعاً من الأول. والرفع وجه الكلام، وبه نقرأ الآية، وإذا نَصَبَ جعلها (واو) عطف، فكأنهم قد تمنَّوا ألا يُكْذِبُوا وأن يكونوا، وهذا - والله أعلم - لا يكون، لأنَّهم لم يتمنَّوا الإيمان إنَّما تمنَّوا الردَّ وأخبروا أنَّهم لا يكذبون ويكونون من المؤمنين<sup>(٤)</sup>، فالأخفش حينما حمل الآية على الرفع فقوله: (لا نكذب) منقطع عن قوله: ﴿نُرُدُّ﴾ وتكون الواو للاستئناف ويكون الكلام خبراً لأنَّهم تمنَّوا الردَّ فقط، وتقدير المعنى عنده: ولا نكذب والله بآيات ربِّنا ونكون والله من المؤمنين، وهذا التقدير قاله الأخفش ونقله الطبري في تفسيره، ونسبه إلى

(١) - التنبية: ٢٤٧، وينظر: المحتسب: ١ / ٢٥٢، ومعاني القرآن للأخفش: ١ / ٢٩٧.

(٢) - ينظر: الحجة للقراء السبعة: ٣ / ٢٩٢.

(٣) - ينظر: الحجة للقراء السبعة: ٣ / ٢٩٢، ومعاني القراءات: ١ / ٣٤٩.

(٤) - معاني القرآن للأخفش: ١ / ٢٩٧.

بعض نحوبي البصرة<sup>(١)</sup>، وكذلك قال به القيسي<sup>(٢)</sup>، وقال سيبويه: ((الرفع على وجهين: فأحدهما أن يَشْرَكَ الآخرُ الأوَّل. والآخر على قولك دعني ولا أعود، أي فإني ممن لا يعود، فإنما يسألُ الترك، وقد أوجب على نفسه أن لا عودة له البتة ترك أو لم يُترك، ولم يرد أن يسأل أن يجتمع له الترك وأن لا يعود))<sup>(٣)</sup>.

الوجه الثاني: أن تكون الواو للاستئناف، والمعنى: يا ليتنا نُردُّ، ولسنا نُكذِّبُ بآيات ربِّنا، أو يا ليتنا نُردُّ، ونحن لا نكذب بآيات ربِّنا<sup>(٤)</sup>، قال السَّمِين الحلبي في هذا الوجه ((أنَّ قوله (ولا نكذِّبُ) خبر لمبتدأ محذوف، والجملة استئنافية لا تعلق لها بما قبلها، وإنما عطفت هاتان الجملتان الفعليتان على الجملة المشتملة على أداة وما في حيزها فليست داخله في التمني أصلاً، وإنما أخبر الله تعالى عنهم أنهم أخبروا عن أنفسهم بأنهم لا يكذبون بآيات ربِّهم، وأنهم يكونون من المؤمنين))<sup>(٥)</sup>.

الوجه الثالث: أن تكون الواو للحال، و(لا نكذبُ) خبراً لمبتدأ محذوف، والتقدير: يا ليتنا نُردُّ غير مكذِّبين وكائنين من المؤمنين، وعلى هذا الوجه ((يكون تمني الرد مقيداً بهاتين الحالتين، فيكونُ الفعلان أيضاً داخلين في التمني))<sup>(٦)</sup>. وكون الواو للحال، وجه لم يجوزه الجرجاني (ت ٤٧١ هـ) في ما نُقل عنه؛ لأنَّ ذلك يُوجب دخول (لا نكذب) في التمني؛ لأنَّ واو الحال تربط الجملة بما قبلها<sup>(٧)</sup>.

أما في حالة النصب فتكون الواو على وجهين:

الوجه الأول: أن تكون الواو كالفاء في جواب التمني، والمعنى: إنَّ رُدِّدنا لم نكذب ونكُن من المؤمنين، وقوله: ﴿ لا نُكذِّبُ ﴾ غير داخل في التمني، وهذا الوجه أشار إليه ابن

(١)- ينظر: جامع البيان: ٩ / ٢٠٩.

(٢)- ينظر: الهداية إلى بلوغ النهاية: ٣ / ١٩٩٣ - ١٩٩٤.

(٣)- الكتاب: ٣ / ٤٤.

(٤)- ينظر: معاني القرآن للفراء: ١ / ٢٧٦، ومعاني القرآن وإعرايه: ٢ / ٢٣٩، والمسائل المنثورة: ١٥٧، والبيان في غريب إعراب القرآن: ١ / ٣١٨.

(٥)- الدر المصون: ٤ / ٥٨٦، وينظر: النكت في القرآن: ٢١٤.

(٦)- الدر المصون: ٤ / ٥٨٥، وينظر: التبيان في إعراب القرآن: ١ / ٢٣٩.

(٧)- إعراب القرآن للباقولي: ٣ / ٨٢٤.

جني في قوله الذي نقله عن الأخفش إذ قال: ((وهذا يوجب النصب لأنه جواب للتمني))<sup>(١)</sup>، وكون ﴿لَا تُكْذِبْ﴾ جواباً للتمني، والواو كالفاء قال به أكثر اللغويين والمفسرين على أنه وجه في قراءة النصب<sup>(٢)</sup>، وأنكر بعض النحويين، أن تكون الواو مثل الفاء في جواب التمني؛ ((لأن الواو لا تقع في جواب الشرط، فلا ينعقد ممّا قبلها ولا ممّا بعدها شرط وجواب))<sup>(٣)</sup>.

الوجه الثاني: أن تكون الواو للمعية و﴿لَا تُكْذِبْ﴾ منصوباً بأن مضمرة، والمصدر المؤول معطوف على مصدر متوهم من الفعل (نرد) حتى يكون العطف اسم على اسم، والتقدير: يا ليت لنا ردّاً وانتفاءً من التّكذيب بآيات ربّنا وكوناً من المؤمنين، وعلى هذا المعنى عدم التّكذيب داخل في التّمني<sup>(٤)</sup>.

والواو عند الكوفيين للصرف<sup>(٥)</sup>، والفعل بعدها منصوباً على الصرف، إذ قال الفراء: ((والنصب جائز على الصرف، كقولك: لا يسعني شيء ويضيق عنك))<sup>(٦)</sup>، واختلف في

(١) - المحتسب: ١ / ٢٥٢، وينظر: التنبيه: ٢٤٧.

(٢) - ينظر: معاني القرآن وإعرابه: ٢ / ٢٤٠، ومعاني القراءات: ١ / ٣٤٩، الكشف والبيان: ٤ / ١٤٢، والهداية إلى بلوغ النهاية: ٣ / ١٩٩٣، التبيان في إعراب القرآن: ١ / ٢٣٩.

(٣) - البحر المحيط: ٤ / ١٠٥، ينظر: النكت في القرآن: ٢١٤.

(٤) - ينظر: البيان في غريب إعراب القرآن: ١ / ٣١٨، ومغني اللبيب: ١ / ٤٩٦.

(٥) - النصب على الصرف مصطلح كوفي، يقصد به مخالفة الفعل الثاني المعطوف للأول المعطوف عليه بالمعنى، وتسمى الواو واو الصرف، وهي للمعية عند البصريين. وقال الفراء ((فإن قلت: وما الصّرف؟ قلت: أن تأتي بالواو معطوفةً على كلامٍ في أوله حادثة لا تستقيم إعادتها على ما عطف عليها، فإذا كان كذلك فهو الصّرف)) (معاني القرآن للفراء: ١ / ٣٤). وقال أيضاً: ((والصرف أن يجتمع الفعلان بـ(الواو) أو (ثم) أو (الفاء) أو (أو)، وفي أوله جحد أو استفهام، ثم ترى ذلك الجحد أو الاستفهام ممتعاً أن يُكرّر في العطف، فذلك (الصرف)). (معاني القرآن للفراء: ١ / ٢٣٥). وقيل إن أول ورود لهذا المصطلح هو عند الفراء في معاني القرآن. (ينظر: الصرف بين سيبويه والفراء: ٦٩، مجلة مجمع اللغة الأردني العدد ٥٣، ١٩٩٧)، إلاّ إنني وجدت الخليل من قبل قد استعمل هذا المصطلح فقال: ((ويقال: نُصِبَ سبحان الله على الصّرف، وليس بذلك)) (العين: ٣ / ١٥١)، مع خلاف أن الفراء خصّه بالفعل.

(٦) - معاني القرآن للفراء: ١ / ١٧٦، وينظر: معاني القراءات: ١ / ٣٤٩، والإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين: ٢ / ٤٥٢.

الناصب للفعل هل هو منصوب على الصرف بوصفه عاملاً معنوياً، أو هو منصوب بالواو، أو منصوب بأن مضمرة كما هو عند البصريين. فمصطلح (النصب على الصرف) ورد عند الفراء في أكثر من موضوع، ولم يشر إلى أنّ الناصب للفعل على الصرف (أنّ) المضمرة، ولم يشر إلى أنّ الصرف عاملٌ معنوي يعمل النصب، بل ورد عنده أنّ النصب بالواو، إذ قال: ((فهل يجوز في الأفاعيل التي نُصبت بالواو على الصرف أنّ تكون مردودة على ما قبلها، وفيها معنى الصّرف؟ قلت: نعم؛ العرب تقول: لست لأبي إن لم أقتلك أو تذهب نفسي))<sup>(١)</sup>، ويرى ابن جني والجرجاني أنّ نصب الجواب على الصرف ليس عاملاً معنوياً يعمل النصب؛ لأنّ الأفعال لا تُنصب بعامل معنوي فلا بُدَّ له من ناصب مقدر<sup>(٢)</sup>، فالصّرف عنده فيه دلالة على معنى مخالفة الثاني للأول لا أن يكون عاملاً في الفعل بعده، بل يجب تقدير ناصب للفعل. ويرى بعض الباحثين أنّ مصطلح الصرف ليس فيه تأثير على الإعراب، وليس هو بعامل، وإنّما هو مصطلح يدل على معنى مخالفة الثاني للأول في المعنى<sup>(٣)</sup>.

ويرى البصريون أنّ الفعل منصوب بأن مضمرة بعد الواو<sup>(٤)</sup>، ومنهم أبو القاسم الزجاجي (ت ٣٧٧هـ)<sup>(٥)</sup>، ونقل أبو البركات بن الأنباري (ت ٥٧٧هـ) عن أبي عمر الجرمي الجرمي (ت ٢٢٥هـ) أنّ الواو هي الناصبة للفعل؛ لأنّها خرجت عن باب العطف<sup>(٦)</sup>، وهذا ما عليه الفراء.

رابعاً: القول في قوله تعالى: ﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ ﴾ وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴿ وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أُمَّرٍ مُّسْتَقَرٌّ ﴾ [القمر: ١]، ٢، ٣] بجر ﴿ مُّسْتَقَرٌّ ﴾ على قراءة أبي جعفر يزيد.

(١) - معاني القرآن للفراء: ١ / ٣٤.

(٢) - ينظر: سر صناعة الإعراب: ١ / ٢٧٥، والمقتصد في شرح الإيضاح: ٢ / ١٠٧٤.

(٣) - ينظر: الصرف بين سيبويه والفراء: ٧٤، مجلة مجمع اللغة الأردني العدد ٥٣، ١٩٩٧.

(٤) - ينظر: والإنصاف في مسائل الخلاف: ٢ / ٤٥٢.

(٥) - ينظر: أخبار أبي القاسم الزجاجي: ٣١.

(٦) - ينظر: الإنصاف في مسائل الخلاف: ٢ / ٤٥٢.

قال ابن جني: ((رفعه عندي عطف على الساعة أي: اقتربت الساعة وكلُّ أمرٍ، أي: قد اقترب استقرار الأمور في يوم القيامة، من حصول أهل الجنة في الجنة، وحصول أهل النار في النار. هذا وجه رفعه))<sup>(١)</sup>.

الضمير في (رفعه) من كلام ابن جني يرجع على ﴿كُلُّ﴾ كما يرى محققو المحتسب<sup>(٢)</sup>. وعطف ﴿كُلُّ﴾ على ﴿السَّاعَةَ﴾ من قوله تعالى: ﴿اقتربت الساعةُ وانشقَّ القمرُ﴾ [القمر: ١] يكون في قراءة أبي جعفر بجر (مُسْتَقَرًّا) صفة لـ ﴿أمرٍ﴾، والمعنى: اقتربت الساعةُ واقترب كلُّ أمرٍ مُسْتَقَرًّا<sup>(٣)</sup>، وردَّ أبو حيان هذا الوجه الذي ارتضاه ابن جني، فقال: ((وهذا بعيد لطول الفصل بجملي ثلاث، ويعيد أن يوجد مثل هذا التركيب في كلام العرب، نحو: أكلت خبزًا وضربت زيدًا، وأن يجيء زيدٌ أكرمه ورحل إلى بني فلان ولحمًا، فيكون ولحمًا عطفًا على (خبزًا)، بل لا يوجد مثله في كلام العرب))<sup>(٤)</sup>، والوجه الذي قاله ابن جني، هو وجه مقبول عند أكثر المفسرين واللغويين<sup>(٥)</sup>، وقال السمين الحلبي الحلبي رادًا على أبي حيان: ((قلت: وإذا دلَّ دليل على المعنى، فلا نبالي بالفواصل. وأين فصاحة القرآن من هذا التركيب الذي ركبه هو حتى يقيسه عليه في المنع؟))<sup>(٦)</sup>.

وقيل في الآية وجه آخر، وهو أن يكون قوله تعالى: ﴿وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقَرًّا﴾ بجر (مُسْتَقَرًّا) مبتدأ خبره محذوف والتقدير: كلُّ أمرٍ مستقرٌّ معمول به، أو كلُّ أمرٍ مستقرٌّ آتٍ لا محالة أو كائن في اللوح المحفوظ، أو كلُّ أمرٍ مستقرٌّ بالغوه<sup>(٧)</sup>، وقيل إنَّ (مُسْتَقَرًّا) خبرٌ

(١)- المحتسب: ٢ / ٢٩٧.

(٢)- ينظر: المحتسب، هامش (٣): ٢ / ٢٩٧.

(٣)- ينظر: الكشاف: ٥ / ٦٥٤، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: ٥ / ٢٣٣.

(٤)- البحر المحيط: ٨ / ١٧٢.

(٥)- ينظر: الكشاف: ٥ / ٦٥٤، وكشف المشكلات: ١ / ٣٤١، والتبيان في إعراب القرآن: ٢ / ١١٩٢،

١١٩٢/٢، والفريد في إعراب القرآن: ٤ / ٣٩١، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل: ٥ / ١٦٤.

(٦)- الدر المصون: ١٠ / ١٢١.

(٧)- ينظر: التبيان في إعراب القرآن: ٢ / ١١٩٢، والفريد في إعراب القرآن: ٤ / ٣٩١، والجامع لأحكام

لأحكام القرآن: ٢٠ / ٧٦، والبحر المحيط: ٨ / ١٧٢.

إِلَّا أَنَّهُ جُرَّ عَلَى الْجَوَارِ<sup>(١)</sup>، وهو وجه لا يجوز عند أكثر اللغويين والمفسرين؛ لأنَّ الجر على الجوار جاء في الصفة وليس الخبر<sup>(٢)</sup>.

### العطف بالفاء

أولاً : القول في قوله تعالى : ﴿ وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا ﴾ ﴿ فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا ﴾ ﴿ فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا ﴾ [العاديات: ١، ٢، ٣].

ذكر ابن جني في الآيات وجهين:

الوجه الأول: أن تكون العاديات والموريات والمغيرات صفات لموصوف واحد، إذ قال ابن جني: ((يمكن أن يكون من هذا الضرب الذي نحن بصدده))<sup>(٣)</sup>، إشارة إلى قوله السابق الذي قال فيه: ((قوله سبحانه: ﴿ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴾ وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ ﴾ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴾ [الشعراء: ٧٩، ٨٠، ٨١، ٨٢] وهذا كله صفة موصوف واحد وهو القديم عزَّ اسمه))<sup>(٤)</sup>، وجاز العطف؛ لأنَّ هذه الصفات متغايرة وهي لذات واحدة لعطفها بالفاء التي تقتضي التعقيب، وقيل هي الخيل في الجهاد وقيل هي الإبل في الحج، وهذا الوجه عليه أكثر المفسرين واللغويين<sup>(٥)</sup>.

الوجه الثاني: ((أن تكون العاديات غير الموريات والمغيرات غيرهما، فيكون عطف موصوف على موصوف آخر حقيقة لا مجازاً ، كقولك مررتُ بالضحك فالباكي إذا مررتُ باثنين: أحدهما ضاحك والآخر باكٍ))<sup>(٦)</sup>، ولم يذكر ابن جني المراد بكل واحد من هذه الألفاظ، إلا إنني وجدتُ بعض المفسرين قالوا أكثر من معنى لكل واحد من هذه الألفاظ

(١)- ينظر: كشف المشكلات: ١ / ٣٤١.

(٢)- ينظر: البحر المحيط: ٨ / ١٧٢، والدر المصون: ١٠ / ١٢٢، ومغني اللبيب: ٢ / ٧١٣.

(٣)- التنبيه: ٦٤.

(٤)- التنبيه: ٦٤.

(٥)- ينظر: تفسير غريب القرآن: ٥٣٥، ومعاني القرآن للفراء: ٣ / ٢٨٤، ومعاني القرآن وإعرابه: ٥ / ٣٥٣، ومجمع البيان: ١٠ / ٣٢٥ - ٣٢٦، والنكت والعيون: ٦ / ٣٢٣ - ٣٢٥، والبحر المحيط:

٥٠٠ - ٥٠١.

(٦)- التنبيه: ٦٤.

وهي معاني متغايرة مختلفة ، فقالوا في العاديات هي الخيل أو الإبل، والموريات هي نيران الحجيج بمزدلفة أو المجاهدين أو هي مَكْرُ الرجال في الحرب<sup>(١)</sup>، والمغيرات قد تكون هي القبائل المهاجمة<sup>(٢)</sup>، واختلاف الوجوه في الآية كان سببه النظر إلى الموصوف إذا كان واحداً أو غير واحد.

ثانياً: القول في قوله تعالى: ﴿ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ ﴾ [الأحزاب: من الآية: ٣٢] بكسر العين من (يَطْمَع) على قراءة عثمان بن عفان وأبان.

يرى ابن جنى أن (يَطْمَع) بكسر العين ((معطوف على قول الله تعالى: ﴿ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ ﴾، أي: فلا يطمع الذي في قلبه مرض، فكلاهما منهي عنه، إلا أن النصب أقوى معنى، وأشدُّ إصابةً للصدر؛ وذلك أنه إذا نُصب كان معناه: أن طمعه إنما هو مسببٌ عن خضوعهنَّ بالقول، فالأصل في ذلك منهي عنه، والمنهي مسببٌ عن فعلهنَّ، وإذا عطفه كان نهياً لهنَّ وله، وليس فيه دليل على أن الطمع راجع الأصل إليهنَّ، وواقع من أجلهنَّ. وعليه بيت امرئ القيس:

فَقُلْتُ لَهُ صَوِّبْ وَلَا تُجْهِدْنَهُ فَيُذْرِكَ مِنْ أُخْرَى الْقَطَاةَ فَتَزَلُّقِ

فهذا نهى بعد نهى ، كالقراءة الشاذة<sup>(٣)</sup>، وقوله (يَطْمَع) في القراءة الشاذة مجزوم كُسِر لالتقاء الساكنين معطوف على ﴿ فَلَا تَخْضَعْنَ ﴾، وقال ابن عطية: ((وكانَّ النهي دُونَ جوابٍ ظاهرٍ))<sup>(٤)</sup>، ورجَّح ابن جنى قراءة العامة؛ لأنها أقوى في المعنى، وترتبط بين الخضوع بالقول والطمع، ولما كان الخضوع منهيًا عنه فأثره زائل لا محالة.

(١)- ينظر: النكت والعيون: ٦ / ٣٢٤، ومجمع البيان: ١٠ / ٣٢٦.

(٢)- ينظر: تفسير الأمل: ١٥ / ٤٧٦.

(٣)- المحتسب: ٢ / ١٨١، وينظر البيت في ديوان امرئ القيس: ١٥١، ورواية الشطر الثاني فيه: (فَيَذَلُّقِ من أعلى القَطَاة فَتَزَلُّقِ) .

(٤)- المحرر الوجيز: ٤ / ٣٨٣.

العطف بـ(أو)

أولاً: القول في قوله تعالى: ﴿ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا ﴾ [الإنسان: الآية: ٢٤].

قال ابن جني: ((فمن ذلك قولهم: جالس الحسن أو ابن سيرين، ولو جالسهما جميعاً كان مصيباً مطيعاً لا مخالفاً، وإن كانت (أو) إنمّا هي في أصل وضعها لأحد الشئيين، وإنمّا جاز ذلك في هذا الموضع لا لشيء رجع إلى نفس (أو) بل لقريته انضمت من جهة المعنى إلى (أو)؛ وذلك لأنّه قد عُرِفَ أنّه إنمّا رُعِبَ في مجالسة الحسن لِمَا لمجالسه في ذلك من الحظّ، وهذه الحال موجودة في مجالسة ابن سيرين أيضاً ، وكأنّه قال جالس هذا الضرب من الناس، وعلى ذلك جرى النهي في هذا الطَّرْزِ<sup>(١)</sup> من القول في قول الله سبحانه: ﴿ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا ﴾ وكأنّه - والله أعلم - قال : لا تطع هذا الضرب من الناس))<sup>(٢)</sup>، فابن جني يرى أنّ (أو) باقية على معناها للتخيير وانضمام الشئيين في النهي لقريته معنوية انضمت إلى (أو)، واختلف اللغويون والمفسرون في معنى (أو) في الآية على وجوه منها:

الوجه الأول: أن تكون (أو) على معناها للتخيير وهي كذا عند ابن جني إلا أنّ سياقها في الإثبات يختلف عن سياقها في النفي، وهذا ما وضّحه سيبويه في نحو قولك: كُلْ خَبْرًا أَوْ لَحْمًا أَوْ تَمْرًا، فكأنك قلت كُلْ واحدًا من هذه الأشياء، وقولك: لا تَأْكُلْ خَبْرًا أَوْ لَحْمًا أَوْ تَمْرًا كأنك قلت لا تَأْكُلْ أحدًا من هذه الأشياء، وكذا قوله تعالى : ﴿ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا ﴾ أي لا تطع أحدًا منهم<sup>(٣)</sup>، أمّا ابن جني فجمع بين الإثبات والنفي في المعنى فقوله: جالس الحسن أو ابن سيرين، فيُجْزَى جلوسه مع أحدهما، أمّا في الآية فلا يُجْزَى أحدهما بل كلاهما منهى عنه ولا يُجْزَى أحدهما كما بيّن ذلك سيبويه، فجمع ابن جني بين الآية والمثال في طراز واحد فيه نظر.

(١)- الطَّرْز: الهيئة، القاموس المحيط: ٥٢٥، (طرز).

(٢)- الخصائص: ١ / ٣٤٧ - ٣٤٨.

(٣)- ينظر: الكتاب: ٣ / ١٨٤.

الوجه الثاني: أن تكون (أو) للإباحة بمعنى الواو، والمعنى: لا تطع منهم آثمًا وكفورًا، وهذا الوجه قاله أبو عبيدة وابن خالويه والثعالبي<sup>(١)</sup>، فقال أبو عبيدة ((ليس ها هنا تخيير أراد آثمًا وكفورًا))<sup>(٢)</sup>.

وهي على بابها للتخيير عند سيبويه كما نقل عنه العكبري، وكما يفهم من كلام سيبويه أنف الذكر<sup>(٣)</sup>، والزجاج والآلوسي<sup>(٤)</sup>، وعلل الزجاج كونها على بابها وليست بمعنى الواو بقوله: ((أو) ههنا أؤكد من الواو؛ لأن الواو إذا قُلت: لا تطع زيدًا وعمراً فأطاع أحدهما كان غير عاصٍ، لأنه أمره ألا يطيع الاثنين، فإذا قال: لا تطع آثمًا أو كفورًا، ف(أو) قد دللت على أن كل واحد منهما أهلٌ لأن يُعصى))<sup>(٥)</sup>.

ثانيًا: القول في قوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِثَّةِ آلِفٍ أَوْ يُزِيدُونَ﴾ [الصافات:

١٤٧].

ذكر ابن جنِّي في الآية أمرين:

الأول: أن لا تكون (أو) بمعنى (بل) كما عند الفراء ولا بمعنى الواو، كما عند قطرب<sup>(٦)</sup>، إذ قال الفراء: ((من زعم أن (أو) في هذه الآية على غير معنى (بل) فقد افتري على الله؛ لأن الله تبارك وتعالى لا يَشْكُكُ، ومنه قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِثَّةِ آلِفٍ أَوْ يُزِيدُونَ﴾))<sup>(٧)</sup>، وهذا القول لم يرضه ابن جنِّي، وفساد قول الفراء أجمله المبرد في وجهين: وجهين: الأول: إنه لو جاز أن تقع (بل) موقع (أو) في هذا الموضع؛ لجاز أن تقع في موقع آخر وهذا لا يجوز، الثاني: ((أن (بل) لا تأتي في الواجب، في كلام واحد إلا

(١) - ينظر: إعراب القراءات السبع وعللها: ٢ / ٢٦٦، وفقه اللغة وسر العربية: ٢٤٨.

(٢) - مجاز القرآن: ٢ / ٢٨٠.

(٣) - ينظر: الكتاب: ٣ / ١٨٤، والتبيان في إعراب القرآن: ٢ / ١٢٦١.

(٤) - ينظر: روح المعاني: ٩ / ١٦٥.

(٥) - معاني القرآن وإعرابه: ٥ / ٢٦٣، وينظر: روح المعاني: ٩ / ١٦٥.

(٦) - ينظر: الخصائص: ٢ / ٤٦١.

(٧) - معاني القرآن للفراء: ١ / ٢٥٠.

للإضراب بعد غلطٍ أو نسيان، وهذا منفي عن الله عزَّ وجلَّ؛ لأنَّ القائل إذا قال: مررت بزيد غلطاً فاستدرك، أو ناسياً فذكر، قال: بل عمرو؛ ليضرب عن ذلك، ويثبتُ ذا<sup>(١)</sup>.

والثاني: أن تكون (أو) على بابها للشك ((وذلك أن هذا كلام خرج حكاية من الله عزَّ وجلَّ لقول المخلوقين، وتأويله عند أهل النظر: وأرسلناه إلى جمع لو رأيتموهم لقاتم أنتم فيهم: هؤلاء مائة ألف أو يزيدون، ومثله ممَّا مخرجه منه تعالى على الحكاية قوله: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ [الدخان: ٤٩] وإنما هو في الحقيقة الدليل المهان لَكُنْ معناه: ذق إنَّك أنت الذي كان يقال له: العزيز الكريم<sup>(٢)</sup>، والشكَّ داخل في الحكاية لقول المخلوقين؛ لأنَّ الخالق لا يعترضه الشك في شيء من خبره<sup>(٣)</sup>، وكان الأخفش يقول: ((كانوا كذاك عندكم))<sup>(٤)</sup>.

ويرى النيلي أنَّ قوله تعالى: ﴿مِئَةَ أَلْفٍ﴾ هو العدد الحقيقي عند إرسال الرسول، أمَّا قوله: ﴿أَوْ يَزِيدُونَ﴾ فأنكر أن تكون (أو) في الآية للتخيير؛ لأنَّه تعالى يعلم العدد، ولا هي للإبهام، إذ كيف يبهم الأمر بعدما حدَّه ولا هي بمعنى (بل)، فتصبح الزيادة محتومة، و(يزيدون) هو فعل مضارع مستمر يبدأ عمله من لحظة الإرسال، وليس تعبيراً عن زيادة تُركت مُبهمَةً، وألمح النيلي أنَّ الزيادة متعلقة بالمُرسل إليهم، باتِّباعهم الرسول، وإيمانهم به، فالعدد الكلي يُحتمل أن يزيد أو ينقص بحسب تقبل المُرسَل إليهم<sup>(٥)</sup>.

## ٢ - الصفة

أولاً: القول في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٨] بجر ﴿الْمَتِينُ﴾ في قراءة الأعمش.

ذكر ابن جني في القراءة وجهين:

الأول: أن يكون (الْمَتِينِ) وصفاً للقوة، فنكَّره على معنى الحبل، والمعنى: إنَّ الله هو الرزاق ذو الحبل المتين، أو نكَّره؛ لأنَّ المتين على وزن فعيل وهو ممَّا يستوي فيه المذكر

(١)- المقتضب: ٣ / ٣٠٥.

(٢)- الخصائص: ٢ / ٤٦١.

(٣)- ينظر: سر صناعة الإعراب: ١ / ٤٠٦.

(٤)- معاني القرآن للأخفش: ٢ / ٤٩١.

(٥)- ينظر: النظام القرآني: ٢٢٩ - ٢٣٠.

والمؤنث، وقد كثر مجيء فعيل مذكراً وصفاً للمؤنث نحو: ناقةٌ حسيِر<sup>(١)</sup>، أو لأنَّ القوة مذكَّرٌ غير حقيقيٍّ<sup>(٢)</sup>. وقال العكبري: المتين بالكسر ((صفة للقوة على المعنى، أي ذو القهر المتين))<sup>(٣)</sup>.

والثاني: ((أن يكون أراد الرفع وصفاً للرزاق، إلا أنه جاء على لفظ القوة لجوارها إياه، على قولهم: هذا جُرُّ ضبِّ خربٍ، وعلى هذا في النكرة -على ما فيه- أسهل منه في المعرفة؛ وذلك أنَّ النكرة أشد حاجة إلى الصفة، فبقدر قوة حاجتها إليها تتشبت بالأقرب إليها، فيجوز هذا جُرُّ ضبِّ خربٍ؛ لقوة حاجة النكرة إلى الصفة، فأما المعرفة فنقل حاجتها إلى الصفة، فبقدر ذلك لا يسوغ التشبت بما يقرب منها لاستغنائها في غالب الأمر عنها. ألا ترى أنه قد كان يجب ألا توصف المعرفة، لكنَّه لما كثرت المعرفة تداخلت فيما بعد، فجاز وصفها، وليس كذلك النكرة؛ لأنَّها في أول وضعها محتاجة - لإبهامها- إلى وصفها))<sup>(٤)</sup>، وهذا الوجه - أي جرُّ (المتين) على الجوار - ضعيف عند كثير من المفسرين<sup>(٥)</sup>، وكذلك هو عند ابن جني كما يفهم من قوله الأنف، وقال أبو جعفر النحاس: ((والجوار لا يقع في القرآن، ولا في كلام فصيح، وهو عند رؤساء النحويين غلط ممن قاله من العرب، ولكنَّ القول في قراءة من خفض: أنه تأنيث غير حقيقي))<sup>(٦)</sup>، وقال الحلبي: ((وهذا مرجوح لإمكان غيره، والجوار لا يُصار إليه إلا عند الحاجة))<sup>(٧)</sup>، أي غيره أفضل منه.

ثانياً: القول في قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يُوفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾ [النور: ٢٥] برفع ﴿الْحَقُّ﴾ على قراءة أبي ومجاهد. رُفِعَ (الحقُّ) على إنَّه صفة لله عزَّ وجلَّ، والمعنى: يومئذٍ يوفيهم الله الحقَّ دينهم، وجاز وصفه تعالى بالحقِّ؛ لما في ذلك من المبالغة، حتى كأنَّه يجعله هو هو على

(١)- ينظر: المحتسب: ٢ / ٢٨٩.

(٢)- ينظر: المحرر الوجيز: ٥ / ١٨٣.

(٣)- إعراب القراءات الشواذ: ٢ / ٥١٤.

(٤)- المحتسب: ٢ / ٢٨٩.

(٥)- ينظر: مجمع البيان: ٩ / ٢٠٤، والفريد في إعراب القرآن: ٤ / ٣٦٨، وروح المعاني: ٢٧ / ٢٤.

(٦)- إعراب القرآن للنحاس: ١٠٩٣.

(٧)- الدر المصون: ١٠ / ٦١.

المبالغة<sup>(١)</sup>، ورجَّح أبو عبيدة قراءة الرِّفْع في ما نقله عنه النحاس، إذ قال: ((قال أبو عبيد: لولا كراهة خلاف الناس لكان الوجه الرفع، ليكون نعتاً لله جلَّ وعزَّ ويكون موافقاً لقراءة أبي... (لِيُؤْفِقِيَهُمُ اللَّهُ الْحَقَّ دِينَهُمْ))<sup>(٢)</sup>، واستشهد أبو عبيدة بقراءة أبي لم يرضَ به النحاس، ورجَّح قراءة العامة؛ لأنَّ (الحقَّ) يكون نعتاً لـ ﴿دِينَهُمْ﴾، و((المعنى حسن؛ لأنَّ الله جلَّ وعزَّ ذكر المسيئين فأعلم أنه يجازيهم بالحق كما قال جلَّ وعزَّ: ﴿وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكُفُورَ﴾ [سبأ: من الآية: ١٧] لأنَّ مجازاة الله جلَّ وعزَّ للكافر والمسيء بالحق والعدل، ومجازاته للمحسنين بالفضل والإحسان))<sup>(٣)</sup>. وفي الآية وجه آخر قاله العكبري، وهو أن يكون (الحقُّ) خبراً لمبتدأ محذوف أي: هو الحقُّ، وهذا وجه انفرد به العكبري<sup>(٤)</sup>.

### ٣ - البديل

أولاً: القول في قوله تعالى: ﴿جَنَاتٍ عَدْنٍ مُّفْتَحَةً لَّهُمُ الْأَبْوَابُ﴾ [ص: ٥٠].

قال ابن جني: مَنْ ((جعل ﴿الْأَبْوَابُ﴾ بدلاً من الضمير في ﴿مُفْتَحَةً﴾ أي: مفتحة لهم الأبواب منها، لا بدَّ من تقديرِك هذا، وأنت تبدل الأبواب من الضمير، كما لا بدَّ لك منه وأنت ترفع الأبواب بـ ﴿مُفْتَحَةً﴾ من غير أن تبدلها من ضميرِ فيها))<sup>(٥)</sup>، وتكلم ابن جني على هذه الآية في الخصائص بشيء من التفصيل، وقال في رفع الأبواب وجهان:

الوجه الأول: أن تكون ﴿الْأَبْوَابُ﴾ بدل من الضمير في ﴿مُفْتَحَةً﴾ إذا جُعِل في مفتحة ضمير أي: مفتحة هي، أي: الجنات، والمعنى: مفتحة لهم الأبواب منها، والضمير في (منها) عائد على المبدل منه ﴿الْأَبْوَابُ﴾<sup>(٦)</sup>، وهو الرابط الذي يربط ﴿الْأَبْوَابُ﴾ بـ ﴿مُفْتَحَةً﴾ بوصفها حالاً من (الجنات) أو صفة<sup>(٧)</sup>.

(١) - ينظر: المحتسب: ١٠٧/٢، وينظر قراءة أبي في: مختصر في شواذ القراءات: ١٠١.

(٢) - إعراب القرآن للنحاس: ٦٤٧.

(٣) - إعراب القرآن للنحاس: ٦٤٧ - ٦٤٨.

(٤) - ينظر: إعراب القراءات الشواذ: ١ / ١٨١.

(٥) - التنبيه: ٣٥.

(٦) - ينظر: الخصائص: ٤١٣ / ٢ - ٤١٤.

(٧) - ينظر: والمحرر الوجيز: ٤ / ٥١٠، الدر المصون: ٩ / ٣٨٥.

الوجه الثاني: أن تكون ﴿الْأَبْوَابُ﴾ مرتفعة باسم المفعول ﴿مُفْتَحَةً﴾، والمعنى أيضاً يكون مثل المعنى الأول: مُفْتَحَةً لَهُمُ الْأَبْوَابُ مِنْهَا، وهذا ما نَبَّه عليه ابن جني بقوله: لا بد من تقدير هذا المعنى مع تقدير الضمير أو عدمه، والضمير في (منها) في هذا الوجه عائدٌ على الحال ﴿مُفْتَحَةً﴾ كقولك: مررت بزيدٍ واقفاً الغلامُ معه<sup>(١)</sup>.

واختلف النحويون البصريون والكوفيون في الضمير العائد على الحال، وتعويض الألف واللام من الضمير في الآية موضوع البحث.

قال البصريون: مفتحة حال، و﴿الْأَبْوَابُ﴾ مرتفعة باسم المفعول، والرابط بين الحال وصاحبها ضمير مقدر، أي: مفتحة لهم الأبواب منها، قال الزجاج هو الوجه الأجود في العربية من أن تجعل الألف واللام عوضاً من الهاء؛ لأنَّ معنى الألف واللام ليس معنى الهاء في شيء<sup>(٢)</sup>، أمّا ابن جني فهو على رأي البصريين، وتبع رأي شيخه أبي علي الفارسي، ولأبي علي الفارسي كلام طويل على هذه الآية قاله في الإغفال<sup>(٣)</sup>، وذكر قولاً آخر في غير الإغفال: ((قوله تعالى: ﴿جَنَاتٍ عَدْنٍ مُفْتَحَةً لَهُمُ الْأَبْوَابُ﴾ فليس على مفتحة لهم الأبواب منها، ولا على أن الألف ولام سدّتا مسدّ الضمير الذي في ﴿مُفْتَحَةً﴾؛ لأنّك تقول فُتِحَتْ الْجَنَاتُ إِذَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا. وفي التنزيل: ﴿وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا﴾ [النبا: ١٩]، فصار ذلك بمنزلة قولك: ضُرب زيدٌ رأسه<sup>(٤)</sup>.

وقال الكوفيون: إنّ ﴿مُفْتَحَةً﴾ حال، و﴿الْأَبْوَابُ﴾ مرتفعة باسم المفعول، والمعنى: مفتحة أبوابها، والألف واللام عوضٌ من الهاء المحذوفة التي هي رابط الحال، إذ قال الفراء: ((ترفع ﴿الْأَبْوَابُ﴾؛ لأنَّ المعنى: مفتحة لهم أبوابها. والعربُ تجعل الألف واللام خلفاً من الإضافة فيقولون: مررت على رجلٍ حسنَةٍ العينُ قبيحِ الأنفِ والمعنى: حسنة عينه قبيحِ أنفه<sup>(٥)</sup>).

(١)- ينظر: الخصائص: ٢ / ٤١٣ - ٤١٤.

(٢)- ينظر: معاني القرآن وإعرابه: ٤ / ٣٣٧، والإغفال: ٢ / ٢٢٤ - ٢٢٥، والتبيان في إعراب القرآن: ٢ / ١١٠٣.

(٣)- ينظر: الإغفال: ٢ / ٢٢٤ - ٢٢٥.

(٤)- الإيضاح: ١٤٠، وينظر: المسائل المشككة: ١٤١ - ١٤٣.

(٥)- معاني القرآن للفراء: ٢ / ٤٠٨، وينظر: التبيان في إعراب القرآن: ٢ / ١١٠٣.

أقول إنَّ الذي دفع النحويين إلى هذا التعقيد في هذه الآية، هو تحكيمهم الصنعة النحوية، ومحاولتهم الحفاظ على المعنى، ممَّا أدى إلى عدم وضوح معنى الآية وتعقيد فهمها نحويًا، مع أنَّ الآية لا تحتاج إلى تقدير رابط محذوف؛ لأنَّ سياق الآية يحتم أن تكون هذه الأبواب أبواب جنات عدن لا غير، فلا حاجة إلى ضمير يرجع على (الجنات) يربط الحال.

ثانيًا: القول في قوله تعالى: ﴿ وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَانِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا ﴾ [الجاثية: من الآية: ٢٨] بنصب ﴿ كُلُّ ﴾ الثانية على قراءة يعقوب.

قال ابن جني: (( كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى )) بدل من قوله: ﴿ وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَانِيَةً ﴾ ، وجاز إبدال الثانية من الأولى؛ لِمَا في الثانية من الإيضاح الذي ليس في الأولى؛ لأنَّ جُنُوهَا ليس فيه شيء من شرح حال الجُنُوءِ، والثانية فيها ذكر السبب الدَّاعي إلى جُنُوهَا، وهو استدعاؤها إلى ما في كتابها، فهي أشرح من الأولى؛ فلذلك أفاد إبدالها منها. ونحو ذلك: رأيت رجلاً من أهل البصرة رجلاً من الكلاء . فإن قلت : فلو قال : وترى كلَّ أُمَّةٍ جَانِيَةً تدعى إلى كتابها؛ لأغنى عن الإطالة. قيل: الغرض هنا هو الإسهاب؛ لأنَّه موضع إغلاظ ووعيد، فإذا أعيد لفظ (كلَّ أُمَّةٍ) كان أفخم من الاقتصار على الذكر الأول))<sup>(١)</sup>، وتبع ابن جني في تفسيره هذا أكثر المفسرين واللغويين<sup>(٢)</sup>، بل بعضهم نقل كلامه بالمعنى أو بحذف بعضه كالطبرسي من غير الإشارة<sup>(٣)</sup>، وبعضهم نقل نص كلامه مع الإشارة كالمُنْتَجَب (ت ٦٣٤هـ)<sup>(٤)</sup>.

وقال العكبري: يجوز أن يكون النصب على تقدير: ترى كلَّ أُمَّةٍ تُدْعَى، كما في الموضع الأول<sup>(٥)</sup>، وقال أبو البركات بن الأنباري (ت ٥٧٧هـ): يجوز أن يكون في موضع المفعول الثاني إن جعلت (ترى) قلبية<sup>(٦)</sup>.

(١) - المحتسب: ٢ / ٢٦٢ - ٢٦٣.

(٢) - ينظر: معاني القراءات: ٢ / ٣٧٧، والكشاف: ٥ / ٤٨٩، وإعراب القراءات الشواذ: ٢ / ٤٢٧، والبحر المحيط: ٨ / ٥٠، ومغني اللبيب: ٢ / ٥٩٥.

(٣) - ينظر: مجمع البيان: ٩ / ١٠٢.

(٤) - ينظر: الفريد في إعراب القرآن: ٤ / ٢٨٦ - ٢٨٧.

(٥) - ينظر: إعراب القراءات الشواذ: ٢ / ٤٢٧.

(٦) - ينظر: البيان في غريب إعراب القرآن ٢ / ٣٦٦.

٤ - التوكيد

أولاً: القول في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴾ ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ ﴾ [ المؤمنون: ١٥، ١٦ ].

ذكر ابن جني في الآية أمرين:

الأول: إنّ اللام في قوله: ﴿ لَمَيِّتُونَ ﴾ توكيدٌ، إذ قال: ((قوله عزّ وجهه: ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴾ كقوله سبحانه ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ ﴾ [الأنعام: من الآية: ٣٨] ممّن ذهب إلى أنّ ذكره طيرانه بجناحيه توكيدٌ، والجمع بينهما أنّ اللام في قوله: ﴿ لَمَيِّتُونَ ﴾ توكيدٌ ، وهذا ممّا لا ارتياب به فيحتاج إلى توكيد، فذلك ﴿ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ ﴾ توكيد عند أكثر الناس))<sup>(١)</sup>.

والثاني: إنّ اللام مُرادة في قوله: ﴿ تُبْعَثُونَ ﴾، إذ قال ((ولو قال: ثم إنّكم يوم القيامة لتبعثون؛ باللام لكانت توكيد ما فيه اختلاف، ويُشبه أنّ تكون اللام هنا مرادةً مُستغنى عنها بالتي تقدّمتها كقوله:

أولى فأولى يا امرأ القيس بعدما خَصَفْنَ بآثارِ المِطِيِّ الحَوَافِرَا

إلا ترى أنّ معناه خصفن آثار المِطِيِّ بالحوافر، فزاد باءً وحذف أخرى، فكانت الزائدة عوضاً عن المحذوفة، فذلك اللام في قوله تعالى: ﴿ لَمَيِّتُونَ ﴾ تكاد تكون عوضاً من اللام في ﴿ تُبْعَثُونَ ﴾))<sup>(٢)</sup>.

قول ابن جني: (وهذا مما لا ارتياب به فيحتاج إلى توكيد)، يبدو مشكلاً؛ لأنّه كيف يكون مما لا ارتياب به، ومع ذلك يحتاج إلى توكيد. ويمكن أن يُحمل اسم الإشارة (هذا) إشارة إلى اللام من كونها للتوكيد لا لكون الإشارة إلى أنّ الموت ممّا لا ارتياب به فيحتاج إلى توكيد، فابن جني شبه الآية بقوله تعالى: ﴿ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ ﴾ وهي توكيد مفيد عنده كما سيجيء في كلامه على الآية من سورة الأنعام، فيكون قوله ﴿ لَمَيِّتُونَ ﴾ توكيداً مفيداً.

(١) - الخاطريات: ٣٧ .

(٢) - الخاطريات: ٣٨ ، والبيت لمقاس العائدي، ينظر: المفضليات: ٣٠٦ .

والذي عليه أكثر المفسرين أنّ توكيد الموت توكيدان وإن لم يكن ممّا أنكره أحدٌ ، فيه تنبيه للإنسان حتى يضع الموت نصب عينيه ولا يغفل عنه، فأنزل المخاطبين منزلة المترددين تنبيها لهم من الغفلة والإعراض عن العمل<sup>(١)</sup>.

أمّا قوله اللام مرادة في قوله ﴿ تَبْعُونَ ﴾ مُسْتَعْنَى عنها بالتّي تقدّمها فهذا ممّا انفرد به ابن جني، وقوله هذا يترتب عليه أنّ تكون اللام في قوله ﴿ لَمِيئُونَ ﴾ زائدة عوضاً عن المحذوفة في ﴿ تَبْعُونَ ﴾، وهذا لا يستقيم وكلامه على التوكيد، إذ قال: ((وذلك أنّ التوكيد من مواضع الإطناب والإسهاب ولا يليق به الحذف والاختصار))<sup>(٢)</sup>، إلا أنّ ابن جني لم يقل هذا الوجه على الجزم، فقال متردداً: تكاد تكون عوضاً من اللام. وقيل إنّ سبب عدم دخول اللام في ﴿ تَبْعُونَ ﴾، لأنّ اللام غالباً تُخَلَّص المضارع للحال فلا يمكن دخولها في ﴿ تَبْعُونَ ﴾ لأنّه مُخَلَّص للاستقبال<sup>(٣)</sup>.

ثانياً: القول في قوله تعالى: ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ ﴾ [الأنعام: من الآية: ٣٨].

ذكر ابن جني في الآية وجهين:

الأول: يجوز أن يكون قوله: ﴿ بِجَنَاحَيْهِ ﴾ حالاً مؤكّدة، إذ قال: ((ومن الحال المؤكّدة قول الله تعالى: ﴿ تُمْ وَلِيئْتُمْ مُدْبِرِينَ ﴾ [التوبة: من الآية: ٢٥]... فأما قوله سبحانه: ﴿ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَّمٌ أَمْثَالُكُمْ ﴾ فيكون من هذا))<sup>(٤)</sup>، وهذا ما انفرد به ابن جني وتبعه فيه العكبري إذ قال: ((﴿ بِجَنَاحَيْهِ ﴾ يجوز أن تتعلق الباء بـ ﴿ يَطِيرُ ﴾، وأن تكون حالاً، وهو توكيد وفيه رفع مجاز؛ لأنّ غير الطائر قد يُقال فيه: طار إذا أسرع))<sup>(٥)</sup>.

(١)- ينظر: البحر المحيط: ٦ / ٣٦٩، والدر المصون: ٨ / ٣٢٥، ومعتك الأقران: ١ / ٢٥٣، وروح المعاني: ١٨ / ١٧.

(٢)- سر صناعة الإعراب: ١ / ٨٢، وينظر: الخصائص: ١ / ١٢٦.

(٣)- ينظر: البحر المحيط ٦ / ٣٧٠، والدر المصون: ٨ / ٣٢٥.

(٤)- الخصائص: ٢ / ٢٦٨.

(٥)- التبيان في إعراب القرآن: ١ / ٤٩٣.

والثاني: أن يكون قوله تعالى: ﴿يَطِيرُ بِجَنَاحِهِ﴾ توكيداً مفيداً وليس الغرض تشبيهه بالطائر ذي الجناحين، بل هو الطائر بجناحيه البتة، وهو كما يقولون: رأيتُه بعيني، وكلمته بفيّ، وجيء به لرفع اللبس؛ لأنّه كثير ما جاء لفظ (طار) لغير ذي الجناحين، فإذا كان ذلك حسنت الآية<sup>(١)</sup>، ومن أبيات الكتاب:

وطرّت بمُنْصَلِي فِي يَعْمَلَاتٍ دَوَامِي الْأَيْدِ يَخْبِطُنَ السَّرِيحَا <sup>(٢)</sup>.

والوجه الثاني هو الذي عليه أكثر اللغويين والمفسرين من كون ﴿بِجَنَاحِهِ﴾ توكيداً جيء به لرفع المجاز الذي كان يحتمله ﴿يَطِيرُ﴾؛ لأنّه قد يقال: طرّ في حاجتي، أي: أسرع فيها<sup>(٣)</sup>، أمّا ثعلب فإنّه يرى أنّ ذكر الجناحين ليس من التوكيد، إذ قال: ((قوله: ﴿وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحِهِ﴾ ليس توكيداً، ولكنّه دخل؛ لأنّ الطيران يكون بالجناحين ويكون بالرجلين، فطيران الطائر من البهائم بجناحيه، ومن الناس برجليه، ألا ترى أنّك تقول: زيد طائر في حاجته معناه مسرع برجليه))<sup>(٤)</sup>.

والآية ليست من التوكيد الذي يتبع في حكمه متبوعه، بل هي من أسلوب التوكيد الذي له طرائق كثيرة، ومنها الآية، قال فاضل السامرائي: ((قد يكون التوكيد على صور إعرابية وتركيبية مختلفة ... وقد يكون بصورة جارٍ ومجرور... نحو: ﴿وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحِهِ﴾ والطيران لا يكون إلا بالجناحين))<sup>(٥)</sup>؛ لذا جاءت في هذا المكان كونها من التوكيد لا من التوابع، وإن كان عنوان هذا المبحث التوابع.

(١)- ينظر: الخصائص: ٢ / ٢٦٨، ومختار تذكرة أبي علي: ٤٩٥، والفسر: ١ / ٨٦٠.

(٢)- البيت لمضرّس بن ربيّ الأسيدي، ينظر: ضرائر الشعر: ١٢٠.

(٣)- ينظر: معاني القرآن وإعرابه: ٢ / ٢٤٥، والصاحبي: ٢١٠، والتبيان في تفسير القرآن: ٤ / ١٢٨،

والنكت في القرآن: ٢١٠، والمحرر الوجيز: ٢ / ٢٩٠، والبحر المحيط: ٤ / ١٢٥.

(٤)- الزاهر في معاني كلمات الناس: ١ / ١٥٣.

(٥)- معاني النحو: ٤ / ١١٢ - ١١٣.

## المبحث الرابع

### الموضوعات الصرفية وأثرها في التفسير اللغوي

توطئة:

#### علاقة علم الصرف بتفسير القرآن

يَرْتَبِطُ علم الصرف بتفسير القرآن الكريم ارتباطاً وثيقاً، بوصفه أحد أهم الأسباب التي تكشف عن المعنى، إذ قال الأقدمون والمحدثون: كلُّ زيادة في المبنى تؤدي إلى زيادة في المعنى، وكلُّ عدول من صيغة إلى أخرى يصحبه عدول في المعنى<sup>(١)</sup>، وإنَّ لكلَّ صيغة من صيغ الأفعال أو الأسماء معنًى تشتهر به أو معانٍ متعدّدة<sup>(٢)</sup>، قال ابن فارس في باب الخطاب الذي يقع به الإفهام من القائل، والفهم من السامع: ((يقع ذلك بين المتخاطبين من وجهين: أحدهما الإعراب، والآخر التّصريف ... وأمّا التصريف فإنَّ من فاته علمه فاته المُعْظَم؛ لأنَّنا نقول: (وَجَدَ) وهي كلمة مبهمة فإذا صرّفنا أفصحت فقلنا في المال (وُجِدًا)، وفي الضالة (وُجِدَانًا)، وفي الغضب (مَوْجِدَةً)، وفي الحزن (وُجِدًا). وقال الله جلّ ثناؤه: ﴿وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ [الجن: ١٥] وقال: ﴿وَأَقْسَطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ [الحجرات: من الآية: ٩] كيف تحول المعنى بالتصريف من العدل (إلى الجور)<sup>(٣)</sup>، وعدّ الزركشي والسيوطي علم الصرف من علوم القرآن التي يحتاج إليها المفسر حتى يقف على المعنى القرآني الصحيح، بل إنَّ الزركشي يرى العلم بالصرف أهمَّ من النّحو إذ قال: ((وفائدة التّصريف حصول المعاني المختلفة المتشعبة عن معنى واحد؛ فالعلم به أهمُّ من معرفة النّحو في تعرّف اللغة؛ لأنَّ التّصريف نظّر في ذات الكلمة والنّحو نظّر في عوارضها وهو من العلوم التي يحتاج إليه المفسر))<sup>(٤)</sup>.

وعلم الصرف من العلوم التي تُعين المفسر على إدراك المعنى المراد من ألفاظ القرآن الكريم سواء أكانت أسماءً أم أفعالاً بحسب ما تدلُّ عليه تلك الصيغ من معانٍ على وفق بُنيّتها الصرفية من زيادة وحذف وتقديم وتأخير في بنية الكلمة، وقد بيّن الزمخشريُّ فائدة

(١)- ينظر: شرح الملوكي في التصريف: ٦٨، ومعاني الأبنية: ٦ .

(٢)- ينظر: شرح الملوكي في التصريف: ٦٨ - ٧٣ .

(٣)- الصاحبى: ١٤٣ - ١٤٤ .

(٤)- البرهان في علوم القرآن: ١ / ٢٩٧ .

علم الصِّرف في تفسير القرآن وبيان المعنى المراد بكلامه على قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أَنَسِيٍّ بِإِمَامِهِمْ﴾ [الإسراء: من الآية: ٧١] إذ قال: ((ومن بدع التفاسير: أن (الإمام) جمع (أم)، وأن الناس يُدْعَوْنَ يوم القيامة بأسمائهم ... وليت شعري أيهما أبداع؟ أصحّة لفظه أم بهاء حكمته))<sup>(١)</sup>، مشيراً بذلك إلى أن (أمًا) لا يصحُّ أن تُجمع على إمام<sup>(٢)</sup>، وسبب ذلك الجهل بالصرف الذي يؤدي إلى تفسير خاطئ.

وابن جني من أفضل العلماء الذين برعوا في علم الصرف، وسبروا أغواره واستخرجوا درره وبيّنوا حقائقه، بما يخدم لغة القرآن الكريم، فعلم اللغة من أجل العلوم التي خدمت القرآن، ووظفت لبيان معانيه، ومن أجلها علم الصرف كما عدّه الزركشي، وقد بيّن ابن جني فائدة الصِّرف، وربط بين الصِّرف والنحو لبيان المعنى بقوله: إن ((التصريف وسيطة بين النحو واللغة يتجاذبانه ... فالتصريف إنّما هو لمعرفة أنفس الكلم الثابتة، والنحو إنّما هو لمعرفة أحواله المتنقلة، ألا ترى أنّك إذا قلت: قام بكرٌ، ورأيتُ بكرًا، ومررتُ ببكرٍ، فإنّك إنّما خالفت بين حركات حروف الإعراب لاختلاف العامل، ولم تعرض لباقي الكلمة، وإذا كان ذلك كذلك فقد كان من الواجب على من أراد معرفة النحو أن يبدأ بمعرفة التصريف؛ لأنّ معرفة ذات الشيء الثابتة ينبغي أن يكون أصلًا لمعرفة حاله المتنقلة))<sup>(٣)</sup>، ومعرفة أنفس الكلم التي يُعوّل بها على علم الصِّرف من أهمّ الأمور التي تكشف عن المعنى وتبيّن المراد من الكلمة على وفق بُنيّتها الصرفية كأن تكون على وزن (أفعل) أو (فعل) أو (تفاعل) فكل صيغة من تلك الصيغ لها معنى تدلُّ عليه أو عدّة معانٍ.

### ١ - صيغة بمعنى أخرى

أولاً: القول في قوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَّاحَ لَوَاقِحَ﴾ [الحجر: من الآية: ٢٢].

ذكر ابن جني في الآية وجهين :

الأول: أن تكون ﴿لَوَاقِحَ﴾ بمعنى (ملاقح). و﴿لَوَاقِحَ﴾ جمع (مُلقحة) من ألقحت الريح السحاب، فهو لاقِح، فهذا على حذف همزة أفعل، وإنّما قياسه (ملاقح) جمع (مُلقحة)، فهو

(١) - الكشاف: ٣ / ٥٣٧.

(٢) - البرهان في علوم القرآن: ١ / ٢٩٩.

(٣) - المنصف: ١ / ٤.

على حذف حرف الزيادة (الميم) من اسم الفاعل؛ لأنَّ الريح تُلقح السحاب فتستدره، والمعنى: ألقحت الريح السحاب، حتى يحمل الماء<sup>(١)</sup>. وقال الجوهري (ت ٣٩٣هـ): ((ورِيحٌ لَوَاقِحٌ، ولا يقال مَلَاقِحٌ. وهو من النوادر وقد قيل: الأصل فيه (مُلَقِحَةٌ) ولكنها لا تُلقح إلا وهي في نفسها لاقِحٌ))<sup>(٢)</sup>، وقول الجوهري يُحمل على وجهين: أحدهما: أن يكون من النادر وصف الرياح بـ «لَوَاقِحٍ»؛ لأنَّ الرِيحَ تُلقحُ؛ فيكون قياس اسم الفاعل منها (مَلَاقِح) وقال عنه ابن دريد (ت ٣٢١هـ): هو الأصل<sup>(٣)</sup>. والذي عبَّر عنه ابن جني وإنما قياسه (مَلَاقِح). أمَّا الثاني: أن يكون من النادر أن لا يقال: (مَلَاقِح)؛ لأنه هو الأصل، وكلا الوجهين يحمل المعنى نفسه. وقول ابن دريد والجوهري وابن جني مبني على أن «لَوَاقِحٍ» من (أَلَقَحْتُ) لا من (لَقِحْتُ).

الوجه الثاني: أن تكون «لَوَاقِحٍ» جمع (لَاقِح) على بابها من لَقِحْتُ هي، ((أي: تجيء بالماء، فكأنها هي الحامل))<sup>(٤)</sup>، أي تحمل الماء، وهي على هذا المعنى صفةً مشبهةً كبائن على وزن فاعل، وقال ابن جني: ((وقد يجوز أن يكون على (لَقِحْتُ) هي فإذا لَقِحْتُ فزكت أَلَقَحْتُ السَّحاب، فيكون هذا ممَّا اكْتَفَيْ فِيهِ بالسبب من المسبَّب. وضده قول الله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾ [النحل: من الآية: ٩٨] أي: فإذا أردت قراءة القرآن، فاكْتَفَيْ بالمسبَّب الذي هو القراءة من السبب الذي هو الإرادة))<sup>(٥)</sup>، وكون الريح لَاقِحَةً هو الوجه الذي عليه الفراء والأخفش، وهو وجهٌ جائزٌ عند الزجاج<sup>(٦)</sup>؛ لأنَّ ((الريح هي التي تُلقحُ بمرورها على التراب والماء، فيكون فيها اللقَّاح، فيقال: ريحٌ لَاقِح. كما يُقال: ناقةٌ لَاقِح. ويشهد على ذلك أنه وصفَ ريحَ العذاب فقال: ﴿عَلَيْهِمُ الرِّيحُ الْعَقِيمُ﴾ [الذاريات: من الآية: ٤١] فجعلها عقيماً إذ لم تُلقح))<sup>(٧)</sup>.

(١) - ينظر: التنبيه: ٣٨١، والخصائص: ٢ / ٢١٩، والمحتسب: ٢٤٢.

(٢) - الصَّحاح: ١ / ٤٠١.

(٣) - ينظر: جمهرة اللغة: ١ / ٥٥٩.

(٤) - التنبيه: ٣٨١.

(٥) - الخصائص: ٢ / ٢٢٠.

(٦) - ينظر: معاني القرآن للفراء: ٨٧/٢، ومعاني القرآن للأخفش: ٢ / ٤١١، ومعاني القرآن وإعرابه:

١٧٧ / ٣.

(٧) - معاني القرآن للفراء: ٢ / ٨٧.

ثانياً: القول في قوله تعالى: ﴿ خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ ﴾ [الطارق: ٦]، وقوله: ﴿ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴾ [الحاقة: ٢١]، وقوله: ﴿ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ ﴾ [هود من الآية: ٤٣].

ذكر ابن جني في الآيات وجهين:

الأول: أن يكون قوله ﴿ دَافِقٍ ﴾ و﴿ رَاضِيَةٍ ﴾ و﴿ عَاصِمٍ ﴾ فاعل بمعنى مفعول، أي أن المعنى: ماءٌ مَدْفُوقٌ. وعيشةٌ مَرْضِيَّةٌ. ولا معصوم اليوم<sup>(١)</sup>، وهذا تفسيرٌ على المعنى عند أهل اللغة كما عبّر عنه ابن جني، وقد أقره وارتضاه، إذ قال: ((فأما تفسير أهل اللغة أن استناف القوم في معنى تسايفوا فتفسيرٌ على المعنى؛ كعادتهم في أمثال ذلك؛ ألا تراهم قالوا في قول الله عزّ وجلّ ﴿ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ ﴾: إنّه بمعنى مدفوق، فهذا - لعمرى - معناه))<sup>(٢)</sup>.

الوجه الثاني: أن تكون الآيات على النسب، أي أن المعنى: من ماءٍ ذي دفق، وفي عيشة ذات رضا، ولا ذا عصمة اليوم، وهو من بعدُ يرجع إلى المعنى الأول إذ قال: ((وكذلك قوله تعالى: ﴿ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ﴾ أي لا ذا عصمة، وذو العصمة يكون مفعولاً كما يكون فاعلاً فمن هنا قيل إن معناه لا معصوم))<sup>(٣)</sup>، وكذلك ذكر في ﴿ عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴾: فهي من بعدُ بمعنى مرضية<sup>(٤)</sup>. وكون معنى الآيات على النسب يرجع إلى معنى الوجه الأول، قولٌ انفرد به ابن جني، ولم يقل به أحد غيره، بل هو وجه في الآيات عند أكثر اللغويين والمفسرين ونسبه أكثرهم للخليل وسيبويه<sup>(٥)</sup>، وهو ممّا نقله سيبويه عن الخليل في قوله ﴿ عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴾<sup>(٦)</sup>، وعدّ الباقلوي الآيات على النسب، وهو الوجه المرضي عنده، وردّ قول الفراء في كونها فاعلاً بمعنى مفعول<sup>(٧)</sup>، إذ قال: ((الوجه ما

(١)- ينظر: بقية الخاطريات: ٢٠، والفسر: ٢ / ٧٠٤.

(٢)- الخصائص: ١ / ١٥٢.

(٣)- الخصائص: ١ / ١٥٢.

(٤)- ينظر: الخصائص: ١ / ١٥٢.

(٥)- ينظر: معاني القرآن وإعرابه: ٣ / ٥٤، والتبيان في إعراب القرآن: ٢ / ١٢٣٧، والمحرر الوجيز:

الوجيز: ٥ / ٤٦٥، والبحر المحيط: ٨ / ٤٤٩، وإعراب القرآن للنحاس: ١١٩٢.

(٦)- ينظر: الكتاب: ٣ / ٣٨٢.

(٧)- ينظر: معاني القرآن للفراء: ٢ / ١٥ - ١٦.

قلنا))<sup>(١)</sup>، أي أن الآيات مما جاء في التنزيل من بناء النسب<sup>(٢)</sup>، وقال العكبري في قوله تعالى: ﴿ فَهُوَ فِي عَيْشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴾ فهي على بابها اسم فاعل، إذ قال: ((هي على بابها وكأنَّ العيشة رضية بمحلها، وحصلوها في مستحقها))<sup>(٣)</sup>، وكذلك قال في قوله تعالى: ﴿ خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ ﴾: ((هو على المعنى؛ لأنَّ اندفاق الماء بمعنى نزل))<sup>(٤)</sup>، وتبعه ابن ابن عطية ف ﴿ دَافِقٍ ﴾ عنده على وجهه اسم فاعل إذ قال: ((ويصح أن يكون الماء دافقاً، لأنَّ بعضه يدفع بعضاً، فمنه دَافِقٍ ومنه مدفوق))<sup>(٥)</sup>، وكذلك نقل في ((قوله: ﴿ لَا عَاصِمَ ﴾ عَاصِمٌ قيل فيه: إنَّه على لفظة فاعل؛ وقوله: ﴿ إِلَّا مَنْ رَحِمَ ﴾ يريد إلا الله الراحم، ف ﴿ مَنْ ﴾ كناية عن اسم الله تعالى، المعنى: لا عاصم اليوم إلا الذي رحمنا، ف ﴿ مَنْ ﴾ في موضع رفع، وقيل: قوله: ﴿ إِلَّا مَنْ رَحِمَ ﴾ استثناء منقطع كأنَّه قال: لا عاصم اليوم موجود، لكن من رحم الله موجود، وحسن هذا من جهة المعنى، أن نفي العاصم يقتضي نفي المعصوم. فهو حاصل بالمعنى))<sup>(٦)</sup>. وتبعها من المحدثين النيلي، فهو لا يرى أن في القرآن الكريم صيغة بمعنى أخرى، أي أن التدفق من فعل الماء نفسه، والعيشة هي الراضية ((ولا توجد في الحقيقة عيشة على هذا النحو الأخير إلا تلك التي يعطيها الربُّ العظيم لعباده الذين رضي عنهم))<sup>(٧)</sup>.

وأضاف ابن جني أن التاء في: ﴿ رَاضِيَةٍ ﴾ ليست للتأنيث فهي عنده للمبالغة إذ قال: ((وينبغي أن يعلم أن هذه التاء في ﴿ رَاضِيَةٍ ﴾ ... ليست التاء التي يخرج بها اسم الفاعل على التأنيث لتأنيث الفعل من لفظه؛ لأنَّها لو كانت تلك لفسد القول؛ ألا ترى أنه لا يقال ضَرَبَتِ النَّاقَةَ وَلَا رَضِيَتِ الْعَيْشَةَ، وإذا لم تكن إياها وجب أن تكون التي للمبالغة كَفَرُوقَةٍ، وَصَرُورَةٍ<sup>(٨)</sup>، وداهية، وراوية، مما لحقته التاء للمبالغة والغاية. وحسن ذلك أيضاً

(١) - إعراب القرآن للباقولي: ٣ / ٨٤٤.

(٢) - ينظر: إعراب القرآن للباقولي: ٣ / ٨٤٤.

(٣) - التبيان في إعراب القرآن: ٢ / ١٢٣٧.

(٤) - التبيان في إعراب القرآن: ٢ / ١٢٨١.

(٥) - المحرر الوجيز: ٥ / ٤٦٥.

(٦) - المحرر الوجيز: ٣ / ١٧٤ - ١٧٥.

(٧) - النظام القرآني: ١٤٤.

(٨) - ال (الفَرُوقَةُ) الرجل كثير الفرع، ينظر: لسان العرب: ١٠ / ٣٠٥، (فرق). وال (صَرُورَةُ) الرجل

الذي لم يَحُجَّ قَطُّ، وهو من الصَّرَّ بمعنى الحبس، ينظر: لسان العرب: ٤ / ٤٥٣، (صرر).

شيء آخر وهو جريانها صفة على مؤنث، وهي بلفظ الجاري على الفعل، فزاد ذلك فيما ذكرنا<sup>(١)</sup>.

## ٢- أثر الجمع في بيان المعنى

أولاً: القول في قوله تعالى: ﴿ هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ بِصِيرٍ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾ [آل عمران: ١٦٣].

يرى ابن جنى أن جمع المؤنث السالم يدل على القلة من ثلاثة إلى عشرة، والألف والتاء موضوعتان للقلة عنده، كما يدل على الكثرة أيضاً<sup>(٢)</sup>، و((العرب تستغني بالجمع القليل عن الجمع الكثير، وبالكثير عن القليل))<sup>(٣)</sup>، فقد يوضع جمع القلة موضع الكثرة، قال في قوله تعالى: ﴿ هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ بِصِيرٍ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾: ((ورُتِبَ النَّاسُ فِي عِلْمِ اللَّهِ أَكْثَرَ مِنَ الْعَشْرَةِ لَا مُحَالَةَ))<sup>(٤)</sup>، وكذلك قال في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٣٥]، فجمع المؤنث في الآية يدل على الكثرة، إذ قال: ((والغرض في جميعه الكثرة، لا ما هو لما بين الثلاثة إلى العشرة))<sup>(٥)</sup>، وتبع ابن جنى بقوله هذا شيخه أبا علي الفارسي في دلالة الألف والتاء على الكثرة<sup>(٦)</sup>، وردّه الحكاية المزعومة المنسوبة إلى النابغة الذبياني<sup>(٧)</sup>، في بيت حسان بن ثابت:

لَنَا الْجَفَنَاتُ الْغُرُّ يَلْمَعْنَ بِالضُّحَى وَأَسْيَافُنَا يَقْطُرْنَ مِنْ نَجْدَةٍ دَمَا<sup>(٨)</sup>

(١)- الخصائص: ١ / ١٥٣ - ١٥٤.

(٢)- ينظر: المحتسب: ١ / ١٨٧.

(٣)- مجمع البيان: ٦ / ٣٠٠.

(٤)- التنبيه: ٢١٩.

(٥)- المحتسب: ١ / ١٨٧.

(٦)- ينظر: التكملة: ٤٢٣ - ٤٢٤.

(٧)- ينظر: الأغاني: ٩ / ٢٥٢، والمصون في الأدب: ٣، والتكملة: ٤٢٤.

(٨)- ديوان حسان بن ثابت: ١ / ٣٥.

فقال ابن جني: ((وكان أبو علي يطعن في الحكاية المحفوظة هنا المنسوبة إلى النابغة في قوله لحسان: لقد قلت جفانك وأسيافك. قال: ألا ترى قوله تعالى: ﴿ وَهُمْ فِي الْغُرَفَاتِ آمِنُونَ ﴾ [سبأ: من الآية: ٣٧]، وعُرف الجَنَّةُ أكثر مما يُظنُّ))<sup>(١)</sup>. وكذلك حمل المجاشعي (ت ٤٧٩هـ) الآية من دلالة جمع القلة على الكثرة<sup>(٢)</sup>، ونقل نص كلام ابن جني، وهو ممَّنْ تأثروا بابن جني، فقد نقل عنه كثير من التفسير والإعراب في كتابه النكت.

إنَّ الذي دفع ابن جني أن يقول: قد يدلُّ جمع المؤنث على الكثرة، هو سياق الآيات الدالُّ على الكثرة كما في عُرف الجنة، ودرجات المؤمنين، أو المعلومات القبلية التي تشير إلى أن الجنة فيها ما لا عين رأت، ولا خطر على بال أحدٍ، وكذلك لمَّا كان التفاوت بين المؤمنين سنةً طبيعية، فمن الطبيعي أن تكون درجاتهم كثيرة، أي أكثر من عشرة.

ثانيًا: القول في قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ ﴾ [الأعراف: من الآية: ٣٤] بجمع ﴿ أَجْلُهُمْ ﴾ على قراءة ابن سيرين، (أَجَالُهُمْ).

ذكر ابن جني في القراءة أمرين :

الأوَّل: أنَّ الجمع هو المعنى المراد من الآية إذ قال: ((هذا هو الظاهر؛ لأنَّ لكلِّ إنسانَ أَجلاً))<sup>(٣)</sup>، فتعدد الإنسان يوجب تعدد الآجال.

والثاني: أمَّا قراءة العامة ﴿ أَجْلُهُمْ ﴾ بالأفراد فدلالته على الجمع من وجوه ثلاثة عند ابن جني: الأوَّل: أنَّه اسم جنس، والجنس يدل على الجمع، الثاني: أنَّه مصدر فأنته الجنسية من قِبَل المصدرية، الثالث: إضافته إلى ضمير الجماعة (هم). وحسَّن ابن جني الأفراد في قراءة العامة؛ وذلك لإضافته إلى الجماعة؛ لأنَّ كلَّ واحد له أَجْلٌ<sup>(٤)</sup>.

(١) - التنبية: ٢١٩.

(٢) - النكت في القرآن: ٣٠٨.

(٣) - المحتسب: ١ / ٢٤٦.

(٤) - ينظر: المحتسب: ١ / ٢٤٦، وإعراب القراءات الشواذ: ١ / ٥٣٥.

### ٣- أثر صيغة الفعل في بيان المعنى

يرى ابن جني أنّ لصيغة الفعل أثرًا في بيان معناه، فكل صيغة من صيغ الفعل تدلُّ على معنى لا يكون في غيرها من نفس الجذر ف(دخل) ليست ك(أدخل) في الدلالة، ف((فاعل وأفعل وفعل... أنّ كلّ واحدٍ من هذه المثل جاء لمعنى، فأفعل: للنقل وجعل الفاعل مفعولًا، نحو: دخل وأدخلته، وخرج وأخرجته ويكون أيضًا للبلوغ نحو أحصد الزرع... ولغير ذلك من المعاني، وأمّا فاعل فلكونه من اثنين فصاعداً، نحو ضارب زيد عمراً وشاتم جعفر بشراً، وأمّا فعّل فالتكثير نحو غلّق الأبواب، وقطّع الحبال وكسّر الجرار))<sup>(١)</sup>. يُضاف إلى ذلك، أنّ ابن جني يرى أنّ الزيادة بالتضعيف أبلغ من الزيادة في غيره؛ لأنّ الزيادة بالتضعيف تكون في لفظ الأصل بتكرير الحرف نفسه، وهي ليست كذلك بحروف الزيادة، مع أنّ كلّ زيادة في الفعل توجب الزيادة في المعنى<sup>(٢)</sup>.

### الفعل بين التّخفيف والتّشديد

أولاً: القول في قوله تعالى: ﴿وَأَذِ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ﴾ [البقرة: من الآية: ٥٠] بتشديد الرّاء من ﴿فَرَقْنَا﴾ على قراءة الزهري.

ذكر ابن جني أنّ ((معنى (فرّقنا) أي: جعلناه فرّقًا، ومعنى ﴿فَرَقْنَا﴾: شققنا بكم البحر، و(فرّقنا) أشدُّ تبعيضًا من ﴿فَرَقْنَا﴾ وقوله تعالى: ﴿فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطُّودِ الْعَظِيمِ﴾ [الشعراء: من الآية: ٦٣] يحتمل أن يكون فرقين، ويحتمل أن يكون أفراقًا؛ ألا ترى أنّك تقول: قَسَمْتُ الثوبَ قسَمين، فكان كلُّ قسَمٍ واحدٍ منهما عشرين ذراعًا، كما تقول ذلك وهو جماعة أقسام))<sup>(٣)</sup>.

بين ابن جني قراءة الزهري (فرّقنا) مشددة؛ إنّها على معنى الجمع أي أنّ كلّ رجلٍ منهم قد فرّق البحر إذ إنّّه قال: ((فرّقت شَعْرَهُ أي: جعلته فرّقًا، وجاز هنا لفظ الجمع؛ لأنّ كلّ رجلٍ منهم قد خرق من البحر وفرّق خَرْقًا وفرّقًا))<sup>(٤)</sup>، وهذا المعنى نقله الطبرسي

(١)- الخصائص: ١ / ٢٢٣.

(٢)- ينظر: الخاطريات: ١٦٨.

(٣)- المحتسب: ١ / ٨٢.

(٤)- المحتسب: ١ / ٨٢.

(ت ٥٤٨هـ) عن ابن جني، إذ قال: (( قال ابن جني: فرَّقنا أشدَّ تفرُّقا من فرَّقنا، فمعنى فرَّقنا بكم البحر جعلناه فرقا، ومعنى فرَّقنا بكم البحر شققنا بكم البحر))<sup>(١)</sup>.

أمَّا قراءة الجماعة ﴿ فرَّقنا ﴾ مخففة فهي على معنى: شققنا البحر قسمين، كلَّ قسم كالطود العظيم، وهذا المعنى أشار إليه كثيرٌ من المفسرين<sup>(٢)</sup>، وبعض اللغويين، قال الأخفش: ((فرَّقنا بين المائين حين مرَّ ثم فيه))<sup>(٣)</sup>.

ويرى ابن جني أنَّه يمكن الجمع بين فرَّقنا وفرَّقنا في المعنى، إذ قال: ((وقد يكون أيضًا في فرَّقنا مخففة معنى فرَّقنا مشددة))<sup>(٤)</sup>، و(فعل) صيغة صرفية عامة تدلُّ على القليل والكثير، ف(الفرَّق) قد يكون جعل البحر فرقين فيه مسلك واحد، أو أفراق فيه مسالك متعددة<sup>(٥)</sup>.

ثانياً: القول في قوله تعالى: ﴿ كُلَّ مَا رُدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكَسُوا فِيهَا ﴾ [النساء: من الآية: ٩١] بحذف الهمزة وتشديد الكاف (رُكِّسُوا)، على قراءة ابن مسعود.

ذكر ابن جني أنَّ ((وجه ذلك، أنَّه شيءٌ بعد شيءٍ؛ وذلك لأتَّهم جماعة، فلمَّا كانوا كذلك وقع شيءٌ منه بعد شيءٍ فطال، فلاق به لفظ التَّكثير والتَّكرير، كقولك: غلَّقتُ الأبواب، وقطَّعتُ الحبال))<sup>(٦)</sup>، والتكثير من أشهر معاني صيغة (فعل)<sup>(٧)</sup>، قال العكبري في قراءة ابن مسعود: ((التَّشديد للتَّنقل والتَّكثير معا))<sup>(٨)</sup>، ولم يُؤثر عن اللغويين أنَّ (فعل) يدل على التكرير الذي قال به ابن جني<sup>(٩)</sup>. والذي دفع ابن جني أن يقول أنَّ التشديد في

(١) - مجمع البيان: ١ / ١٩٠.

(٢) - ينظر: التبيان في تفسير القرآن: ٢ / ٢٢٥، وكشف البيان: ١ / ١٩٣، وروح المعاني: ١ / ٢٥٥.

(٣) - معاني القرآن للأخفش: ١ / ٩٨.

(٤) - المحتسب: ١ / ٨٢.

(٥) - ينظر: العموم الصرفي: ٤٧.

(٦) - المحتسب: ١ / ١٩٤.

(٧) - ينظر: شرح شافية ابن الحاجب: ١ / ٩٢، وارتشاف الضرب: ١ / ١٧٤.

(٨) - التبيان في إعراب القرآن: ١ / ٣٧٩.

(٩) - ينظر: شرح المفصل: ٤ / ٤٣٩، وشرح شافية ابن الحاجب: ١ / ٩٢ - ٩٦، وارتشاف الضرب:

الضرب: ١ / ١٧٤.

(رُكِّسُوا) يدل على التكرير ليس بسبب الصيغة، بل هو بسبب صوت الراء في (رُكِّسُوا)؛ لأنّ ابن جنى يرى أنّ صوت الراء يدلّ على التكرير في اللفظ، كما بيّن ذلك في (جرّ)، إذ قال: ((قدّموا الجيم لأنّها حرف شديد وأوّل الجرّ بمشقة على الجارّ والمجرور جميعاً، ثم عقّبوا ذلك بالراء، وهو حرف مكرر، وكرّروها مع ذلك في نفسها؛ وذلك لأنّ الشيء إذا جرّ على الأرض في غالب الأمر اهتزّ عليها، واضطرب صاعداً عنها ونازلاً إليها، وتكرر ذلك منه على ما فيه من التّعنّة والقلق، فكانت الراء - لِمَا فِيهَا مِنَ التَّكْرِيرِ، ولأنّها أيضاً قد كررت في نفسها في (جرّ) و(جررت)- أوفق لهذا المعنى من جميع الحروف غيرها))<sup>(١)</sup>، وهنا ابن جنى لا يشير إلى أنّ التكرير من صفات حرف الراء، بل أرد أنّ الراء يدل على معنى التكرير في اللفظ، كما بيّن ذلك في مثاله على (جرّ) .

أمّا معنى قراءة العامة بالتخفيف فقد أشار ابن جنى إلى أنّه قد يكون فيه معنى التكرير إذ قال: ((وقد يكون معنى التكرير مع لفظ التخفيف، أنشد أبو الحسن:

أَنْتَ الْفِدَاءُ لِقَبْلَةٍ هَدَمْتَهَا      وَنَقَرْتَهَا بِيَدَيْكَ كُلَّ مُنْقَرٍ

فصار و(نَقَرْتَهَا) كأنّه قال: ونَقَرْتَهَا، يدل عليه مصدره الذي هو (مُنْقَرٍ). وهذا ونحوه ممّا يدلّ على اشتغال لفظ الأفعال على معاني الأجناس، حتى إنّ اللفظة الواحدة تصلح لكثيره صلاحها لقليله))<sup>(٢)</sup>. فابن جنى يرى أنّ صيغة التخفيف (أفعل) قد تدلّ على التكرير أيضاً؛ أيضاً؛ وذلك لدلالة الفعل على المصدر، والمصدر اسم جنس يدل على الكثرة والعموم، وكذلك حمل قراءة ابن محيص في قوله تعالى: ﴿يُدَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ﴾ [البقرة: من الآية: ٤٩] بتخفيف ﴿يُدَبِّحُونَ﴾ و((وجه ذلك أنّ (فعلت) بالتخفيف قد يكون فيه معنى التكرير؛ وذلك لدلالة الفعل على مصدره، والمصدر اسم الجنس، وحسبك بالجنس سعة وعموماً))<sup>(٣)</sup>.

(١)- الخصائص: ٢ / ١٦٤.

(٢)- المحتسب: ١ / ١٩٤، ولم ينسب البيت لشاعر ينظر: معاني القرآن للأخفش: ٢ / ٤٢٤، ورواية ورواية الشطر الأوّل فيه (أَنْتَ الْفِدَاءُ لِكَعْبَةٍ هَدَمْتَهَا) .

(٣)- المحتسب: ١ / ٨١.

ثالثاً: القول في قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفِرُّونَ ﴾ [الأنعام: من الآية: ٦١] بتخفيف الراء من ﴿ يُفِرُّونَ ﴾ على قراءة الأعرج.

ذكر ابن جنى أنه ((يقال: أفرط في الأمر إذا زاد فيه، وفرط فيه: إذا قصر، فكما أن قراءة العامة ﴿ لَا يُفِرُّونَ ﴾: لا يقصرون فيما يؤمرون به من توفّي من تحضر منيته، فكذلك أيضاً لا يزيدون، ولا يتوفّون إلا من أمروا بتوفّيه. ونظيره قوله جلّ وعزّ: ﴿ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ ﴾ [الرعد: من الآية: ٨])<sup>(١)</sup>، وتخريج ابن جنى للقراءة كان على وفق الصيغة الصرفية للفعل فحمل، معنى (يفرطون) على دلالة الفعل المزيد (أفرط)، أي: زاد فيه، وأكثر المفسرين تبعوا ابن جنى في تفسيره لقراءة الأعرج بالتخفيف، فقالوا: لا يتجاوزون الحدّ بزيادة أو نقصان<sup>(٢)</sup>، وقال أبو بكر بن الأنباري (ت ٣٢٨هـ) في القراءتين: ((ومعنى القراءتين لا يقدمون العجز والتقصير))<sup>(٣)</sup>، وهذا مخالف لما عليه ابن جنى من معنى الزيادة في (أفرط).

#### الفعل بين فَعَلَ وأَفْتَعَلَ

القول في قوله تعالى: ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ﴾ [البقرة: من الآية: ٢٨٦].

يرى ابن جنى أنّ هناك فرقاً بين (فَعَلَ) و(أَفْتَعَلَ) في الدلالة، وأنّ (أَفْتَعَلَ) أقوى من (فَعَلَ)، وهو يدلُّ على الكثرة؛ وذلك بسبب الزيادة فيه<sup>(٤)</sup>، ويظهر أثر هذا الفرق بين فَعَلَ وأَفْتَعَلَ من خلال تفسير ابن جنى للآية، فقد جاء لفظ (كسب) مع الحسنه و(أكتسب) مع السيئة؛ لأنّه عزّ اسمه ((هوّن... قدر الحسنه؛ لأنّها تصعُر في جنب الجزاء عنها والثواب عليها، لقوله تعالى: ﴿ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ﴾ [الأنعام: من الآية: ١٦٠] وعظّم حال السيئة ترهيباً منها وزجراً عنها، ألا ترى قوله تبارك اسمه: ﴿ تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَنْفَطَرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا أَنْ دَعَا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا ﴾ [مريم: ٩٠،

(١)- المحتسب: ١ / ٢٢٣.

(٢)- ينظر: الكشف والبيان: ٤/١٥٥، والكشاف: ٢/٣٥٦، والتبيان في إعراب القرآن: ١/٤٠٥.

(٣)- الزاهر لمعاني كلمات الناس: ١ / ٤١٣.

(٤)- ينظر: التنبه: ٢٢٧، والمحتسب: ٢ / ١٩٦، الخاطريات: ٣٢.

[٩١]، فلذلك زاد فيه وقال: ﴿ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ﴾، أي: عليها ما أعظمت فيه وركبت أهول الأهوال منه<sup>(١)</sup>، وأضاف ابن جني أن لفظ (اكتسب) جاء مع السيئة؛ وذلك لأن السيئة مكثرة مستعظمة فعبر عنها ب(اكتسبت)، وجاء (كسب) مع الحسنة؛ وذلك لأن الحسنة مجازي عليها بعشر حسنة فصارت بالإضافة إليهن مستقلة، فجاءت بغير زيادة<sup>(٢)</sup>، ويظهر أن ابن جني يربط بين السياق الذي ورد فيه الفعل وبنيته الصرفية، ثم من بعد يستنتج المعنى الذي يدل عليه الفعل في هذا السياق، فهو لم يربط بين (اكتسبت) والسيئة، وبين (كسبت) والحسنة، كما نقل بعض المفسرين<sup>(٣)</sup>، أي أن (اكتسب) يدل على الشر في كل سياق و(كسب) يدل على الخير في كل سياق، وهذا الوجه خطأ ابن السيد البطليوسي (ت ٥٢١هـ)<sup>(٤)</sup>، ولا وجه له عنده، بل (اكتسب) فيه دلالة على التكثير؛ لأنه على وزن (أفعل)، و(كسب) على وزن (فعل) يصلح للقلة والكثرة، ولما كان الإنسان لا يجازى بالشر إلا على الكبائر ناسبه (أفعل) للدلالة على التكثير، وللمفسرين واللغويين وجهان في معنى اللفظين:

الوجه الأول: أن الكسب والاكْتَسَابَ معناهما واحد، قال أبو حيان: ((والصحيح عند أهل اللغة أن الكسب والاكْتَسَابَ واحد، والقرآن ناطق بذلك قال الله تعالى: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴾ [المدثر: ٣٨]... وقال: ﴿ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا ﴾ [الأحزاب: من الآية: ٥٨]، ومنهم من فرق فقال: الاكْتَسَابُ أخص من الكسب<sup>(٥)</sup>، وهذا الكلام ليس دقيقاً في وجهه الأول، إذ لو كان اللفظان بمعنى واحد؛ لما جاء في الآية نفسها، مضافاً على ذلك أن فائدة الزيادة في المبنى التي توجب الزيادة في المعنى تكون معدومة، وهذا ما وضحه ابن جني في كلامه السابق.

الوجه الثاني: أن يكون (اكتسب) مستعملاً في الشر؛ لأن السيئات فيها ائتمال، فكاسبها يتكلف فيها فناسبها الزيادة في الفعل، و(كسب) مستعمل في الخير<sup>(٦)</sup>. وهذا فيه نظر، وهو

(١) - الخاطريات: ١٦٧ - ١٦٨، وينظر: ٣٢.

(٢) - ينظر: التنبيه: ٢٢٧.

(٣) - ينظر: المفردات في غريب القرآن: ٤٣٣، والنكت والعيون: ١ / ٣٦٣.

(٤) - ينظر: شرح أبيات الجمل: ٢٢٦.

(٥) - البحر المحيط: ٣٨١ / ٢، وينظر: النكت والعيون: ١ / ٣٦٣.

(٦) - ينظر: الكشف: ٥٢٠ / ١، المحرر الوجيز: ٣٩٢ / ١.

وهو مخالف لصريح القرآن، فأغلب الآيات التي جاء فيها (كَسَبَ) - وهي أكثر من خمسين آية- مستعملاً في الكسب غير المحمود كالسيئة في قوله تعالى: ﴿ بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [البقرة: ٨١]، والخطيئة أو الإثم في قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِينًا فَقَدْ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾ [النساء: ١٢]، وقد يكون (الكسب) في الخير كما في قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ ﴾ [البقرة: من الآية: ٢٦٧]، فالكسب لم يكن في الخير في أغلب موارد<sup>(١)</sup>، أمّا (اكتسب) فقد ورد في القرآن في خمسة مواضع<sup>(٢)</sup>، ثلاثة منها في الاكتساب غير المحمود، وجاء مرتين في آية واحدة في الاكتساب المحمود في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾ [النساء: ٣٢]، ويرى محمد ياس خضر أن الاكتساب لا يقع إلا في الإثم<sup>(٣)</sup>، واعتمد في ذلك على وجه قاله الطبري، ف ((لَمَّا نَزَل: ﴿ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ ﴾ [النساء: من الآية ١١] قالت النساء: كذلك عليهم نصيبان من الذنوب، كما لهم نصيبان من الميراث، فأنزل الله: ﴿ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ ﴾ [النساء: من الآية: ٣٢]، يعني الذنوب))<sup>(٤)</sup>، ولم يبيِّن سبب ترجيح هذا الرأي، والوجه الذي رجَّحه الطبري في الآية أن يكون الاكتساب في الخير والشر، فلكل نصيب مما عمل<sup>(٥)</sup>، بل الذي عليه أكثر اللغويين والمفسرين أن الاكتساب في الآية من الاكتساب المحمود<sup>(٦)</sup>.

وكون الاكتساب من الاكتساب المحمود في آية النساء التي تقدّمت يدلُّ عليه سياق الآية، وذلك أن الذي اكتسبوه، هو فضلٌ من الله، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ

(١)- ينظر: دقائق الفروق اللغوية في البيان القرآني: ٢٤٨، (أطروحة).

(٢)- ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: ٦٠٥.

(٣)- ينظر: دقائق الفروق اللغوية في البيان القرآني: ٢٤٨.

(٤)- جامع البيان: ٦ / ٦٦٨.

(٥)- ينظر: جامع البيان: ٦ / ٦٦٩.

(٦)- ينظر: معاني القرآن للنحاس: ٢ / ٧٤، والتبيان في تفسير القرآن: ٣ / ١٨٥، ومجمع البيان: ٣

٣ / ٦٢، والكشاف: ٢ / ٦٤، وبصائر ذوي التمييز: ٤ / ٣٥٠، وروح المعاني: ٥ / ٢٠.

بِهِ بَعْضُكُمْ ﴿﴾ وفضل الله خير، ثم ختم الآية بحثهم على سؤال الله من فضله، قال تعالى: ﴿وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ﴾، وهو مناسب لكون الاكتساب من المحمود.

وخلاصة القول في اللفظين: أَنَّ (كَسَبَ) صيغة صرفية عامة يدخل تحتها الكسب القليل والكثير والحسن والمحمود وغير المحمود، والكسب باجتهاد أو من غير اجتهاد، أمّا (اكتسَب) فصيغة صرفية خاصة، تدل على حدوث الكسب باجتهاد ومشقة<sup>(١)</sup>.

### صيغة فَعَلَ

القول في قوله تعالى: ﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ﴾ [القمر: ١١] .

ذكر ابن جني أَنَّ صيغة (فَعَلَ) ربّما تجيء في القرآن الكريم ويراد بها الكثرة كما في ﴿فَفَتَحْنَا﴾، فقال: ((مِمَّا وقع فيه (فَعَلَ) للكثرة... قول الله تعالى: ﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ﴾، ودليله موضعان: أحدهما أَنَّ أبواب السماء كثيرة، والآخر: العطف عليه بقوله: ﴿وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا﴾ [القمر: من الآية: ١٢]. إذا استعمل هنا (فَعَلَ) واللفظ واحد أعني ﴿الْأَرْضَ﴾ حملاً على المعنى، فما ظنك بـ(الأبواب) وهي جمع لفظاً ومعنى؟<sup>(٢)</sup>، فابن جني هنا حمل معنى بناء (فَعَلَ) على الكثرة والجمع، وبناء (فَعَلَ) من الأبنية التي تعددت معانيها؛ فهو ((الخفّته لم يختص بمعنى من المعاني، بل استعمل في جميعها؛ لأنّ اللفظ إذا خفّ كثر استعماله واتّسع التصريف فيه))<sup>(٣)</sup>، واعتمد ابن جني في دلالة الكثرة والجمع في (فَعَلَ) على سياق الآية، فلمّا كانت الجنّة لها أبواب متعددة دلّ على أنّ (فَعَلَ) للكثرة والجمع، وتبعه في ذلك الطوسي والطبرسي فـ(فَعَلَ) يدل على القليل والكثير عندهما<sup>(٤)</sup>، أمّا ابن خالويه وأبو زرعة المتوفى حوالي (٤٠٣هـ) فـ ﴿فَفَتَحْنَا﴾ عندهما يدل على الإفراد؛ لأنّ الفتح كان مرة واحدة أو في وقت واحد وإن كُثرت الأبواب<sup>(٥)</sup>.

(١)- ينظر: العموم الصرفي في القرآن الكريم: ٧٧.

(٢)- بقية الخاطريات: ٢٣.

(٣)- شرح شافية ابن الحاجب: ١ / ٧٠.

(٤)- ينظر: التبيان في تفسير القرآن: ٩ / ٤٤٧، ومجمع البيان: ٩ / ٢٤٠.

(٥)- ينظر: الحجة في القراءات السبع: ٣٣٨، وحجة القراءات: ٦٨٩.

### صيغة تفاعل

القول في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسْأُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [البقرة: من الآية: ٢٣٧]، على قراءة الإمام علي (عليه السلام)، (ولا تَتَّاسُوا الْفَضْلَ).

ذكر ابن جني في القراء أموراً عدة منها:

الأول: أنَّ الفرق بين ﴿وَلَا تَسْأُوا﴾، و(لا تَتَّاسُوا)، أنَّ النهي في (تَسْأُوا) نهى عن النسيان على الإطلاق أنسوه أو تَتَّاسَوْه، أمَّا (تَتَّاسُوا) فـ(تَنَاسَى) على وزن (تَفَاعَلَ) يدل على المشاركة، فالنهي فيه عن فعلهم الذي اختاروه هم وتظاهروا فيه، أي: تظاهروا بنسيان الفضل، ((فإن قيل: ومَنْ ذا الذي يتظاهر بنسيان الفضل؟ قيل: معناه - والله أعلم - إنكم إذا استكثرتم من هجر الفضل، وتناقلتم عنه؛ صرتم كأنتكم متعاطون لتركه، متظاهرون بنسيانه. وهذا كقولك للرجل يكثر خَطُوه: أنت تتحايد الصواب تَوَقَّى عارفٍ به وأنت معتمِلٌ لما لا يَحْسَن، وإن لم يقصد هو لذلك))<sup>(١)</sup>.

الأمر الثاني: أنَّ (تَتَّاسُوا) على وزن (تَفَاعَلَ)، وبناء تفاعل يدل على المشاركة بين اثنين فأكثر<sup>(٢)</sup>، وناسب ذلك سياق الآية؛ لأنَّ المأمورين جماعة<sup>(٣)</sup>، فتمام الآية: ﴿وَأَنْ تَطَّلِقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلَا تَسْأُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٣٧]، وقال العكبري: ((وقرى (ولا تَتَّاسُوا الْفَضْلَ) على باب المفاعلة، وهو بمعنى المتاركة لا بمعنى السهو))<sup>(٤)</sup>، فيكون التناهي في قراءة الإمام علي منسوبةً إلى الجماعة على التظاهر كما عبر ابن جني. وحسن ابن جني هذه القراءة من وجهين:

(١) - المحتسب: ١ / ١٢٧.

(٢) - ينظر: شرح شافية ابن الحاجب: ١ / ٩٩، والممتع الكبير في التصريف: ١٢٥.

(٣) - ينظر: المحتسب: ١ / ١٢٨.

(٤) - التبيان في إعراب القرآن: ١ / ١٩٠.

الأول: ((أَنْكَ إِنَّمَا تَنْهَى الْإِنْسَانَ عَنْ فِعْلِهِ هُوَ، وَ(التَّنَاسِي) مِنْ فِعْلِهِ، فَأَمَّا النِّسْيَانُ فَظَاهِرُهُ أَنَّهُ مِنْ فِعْلِ غَيْرِهِ بِهِ، فَكَأَنَّهُ أُنْسِيَ فَنَسِيَ، قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿ وَمَا أُنْسَانِيَهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ ﴾ [الكهف: من الآية: ٦٣])<sup>(١)</sup>، وحسن ابن عطية هذه القراءة أيضاً<sup>(٢)</sup>؛ لأنَّ الموضوع موضع تناسٍ لا نسيان، وتبعه في ذلك السمين الحلبي وأبو حيان والثعالبي<sup>(٣)</sup>.

الوجه الثاني: ((أَنَّ الْمَأْمُورَ هُنَا جَمَاعَةٌ، وَ(تَفَاعَلَ) لَاتَّقَ بِالْجَمَاعَةِ؛ كَتَقَاطَعُوا وَتَوَاصَلُوا وَتَقَارَبُوا وَتَبَاعَدُوا. فَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَلَا تَنْسَ نَفْسِيكَ مِنَ الدُّنْيَا ﴾ [القصص: من الآية: ٧٧] فَلَاقَ بِهِ فِعْلَ (نَسِيَ)؛ لِأَنَّ الْمَأْمُورَ هُنَا وَاحِدٌ، وَلِأَنَّ الْعُرْفَ وَالْعَادَةَ أَنَّ الْإِنْسَانَ لَا يَكَادُ يُحِضُّ عَلَى مَا هُوَ حَلَالٌ لَهُ؛ بَلِ الْغَالِبُ الْمَعْتَادُ أَنْ يُكْفَى عَمَّا لَيْسَ لَهُ تَتَوَلَّاهُ، وَعَلَيْهِ وَضَعُ التَّكْلِيفِ لِمَا يُسْتَحَقُّ مِنَ الطَّاعَةِ فِيهِ مِنَ الثَّوَابِ. قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ ﴾ [طه: من الآية: ١٣١])<sup>(٤)</sup>.

### صيغة أفعل

القول في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَطْعُ مَنْ أَعْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرْطًا ﴾ [الكهف: من الآية: ٢٨].

ذكر ابن جني في دلالة صيغة (أفعل) في قوله ﴿ أَعْفَلْنَا ﴾ قولين:

الأول: أَنْ يَكُونَ قَوْلُهُ ﴿ أَعْفَلْنَا ﴾ مِنْ بَابِ أَفْعَلْتَ الشَّيْءَ، أَيِ صَادَفْتَهُ وَوَافَقْتَهُ كَذَلِكَ، فَعَلَى ذَلِكَ (أَفْعَلَ) يَدُلُّ عَلَى الْمَصَادِفَةِ وَالْوُجْدَانِ، فَيَكُونُ ((مَعْنَى ﴿ أَعْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا ﴾، أَيِ: صَادَفْنَاهُ غَافِلًا عَلَى مَا مَضَى، وَإِذَا صُوِّدَ غَافِلًا فَقَدْ غَفَلَ لَا مَحَالَةَ، فَكَأَنَّهُ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - وَلَا تَطْعُ مَنْ غَفَلَ قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرْطًا، أَيِ: لَا تَطْعُ مَنْ فَعَلَ كَذَا وَفَعَلَ كَذَا، وَإِذَا صَحَّ هَذَا الْمَوْضِعُ ثَبَتَ بِهِ لَنَا أَسْلُ شَرِيفٍ يَعْرِفُهُ مَنْ يَعْرِفُهُ، وَلَوْلَا مَا تَعَطَّيْتِ الْعَرَبِيَّةُ صَاحِبَهَا مِنْ قُوَّةِ النَّفْسِ وَدُرْبَةِ الْفِكْرِ، لَكَانَ هَذَا الْمَوْضِعُ وَنَحْوَهُ مَجُوزًا عَلَيْهِ

(١) - المحتسب: ١ / ١٢٨.

(٢) - ينظر: المحرر الوجيز: ١ / ٣٢٢ .

(٣) - ينظر: الدر المصون: ٢ / ٤٩٨، والبحر المحيط: ٢ / ٢٤٧، والجواهر الحسان: ١ / ٤٤٧.

(٤) - المحتسب: ١ / ١٢٨.

غير مأبوه له<sup>(١)</sup>، وهذا المعنى مستحسن عند ابن جني، ويرى فريد عبد العزيز أنّ ابن جني اجتهد في حمل دلالة (أفعل) على الوجدان والمصادفة؛ لكونه معتزلياً، ففسر الآية بما يوافق مذهبه<sup>(٢)</sup>.

القول الثاني: أن يكون قوله ﴿أَغْفَلْنَا﴾ على معنى: منعنا وصددنا، فر(أفعل) على هذا المعنى يدل على التعديّة، ولم يرتضِ ابن جني هذا القول، ونسبه للخصم، إذ قال: ((أو يكون ما قاله الخصم: أنّ معنى ﴿أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ﴾: منعنا وصددنا، نعوذ بالله من ذلك؛ فلو كان الأمر على ما ذهبوا إليه منه، لوجب أن يكون العطف عليه بالفاء دون الواو، وأن يقال: ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا فاتبع هواه، وذلك أنه كان يكون على هذا، الأوّل علةً للثاني، والثاني مسبباً عن الأوّل ومطاوراً له كقولك: أعطيتُهُ فأخذَ وسألته فبدلَ، لما كان الأخذ مسبباً عن العطيّة والبذل مسبباً عن السؤال، وهذا من مواضع الفاء لا الواو ألا ترى أنّك إنما تقول: جذبته فأنجذب ولا تقول: وانجذب، إذا جعلت الثاني مسبباً عن الأوّل. وتقول: كسرتُه فأنكسر واستخبرته فأخبر كله بالفاء. فمجيء قوله تعالى: ﴿وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾ بالواو دليل على أنّ الثاني ليس مسبباً عن الأوّل على ما يعتقده المخالف<sup>(٣)</sup>.

وأضاف الطوسي معني ثالثاً، وهو أن يكون معنى (أفعل) التسمية، أي: سميناه غافلاً، ونسبناه إلى الغفلة<sup>(٤)</sup>، وجمع هذه الوجوه فريد عبد العزيز في كتابه الخلاف التصريفي، فر(أفعل) في قوله ﴿أَغْفَلْنَا﴾ يدل على التسمية، والتعديّة، والمصادفة أو الوجدان<sup>(٥)</sup>، ويرى الطباطبائي أنه لا حاجة إلى التأويل المراد من قوله تعالى ﴿أَغْفَلْنَا﴾ على: عرضناه للغفلة، أو صادفناه غافلاً، أو نسبناه إلى الغفلة، وإنما المراد من قوله: ﴿أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ﴾ عنده ((تسليط الغفلة عليه وإنسانيه ذكر الله سبحانه على سبيل المجازة حيث إنهم عاندوا الحق فأضلّهم الله بإغفالهم عن ذكره... فلا مسأغ لقول من قال: إنّ الآية من أدلة جبره تعالى على الكفر والمعصية؛ وذلك لأن الإلجاء مجازة لا ينافي الاختيار، والذي ينافيه هو

(١) - الخصائص: ٣ / ٢٥٥، والمحتسب: ١ / ١٤٠.

(٢) - ينظر: الخلاف التصريفي: ٩٦.

(٣) - الخصائص: ٣ / ٢٥٤، وينظر المحتسب: ١ / ١٤٠.

(٤) - ينظر: التبيان في تفسير القرآن: ٧ / ٣٥.

(٥) - ينظر: الخلاف التصريفي وأثر الدلالي في القرآن الكريم: ٩١ - ٩٩.

الإلجاء ابتداءً و مورد الآية من القبيل الأوّل))<sup>(١)</sup>، وهذا المعنى هو الأوفق، و (أَفْعَل) فيه للتعدية، أي أغفلنا قلبه مجازة لفعله، وليس ابتداءً، وكذلك حمل فريد عبد العزيز الآية على هذا المعنى ورجّح التعدية على هذا المعنى<sup>(٢)</sup>، وأرى أنّ الخلاف الصرفي في دلالة ﴿أَغْفَلْنَا﴾ لم ينشأ من صيغتها الصرفية، بل نشأ في الأصل من إسناد الفعل إلى الضمير (نا) الذي يرجع إلى الله عزّ وجلّ، وهذا عند بعض المفسرين لا يجوز على الله؛ لأنّه عدلٌ، فلمّا لم يستطع المفسرون واللغويون تأويل إسناد الفعل إلى غير الله، أولوا دلالة صيغة الفعل كما ترى، ويمكن حمل الآية في المعنى، على معنى قوله تعالى: ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ [التوبة: من الآية: ٦٧]، فهم تركوا ذكر الله تعالى فجعلهم الله سبحانه وتعالى متروكين كالذي لا يهتم لأمرهم، وكذلك قوله تعالى: ﴿أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ﴾ فالذات الإلهية عليمّة بكلّ شيء، فعزى تركهم وإغفالهم عن الله بقوله: ﴿أَغْفَلْنَا﴾.

#### ٤ - اسم التفضيل

أولاً: القول في قوله تعالى: ﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾ [الفرقان: ٢٤] .

قال ابن جنّي: ((ونحن نعلم أنّ أصحاب النار ليسوا في خير استقرارٍ ولا حُسْنِ مَقِيلٍ، ولكن إن اعتقد معتقّد ذلك وسلّم له تسلّم نظراً لا تسلّم يقين متصوّر، فأصحاب الجنة على كلّ حالٍ خيرٌ منهم مستقرًّا وأحسن))<sup>(٣)</sup>، ويرى ابن جنّي أنّ الأصل في باب (أَفْعَل) أنّ يكون التفضيل في الصفة بين موصوفين اشتركا في الصفة نفسها، ولا يقال: العسل أحلى من الصبر؛ لأنّهما لم يشتركا في صفة الحلاوة؛ لذا حمل ابن جنّي الكلام في الآية على معناه دون لفظه<sup>(٤)</sup>، أو على التظاهر بأن أصحاب النار إن كان لهم خير،

(١) - الميزان في تفسير القرآن: ١٣ / ٣٠٠.

(٢) - ينظر: الخلاف التصريفي: ٩٨.

(٣) - التنبيه: ٢٠٥.

(٤) - التنبيه: ٢٠٥.

فأصحاب الجنّة خيرٌ منهم، وتعددت أقوال المفسرين واللغويين<sup>(١)</sup> في تخريج الآية، وتوجيه المعنى على وجوه منها:

الوجه الأول: أن تكون صيغة (أفعل) على بابها للتفضيل، أي أن أصحاب الجنّة خيرٌ وأحسنٌ من أصحاب النار مستقرًا ومقيلاً، أو يكون التفضيل واقعًا بين المستقرين والمقبولين باعتبار الزمان، أي خيرٌ منهم في الآخرة منهم في الدنيا.

الوجه الثاني: أن لا تكون على بابها، لأن ذلك يلزم منه أن يكون لأصحاب النار خيرٌ وحسن، بل تكون لمجرد الوصف من غير مفاضلة.

الوجه الثالث: ((أن يكون الكلام إثباتًا للأول ونفيًا للثاني. كقوله تعالى ﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا﴾، فهذا فيه نفي الخير عن النار وأصحابها))<sup>(٢)</sup>.

الوجه الرابع: أن يكون الكلام على التظاهر والاعتقاد بأن أهل النار يعتقدون أن لهم خيرًا، فيكون التفضيل واقعًا على سبيل الاعتقاد لا على سبيل الوجود، وهذا ما عبر عنه ابن جني في كلامه السابق.

والذي دفع ابن جني، وأغلب المفسرين واللغويين إلى تقدير هذه الوجوه وغيرها في الآية هو أنهم قدرُوا مفضلًا عليه في الآية لا وجود له إلا في أذهانهم، أو على حسب ما تقتضيه الصناعة النحوية، وهو (أصحاب النار)، وأدى تقديرهم هذا إلى إشكال في المعنى مما دفعهم إلى التأويل والتقدير، ولو لم يقولوا بتقدير المفضل عليه وحملوا الآية على الظاهر وهو أنهم في خير مستقرٍ وأحسن مقيلاً، لكان المعنى أوفق مما قدره ابن جني بالحمل على المعنى دون اللفظ، أو التظاهر والاعتقاد بأن أصحاب النار يظنون أن لهم خيرًا. وخير دليل على هذا القول قول المرزوقي (ت ٤٢١هـ) إذ قال: ((والطريقة في الآية أن المراد أصحاب الجنّة أزيد استقرارًا في الخيرية من أن يوازنوا وأنفع مبادلة من أن يكابلوها، وهذا على التفضيم لأمرهم، والتعظيم لشأنهم، فأما تفضيل أحد الشيين على الآخر، وادعاء الزيادة له في معنى لا يحصل في الآخر منه شيء البتّة، فبعيد في العرف والعقل

(١)- ينظر: جامع البيان: ٤٣٣/١٧، والتبيان في تفسير القرآن: ٤٨٤/٧، والمحرم الوجيز: ٢٠٧/٤،

الدر المصون: ٨ / ٤٧٥، إعراب القرآن للنحاس: ٦٦٤، البحر المحيط: ٦ / ٤٥٢ و ٢ / ١٧٤.

(٢)- الهداية لبلوغ النهاية: ٨ / ٥٢٠٢.

جميعاً؛ لارتفاع اللبس منه، وظهور الحال فيه، وسقوط الفائدة في الإخبار به، ألا ترى أنّ قائلاً لو قال : العسل أحلى من الصبر، أو الخلُّ أحض من السكر لاستخفَّ خبره، إذ لم يكن في الصبر حلاوة بوجه من الوجوه، فيقال بفضلها حلاوة العسل، ولا في السكر حموضة فيدعي أنّ حموضة الخل أزيد منها<sup>(١)</sup>، وانعدم ذكر المفضل عليه في الآية أو طيِّ ذكره فيه زيادة في الخير والحسن وتأكيداً لهذا المعنى.

#### ٥- صيغة المبالغة

القول في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [آل عمران: ٢] : على قراءة الأعمش (الحيُّ القيَّام) وعلى قراءة علقمة (الحيُّ القيِّم).

قال ابن جني: ((أما (القيَّام) ف(فِيْعَال) من قام يقوم؛ لأنَّ الله تعالى هو القيِّم على كلِّ نفسٍ، ومثله من الصفة على (فِيْعَال) الغيداق والبيطار، وأصله: القيَّوام، فلما التقت الواو والياء وسبقت الأولى بالسكون قلبت الواو ياء وأدغمت فيها الياء فصارت (القيَّام) ومثله قولهم: ما بالدار ديَّار<sup>(٢)</sup>، فابن جني حمل القراءة على المبالغة، ويرى الفراء والطوسي أنّ (القيَّام) لغة في (القيُّوم)، وهي لغة أهل الحجاز<sup>(٣)</sup>. أمّا قراءة علقمة فهي عند ابن جني من لفظ (القيَّام) ومعناه، و(القيِّم) على وزن فَيْعَل من قام يقوم بأمره<sup>(٤)</sup>. والقيُّوم والقيَّام كأنهما شيءٌ واحد، والفرق بينهما في المد فهذا بالألف وذاك بالواو، فكأنَّ المبالغة فيهما واحدة والمائز بينهما اللهجة لا غير، فقومٌ مالوا إلى الواو، وقومٌ مالوا إلى الألف، ولعلَّ (القيُّوم والقيَّام) - والله أعلم - أكثر مبالغة من (القيِّم) على قاعدة ما زاد مبناه زاد معناه.

(١) - أمالي المرزوقي: ٩٩.

(٢) - المحتسب: ١ / ١٥١.

(٣) - ينظر: معاني القرآن للفراء: ١/١٩٠، والتبيان في تفسير القرآن: ٢ / ٣٨٨.

(٤) - ينظر: المحتسب: ١/١٥٢.

## الفصل الثالث

# التفسير اللغوي في المباحث الدلالية

توطئة: علاقة علم الدلالة بتفسير القرآن الكريم

المبحث الأول: الدلالة المعجمية وأثرها في التفسير اللغوي

المبحث الثاني: الدلالة السياقية وأثرها في التفسير اللغوي

المبحث الثالث: تفسير غريب القرآن

المبحث الرابع: بعض الظواهر الدلالية وأثرها في التفسير اللغوي

## الفصل الثالث

### التفسير اللغوي في المباحث الدلالية

توطئة

#### علاقة علم الدلالة بتفسير القرآن الكريم

عُرِفَت الدَّالَّةُ بِأَنَّهَا ((كون الشيء بحالة يلزم من العلم به العلم بشيء آخر، والشيء الأوَّل هو الدَّال، والثاني هو المدلول))<sup>(١)</sup>، ويهتم علم الدَّالَّةُ بدراسة المعنى والكشف عنه بوسائل متعددة منها الصرف والنحو والمعجم، وأساليب العرب وغيرها من العلوم اللغوية التي تُعِين على فهم المعنى، بل إنَّ الدَّالَّةُ قد توظف أمورًا أخرى تساعد في كشف المعنى، ومنها قرينة السياق وقرينة الحال، والمعلومات القبلية في فهم المعنى وإيضاحه.

إنَّ العلاقة بين التفسير وعلم الدلالة علاقة ترابطية، فكلُّ من علم الدلالة والتفسير يبحثان عن المعنى، ثمَّ إيصاله للمتلقى بأفضل صورة وأحسن حال دفعًا للتوهم واللبس الذي قد يعتري بعض النصوص، بسبب غموض بعضها على المتلقي. ويظهر أثر الدلالة في تفسير القرآن في كثير من البحوث التي وقف أصحابها عند هذا الموضوع، ومن تلك البحوث (دلالة السياق) للباحث ردة الله الطَّلحي، إذ وقف في رسالته للدكتوراه عند أثر دلالة السياق وأنواعه في تفسير القرآن، وكذلك أيضًا وقفت الباحثة ابتهاج كاصد الزيدي في رسالتها الموسومة (البحث الدلالي في التبيان في تفسير القرآن) عند أنواع الدلالة وأثرها في التفسير، إذ وقفت عند الدلالة الصَّوتية وأثرها في التفسير، وكذلك الدلالة الصَّرْفية، والنَّحوية، والسياقية، واللُّغوية، وكذلك وقفت عند العلاقات الدلالة من اشتراك وتضاد وترادف وغيرها من الظواهر الدلالة، ويظهر من هذه البحوث وغيرها أنَّ للدلالة بأنواعها أثرًا كبيرًا في التفسير.

وسأقف في هذا الفصل عند الدلالة اللغوية والسياقية وأثرهما في التفسير، ثم عند تفسير غريب القرآن عند ابن جني، أخيرًا عند بعض الظواهر الدلالة وأثرها في التفسير.

(١) معجم التعريفات: ٩٠.

## المبحث الأول

### الدلالة المعجمية وأثرها في التفسير اللغوي

الدَّالَّةُ الْمُعْجَمِيَّةُ: هي دِلالة اللفظ على المعنى بنفسه، أو هي المعنى الذي يحمله اللفظ حينما يرد مفردًا، وتُسَمَّى الدلالة الأصلية، أو الدلالة اللغوية، أو الحقيقة اللغوية عند البلاغيين<sup>(١)</sup>، والوقوف على المعنى المعجمي له أثرٌ في فهم معنى النصِّ القرآني وتعدُّ ((الدلالة اللغوية من أهمِّ الأسس التي اعتمدها المفسرون لفهم معاني القرآن واستنباط أحكامه؛ لذا وجدناهم يُقيمون تأويلاتهم وفقًا للمعاني التي تحملها الكلمة، اسمًا كانت أو فعلًا أو حرفًا))<sup>(٢)</sup>، فالكلمة المفردة في ذهن المعجمي لها أدرعٌ من العلاقات بغيرها من الكلمات ترتبط معها، فتكوِّن المعنى<sup>(٣)</sup>، إذ ((ليس في الذهن كلمة واحدة منعزلة، فالذهن يميل دائمًا إلى جمع الكلمات، إلى اكتشاف عرى جديدة تجمع بينها، والكلمات تتشَبَّث دائمًا بعائلة لغوية بواسطة دال المعنى، أو دوال النسبة التي تُميِّزها))<sup>(٤)</sup>، وقد وقف ابن جنِّي على كثيرٍ من ألفاظ القرآن، وبيَّن معناها مُعجميًا في كلامه على تفسير شعر أبي نُوَاس والمنتبي، وأشعار هذيل، وأشعار الحماسة، إذ كان يستشهد على تفسيره للشعر بأي من القرآن، ثم يُفسِّر هذا الشاهد القرآني تفسيرًا لغويًا، ويبيِّن معناه دون ربط هذا المعنى المعجمي بسياق الآية مرةً، أو يربطه بسياق الآية مرةً أخرى. وإنَّ الكشف عن المعنى المعجمي لألفاظ القرآن الكريم يساعد على إيضاح المراد من الآية والكشف عن معناها سواء أُرِبط المعنى المعجمي بسياق الآية أم لم يُرِط؛ لأنَّ اللفظ نفسه قد يكون معناه مُشكلاً ومِمَّا يكتنفه الغموض والغرابة، فيحتاج فهم الآية إلى فهم معنى اللفظ في اللغة.

(١) - ينظر: التلخيص في علوم البلاغة: ٢٩٣، وعلم الدلالة لمنقور: ٦٤.

(٢) - أثر الدلالة اللغوية في التأويل عند المفسرين: ٢٤٩، المجلة الأردنية للدراسات الإسلامية، المجلد: ٥، العدد: ٣، ٢٠٠٩.

(٣) - ينظر: القرينة المعجمية وأثرها في توجيه المعنى: ٢٨٨، مجلة العميد، المجلد: ٣، الجزء: ٥، ٢٠١٣.

(٤) - اللغة لفندريس: ٢٣٢.

الدلالة المعجمية في الألفاظ القرآنية

فسّر ابن جنّي بعض ألفاظ القرآن تفسيراً لغوياً، بما يملك من قريحة لغوية ، تؤهله لئّن يكون في صفّ أصحاب المعجمات، في كثير من كتبه وخصوصاً الشُّروح الشُّعريّة، ولو قُدِّر له أن يلج في التّأليف المعجمي، لمّا قلّ إبداعاً عن أصحاب المعجمات .

أولاً: إِرَم

القول في قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴿٦٧﴾ [الفجر:

٦، ٧].

قال ابن جنّي: ((قرأ ابن عبّاس، ورؤي ذلك أيضاً عن الضّحّاك: (بعادٍ، أَرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ)، ورؤي أيضاً عن الضّحّاك: (بعادٍ، أَرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ)، الألف مفتوحة، والرّاء ساكنة، ورؤي عن ابن الزُّبير: (بعادٍ، أَرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ)، ورؤي عن ابن الزبير أيضاً: (بعادٍ، إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ)، بكسر الميم))<sup>(١)</sup>.

فصلّ ابن جنّي القول في معنى لفظة (إِرَم) في كلّ قراءة :

فقال في قراءة العامة ﴿ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴾ (إِرَم) مدينة يقال لها ذات العماد، و(الأَرَم): العَلَم، وجمعه أَرَام، قال لبيد:

زُجَلًا كَأَنَّ نِعَاجَ تَوْضِحَ فَوْقَهَا وَظِبَاءَ وَجَرَّةٍ عَطْفًا أَرَامُهَا<sup>(٢)</sup>

أي أعلامها<sup>(٣)</sup>. والذي عليه اللغويون أنّ (إِرَم) بكسر الهمزة: عَلَم يُنْصَبُ مِنْ حِجَارَةٍ أَوْ نَحْوِهَا، و(الإِرَم) مفردٌ جمعه أَرَام وَأَرُوم<sup>(٤)</sup>، ويبدو أنّ ابن جنّي انفرد في بكون (الأَرَم) بفتح الهمزة بمعنى العلم، وهذا خلاف ما عليه اللغويون.

(١) - المحتسب: ٢ / ٣٥٩.

(٢) - ديوان لبيد: ١٠٨.

(٣) - ينظر: المحتسب: ٢ / ٣٦٠.

(٤) - ينظر: جمهرة اللغة: ٣ / ١٠٦٨، (أرم)، ومعجم مقاييس اللغة: ١ / ٨٥، (أرم)، ولسان العرب:

١٢ / ١٣ (أرم)، والقاموس المحيط: ١٠٧٥، (أرم).

أما في قراءة ابن عباس (بِعَادِ أَرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ) بتشديد الميم، (( فجعها رَمِيمًا، رَمَتْ هي واسترمت، وأرمها غيرها، ورَمَّ العظم يرمُ رمًا ورَمِيمًا، إذا بلي ونخر قال:

وَالنَّبِيُّ إِنْ تَعَرَّ مِنْي رِمَةً خَلْفًا بَعْدَ الْمَمَاتِ فَإِنِّي كُنْتُ أَثْرُ))<sup>(١)</sup>.

فابن جني خرَج القراءة على أنها من الفعل (رَمَّ)، والهمزة فيه للتعدية، فقال: أرمها غيرها، وقال ابن فارس ((رَمَّ: الرَاء والميم أربعة أصول، أصلان مُتضَادَّان: أحدهما: لَمْ الشَّيْء وإصلاحه، والآخر بلاؤه، وأصلان مُتضَادَّان: أحدهما: السكوت، والآخر خِلافه))<sup>(٢)</sup>، وحمل ابن جني قراءة ابن عباس على أحد الأصلين الأولين، هو بلاء الشَّيْء، وأشار إلى المعنى الثاني بقوله (استرمت) أي طلبت الترميم، فجاء في لسان العرب: ((واسترَمَّ الحائطُ، أي حان له أن يرمَّ إذا بعدَ عَهْدُهُ بالتطيين ... واسترَمَّ دعا إلى إصلاحه))<sup>(٣)</sup>، وسياق الآية يطلب المعنى الأول؛ لذا أكد عليه ابن جني فقال: ورَمَّ العظم يرمُ رمًا ورَمِيمًا إذا بلي ونخر.

ثانيًا: البوار

القول في قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبُورِ ﴾ [إبراهيم: ٢٨] وقوله: ﴿ وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا ﴾ [الفتح: من الآية: ١٢].

ذكر ابن جني في كلامه على شرح بيت المتنبي:

أَلَا أَيُّهَا الْمَالُ الَّذِي قَدْ أَبَارَهُ تَعَزَّ فِهَذَا فِعْلُهُ فِي الْكُتَابِ<sup>(٤)</sup>

((أَبَارَهُ: أهلكه، ورجلٌ بائِرٌ، أي: هالكٌ، وجمعه بُورٌ، قال الله تعالى: ﴿ وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا ﴾ أي: هالكين؛ وقال: ﴿ وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبُورِ ﴾ أي الهالك))<sup>(٥)</sup>، وأجمع اللغويون على

(١)- ينظر: المحتسب: ٢ / ٣٦٠، وينظر البيت في ديوان لبيد: ٣٨.

(٢)- معجم مقاييس اللغة: ٢ / ٣٧٨، (رمم).

(٣)- لسان العرب: ١٢ / ٢٥١، (رمم).

(٤)- ديوان المتنبي: ٢١٢، وينظر الفسر: ٥٢٧.

(٥)- الفسر: ١ / ٥٢٦ - ٥٢٧.

أَنَّ (البُور) هو: الهَلَاك<sup>(١)</sup>، ويرى ابن جنى أَنَّ (بُور) جمع بائر، وقال اللغويون فيه وجهان: أحدهما: أَنَّ (بُور) يستوي فيه الواحد والمثنى والجمع والإناث والذكور، فيقال: هو بُورٌ وهي بُورٌ، وهما بُورٌ وهم بُورٌ، وهنَّ بُورٌ، وعدَّ الخليل والأخفش أَنَّ ذلك لغة في (بُور)<sup>(٢)</sup>، فهو على هذا الوجه ليس جمعاً لبائر.

والآخر: أَنَّ (بُور) جَمْعُ لِبَائِرٍ، ولا يستوي فيه الجميع، فيقال هو بائرٌ، وهما بائران، وهم بُورٌ، وعدَّ الخليل أَنَّ ذلك هو اللغة الفضلى، إذ قال: (( وأما في اللغة الفضلى فهو بائرٌ، وهما بائران، وهم بُورٌ، أي: ضالون هلكى، ومنه قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿ وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا ﴾ وسوقُ بائرة، أي: كاسدة))<sup>(٣)</sup>، وهذا الوجه هو الذي عليه ابن جنى، أمَّا الوجه الأول فلم يرد له ذكرٌ عند ابن جنى.

### ثالثاً: الترائب

القول في قوله تعالى: ﴿ خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴾ [الطارق: ٦، ٧].

قال ابن جنى في كلامه على شرح بيت المتنبي:

حَاوَلْنَ تَفْدِيَتِي وَخِفْنَ مَرَاقِبًا فَوَضَعْنَ أَيْدِيَهُنَّ فَوْقَ تَرَائِبِا<sup>(٤)</sup>

((والترائب جمع تربية، وهي مجال القلادة على الصدر، قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴾، ويقال الترائب: ما يلي الترفوتين من الصدر، ويقال: التربيئة: ما بين الثديين إلى الترفوة، وأنشد أبو النجم:

أَلَا لَا تَعْرَنَ أَمْرًا نَوْفَلِيَّةً عَلَى الرَّأْسِ بَعْدِي أَوْ التَّرَائِبُ وَضَحَّ<sup>(٥)</sup>.

(١) - ينظر: العين: ٢٨٥/٨، (بور)، وجمهرة اللغة: ٣٣٠/١، (بور)، ومعجم مقاييس اللغة: ٣١٦/١، (بور).

(٢) - ينظر: العين: ٢٨٥/٨، (بور)، ومعاني القرآن للأخفش: ٤٥٨/٢، وجمهرة اللغة: ٣٣٠/١، (بور).

(٣) - ينظر: العين: ٨ / ٢٨٥، (بور)، والصحاح: ٥٩٧ / ٢، (بور).

(٤) - ديوان المتنبي: ٩٩، وينظر: الفسر: ٤١١ / ١.

(٥) - الفسر: ٤١١/١، وينظر البيت في ديوان جران العود: ٣٧.

أجمع اللغويون قبل ابن جني وبعض معاصريه على تعدد معنى (الترائب)، وذكروا المعاني التي ذكرها ابن جني مع الخلاف فهي عندهم على معان:

- ١- التريبة: واحدة الترائب، وهي عظام الصدر، ما بين الترقوة إلى التندوة، أو (التندوة).
- ٢- التريبة: هي ما فوق التندوتين إلى الترفوتين، وقيل: كل عظم منه تريبة، والجمع الترائب.
- ٣- التريبة: مجال القلادة في الصدر، والجمع الترائب (١).

وزاد المفسرون في معاني الترائب أقوالاً متعددة، فضلاً عن أقوال اللغويين فهي عندهم ما بين ثديي المرأة، أو ما بين المنكبين والصدر، أو اليدان والرجلان أو العينان، أو أربعة أضلاع من الجانب الأسفل، أو هي عصاراة القلب (٢)، ورجح الطبري والثعالبي قول اللغويين الذي يذهب إلى أنها موضع القلادة من المرأة، أي عظام الصدر (٣). واختلفت أقوال المفسرين في كون الصلب والترائب من الرجل فقط أم يكون الصلب من الرجل والترائب من المرأة (٤)، وأشار إلى هذا الخلاف الآلوسي إذ قال: ((وزعم بعضهم جواز كون الصلب والترائب للرجل، أي: يخرج من بين صلب كل رجل وترائب، فالمراد بالماء الدافق ماء الرجل فقط، وجعل الكلام إمّا على التغليب أو على أنه لا ماء للمرأة أصلاً، فضلاً عن الماء الدافق، كما قيل به ولا يخفى ما فيه، والقول بأن المرأة لا ماء لها تكذبه الشريعة)) (٥)، ورجح بعض المحدثين أن خروج الماء يكون من صلب الرجل وترائب؛ وترائب؛ لأن الماء الدافق هو ماء الرجل لا ماء المرأة؛ لأنه قال في الآية ﴿مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾، ولم يقل: من الصلب والترائب (٦).

(١)- ينظر: العين: ١١٧/٨، (ترب)، وجمهرة اللغة: ١/ ٢٥٣، (ترب)، والصحاح: ١/ ٩١، (ترب).  
 (٢)- ينظر: جامع البيان: ٢٤/ ٢٩٣ - ٢٩٦، والكشف والبيان: ١٠/ ١٧٩، والنكت والعيون: ٦/ ٢٤٧.  
 (٣)- ينظر: جامع البيان: ٢٤ / ٢٩٦، والكشف والبيان: ١٠ / ١٧٩.  
 (٤)- ينظر: المحرر الوجيز: ٥/ ٤٦٥، والتفسير الكبير: ٣١ / ١٣٠، وروح المعاني: ٣٠/ ٩٧.  
 (٥)- روح المعاني: ٣٠ / ٩٨.  
 (٦)- ينظر: محاسن التأويل: ١٧/ ١٦٢٥، والإعجاز الطبي في القرآن: ٢٢١، وخلق الإنسان بين الطب والطب والقرآن: ١١٩.

و لم يُشِرْ ابن جنبي إلى أيّ من القولين؛ لأنّه تحدث عن اللفظ من جهة اللُّغة ولم يوافق بين معنى اللفظة في اللغة وسياقها القرآني الذي وردت فيه، لذا لا نجد له كلامًا في الترائب، كونها من الرجل أو من المرأة .

ونقل الألووسي عن قتادة في الترائب وجهًا ثالثًا، وهو ((أنّ المعنى: يَخْرُجُ من بين صلب كلِّ واحدٍ من الرِّجْلِ والمرأة، وترائب كل منهما))<sup>(١)</sup>. وخلاصة القول أنّ (الترائب) قد تكون عظام الصدر من الرجل وحده، أو من المرأة وحدها، أو من كليهما.

#### رابعًا: جُدَادًا

القول في قوله تعالى: ﴿ فَجَعَلَهُمْ جُدَادًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴾ [الأنبياء: ٥٨].

قال ابن جنبي في كلامه على شرح بيت المتنبي:

شِمٌّ مَا انْتَضَيْتِ فَقَدْ تَرَكَتِ ذُبَابَهُ قِطْعًا وَقَدْ تَرَكَ الْعِبَادَ جُدَادًا<sup>(٢)</sup>

((الجُدَادُ : القِطْعُ المُتَكْسِرَةُ، قال الله تعالى: ﴿ فَجَعَلَهُمْ جُدَادًا ﴾، ويقال: واحده جُدَادَةٌ، فأما الجِدَادُ بكسر الجيم، فجمع (الجَدِيدِ) وهو المجذوذ، أي المقطوع. أخبرنا أبو بكر محمد بن الحسن عن أحمد بن يحيى في قوله تعالى: ﴿ فَجَعَلَهُمْ جُدَادًا ﴾، قال الجُدَادُ: الاسم، والجِدَادُ: المصدر))<sup>(٣)</sup>، ونقل ابن جنبي في المحتسب عن أبي حاتم وقطرب أنّ بقوله تعالى: ﴿ جُدَادًا ﴾ فيه ثلاث لغات: جِدَادًا وَجُدَادًا وَجُدَادًا، وأجودها الضم، كالحُطَام والرُّفَات، جَدُّ الشَّيْءِ يَجُدُّهُ جَدًّا وَجُدَادًا وَجُدَادًا<sup>(٤)</sup>.

والجُدُّ في اللغة: القِطْعُ المُسْتَأْصَلُ الوَحِيّ - أي السَّرِيع - و(الجُدَادُ): قِطْعُ مَا كُسِرَ.

و(الجُدَادُ) جمعٌ واحده جُدَادَةٌ كَرُجَاجٍ وَرُجَاجَةٌ، وعلى هذا يكون (الجُدَادُ) اسم لتلك القِطْعِ المتكسرة<sup>(٥)</sup>، وعند أكثر اللغويين أنّ (الجُدَادُ) جمعٌ مفردة جُدَادَةٌ، وقيل جمعٌ (جَدِيدِ)، وهو

(١) - روح المعاني: ٣٠ / ٩٧.

(٢) - ديوان المتنبي: ٦٣، ينظر: الفسر: ٢ / ١١.

(٣) - الفسر: ٢ / ١١.

(٤) - ينظر: المحتسب: ٢ / ٦٤.

(٥) - ينظر: العين: ٦ / ١١، ولسان العرب: ٣ / ٤٧٩، (جذذ).

من الجَمْع العزيز<sup>(١)</sup>، خلا الفراء وقطرب وابن خالويه، فر(الجُدَّان) عند الأوَّل واحدٌ مثل الحُطَّام، وهو مصدر، وعند الثاني فيما نُقِلَ عنه مصدر لا يجمع ولا يُثَنَّى، في لغاته الثلاث<sup>(٢)</sup>، وعند الثالث: بمعنى الحُطَّام والرُّفَات لا يجمع ولا يثنى<sup>(٣)</sup>، وقال ابن الهائم (ت ٨١٥هـ) (الجُدَّان): جَمْع لا واحد له، وقال أيضًا هو جَمْع (جَدِيد)<sup>(٤)</sup>، وهذا غير مقبول من ابن الهائم، وهو عند ابن جني اسم للقِطْع المُتَكسِّرة، جائزُ جمعه، وكذلك عند ثعلب في ما نُقِلَ عنه عن طريق ابن دريد.

أمَّا (الجُدَّان): فهو: جمع (جَدِيد)، ككَرِيم وكِرَام<sup>(٥)</sup>، والجَدِيدُ فَعِيلٌ بمعنى مَفْعُول، أي: جَدِيدٌ بمعنى مَجْدُودٌ، وقال أبو زَرَعَةَ المُتَوَفَّى حوالي سنة (٤٠٣هـ)<sup>(٦)</sup>: ((جَدِيدٌ معدولٌ معدولٌ عن (مَجْدُودٌ) مثل قَتِيلٍ و مَقْتُولٍ، ثم جُمِعَ الجَدِيدُ جِدَادًا كما جُمِعَ الخَفِيفُ خِفَافًا))<sup>(٧)</sup>، ونقل ابن منظور: أَنَّ (الجُدَّان) القِطْع، وهذا محمولٌ على أَنَّ (الجُدَّان) لغة في (الجُدَّان)، فقد قيل أَنَّ: ((الجُدَّان والجُدَّان: مَا كُسِرَ مِنْهُ، وَضَمُّهُ أَفْصَحُ مِنْ كَسْرِه))<sup>(٨)</sup>، والجَدِيدُ عند ابن جني فَعِيلٌ بمعنى مَفْعُول.

أمَّا (الجُدَّان) فهو: فصل الشَّيء عن الشَّيء<sup>(٩)</sup>، وقال المفسرون: (الجُدَّان) بالفتح مصدرٌ كالحصاد بمعنى المحصود، وهو مصدرٌ بمعنى المفعول أي جعلهم مجذوذين<sup>(١٠)</sup>.

ونخلص من كلام ابن جني على قوله تعالى: ﴿جُدَادًا﴾ إلى قولين:

- (١)- ينظر: لسان العرب: ٣ / ٤٧٩، (جذذ)، وتاج العروس: ٩ / ٣٨٢، (جذذ).
- (٢)- ينظر: معاني القرآن للفراء: ٢ / ٢٠٦، وحجة القراءات: ٤٦٨، والبحر المحيط: ٦ / ٣٠١.
- (٣)- ينظر: الحجة في القراءات السبعة: ٢٥٠.
- (٤)- ينظر: التبيان في تفسير غريب القرآن: ٢٣٢.
- (٥)- ينظر: تهذيب اللغة: ١٠ / ٤٦٩، (جذذ).
- (٦)- ينظر: الأعلام: ٣ / ٣٢٥.
- (٧)- حجة القراءات: ٤٦٨، وينظر: الحجة في القراءات السبعة: ٢٥٠، والتبيان في تفسير القرآن: ٧ / ٢٥٧.
- (٨)- لسان العرب: ٣ / ٤٧٩، (جذذ).
- (٩)- ينظر: المحيط في اللغة: ٦ / ٣٩٧، (جذذ)، وتاج العروس: ٩ / ٣٨٢، (جذذ).
- (١٠)- ينظر: البحر المحيط: ٧ / ٧٧٥، والدر المصون: ٨ / ١٣٧، وروح المعاني: ١٧ / ٦٢.

أحدهما: (الجُدَاذ) بضم الجيم أسم للقطع المتكسرة يَصْحُ جمعه، أمَّا بكسر الجيم فهو فاعل بمعنى مفعول، أي مَجْدُذ، أي أَنَّ الجُدَاذ يختلف عن معنى الجِدَاذ.

والآخر: أن يكون بضم الجيم وكسرهما وفتحها، وهي لغاتٌ في (الجذاذ)، وقول ابن جني: جَدَّ الشيءَ يَجْذُه جَدًّا وَجُدَاذًا وَجِدَاذًا وَجَدَاذًا، يدلُّ على أَنَّ (الجذاذ) في لغاته الثلاث مصدرٌ لا واحد له، وأجود لغة فيه الضم كالحطام، ومعناه مفعول، أي مجذوذ كما تقدّم، ونقل السمين الحلبي عن قطرب: ((هي في لغاتها كلّها مصدرٌ فلا يثنى ولا يُجمع ولا يؤنثُ))<sup>(١)</sup>، وابن جني في قوله لم يخالف اللغويين والمفسرين.

#### خامساً: جَنَحُوا

القول في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا﴾ [ الأنفال: من الآية: ٦١ ].

ذكر ابن جني في كلامه على شرح بيت المتنبي:

بأبي الشُّمُوسُ الْجَانِحَاتُ عَوَارِيَا      اللَّابِسَاتُ مِنَ الْحَرِيرِ جَلَابِيَا<sup>(٢)</sup>

((الْجَانِحَاتُ: المَائِلَاتُ، وَجَنَحْتُ إِلَى كَذَا مِلْتُ إِلَيْهِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا﴾، (أَي مَأَلُوا))<sup>(٣)</sup>، وَأَكْثَرُ اللَّغَوِيِّينَ ذَهَبُوا إِلَى أَنَّ مَعْنَى (جَنَحَ): مَالَ، قَالَ ابْنُ فَارِسٍ: ((الْجِيمُ وَالْثُونُ وَالْحَاءُ أَصْلٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى الْمَيْلِ وَالْعُدْوَانِ، وَيُقَالُ جَنَحَ إِلَى كَذَا، أَيْ مَالَ إِلَيْهِ))<sup>(٤)</sup>، وَالْمَعْنَى عِنْدَ الْمَفْسَرِينَ: إِذَا مَالُوا إِلَى الصُّلْحِ، فَمِلْ أَنْتِ أَيْضًا إِلَى الصُّلْحِ<sup>(٥)</sup>.

(١) - الدر المصون: ٨ / ١٧٣.

(٢) - ديوان المتنبي: ٩٩، وينظر: الفسر: ١ / ٤٠٧.

(٣) - الفسر: ١ / ٤٠٧.

(٤) - معجم مقاييس اللغة: ١ / ٤٨٤، (جنح)، وينظر: جمهرة اللغة: ١ / ٤٤٢، (جنح)، والصاح: ١ / ٣٦٠، (جنح).

(٥) - ينظر: ياقوتة الصراط: ٢٣٩، والتبيان في تفسير القرآن: ١٤٩/٥، والكشف والبيان: ٣٧٠/٤.

سادساً: القصر

القول في قوله تعالى: ﴿ إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرِّ كَالْقَصْرِ ﴾ [المرسلات: ٣٢] بكسر القاف وفتح الصاد على قراءة سعيد بن جبير، وفتح القاف والصاد على قراءة ابن عباس. ذكر ابن جنى في (القصر) ثلاثة أوجه، في كلِّ قراءة وجه: الوجه الأول: (القصر) على قراءة العامة، بمعنى القصور، أي: البناء، إذ قال ابن جنى: ((حَدَّثَنَا أَبُو عَلِيٍّ أَنَّ الْقَصْرَ هُنَا بِمَعْنَى الْقُصُورِ قَالَ: وَهِيَ بِيوتٍ مِنْ أَدَمَ كَانُوا يَضْرِبُونَهَا إِذَا نَزَلُوا عَلَى الْمَاءِ))<sup>(١)</sup>، وقال اللُّغَوِيُّونَ (القصر): من البناء، معروف جمعه قُصُور<sup>(٢)</sup>، وقال المفسرون شبه الشَّرِّ بالقَصْرِ في كُبْرِهِ وَعَظْمَتِهِ، وهو واحد يدلُّ على الجمع<sup>(٣)</sup>. الوجه الثاني: (القصر) على قراءة ابن عباس، وهو على معانٍ هي: أن يكون (القصر) جَمْعُ قَصْرَةٍ، وهي: أصول الشَّجَرِ أو النخل. أو يكون حَزَمَ الشجر. أو يكون (القصر) جَمْعُ قَصْرَةٍ، وهي: أصل العُنُق<sup>(٤)</sup>.

وهذه المعاني قالها بها ابن جنى عن أبي حاتم وقتادة والكلبي ومجاهد، وهي ما قاله به اللُّغَوِيُّونَ في (القصر) إِلَّا أَنَّ اللُّغَوِيِّينَ قَيَّدُوا الْأَعْنَاقَ بِالرِّجَالِ وَالْإِبِلِ<sup>(٥)</sup>، ويرى الخليل وتبعه الزَّمَخَشَرِيُّ أَنَّ (القصر): أعناق النَّخْلِ (( والقَصْرَة: أصل العُنُق، وكذلك عُنُق النَّخْلَة أيضاً، ويجمع القَصْر والقَصْرَات ))<sup>(٦)</sup>، وقيل (القصر) داء يأخذ بالقَصْرَة، أي: العُنُق<sup>(٧)</sup>، وهو يُبْسُّ يُصِيبُ العُنُق<sup>(٨)</sup>.

(١) - المحتسب: ٢ / ٣٤٧، وينظر: تفسير أرجوزة أبي نواس: ٨٥.

(٢) - ينظر: العين: ٥/٥٩، (قصر)، والصاح: ٢/٧٩٢، (قصر)، ولسان العرب: ٥/١٠٠، (قصر).

(٣) - ينظر: الهداية لبلوغ النهاية: ١٢/٧٩٦٨، والتبيان في تفسير القرآن: ١٠/٢٣١، والدر المصون: ١٠/٦٣٩.

(٤) - ينظر: المحتسب: ٢ / ٣٤٦، وتفسير أرجوزة أبي نواس: ٨٣ - ٨٥.

(٥) - ينظر: العين: ٥/٥٩، (قصر)، ومعجم مقاييس اللغة: ٥/٩٨، (قصر)، والصاح: ٢/٧٩٣، (قصر).

(٦) - العين: ٥ / ٥٩، وينظر: الكشف: ٦ / ٢٨٩.

(٧) - ينظر: العين: ٥/٥٨، (قصر)، ومعجم مقاييس اللغة: ٥/٩٦، (قصر)، والصاح: ٢/٧٩٣، (قصر).

(٨) - ينظر: لسان العرب: ٥ / ١٠٢، (قصر).

الوجه الثالث: (القَصْر) ((بكسر القاف لغةً، كحَاجَة وِجْج، قد قالوا أيضًا في حَلَقَة الحديد: حَلَقَة - بفتح اللام - وقالوا: حَلَق؛ بكسر الحاء))<sup>(١)</sup>، قاله ابن جني عن أبي حاتم. ويريد أنَّ (القَصْر)، لغةً في القَصْر، لا أنَّه (القَصْر) خلاف الطول، الذي عليه أكثر اللغويين<sup>(٢)</sup>، اللغويين<sup>(٣)</sup>، و(القَصْر) جَمْع (قَصْرَة) مثل خَلَقَة وِخَلَقِ<sup>(٤)</sup>، ولم يَتَحَدَّث ابن جني عن معنى معنى هذه القراءة، ويبدو أنه يحملها على معنى قراءة العامة؛ لأنها لغة فيها. وقال ابن جني في تفسير الأرجوزة في ذيل كلامه على الآية: ((القَصْرُ لا وجه له))<sup>(٥)</sup> قاله عن أبي علي الفارسي، وهذه قراءة لم تُعَرَّ، ونسبها أبو حيان لبعض القراء، ولم يصرِّح باسم أيِّ قارئ<sup>(٦)</sup>، وهذه القراءة غريبة لا وجه لها عند ابن جني، وقال السمين الحلبي فيها إنها على الإتياع، إذ قال: ((وقرئ (كالقَصْرِ) بفتح القاف وكسر الصاد، ولم أر لها توجيهًا، ويظهر أن ذلك من باب الإتياع، والأصل: كالقَصْرِ بسكون الصاد، ثم أتبع الصاد حركة الراء فكسرها))<sup>(٧)</sup>.

سابعًا: مَسْحًا

القول في قوله تعالى: ﴿ فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ رُدُّوهَا عَلَيَّ فُطِّقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ ﴾ [ص: ٣٢، ٣٣].

قال ابن جني في كلامه على بيت ذي الرُّمَّة :

مُسْتَامَةٌ تُسْتَامُ وَهِيَ رَخِيصَةٌ تُبَاعُ بِسَاحَاتِ الْأَيْدِي وَتُمْسَحُ<sup>(٧)</sup>

((تُمْسَحُ من المَسْح وهو: القَطْع ، من قول الله تبارك وتعالى: ﴿ فُطِّقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ ﴾))<sup>(٨)</sup>، والمَسْحُ في اللغة: هو إِمْرَارُ الشَّيْءِ عَلَى الشَّيْءِ بَسْطًا، وَمَسْحَتُهُ بِيَدِي

(١) - المحتسب: ٢ / ٣٤٦.

(٢) - ينظر: العين: ٥/٥٩، (قصر)، ومعجم مقاييس اللغة: ٥/٩٨، (قصر)، والقاموس المحيط: ٤٦٢، ٤٦٢، (قصر).

(٣) - ينظر: إعراب القراءات الشواذ: ٢ / ٦٦٤.

(٤) - تفسير أرجوزة أبي نواس: ٨٥.

(٥) - ينظر: البحر المحيط: ٨ / ٣٩٨، ومعجم القراءات القرآنية: ٨ / ٣٨.

(٦) - الدر المصون: ١٠ / ٦٤٠.

(٧) - ديوان ذي الرُّمَّة: ٤٩.

(٨) - الخصائص: ١ / ٢٦٨، وينظر: المقتضب لابن جني: ٦١ .

مَسْحًا<sup>(١)</sup>، ويرى الخليل أن: ((المَسْحُ: ضَرْبُ العُنُقِ تَمَسُّحُهُ بِالسَّيْفِ مَسْحًا، ومنه قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ ﴾))<sup>(٢)</sup> وتبع الخليل أكثر اللغويين في كون المسح المسح في الآية هو القطع<sup>(٣)</sup>، ومنهم ابن جني، واختلف المفسرون في معنى فعل المسح من نبي الله سليمان (عليه السلام) في الآية على أقوال:

القول الأول: أن المسح هو القطع، أي: عقرها وضرب أعناقها، وقيل إن ذلك كان مباحًا لسليمان (عليه السلام)؛ لأن النبي لا يقدم على مُحَرَّمٍ، وهذا المعنى عليه أكثر اللغويين.

والقول الثاني: أن سليمان (عليه السلام) جعل يمسح أعرافها وعراقيبها حبًا بها<sup>(٤)</sup>.

والقول الثالث: أن يكون (المسح) إمرار الماء على العضو. فيكون الضمير في قوله تعالى: ﴿رُدُّوْهَا﴾ يرجع على الشمس؛ لكي يصلي ((وقوله تعالى: ﴿ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ ﴾))، أي شرع يمسح ساقيه وعنقه ويأمر أصحابه أنه يمسحوا سوقهم وأعناقهم وكان ذلك وضوءهم ثم صلى وصلوا<sup>(٥)</sup>. والقول الثاني أقرب لأفعال الأنبياء، وهو الرَّاجِح.

ثامنًا: تترى

القول في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرًا كُلٌّ مَّا جَاءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَاتَّبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [ المؤمنون : ٤٤ ].

تكلم ابن جني على لفظ (تترى) في شرحه بيت المتنبي:

سَرَايَاكَ تَتْرَى وَالْدُمُسْتَقُّ هَارِبٌ وَأَصْحَابُهُ قَتْلَى وَأَمْوَالُهُ نُهْبَى<sup>(٦)</sup>

(١)- ينظر: جمهرة اللغة: ١ / ٥٣٥، (مسح)، ومعجم مقاييس اللغة: ٥ / ٣٢٢، (مسح)، ولسان العرب:

٢ / ٥٩٣، (مسح).

(٢)- العين: ٣ / ١٥٦، (مسح).

(٣)- ينظر: معاني القرآن للفراء: ٢ / ٤٠٥، وتهذيب اللغة: ٤ / ٣٥٠، (مسح)، وجمهرة اللغة: ١

/ ٥٣٥، (مسح)، وفقه اللغة وسر العربية: ١٦١.

(٤)- ينظر: جامع البيان: ٢٠ / ٨٦ - ٧٨، مجمع البيان: ٨ / ٢٧٣ - ٢٧٤، النكت والعيون: ٥ / ٩٣.

(٥)- الميزان في تفسير القرآن: ١٧ / ٢٠٤.

(٦)- ديوان المتنبي: ٣٢٠، وينظر: الفسر: ١ / ٢٢٦.

فقال: (( تَنَزَّرَى) فَعَلَى مِنَ الْمُوَاتِرَةِ، وَأَصْلُهَا (وَتَرَى) فَقُلِبَتْ الْوَاوُ تَاءً، كَمَا قَالُوا: (تَوَزَّرَا) وَهِيَ فَوْعَلَةٌ مِنْ وَرَى يَرِي، وَأَصْلُهَا (وَوَرِيَّةٌ)، وَفِيهَا لُغَتَانِ: تَنَزَّرَى غَيْرُ مَنْوَنَةٍ، وَمِثْلُ سَكَّرَى، وَمَنْوَنَةٌ مِثْلُ أَرَطَى ... مَعْنَى (تَنَزَّرَى) أَي: شَيْءٌ خَلْفَ شَيْءٍ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرًا﴾<sup>(١)</sup>، وَهَذَا الْمَعْنَى عَلِيَّةٌ أَكْثَرُ اللَّغَوِيِّينَ<sup>(٢)</sup>، وَقَوْلُ ابْنِ جَنِي: (تَنَزَّرَى) أَصْلُهَا (وَتَرَى)، لَا يُرِيدُ بِهِ جَذْرَهَا؛ لِأَنَّ أَصْلَهَا مِنَ الْوَتْرِ وَهُوَ الْفَرْدُ، وَمَعْنَى (تَنَزَّرَى) وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ، أَي رَسُولًا بَعْدَ رَسُولٍ.

### الدلالة المعجمية وأثرها في السياق

وَقَفَّ ابْنُ جَنِّي عَلَى كَثِيرٍ مِنْ أَلْفَاظِ الْقُرْآنِ مَعْجَمِيًّا، وَحَاوَلَ رِبْطَ مَعْنَاهَا الْمَعْجَمِيَّ بِسِيَاقِ الْآيَةِ الَّتِي وَرَدَ فِيهَا الْفِظُ، فَتَكُونُ دَلَالَتُهَا الْمَعْجَمِيَّةُ هِيَ دَلَالَتُهَا فِي سِيَاقِ التَّرْكِيبِ، فَيَكُونُ لِلْسِّيَاقِ أَثْرٌ فِي هَذَا الرِّبْطِ، وَيُظْهِرُ هَذَا جَلِيًّا فِي الْأَلْفَاظِ الَّتِي عَرَضَ لَهَا وَمِنْهَا:

#### أولاً: تيمّموا

القول في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا﴾ [المائدة: من الآية: ٦]، في كلام ابن جني في شرح بيت أبي نواس:

يَمَّمَنَّ مِنْ جَنْبِي هَجَرَ أَخْضَرَ طَمَامَ الْعَكْرِ<sup>(٣)</sup>

قال: (( يَمَّمَنَّ) قَصَدَنَّ، يُقَالُ: يَمَّمْنُهُ، وَأَمَّمْنُهُ، وَأَمَّمْتُهُ، وَيَمَّمْنُهُ: إِذَا قَصَدْتَهُ، وَمِنْ هُنَا لَمْ يَكُنْ مِنَ النَّيَّةِ بَدُّ فِي قَوْلِ الْفُقَهَاءِ عِنْدَ النَّيِّمِ بِالصَّعِيدِ إِذَا أَعْوَزَ الْمَاءَ؛ لِأَنَّهُ قَالَ تَعَالَى: ﴿فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا﴾، فَكَأَنَّهُ قَالَ سَبْحَانَهُ أَفْصِدُوا، وَالْقَصْدُ لَا يَصِحُّ إِلَّا بِالنِّيَّةِ وَالِاعْتِقَادِ؛ فَهَذَا انْفِصَلَّ عِنْدَ أَبِي حَنِيفَةَ وَأَصْحَابِهِ مِنَ التَّطَهُّرِ بِالْمَاءِ. أَمَرَ النَّاسَ بِالْقَصْدِ لِلصَّعِيدِ عِنْدَ النَّيِّمِ<sup>(٤)</sup>، وَفِي الْآيَةِ أَمْرَانِ:

(١)- الفسر: ١ / ٢٢٦ - ٢٢٧.

(٢)- ينظر: العين: ٨ / ١٣٣، (وتر)، والصحاح: ٢ / ٨٤٢، (وتر) ولسان العرب: ٥ / ٢٧٦، (وتر).

(٣)- ديوان أبي نواس: ١ / ١٧٨، وينظر: تفسير أرجوزة أبي نواس: ١٢٠.

(٤)- تفسير أرجوزة أبي نواس: ١٢٠ - ١٢١.

الأمر الأوّل: الأمُّ في اللُّغة: القصد. وأجمع اللُّغويون أنّ يَمَمَ، وأمَمَ، وأمَمَ، ويَمَمَ لغاتٌ بمعنَى واحد وهو القصد<sup>(١)</sup>، وقال ابن جنى في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَيْمَمُوا الْخَبِيثَ﴾ [البقرة: من الآية: ٢٦٧] بضم التاء وكسر الميم المُشَدَّدة على قراءة الزُّهري: (تَيْمَمُوا) (فيها لغات: أَمَمْتُ الشَّيْءَ، وَيَمَمْتُهُ، وَأَمَمْتُهُنَّ وَيَمَمْتُهُنَّ، وَأَمَمْتُهُنَّ وَيَمَمْتُهُنَّ، وَكَلَّمْتُهُنَّ وَكَلَّمْتُهُنَّ)<sup>(٢)</sup>، ونُقِلَ عن الأصمعي أنّه لا يَعْرِفُ (أَمَمْتُهُ) بالتشديد<sup>(٣)</sup>، إلّا أنّي وجدته يقول في ما اختلفت ألفاظه واتفقت معانيه: ((يقال للرجل إذا ركّدت عليه الشمس: أمّت عليه، وصهرتُهُ، وصفرتُهُ، وصدّختُهُ))<sup>(٤)</sup>، وهذا خير دليل على أنّه لم ينكر (أَمَمْتُهُ) كما قال الأزهري، وابن منظور، فهو قد استعملها في كلامه.

الأمر الثاني: قول ابن جنى: لا بُدَّ من النِّيَّة عند التَّيْمُم إذا أعوز الماء، هذا المعنى توافر عليه ابن جنى من المعنى اللُّغوي للتَّيْمُم، وهو القصد الذي يوجب النِّيَّة والاعتقاد، وقال الماتريدي (ت ٣٣٣هـ): ((قوله: ﴿فَتَيْمَمُوا﴾ تَعَمَدُوا صَعِيدًا طَيِّبًا، فإذا كان التَّيْمُم القصد والتعمد إلى الصعيد لم يجز إلا بالنِّيَّة؛ لأنّه -عَرَّ وَجَلَّ - أَمَرَ بالقصد إليه والتعمد، وذلك أمرٌ بالنِّيَّة؛ لأنَّ القصد نِيَّةٌ))<sup>(٥)</sup>، فقد وظّف ابن جنى الدلالة اللغوية للفظ التَّيْمُم بصيغة الأمر (فَتَيْمَمُوا)، في تبيين معنى الآية، الذي هو وجوب النِّيَّة عند التَّيْمُم، وإلى هذا المعنى أشار ابن عربي (ت ٥٤٣هـ) إذ قال: ((قوله تعالى: ﴿فَتَيْمَمُوا صَعِيدًا﴾ : معناه فاقصدوا... ومن هاهنا قال أبو حنيفة: تَلَزَمُ النِّيَّةُ فِي التَّيْمُم؛ لأنّه القصد لفظاً ومعنى. قلنا: ليس القصد إليه للاستعمال بدّل الماء هو النِّيَّة، إنّما معناه اجعلوه بدلاً، فأما قصد التقرب فهو غيره. جواب آخر: وذلك أنّ قوله: ﴿فَتَيْمَمُوا﴾ إنّ كان يقتضي بلفظه النِّيَّة فقوله: (تَطَهَّرُوا) و(اغْتَسَلُوا) يقتضي بلفظه النِّيَّة، كما تقدّم<sup>(٦)</sup>. والتَّيْمُم من الألفاظ التي طرأ عليها التطور الدلالي، فنُقِلَ من دلالاته الأصلية التي هي (القصد)، وصار يُطْلَقُ على مسح الوجه واليدين بالتراب، وأوّل من أشار إلى هذا التطور في لفظ (التَّيْمُم) هو الخليل،

(١) - ينظر: العين: ٨ / ٤٣٠، (أمم)، وتهذيب اللغة: ١٥ / ٦٤١، (أم).

(٢) - المحتسب: ١ / ١٣٨.

(٣) - ينظر: تهذيب اللغة: ١٥ / ٦٤١، (أم)، ولسان العرب: ١٢ / ٢٣ (أم).

(٤) - ما اختلفت ألفاظه واتفقت معانيه: ٦٩.

(٥) - تأويلات أهل السنة: ٣ / ١٩٤.

(٦) - أحكام القرآن: ١ / ٥٦٨.

إذ قال: ((فصار (التَّيْمُّ) في أفواه العامة فعلاً للمَسْحِ بالصَّعِيدِ ، حتَّى إِيَّاهُمْ يَقُولُونَ : تَيْمَّمَ بِالرُّتَابِ، وَ تَيْمَّمَ بِالرُّتُوبِ، أَي: بِغَبَارِ التُّوبِ))<sup>(١)</sup>، وهكذا أضحي لفظ (التَّيْمُّ) من الألفاظ الإسلامية؛ لأنَّ القرآن خصَّصه بمسح الوجه واليدين بالرُّتَابِ الطَّاهِرِ<sup>(٢)</sup>.

ثانياً: عَضِينَ

القول في قوله تعالى: ﴿ كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ ﴿٩٠﴾ الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ ﴾ [الحجر: ٩٠، ٩١].

قال ابن جني في كلامه على جمع عِضَةٍ على عِضُونِ بالواو: ((وَأَمَّا (عِضَةٌ) فَمِنْ الْوَاوِ أَيْضًا [أَيِ الْمَحذُوفِ مِنْهَا]، وَأَصْلُهَا (عِضْوَةٌ) أَلَّا تَرَى أَنَّهُمْ فَسَّرُوا قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿ الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ ﴾ ، أَي: فَرَّقُوهُ وَجَعَلُوهُ أَعْضَاءً، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ (رَحِمَهُ اللَّهُ) أَي: آمَنُوا بِبَعْضِهِ، وَكَفَرُوا بِبَعْضِهِ، فَهُوَ لَفْظُ الْعِضْوِ وَمَعْنَاهُ، وَقَالَ الْكِسَائِيُّ (الْعِضَّةُ) وَ(الْعِضُونُ) مِنَ (الْعِضِيَّةِ) وَهِيَ الْكُذْبُ، وَ(اللَّامُ) عَلَى هَذَا (هَاءٌ) بِمَنْزِلَةِ (اسْتِ) وَ(سَنَةِ) فَيَمُنُ قَالَ سَنَاءً))<sup>(٣)</sup>، وَفِي الْآيَةِ أَمْرَانِ:

الأمر الأوَّل: قوله في أصل (عِضَّة) وجهان: الأوَّل: (عِضِينَ) جمعٌ مفرد (عِضَّة) أصلها من (عِضْوَةٌ) والمحذوف منها لام الكلمة وهي الواو، والعِضَّة: القطعة من الشيء، وعلى هذا يكون معنى (عِضِينَ) في الآية: جعلوا القرآن أعضاءً وفرَّقوه، وقال الخليل: ((وَالْعِضَّةُ: الْقِطْعَةُ مِنَ الشَّيْءِ، عَضَيْتُ الشَّيْءَ عِضَّةً عِضَّةً إِذَا وَرَعْتَهُ بِكَذَا، قَالَ:

\* وَلَيْسَ دِينُ اللَّهِ بِالْمَعْضَى \*

وقوله تعالى: ﴿ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ ﴾، أَي: عِضَّةً عِضَّةً تَفَرَّقُوا فِيهِ فَأَمَنُوا بِبَعْضِهِ وَكَفَرُوا بِبَعْضِهِ))<sup>(٤)</sup>، وَالْآخِرُ: أَصْلُهَا مِنْ (عِضَّة)، وَالْمَحذُوفُ مِنْهَا لَامُ الْكَلِمَةِ الْهَاءُ، وَمَعْنَاهَا الْكُذْبُ ، وَقِيلَ السَّحَرُ .

(١) - العين: ٨ / ٤٣٠، (أمم)

(٢) - ينظر: الظواهر اللغوية والنحوية في كتب الغربيين: ٣١٣ .

(٣) - سر صناعة الإعراب: ٦٠٥ - ٦٠٦ .

(٤) - العين: ٢ / ١٩٣، (عضو)، وينظر صدر البيت في ديوان رؤبة: ٨١، وعجزه (إِنَّ لَنَا هُوسَةً عَرِضًا) .

وأكثر اللغويين قالوا في أصل (عِضَة) الوجهين الذين ذكرهما ابن جنبي، ولم يرجحوا أيًّا من الوجهين، قال الأزهرِيُّ: ((اختلف أهل العربية في اشتقاق أصله وتفسيره: فمنهم من قال واحدها (عِضَة)، وأصلها (عِضُوة)، من عَضَيْتُ الشَّيْءَ، إذا فَرَّقْتَهُ، جعلُوا النُّقْصَانَ الواو. المعنى أَنَّهُم فَرَّقُوا - يُعْنَى [كذا] الْمُشْرُكُونَ - أَقَابِلَهُمْ فِي الْقُرْآنِ، أَي فَجَعَلُوهُ مَرَّةً كَذِبًا، وَمَرَّةً سِحْرًا، وَمَرَّةً شَعْرًا، وَمَرَّةً كِهَانَةً، وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ: أَصْلُ الْعِضَّةِ عِضْنَةٌ، فَاسْتَنْقَلُوا الْجَمْعَ بَيْنَ هَاءَيْنِ فَقَالُوا عِضَّةً، كَمَا قَالُوا شَفَّةً وَالْأَصْلُ شَفْهَةٌ، وَكَذَلِكَ سَنَّةٌ وَأَصْلُهَا سَنْهَةٌ))<sup>(١)</sup>، وقال الطبري: ((احتمل قوله ﴿عِضِينَ﴾، أَنْ يَكُونَ جَمْعَ (عِضَّةٍ)، وَاحْتَمَلَ أَنْ يَكُونَ جَمْعَ (عِضُو)، لِأَنَّ مَعْنَى التَّعْضِيَّةِ: التَّفْرِيقَ، كَمَا تُعْضَى الْجُرُورُ وَالشَّاءُ، فَتُفَرِّقُ أَعْضَاءَهُ، وَالْعِضَّةُ: الْبَهْتُ وَرَمِيَهُ بِالْبَاطِلِ مِنَ الْقَوْلِ، فَهِيَ مَقَارِبَانِ فِي الْمَعْنَى))<sup>(٢)</sup>،

وأكثر اللغويين ذكروا ﴿عِضِينَ﴾ وعضة في مادة (عضه) مرة، وفي مادة (عضا) مرة أخرى<sup>(٣)</sup>، وهذا يدل على أن هذا اللفظ مما بقي أصله مُشْكَلاً.

الأمر الثاني: ربط ابن جنبي بين دلالة لفظة ﴿عِضِينَ﴾ في اللغة - أي تَعْضِيَّة الشَّيْءِ وَتَفْرِيقَهُ، وَجَعَلَهُ أَعْضَاءً مُتَفَرِّقَةً - ودلالاتها في السياق، فمعنى قوله تعالى: ﴿جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ﴾، أي: فَرَّقُوهُ وَجَعَلُوهُ أَعْضَاءً، وَيُظْهِرُ هَذَا الرِّبْطَ جَلِيًّا وَالتَّوْضِيحَ لِلْمَعْنَى اللَّغَوِيَّةِ فِي تَفْسِيرِ مَعْنَى الْآيَةِ فِي كَلَامِهِ عَلَى قَوْلِ ابْنِ عَبَّاسٍ: إِذْ قَالَ: ((قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَحِمَهُ اللَّهُ أَي: آمَنُوا بِبَعْضِهِ وَكَفَرُوا بِبَعْضِهِ، فَهُوَ لَفْظُ الْعِضُوِّ وَمَعْنَاهُ))<sup>(٤)</sup>، أَي أَنَّ عِضِينَ لَفْظُهَا مِنْ (عِضُو) وَمَعْنَاهَا: جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضَّةً عِضَّةً أَي فَرَّقُوهُ، وَجَعَلُوهُ أَعْضَاءً.

### ثالثاً: قَرْنٌ

القول في قوله تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾ [الأحزاب: من الآية: ٣٣].

(١) - تهذيب اللغة: ١٣٠/١ - ١٣١، (عضه)، وينظر: الصحاح: ٢٢٤١/٦، (عضه)، ولسان العرب: ٥١٦ / ١٣، (عضه).

(٢) - جامع البيان: ١٤ / ١٣٩.

(٣) - ينظر: تهذيب اللغة: ١٣٠/١ (عضه)، و ٣ / ٦٧، (عضا)، والصحاح: ٢٢٤١/ ٦، (عضه)، و ٦ / ٢٤٣٠، (عضا)، ولسان العرب: ٥١٦ / ١٣، (عضه)، و ١٥ / ٦٨، (عضا).

(٤) - سر صناعة الإعراب: ٢ / ٦٠٥ - ٦٠٦.

قال ابن جني في كلامه على شرح بيت أبي نواس:

صَغَبُ إِذَا لَاقَى أَبْرَ وَإِنْ هَفَا الْقَوْمُ وَقَرَّ<sup>(١)</sup>

((وَقَرَّ: ثَبَّتَ، وارتبط جأشهُ، ومثله قوله تعالى: ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ ﴾، لأنه من الوقار، أي لا تَبْرَحْنَ بُيُوتَكُنَّ، ومثله من أمثال العرب (تَوَقَّرِي يَا زَلْزَةَ)، والزَّلْزَةَ: المرأة الكثيرة الدُخُول والخروج))<sup>(٢)</sup>، وفي الآية أمران:

الأول: قوله تعالى: ﴿ قَرْنَ ﴾، مأخوذ من الوقار، وهو أمرٌ من وَقَرَ يَقِرُّ، ((وقد وَقَرَ الرجل يَقرُّ وَقَارًا وَقِرَةً، إِذَا ثَبَّتَ، فهو وَقُورٌ))<sup>(٣)</sup>، والأصل في (قَرْنَ) أَقْرَرْنَ، حُذِفَت الرَّاءُ الأُولَى للتخفيف فَتُقَلَّتْ فَتَحْتَهَا للقاف، أو لالتقاء الساكنين، وحُذِفَتِ الهَمْزَةُ لتحرك القاف، فصارت (قَرْنَ) وأشار ابن جني إلى هذا التحليل بقوله: ((فَأَمَّا (يَزْفُونَ) بالتخفيف فذهب قطرب إلى أنها تخفيف (يَزْفُونَ)، كما قال الله تعالى: ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ ﴾، أي: أَقْرَرْنَ))<sup>(٤)</sup>.

و(قَرْنَ) مِمَّا اخْتُلِفَ فِي أصله على وجوه متعددة، فإذا قُرئ بفتح القاف وهي قراءة العامة، ففيه ثلاثة أوجه: الأول: أن يكون (قَرْنَ) من القَرَارِ وفعله قَرَّ يَقِرُّ، وَقَرَّ الرَّجُلُ يَقِرُّ، إِذَا ثَبَّتَ، وهو أمر أصله (أَقْرَرْنَ)، حُذِفَت الرَّاءُ الأُولَى للتخفيف فَتُقَلَّتْ فَتَحْتَهَا للقاف، وحُذِفَتِ الهَمْزَةُ لتحرك القاف<sup>(٥)</sup>، وهذا الوجه أشار إليه ابن جني في كلامه على قراءة ابن يعمر في قوله تعالى: ﴿ حَمَلْتُ حَمَلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ ﴾ [الأعراف: من الآية: ١٨٩]، إذ قال: قرأ ((ابن يعمر: (فَمَرَّتْ بِهِ) خفيفة. قال أبو الفتح: أصله ﴿ فَمَرَّتْ بِهِ ﴾ مُثَقَّلَةً، كقراءة الجماعة، غير أنهم قد حذفوا نحو هذا تخفيفًا لِثِقَلِ التَّضْعِيفِ... ومنه قوله تعالى: ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ ﴾ فيمن أخذه من القَرَارِ لا من الوقار))<sup>(٦)</sup> أمَّا الوجه الثاني: أن يكون (قَرْنَ) مأخوذًا من الوقار، وفعله وَقَرَ يَقِرُّ، إِذَا سَكَنَ، وهذا الوجه هو الذي عليه ابن جني، وهذا

(١)- تفسير أرجوزة أبي نواس: ١٩٦، وينظر: ديوان أبي نواس: ١/١٨٩، وروايته فيه (صعبًا) بالنَّصْب.

(٢)- تفسير أرجوزة أبي نواس: ١٩٧.

(٣)- الصحاح: ٢ / ٨٤٩، (وقر).

(٤)- المحتسب: ٢ / ٢٢١.

(٥)- ينظر: الصحاح: ٢ / ٨٤٩، (وقر)، ولسان العرب: ٥ / ٢٩٠، (وقر).

(٦)- المحتسب: ١ / ٢٦٩.

الوجه نقله ابن سيدة وابن منظور والرَّيْدِيُّ بصيغة التَّمْرِيضِ إذ قالوا: قيل من الوَقَّارِ<sup>(١)</sup>، وكذلك رفضه أكثر اللُّغَوِيِّينَ إذ قال الفَرَّاءُ: ((وقرأ عاصم وأهل المدينة ﴿وَقَرَنَ﴾ بالفتح، ولا يكون ذلك من الوَقَّارِ))<sup>(٢)</sup>، وقراءة الفتح في (قَرَنَ)، وهي قراءة العامة، وهي ممَّا أَشْكَلَ أصلها ومعناها، حتى فَضَّلَتْ عليها قراءة الكسر، فهي الأجود عند الزجاج<sup>(٣)</sup>، وفيها نظر عند المُجَاشِعِيِّ، إذ قال: ((فأمَّا من قرأ ﴿وَقَرَنَ﴾ فهي قراءة فيها نَظَرٌ، وذلك أنه لا يخلو أن يكون من (الوقَّار) أو من (القرَّار)، فلا يجوز أن يكون من (الوقَّار)؛ لأنه إنَّما يقال: وَقَرَّ يَقرُّ، مثل: وَعَدَّ يَعدُّ، فإذا أَمَرْتَ قُلْتَ (قَرَنَ)، كما قرأت الجماعة، وهذا على ميزان قولك: (عَدَنَ)، ولا يجوز أن يكون من (القرَّار)؛ لأنه إنَّما يقال: قَرَّ في المكان يَقرُّ بكسر القاف، وقرت عينه تَقرُّ، فلو كان من (القرَّار)؛ لقليل: (أقررنَ)، ثم يُسْتَنْقَلُ تكرير الرِّاءِ فَنُتَقَلُّ حركتها إلى القاف، ثم تُحَدَفُ إحدى الرائينِ لالتقاء الساكنين، وتُحَدَفُ همزة الوصل للاستغناء عنها فيبقى (قَرَنَ) كما قرأت الجماعة، فهذان الوجهان يجوزان في قراءة من كسر، وأما الفتح فبعيد))<sup>(٤)</sup>، وقول المُجَاشِعِيِّ: كما قرأت الجماعة، لا يقصد به قراءة العامة، بل يقصد أن خمسة من الفَرَّاءِ السَّبْعَةِ قرؤوا بالكسر (قَرَنَ) واثنين منهم قرءوا بالفتح، وهما نافع وعاصم<sup>(٥)</sup>، أمَّا الوجه الثالث: فقليل عن الكسائي أن الفتح لغة لأهل الحِجَازِ في (قَرَنَ)<sup>(٦)</sup>، وجاء عن بعض المفسرين وجهٌ انفردوا به، وهو أن يكون (قَرَنَ) أمرٌ من قَارَ يَقرُّ، أي: اجتمع، فهو كخَاف يَخَاف<sup>(٧)</sup>.

(١) - ينظر: المحكم والمحيط الأعظم: ٦ / ٣٤٠، (وقر)، ولسان العرب: ٥ / ٢٩٠، (وقر)، وتاج العروس: ١٣ / ٤٠٧. (قرر).

(٢) - معاني القرآن للفراء: ٢ / ٣٤٢، وينظر: تهذيب اللغة: ٨ / ٢٧٧، (قرر)، ومعجم مقاييس اللغة: ٦ / ١٣٢، (وقر).

(٣) - معاني القرآن وإعرابه: ٤ / ٢٢٥.

(٤) - النكت في القرآن: ٣٩٣ - ٣٩٤.

(٥) - ينظر: السبعة في القراءات: ٥٢١ - ٥٢٢.

(٦) - ينظر: النكت في القرآن: ٣٩٤، والهداية لبلوغ النهاية: ٩ / ٥٨٢٨.

(٧) - ينظر: الكشف: ٥ / ٦٦، والبحر المحيط: ٧ / ٢٢٣، والدر المصون: ٩ / ١٢١.

أما من قرأ (قَرَنَ) بالكسر على قراءة ابن كثير<sup>(١)</sup>، ففي أصله وجهان: الوجه الأول أن يكون أمرٌ من الوَقَارِ، وَقَرَّ يَقْرُ، أي: ثَبَّتَ، وأصله (أَقْرَرَنَ) وجرى عليه التَّخْفِيفُ والحذف فصار (قَرَنَ) وهذا الوجه عليه الفراء وأبو عبيدة<sup>(٢)</sup>. والوجه الثاني: أن يكون، أمرًا من القَرَارِ، قَرَّ يَقْرُ وأصله (أَقْرَرَنَ) وجرى عليه التَّخْفِيفُ والحذف فصار (قَرَنَ)<sup>(٣)</sup>.

الأمر الثاني: وظَّف ابن جني الدلالة اللغوية لقوله تعالى: ﴿ وَقَرَنَ ﴾، وهي الثَّبَاتُ في المكان، وأصله عنده من (الوَقَارِ)، ووَقَّرَ في المكان إذا ثَبَّتَ أو سَكَنَ، في الكشف عن المعنى، فقال في معنى الآية: لا تَبْرَحَنَّ بِيُوتِكُنَّ، ومعنى (بِرِح) في اللغة: زال عن موضعه<sup>(٤)</sup>، ونفي الزوال عَنْهُنَّ يعني ثَبَاتِهِنَّ في المكان، أي: في بِيُوتِهِنَّ، وقال ابن عاشور في الآية: ((﴿وَقَرَنَ فِي بِيُوتِكُنَّ﴾ هذا أمرٌ خُصِّصَ به وهو وجوب مُلَازِمَتِهِنَّ بِيُوتِهِنَّ توقيرًا لَهُنَّ، ونقويةً في حُرْمَتِهِنَّ، فَقَرَرُهُنَّ في بِيُوتِهِنَّ عِبَادَةً))<sup>(٥)</sup>، أي نساء النَّبِيِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ).

#### رابعًا: قَوَامًا

القول في قوله تعالى ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَعُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴾ [الفرقان: ٦٧]، بكسر القاف من ﴿ قَوَامًا ﴾ على قراءة حسان بن عبد الرحمن.

ذكر ابن جني في الآية أمرين:

الأمر الأول: أن معنى (القَوَام) على قراءة العامة: ((الاعتدال في الأمر، ومنه قولهم: جَارِيَةٌ حَسَنَةٌ القَوَام: إذا كانت مُعْتَدِلَةً الطُّولَ وَالخُلُقَ))<sup>(٦)</sup>.

الأمر الثاني: أن (القَوَام) بكسر القاف على قراءة حسان بن عبد الرحمن معناه: ((مِلَاكُ الأَمْرِ وَعِصَامُهُ، يقال: مِلَاكُ أَمْرِكَ وَقَوَامُهُ أَنْ تَنْقِي اللهُ فِي سِرِّكَ وَعَلَانِيَتِكَ، فكذلك قوله:

(١)- ينظر: السبعة في القراءات : ٥٢٢.

(٢)- ينظر: معاني القرآن للفراء: ٢ / ٣٤٢، ومجاز القرآن: ٢ / ١٣٧.

(٣)- ينظر: لسان العرب: ٥ / ٢٩٠، (وقر)، وتاج العروس: ١٣ / ٤٠٧، (قرر).

(٤)- ينظر : مقاييس اللغة : ١ / ٢٣٩ ، (برح).

(٥)- التحرير والتنوير: ٢٢ / ١٠.

(٦)- المحتسب: ٢ / ١٢٥.

(كَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قِيَامًا)، أي: مَلَكَ لِلأَمْرِ وَنِظَامًا وَعِصَامًا<sup>(١)</sup>، فحمل ابن جنى معنى القراءة على المعنى اللغوي الذي يَدُلُّ عليه لفظ (القِيَام)، فقِيَام الأمر في اللُّغَة: نِظَامُهُ وَعِمَادُهُ<sup>(٢)</sup>، وكذلك قال ابن جنى في معنى القراءة: قِيَام أمرِك أَنْ تَتَّقِيَ اللهَ، وهذا نِظَام الأمر وَعِمَادُهُ.

ويبدو لي أَنَّ هناك أمورًا عدة ائْتَمَزَ بها تفسير ابن جنى المعجمي من غيره ، في الكشف عن معنى آي القرآن الكريم ، ويمكن عدها في نقاط منها:

١- كان ابن جنى يقف في تفسيره المُعْجَمِي عند المعنى الذي ينسجم مع الآية، مع أَنَّ اللفظ له أكثر من معنى لغويٍّ يمكن أَنْ يُحْمَلَ اللفظ عليه ؛ لكنَّه كان يقف عند المعنى الذي يطلبه سياق الآية حسب ما يرى، ومن ذلك قوله، أَنَّ (المسح) في قوله تعالى: ﴿ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ ﴾ [ص: من الآية: ٣٣]، هو: القَطْعُ، ويمكن حَمَلُ (المسح) على أَنَّهُ إمرار اليد على الممسوح.

٢- أكثر تفسيره المعجمي لآي القرآن كان عَرَضًا ، فهو في الأصل يفسر ويشرح معنى البيت ويستشهد له بآي القرآن ، ثم يفسر ويشرح الشاهد القرآني تفسيرًا معجميًا .

٣- في بعض الأحيان يبدأ بذكر الفعل الماضي للكلمة المراد تفسيرها، ثم يُبَيِّنُ معناها، وفي بعضها الآخر يبدأ بذكر الاسم، ومن ذلك قوله في كلامه على بيت المتنبي:

وَأَنَّ مِنَ الْعَجَائِبِ أَنْ تَرَانِي فَتَعْدِلَ بِي أَقَلَّ مِنَ الْهَبَاءِ<sup>(٣)</sup>

((الْهَبَاءُ: العُجَار، وجمعه أهباء على أفعال، كجواد وأجواد، قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿ فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًا ﴾ [الواقعة: ٦]، أي: مُنْتَشِرًا، وَالْهَبُوءَةُ: الغَبْرَةُ<sup>(٤)</sup>)، وقد يذكر بعض الأمور التي توضح المعنى، كجمع الكلمة ووزنها الصرفي، وأصل جذرها وغيرها.

(١)- المحتسب: ٢ / ١٢٥.

(٢)- ينظر: الصحاح: ٥ / ٢٠١٧، (قوم)، ولسان العرب: ١٢ / ٤٩٩، (قوم).

(٣)- ديوان المتنبي: ٧١، وينظر الفسر: ١ / ٦٦.

(٤)- الفسر: ١ / ٦٦.

## المبحث الثاني

### الدلالة السياقية وأثرها في التفسير اللغوي

السِّيَاق في الاصطلاح: هو ((ما يَصْحَبُ اللفظ مِمَّا يساعد على توضيح المعنى، وقد يكون التَّوضيح بما ترد فيه اللفظة من الاستعمال، وقد يكون ما يصحب اللفظ من غير الكلام مفسراً للكلام))<sup>(١)</sup>، وهذا التعريف يشمل كلَّ أنواع السِّيَاق، وقيل: هو ارتباط اللفظ بالسابق واللاحق من النَّصِّ، ويتحدد من خلاله المعنى المقصود<sup>(٢)</sup>، وقسم اللُّغَوِيُّونَ المُحَدِّثُونَ السِّيَاقَ على أقسام متعددة، فمنها سياق لغوي وغير لغوي، أو سياق داخلي وآخر خارجي، ومنها لفظي وحالي وعقلي<sup>(٣)</sup>، وإلى غير ذلك من التقسيمات<sup>(٤)</sup>، ونظر بعضهم إلى السياق القرآني بشكل منفرد فعُرفَ بِأَنَّهُ: ((علاقة اللفظ مع ما قبله وما بعده من الآيات، وما يكسبه من معنَى في هذا الموضع أو في موضع آخر، وسبب التُّرُودِ، والجَوِّ العام الذي نزلت فيه الآية))<sup>(٥)</sup>، وللسِّيَاق أهمية كبيرة في تحديد المعنى الأصح عند الاختلاف، وهو أصل من أصول التفسير لا غنى لكلِّ مُفسِّرٍ عنه، وذكر الزركشي أنَّ دلالة السِّيَاق ((ترشد إلى تَبْيِينِ المَجْمَلِ، والقطع بعدم احتمال غير المراد، وتخصيص العام وتَفْيِيدِ المَطْلُوقِ، وتنوع الدَّلَالَةِ وهو من أعظم القرائن الدَّالَّةِ على مراد المتكلم، فمن أهمله غلط في نظيره وغالط في مناظراته وانظر إلى قوله تعالى: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ [الدخان: ٤٩] كيف تجد سياقه يدل على أَنَّهُ الدليل الحقيق))<sup>(٦)</sup>، وأشار إلى هذه الأهمية كاصد الزيدي، بقوله: ((والقرائن السِّيَاقية من أهمِّ ما يُعْنَى به المُفسِّرُ ويفهم به القرآن، وهو أحسن طُرُقِ التَّفْسِيرِ))<sup>(٧)</sup>، حتى عُدَّ التَّفْسِيرُ بلحاظ السياق تفسيراً للقرآن

(١) - المعاجم اللغوية في ضوء دراسات علم اللغة الحديث: ١١٦.

(٢) - ينظر: الدلالة السياقية عند اللغويين: ٥٢، وأثر دلالة السياق في توجيه معنى المتشابه اللفظي في القصص القرآني: ٤٢، (رسالة).

(٣) - ينظر: علم اللغة مقدمة للقارئ العربي: ٣١٠ - ٣١٢، الدلالة السياقية عند اللغويين: ٥٢، والبحث الدلالي في التبيان في تفسير القرآن: ٢٨٩، (أطروحة).

(٤) - ينظر: علم الدلالة لمختار: ٦٩، والدلالة السياقية عند اللغويين: ٥٣، و ٨٠ - ٨٢.

(٥) - السياق القرآني والدلالة المعجمية: ٢، المجلة الجامعة، جامعة الزاوية، العدد: ٩، عام ٢٠٠٧.

(٦) - البرهان في علوم القرآن: ٢/٢٠٠ - ٢٠١.

(٧) - من أوامم الراغب في معجمه: ٥٦، مجلة آداب الرافدين، العدد: ٢٤، عام ١٩٩٢.

بالقرآن؛ لأنَّ هذا النوع من التفسير يعتمد بيان المعنى من تتابع الألفاظ والتراكيب القرآنية المترابطة<sup>(١)</sup>.

وقد وقف أكثر من باحثٍ على الدلالة السياقية عند ابن جنِّي فبيَّنوا أقسام الدلالة عنده، وفائدتها في كشف المعنى بشكل عام، وكانت الدلالة السياقية من القضايا التي اعتمدها ابن جنِّي في الكشف عن معاني الألفاظ والتراكيب، وتناول دلالة السياق من خلال التركيب الكلي للكلام، ووضع الكلمة في التركيب، والحال المشاهدة، والمعتقدات الدينية، ومن أهم تلك الأقسام التي أفاد منها في تفسير القرآن ثلاثة أقسام هي: الدلالة السياقية اللفظية، والدلالة السياقية الحالية، والدلالة السياقية العقلية<sup>(٢)</sup>. وهناك أقسام أخرى تناولها الباحثون عند ابن جنِّي<sup>(٣)</sup>، إلا أنني ارتضيت هذا التقسيم هنا، لأنَّ كلَّ تلك الأقسام يمكن رَدُّها إلى هذه الأقسام الثلاثة، وسأعرض لكل قسمٍ من هذه الأقسام الثلاثة التي أفاد منها ابن جنِّي ووظفها في تفسير القرآن الكريم.

#### الدلالة السياقية اللفظية وأثرها في التفسير

السياق اللفظي: هو مجموعة الألفاظ المُصاحبة للفظ المراد تبيين معناه، أو النسق الكلامي الذي ترد فيه اللفظة وما يشتمل عليه من عناصر لغوية مختلفة تُفيد الكشف عن المعنى<sup>(٤)</sup>. وتعدُّ الدلالة السياقية اللفظية من الأمور التي وظفها ابن جنِّي في الكشف عن المعنى القرآني، وكان لها الأثر الأكبر في تفسيره، إذ إنَّ السياق يؤدي دورًا مهمًّا في تحديد معاني الألفاظ وتوضيحها لا سيَّما في القرآن الكريم، إذ في بعض الأحيان لا يكفي المعنى اللغوي لتحديد المراد من الآية<sup>(٥)</sup>، وسأعرض لبعض الألفاظ التي فسَّر معناها في في ضوء السياق اللفظي.

(١) - ينظر: السياق القرآني وأثره في التفسير: ٧٦، (رسالة)، وتفسير القرآن بالقرآن نشأته وتطوره: ٢٨٨، مجلة آداب الرفادين، العدد ١٢، عام ١٩٨٠.

(٢) - ينظر: الدلالة السياقية عند اللغويين: ١٢٩ - ١٤٥، دلالة السياق للطلحي: ٥٦٨ - ٥٧٩، والسياق في كتب التفسير الكشاف وتفسير ابن كثير أنموذجًا: ٧٦ - ٨١، (رسالة)، والشاهد القرآني عند ابن جنِّي: ٢٨٦ - ٢٩٦، (أطروحة).

(٣) - ينظر: الدلالة السياقية عند اللغويين: ١٢٩ - ١٤٥.

(٤) - ينظر: الدلالة السياقية عند اللغويين: ٥، البحث الدلالي في التبيان في تفسير القرآن: ٢٩٠، (أطروحة).

(٥) - الشاهد القرآني عند ابن جنِّي: ٢٨٦، (أطروحة).

أولاً: سقيم

القول في قوله تعالى: ﴿ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ﴾ [الصافات: ٨٩].

ذكر ابن جني أن إبراهيم (عليه السلام) ((لم يكن في الوقت سقيماً، ولكنَّ السُّقْمَ للموت جارٍ عليه لا محالة))<sup>(١)</sup>. فحمل قول إبراهيم (عليه السلام) على العموم، ويستشرف فيه المستقبل، أي أن كلَّ إنسان لأبَدٍ مَيِّتٌ، فهو بذلك سقيم، فابن جني لم يحمل قول إبراهيم على الظاهر، أي أنه سقيم في حال تكلمه، بل تأوَّل قوله وحمله على غير الظاهر، وسياق الآيات - بعد الآية موضوع البحث - يدلُّ على أن إبراهيم (عليه السلام) لم يكن في حال تكلمه سقيماً، إذ قال تعالى: ﴿ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ ﴾ ﴿ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ﴾ ﴿ فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴾ ﴿ فَرَاغَ إِلَىٰ آلِهِتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴾ ﴿ مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ ﴾ ﴿ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ ﴾ [الصافات: ٩١، ٩٠، ٨٩، ٨٨، ٩٢، ٩٣]، فالعطف بالفاء يدلُّ على أن تلك الأفعال مُتَعاقِبَةٌ، فالفاء تُفِيدُ التَّعْقِيبَ، والضَّرْبُ بِالْيَمِينِ لا ينسجم مع كونه سقيماً، وهذا المعنى مال إليه الفراء، فنقل أنه: ((يقال: إنَّها كلمة فيها معراض، أي إنَّه كلُّ من كَانَ فِي عُنُقِهِ الموت، فهو سقيم، وإنَّ لم يكن به حين قالها سقْمَ ظاهر، وهو وجهٌ حسن))<sup>(٢)</sup>، وتعددت أقوال المفسرين واللغويين في دلالة ﴿ سَقِيمٌ ﴾ إلى أقوال منها:

الأول: أنه أوهمَّ قومَه أنه سقيم بالطَّاعُون؛ فنظَّر في النُّجُومِ كَنَظَرَ قومَه؛ لأنَّهم كانوا يتعاطون عِلْمَ النُّجُومِ، فأوهمهم أنه يقول بمثل قولهم، فقال عند ذلك ﴿ إِنِّي سَقِيمٌ ﴾ فتركوه ظنًّا منهم أنَّ نجمه يدلُّ على سقْمِهِ<sup>(٣)</sup>.

القول الثاني: أنه مُعْتَمِّمٌ بسبب ضلالهم، فكأنَّه (عليه السلام) قال لهم: ((إني مُعْتَمِّمٌ بَضَلَاتِكُمْ، حتى أنا كالسَّقِيمِ))<sup>(٤)</sup>، أو إني سقيم غمًّا بضللكم، أو ((إني سقيم القلب ممَّا

(١) - المنصف: ١ / ٣٠٥.

(٢) - معاني القرآن للفراء: ٢ / ٣٨٨.

(٣) - ينظر: معاني القرآن للفراء: ٢ / ٣٨٨، تأويل مشكل القرآن: ٢٠٢، ومعاني القرآن وإعرابه: ٤ /

٣٠٨، ومجمع البيان: ٨ / ٢٨٠.

(٤) - معاني القرآن وإعرابه: ٣ / ٣٩٧.

أرى من أحوالكم القبيحة من عبادة غير الله وعدولكم عن عبادته مع وضوح الأدلة الدالة على توحيده واستحقاقه للعبادة منفردًا بها ((<sup>(١)</sup>).

القول الثالث: أن في كلام إبراهيم (عليه السلام) توريةً ومِعْرَضًا، أي: أن إبراهيم (عليه السلام) عَرَضَ وَوَرَى في كلامه لقومه، قال ابن قتيبة: ((أي: سَأَسْقَمُ فلا أقدر على الغدو معكم. هذا الذي أُوهمهم بمعارض الكلام، ونيته أنه سقيم غدًا لا محالة؛ لأن من كانت غايته الموت ومصيره إلى الفناء فَسَيَسْقَمُ، ومثله قوله تعالى: ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴾ [الزمر: ٣٠] ولم يكن النبي، (صلى الله عليه وسلم) ميئًا في ذلك الوقت، وإنما أراد: أنك ستموت، وسيموتون))<sup>(٢)</sup>، وهذا الوجه هو الذي عليه ابن جني، فهو حمل معنى لفظ (السقم) على التورية بما دل عليه السياق اللفظي في الآيات اللاحقة.

#### ثانيًا: الموت

القول في قوله تعالى: ﴿ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴾ [إبراهيم: من الآية: ١٧].

قال ابن جني: ((يُسَمَّى الشَّيْءُ بِاسْمِ غَيْرِهِ إِذَا كَانَ مُلَابِسًا لَهُ، ومثله في المَلَابِسَةِ قول الله سبحانه: ﴿ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ ﴾، ومعناه - والله أعلم - أسباب الموت؛ إذ لو جاءه الموت نفسه لَمَاتَ بِهِ لا محالة))<sup>(٣)</sup>. وكان ابن جني حمل الآية على المجاز، أو على حذف المضاف، فقال: أسباب الموت. وهذا المعنى الذي ذهب إليه فرضه سياق الآية، قال تعالى: ﴿ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ ﴾؛ فَلَزِمَ أَنْ يَكُونَ الْمَوْتُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ ﴾ ليس هو فقدان الحياة بدلالة قوله تعالى: ﴿ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ ﴾ وهذا ما حمل ابن جني على أن يقول: لو جاءه الموت نفسه لَمَاتَ بِهِ لا محالة، وقال في الخاطريات: ((﴿ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴾، أي ما يُقَارِبُ الْمَوْتَ؛ لِأَنَّهُ لَوْ أَتَاهُ الْمَوْتُ الْبَتَّةَ لَمَاتَ الْبَتَّةَ))<sup>(٤)</sup>، وكان ابن عباس يرى أن

(١) - التبيان في تفسير القرآن: ٥٠٩/٨، وينظر: الكشف والبيان: ١٤٨ / ٨، والكلبيات: ٦٤٦.

(٢) - تأويل مشكل القرآن: ٣٣٦.

(٣) - الخصائص: ١ / ١٩ - ٢٠.

(٤) - الخاطريات: ١٣٦.

المراد بقوله تعالى: ﴿ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ ﴾ ((أنواع العذاب الذي يُعَذَّبُهُ اللهُ بها يوم القيامة في نار جهنم، وليس منها نوع إلا الموت يأتيه منه لو كان يموت، ولكن لا يموت؛ لأنَّ الله تعالى قال: ﴿ لَا يُفْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ ﴾ [فاطر: من الآية: ٣٦])<sup>(١)</sup>، وكأنَّ الموت في الآية نوع من أنواع العذاب لأصحاب النار، لأنَّ أصحاب النار لا يموتون، بل هم في العذاب خالدون. وحمل بعض المفسرين الموت في الآية على المجاز أو حذف المضاف فقالوا: أي تأتي أسباب الموت من الشدائد وأنواع العذاب التي تؤدي إلى الموت، فكأنَّه يجد ألمَّ الموت وسُقمه<sup>(٢)</sup>، ونقل أبو حيان عن الأخفش وتبعه الألوسي، قوله في الآية فقال: ((قال الأخفش: أراد البلى التي تُصيب الكافر في الدنيا، سمَّاها موتًا، وهذا بعيد؛ لأنَّ سياق الكلام يدلُّ على أنَّ هذا من أحوال الكافر في جهنم، وقوله: ﴿ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ ﴾ لتطاول شدائد الموت، وامتداد سكراته))<sup>(٣)</sup>، وردَّ أبي حيان والألوسي على الأخفش، تؤيده الآيات قبل الآية موضوع البحث، فسياق الآيات يتكلم على وصف أصحاب النار، قال تعالى: ﴿ وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿ مِّنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِنْ مَّاءٍ صَدِيدٍ ﴿ يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴾ [إبراهيم: ١٥، ١٦، ١٧]، فسياق الآيات يشير إلى أحوال الكافر في النار، وليس في الحياة الدنيا، إلا أنَّ الثعالبي نقل عن الأخفش كلامه في الآية فقال: (( قال إبراهيم التيمي: حتى من تحت كل شعرة في جسده. الضحاك: حتى من إبهام رجله. الأخفش: يعني البلى التي تصيب الكافر في النار سمَّاها موتًا))<sup>(٤)</sup>، وقبول قول الأخفش عن الثعالبي أولى من قبوله عن أبي حيان والألوسي؛ لأنَّهما أبعد من الثعالبي عن الأخفش، وهو الأقرب.

(١)- تفسير القرآن العظيم لابن كثير: ٤ / ٤٨٦ .

(٢)- ينظر: الكشف والبيان: ٥ / ٣١٠، البحر المحيط: ١ / ٣٧٣، وروح المعاني: ١٣ / ٢٠٢ .

(٣)- البحر المحيط: ٥ / ٤٠٣ ، وينظر: روح المعاني: ١٣ / ٢٠٣ .

(٤)- الكشف والبيان: ٥ / ٣١١ .

ثالثاً: لَنَزَعَنَّ

القول في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَنَزَعَنَّ مِنْ كُلِّ شَيْعَةٍ أَيْهَمَ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا﴾ [مريم: ٦٩].

استشهد ابن جني بالآية في أكثر من كتاب من كتبه، ووقف على المعنى المراد من قوله: ﴿لَنَزَعَنَّ﴾ وبيّن دلالته في سياق الآية، وأشار إلى قضية الخلاف النحوي بين البصريين والكوفيين في الآية، ويمكن إجمال قوله في الآية بأمرين:

الأول: قال في دلالة قوله تعالى: ﴿لَنَزَعَنَّ﴾ في سياق الآية: و((جاز عند يونس تعلّيق (نَزَعَنَّ) من قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَنَزَعَنَّ مِنْ كُلِّ شَيْعَةٍ أَيْهَمَ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا﴾ لَمَّا كان معنى (نَزَعَ) هنا ليس المراد به النَّزَعَ باليد كاستخراجك المسمار من السَّاجَةِ<sup>(١)</sup>، والوَتَد من الحائط، وإِنَّمَا معنى (نَزَعَ) هنا معنى التَّمْيِيز بالفكر والاستخلاص بالنفس؛ هكذا كلام العرب، وإن كان الله عزَّ اسمه لا رؤية له، ولا تردداً في معلوم عنده، ألا ترى أَنَّ الرَّحْمَةَ من العباد لِينٌ ورَقَّةٌ، ومن الباري تعالى إِيناس وإِقَالَة، فاللفظ واحد والمعنيان كما ترى اثنان؛ فلهذا جاز عندنا أن يذهب يونس إلى تعلّيق قوله ﴿لَنَزَعَنَّ﴾، ولو كان من النزح الظاهر المتقدم ذكره لَمَّا جاز تَعْلِيقُهُ، وهذا تلخيص أبي علي، وإِنَّمَا بَسَطْتُ ما قَبَضَهُ، وفصَّلْتُ ما أَجْمَلَهُ<sup>(٢)</sup>، وقد تناول أبو علي الفارسي هذه المسألة في كتابين من كتبه بشيء من التَّفْصِيل<sup>(٣)</sup>. وابن جني ارتضى قول يونس بتعلّيق (نَزَعَ)؛ لأنَّه نظر إلى معناه بلحاظ السياق فلَمَّا كان معناه: التَّمْيِيز بالفكر والاستخلاص بالنفس جاز تَعْلِيقُهُ عنده، ويرى الباقرلي أَنَّ جواز التَّعْلِيق في هذا الفعل عند يونس؛ لأنَّ المراد به التَّمْيِيز بين الصالح والپالاح، وليس المراد به نزع الشيء من الشيء<sup>(٤)</sup>، والفعل (نَزَعَ) له معنيان عند ابن جني الأول: نزع الشيء من الشيء، والآخر: التَّمْيِيز، وعليه حمل قول يونس، أي أَنَّ النزح يكون بالتَّمْيِيز بين العنَّة أَيْهَمَ أَعْتَى.

(١) - السَّاجَة: الخشبة المربعة، ينظر لسان العرب: ٢ / ٣٠٣، (سوج).

(٢) - التنبية: ١٠٠، وينظر: المحتسب: ٢ / ٨٥ - ٨٦.

(٣) - ينظر: الإغفال: ٢ / ٣٩٧ - ٤٠٠، والتعلّيق: ٢ / ١٠٦ - ١٠٨.

(٤) - ينظر: شرح اللمع: ٤٢٦، وإعراب القرآن للباقرلي: ٢ / ٤٧٧

ولم أقف على الملازمة التي بين قوله: ﴿لَنْزِعَنَّ﴾ ومعناه إذا كان (التمييز)، الذي به يجوز تعليق قوله: ﴿لَنْزِعَنَّ﴾، أي أنه لم يجوز التعليق إذا كان معنى الفعل التمييز؟ وهذا لم يُبينه يونس، ولم يجب عنه ابن جني ولا الباقولي، فكان التمييز عندهم مما يُوجب التعليق، أو لأن دلالته معنوية كأفعال القلوب، ويرى أبو السعود أن قوله: ﴿لَنْزِعَنَّ﴾ معلق ((لِتَضْمُنِهِ معنى التمييز اللازم للعلم))<sup>(١)</sup>، وقال بعض اللغويين والمفسرين عن الفراء والكسائي أن معنى قوله: ﴿لَنْزِعَنَّ﴾ النداء، أي: لئن ناديت ﴿أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا﴾ وجاز تعليقه عندهم؛ لأن معنى النداء، وفعل النداء عندهم يجوز تعليقه، ((قال الفراء: المعنى: ثم لَنْزِعَنَّ بالنداء، ومعنى ﴿لَنْزِعَنَّ﴾: لئن ناديت. المهدي: و (نادى) فعل يُعَلَّقُ إذا كان بعده جملة كظننت، فتعمل في المعنى ولا تعمل في اللفظ))<sup>(٢)</sup>.

واختلف المفسرون في معنى ﴿لَنْزِعَنَّ﴾، فقيل معناه: لَنْزُجَنَّ، وهو ما عليه أكثر المفسرين<sup>(٣)</sup>، وقيل معناه لَنْزِمِينَ وهذا ما انفرد به أبو حيان فذكر أن معنى ﴿لَنْزِعَنَّ﴾ ((لَنْزُجَنَّ... وقيل: لَنْزِمِينَ من نزع القوس وهو الرمي بالسهم))<sup>(٤)</sup>.

الأمر الثاني: الخلاف النحوي في قوله تعالى: ﴿أَيُّهُمْ﴾، وهي من مسائل الخلاف النحوي، فقد ((ذهب الكوفيون إلى أن ﴿أَيُّهُمْ﴾ إذا كان بمعنى (الذي) وحذف العائد من الصلة مُعَرَّبٌ، نحو قولهم: لأضربن أيهم أفضل، وذهب البصريون إلى أنه مبني على الضم، وأجمعوا على أنه إذا ذُكر العائد أنه مُعَرَّبٌ، نحو قولهم: لأضربن أيهم هو أفضل))<sup>(٥)</sup>، وكانت الآية شاهداً لهذه المسألة، وتناولها كثير من اللغويين وتعددت آراؤهم فيها وهي:

١- يرى الخليل أن ﴿أَيُّهُمْ﴾ مرفوعة على الحكاية بالقول المقدر، وهي مبتدأ، و﴿أَشَدُّ﴾ خبره، والتقدير: لَنْزِعَنَّ من كل شيعة المقول فيهم أيهم أشد على الرحمن عتياً، وكذلك قال

(١)- إرشاد العقل السليم: ٣ / ٥٩٧.

(٢)- جامع البيان: ١٣ / ٤٩٠، وينظر: مشكل إعراب القرآن: ٢ / ٦٢، والمحزر الوجيز: ٤ / ٢٦، والبحر المحيط: ٦ / ١٩٦.

(٣)- ينظر: بحر العلوم: ٢ / ٣٣٠، وتأويلات أهل السنة: ٧ / ٢٥١، والكشف والبيان: ٦ / ٢٢٤.

(٤)- البحر المحيط: ٦ / ١٩٦.

(٥)- الإنصاف في مسائل الخلاف: ٢ / ٥٨٣، وينظر: ائتلاف النُصرة في اختلاف نحاة الكوفة والبصرة: ٦٧.

يونس في الآية إلا أنه جعل قوله: ﴿لَنَنْزِعَنَّ﴾ مُعَلَّقًا<sup>(١)</sup>. وقول الخليل بعيد عند سيبويه في الآية، وقال هو جائز في الشعر أو في اضطرار<sup>(٢)</sup>، أمّا الزجاج فقد رجّح قول الخليل وهو موافق للتفسير عنده<sup>(٣)</sup>.

٢- يرى سيبويه أنّ ﴿أَيُّهُمْ﴾ مبنية على الضم لمخالفتها أخواتها ((إذ هي أخت) الذي ولما) وخالفتهما في جواز الإضافة فيها فأعربت لذلك، فلما حذف من صلتها ما يعود عليها ضعفت فرجعت إلى البناء<sup>(٤)</sup>، وقال النحاس إنّ الزجاج خطأً سيبويه في هذه المسألة، بل قال: ((وما علمت أنّ أحدًا من النحويين إلا وقد خطأً سيبويه في هذا. سمعتُ أبا إسحاق يقول: ما يبين لي أنّ سيبويه غلط في كتابه إلا في موضعين هذا أحدهما<sup>(٥)</sup>، أحدهما<sup>(٥)</sup>))، وقول النحاس هذا عن الزجاج لم يصرح به الزجاج في كتابه معاني القرآن وإعرابه، بل رجّح قول الخليل، وقال جاسم الحاج جاسم: أنّ تخطئة النحويين لسيبويه، لم تأت عن أحدٍ من النحويين في ما علمناه<sup>(٦)</sup>، إلا أنّي وجدت أبا بكر بن السراج يستبعد بناء (أَيُّهُمْ) مضافة<sup>(٧)</sup>.

أمّا ابن جني فله في قوله تعالى: ﴿أَيُّهُمْ﴾ وجهان من الإعراب:

الوجه الأول: أنّ ﴿أَيُّهُمْ﴾ معربٌ ووافق فيه قول يونس بشرط أنّ يكون معنى قوله تعالى: ﴿لَنَنْزِعَنَّ﴾ التَّمْيِيزُ، لا كَنَزْعِ الرَّجُلِ الرَّجُلَ من الخف أو المسمار من الجذع<sup>(٨)</sup>، وهذا الوجه جائز عنده.

(١)- ينظر: الدر المصون: ٧ / ٦٢٢.

(٢)- ينظر: الكتاب: ٢ / ٤٠١.

(٣)- ينظر: معاني القرآن وإعرابه: ٣ / ٣٤٠.

(٤)- المحرر الوجيز: ٤ / ٢٦، وينظر: الكتاب: ٢ / ٤٠٠.

(٥)- إعراب القرآن للنحاس: ٥٧١.

(٦)- ينظر: تخطئة النحاس للنحويين في إعراب القرآن: ٤٤، مجلة الجامعة الإسلامية، العدد: ٢١، الجزء: ١، عام ٢٠٠٨.

(٧)- ينظر: الأصول في النحو: ٢ / ٣٢٤.

(٨)- التنبيه: ١٠٠، وينظر: المحتسب: ٢ / ٨٥ - ٨٦.

الوجه الثاني: هو أن تكون: ﴿ أَيُّهُمْ ﴾ مبنية على مذهب سيبويه، وهو المذهب الذي اختاره ابن جني إذ قال: ((ألا ترى إلى قول الله سبحانه: ﴿ ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا ﴾ ... وقرضنا نحن مذهب سيبويه لا غير))<sup>(١)</sup>، فهو على مذهب سيبويه في هذه المسألة، إلا أنه جَوَّز مذهب يونس بالشرط المتقدم.

#### رابعاً: الصلاة

القول في قوله تعالى: ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهَدَمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا ﴾ [الحج: من الآية: ٤٠]، وقوله تعالى: ﴿ لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ ﴾ [النساء: من الآية: ٤٣].

ذكر ابن جني أن ((معنى ﴿ صَلَوَاتٌ ﴾ هنا: المساجد، وهي على حذف المضاف، أي: مواضع الصلوات، ومنه قولهم: صَلَّى المسجدُ، أي: أهله، وأدَّنَ المسجدُ، أي: مؤذنه... قال أبو حاتم: ضاقت صدورهم لما سمعوا لهدمت صلوات، فعدلوا إلى بقية القراءات، وقال الكلبي: (صلوات) مساجد اليهود، وقال الجحدري: (صلوات) مساجد النصارى، وعندنا من خارج باب الموصل بيوت يدفن فيها النصارى تعرف بالباصلوث، بناء منقوطة ثلاث... وقال أبو حاتم: قال الحسن: تهديمها: تعطيلها، وقول الله سبحانه: ﴿ لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى ﴾، ثم قال: ﴿ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ ﴾، فهذا يدل على أن المراد: لا تقربوا المسجد، فقال: (الصلاة))<sup>(٢)</sup>، وقول ابن جني الصلوات هنا المساجد، تفسير بلحاظ السياق؛ وذلك لأن السياق يفرض هذا التفسير؛ لأن التهديم واقع على أماكن العبادة عند الملل، وقوله تعالى: ﴿ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا ﴾ جملة وصفية لمساجد وما قبلها من المعطوفات<sup>(٣)</sup>، وهذا يدل على أن قوله: ﴿ صَلَوَاتٌ ﴾ أماكن للعبادة يُذَكَّرُ فيها اسم الله، بقرينة أماكن العبادة المتقدم ذكرها في النص القرآني، ولا يقصد بقوله: (المساجد) أماكن عبادة المسلمين، بل أماكن العبادة التي يصلي فيها المصلون، إذ قال مساجد اليهود، ومساجد النصارى. وكون ﴿ صَلَوَاتٌ ﴾ أماكن للعبادة قال به أكثر اللغويين

(١)- التمام: ٢٠١، وينظر: الخصائص: ٢ / ١٨٣.

(٢)- المحتسب: ٢ / ٨٤ - ٨٥.

(٣)- ينظر: الجدول في إعراب القرآن: ٩ / ١٢٠.

والمفسرين إذ قالوا: قوله تعالى: ﴿ صَلَّوَاتٌ ﴾ كنائس اليهود، وهي بالعبرانية (صَلَوَاتًا) فَعُرِّبَ جمعها، فقيل: (صَلَّوَاتٌ)<sup>(١)</sup>، ويرى الشريف الرضي أَنَّ ﴿ صَلَّوَاتٌ ﴾ هنا يعني بها مصليات اليهود سميت بذلك لكثرة الصلاة فيها<sup>(٢)</sup>، إِلَّا أَنَّ ابن جني حملها على حذف المضاف، أي: مواضع الصلوات، وهذا المعنى قال به الحلبي، إذ قال: ((ولا بُدُّ من حذف مضافٍ ليصحَّ تَسَلُّطُ الهدم عليها، أي: مواضع صلواتٍ، أو يُضَمَّن (هُدِّمَتْ) معنى (عُطِّلَتْ) فيكون قَدْرًا مشتركًا بين المواضع والأفعال؛ فَإِنَّ تعطيل كلِّ شيءٍ بِحَسَبِهِ))<sup>(٣)</sup>.

أما قوله أَنَّ (الصَّلَاةَ) في قوله تعالى: ﴿ لَا تَقْرُبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى ﴾ بمعنى المسجد، أي لا تقربوا المسجد، تفسيرٌ بلحاظ السياق أيضًا، واستدل لذلك بسياق الآية، إذ قال ﴿ لَا تَقْرُبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى ﴾، ثم قال: ﴿ وَلَا جُنْبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ ﴾، فهذا يدل على أن المراد بالصلاة: المسجد، لأنَّ العبور يكون في الموضع لا في فعل الصلاة؛ لذا حمل معنى لفظة (الصلاة) على المسجد بقريظة العبور<sup>(٤)</sup>.

وذكر اللغويون والمفسرون في معنى (الصلاة) في الآية قولين: الأول أنَّها بمعنى المسجد، وهذا يكون من جهتين الأولى: على حذف المضاف، أي: موضع الصلاة وهو المسجد، والثانية أن تكون الصلاة هي المسجد وهذا جائز؛ وذلك لكثرة وقوع الصلاة فيه، وهذا القول هو الذي عليه ابن جني، والقول الآخر: أن تكون الصلاة هي الصلاة المعروفة<sup>(٥)</sup>، قال الرازي: ((القول الثاني: وعليه الأكثرون: أن المراد بالصلاة في هذه الآية نفس الصلاة، أي لا تصلوا إذا كنتم سكارى))<sup>(٦)</sup>، والمعنى الراجح أن تكون (الصلاة) في الآية هي الصلاة المعروفة؛ وذلك لدلالة سياق الآية كاملة عليها، قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرُبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنْبًا إِلَّا عَابِرِي

(١)- ينظر: معاني القرآن للفراء: ٢٢٧/٢، ومعاني القرآن وإعرابه: ٤٣٠/٣، والتبيان في تفسير القرآن:

٣٢٠/٧، والنكت والعيون: ٤ / ٣٠، والمعرب من الكلام الأعجمي: ٢٥٩.

(٢)- ينظر: حقائق التأويل: ٣٣٨.

(٣)- الدر المصون: ٨ / ٢٨٥.

(٤)- ينظر: مجمع البيان: ٣ / ٧٧.

(٥)- ينظر: معاني القرآن وإعرابه: ٥٤-٥٥، وحقائق التأويل في متشابه التنزيل: ٣٣٨، الكشاف:

٨٢، والتفسير الكبير: ١٠ / ١١١، والتبيان في إعراب القرآن: ١ / ٣٦٠، وإرشاد العقل: ١ / ٦٩٩.

(٦)- التفسير الكبير: ١٠ / ١١١.

سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفْوًا غَفُورًا ﴿٤٣﴾ [النساء: ٤٣]، فالقول من أفعال الصلاة، والتَّطَهَّرَ من الغائط، والتَّيَمَّمُ عند الملامسة يكونان للدخول في الصلاة لا لدخول المسجد، وعطف هذه الجمل على الجملة الحالية ﴿ وَأَنْتُمْ سَكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ ﴾، يُؤَيِّدُ كون (الصلاة) في الآية هي الصلاة المعروفة<sup>(١)</sup>.

#### الدلالة السياقية الحالية وأثرها في التفسير

السياق الحالي هو: ((جملة العناصر غير اللغوية المكوّنة للموقف الكلامي من شخصية المتكلم والسامع وعلاقات الزمان والمكان وسائر الظروف المحيطة، والتي [كذا] تسهم في تكوين معنى الكلام وتترك أثرها فيه))<sup>(٢)</sup>، أو يقصد به جملة الظروف المتعلقة بالمقام الذي ينطق فيه الكلام، ويطلق على سياق الحال، السياق الخارجي أو العام، أو سياق المقام، أو الاجتماعي أو غير اللغوي<sup>(٣)</sup>، فالسياق الحالي يشمل كل تلك الأمور التي خارج نطاق اللغة وتفيد في تبين المعنى، وكذلك عدت أسباب النزول والناسخ والمنسوخ مظهرًا من مظاهر السياق الحالي لاتصالها بمعنى الآية المنطوق إذ لا بدّ من الرجوع إلى أسباب النزول للموقف على المعنى المراد<sup>(٤)</sup>.

وابن جني من أبرز اللغويين الذين عرضوا لسياق الحال في مواضع متفرقة من كتابه الخصائص فقد ذكر أنّ: ((تجوّزهم في تسميتهم الاعتقادات والآراء قولاً فلأنّ الاعتقاد يخفى فلا يعرف إلاّ بالقول أو بما يقوم مقام القول من شاهد الحال))<sup>(٥)</sup>، ويفهم من كلامه أنّ كشف المعنى له طريقان: الأول منهما القول بالكلام الصريح، والآخر يفهم بما يقوم مقام القول وهو سياق الحال الذي قيل فيه الكلام.

(١)- ينظر: إعراب القرآن وبيانه: ٢ / ٢٩، والإعراب المفصل: ٢ / ٢٨٧ - ٢٨٩.

(٢)- ينظر: السياق في كتب التفسير الكشاف وتفسير ابن كثير أنموذجًا: ١٧ (رسالة).

(٣)- ينظر: الدلالة السياقية عند اللغويين: ٧٦.

(٤)- ينظر: البحث الدلالي في التبيان في تفسير القرآن: ٢٩٦، (أطروحة)، وقرينة السياق وأثرها في

النص القرآني: ١٢٢، مجلة كلية التربية الأساسية العدد ٦٨، عام ٢٠١١.

(٥)- الخصائص: ١ / ١٩.

وقد وظف ابن جني دلالة سياق الحال في تفسير بعض آيات القرآن الكريم للوصول إلى المعنى المراد، فوظف سياق الحال في تقدير المحذوف، وغيرها من الأمور، وفي ما يأتي أمثلة لتوظيفه سياق الحال في الكشف عن المعنى المراد.

أولاً:

القول في قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٧]، على قراءة ابن عباس (كأنتك حفيٌّ بها) بحذف (عنها) وإضافة (بها).

((قال أبو الفتح: ذهب أبو الحسن في قوله: ﴿يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا﴾ إلى أن تقديره: يسألونك عنها كأنك حفي بها، فأخر (عن) وحذف الجار والمجرور للدلالة عليهما، فهذا الذي قدره أبو الحسن قد أظهره ابن عباس، وحذف (عنها) لدلالة الحال عليها، ألا ترى أنه إذا كان حفيًّا بها، فمن العرف وجاري عادة الاستعمال أن يُسأل عنها، كما أنه إذا سُئل عنها فليس ذلك إلا لحفاوته بها، وإذا لم يكن بها حفيًّا لم يكن عنها مستؤلًّا [كذا]، وكلُّ واحد من حرفي الجرِّ دلٌّ عليه ما صحبه فساغ حذفه، وهذا واضح))<sup>(١)</sup>، فابن جني قدر الجار والمجرور (عنها) في قراءة ابن عباس لدلالة سياق الحال عليه، وعلَّ ذلك بأنَّه إن كان حفيًّا بها - أي الساعة - فلا بدَّ أن يُسأل عنها، فكان سياق الحال مُعينًا لابن جني في تفسير قراءة ابن عباس وتوضيح معناها.

أمَّا قراءة العامة ﴿يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا﴾ فتقدير المعنى فيها: يسألونك عنها كأنك حفي بها، وحذف الجار والمجرور (بها) لدلالة سياق الحال عليه؛ وذلك لحفاوته بها سُئل عنها، ويرى أبو علي الفارسي والرازي أنَّ الجار والمجرور (بها) حُذف لطول الكلام، أو لأنَّه معلوم لا يحصل التباس بسبب حذفه<sup>(٢)</sup>، وذهب الطبرسي إلى المعنى الذي ذكره ابن جني لقراءة ابن عباس والقراءة العامة فقال: ((معناه يسألونك عنها كأنك حفي بها، أي: عالم بها... ورؤي عن ابن عباس أنه قرأ (كأنتك حفيٌّ بها) فعلى هذا يكون الجار

(١) - المحتسب: ١ / ٢٦٩.

(٢) - الحجة للقراء السبعة: ٢ / ٢١٤، التفسير الكبير: ١٥ / ٨٦.

والمجرور الذي هو (عنها) محذوفاً لدلالة الحال عليها، كما يكون في التقدير الأول يكون الجار والمجرور الذي هو (بها) محذوفاً للدلالة عليها أيضاً، ألا ترى أنه إذا كان حقيقاً بها فلا بد أن يُسأل عنها، كما أنه إذا سأل [كذا] عنها فليس ذلك إلا للحفاوة بها<sup>(١)</sup>، وهذا الذي قاله الطبرسي هو قول ابن جني.

ثانياً:

القول في قوله تعالى: ﴿ وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [القصص: ٧٣].

قال ابن جني: و((من المجلد الذي يُفصّل العلم به قوله تعالى: ﴿ وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ ﴾، وإنّما تقديره - والله اعلم - ومن رحمته جعل لكم الليل لتسكنوا فيه، والنهار لتبتغوا من فضله، فترك التفصيل لعلم المخاطبين بوقت الابتغاء من وقت السكون))<sup>(٢)</sup>، وتفسير ابن جني هذا دلّ عليه سياق الحال في الآية؛ لأنّ الابتغاء لا يكون إلا نهاراً غالباً، وأنّ ((المخاطبين يعلمون وقت السكون ووقت الاكتساب))<sup>(٣)</sup>، وتبيين المجلد وتفصيله من وظائف السياق كما قال الزركشي<sup>(٤)</sup>، وقال أكثر اللغويين والمفسرين أنّ الضمير في قوله: ﴿ فِيهِ ﴾ يعود على الليل، وأنّ قوله ﴿ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ ﴾ يعود على النهار، فيكون المعنى: ولتبتغوا من فضله فيه، أي: في النهار، فحذف الضمير وجاره، لدلالة المعنى<sup>(٥)</sup>، وهذا هو المعنى الذي عليه ابن جني، وجوّز الفراء والزجاج وتبعهما القرطبي في الآية وجهاً آخر خلاصته أنّ يكون الضمير في قوله تعالى: ﴿ فِيهِ ﴾ للزمان، أي: الليل والنهار، فيكون المعنى أنّ تسكنوا فيهما ، وتبتغوا من فضل الله فيهما<sup>(٦)</sup>.

(١) - مجمع البيان: ٤ / ٢٩٩.

(٢) - المنصف: ٢ / ١١٧.

(٣) - الكامل: ٢ / ٩٢٣.

(٤) - ينظر: البرهان في علوم القرآن: ٢ / ٢٠٠.

(٥) - ينظر: معاني القرآن للفراء: ٢ / ٣٠٩، ومعاني القرآن وإعرابه: ٤ / ١٥٣، والهداية لبلوغ النهاية:

٨ / ٥٥٦٧، والكشاف: ٤ / ٥٢١، والفريد في إعراب القرآن المجيد: ٣ / ٧٢٤، والبحر المحيط: ٧ / ١٢٥.

(٦) - ينظر: معاني القرآن للفراء: ٢ / ٣٠٩، ومعاني القرآن وإعرابه: ٤ / ١٥٣، والجامع لأحكام القرآن:

٣١١/١٦.

ثالثاً:

القول في قوله تعالى: ﴿أَنْدَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ﴾ [ق: ٣].

ذكر ابن جنى أن ((معنى قوله: ﴿ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ﴾، أي: بعيدٌ في التقدير والظن، لا في الزمان؛ لأنهم لم يكونوا يعترفون بالبعث، لا قريباً ولا بعيداً))<sup>(١)</sup>، وتفسيره هذا تفسير بلحاظ سياق الحال؛ لأن الكفار لا يؤمنون بالبعث أصلاً، بقطع النظر عن كونه قريباً أو بعيداً؛ لذا قال ابن جنى: إنه بعيد في التقدير والظن لا في الزمان، وهذا التفسير عليه أغلب المفسرين فذكروا أنه بعيد عن العقل والأوهام والإمكان، أو استحالة الرجوع<sup>(٢)</sup>، وقال ابن الشجري: ((والعرب تقول لما لا يصح في اعتقادهم تكوُّنه: هذا بعيد... والشاهد بذلك قوله تعالى حاكياً عنهم ﴿أَنْدَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ﴾))<sup>(٣)</sup>، وهذا المعنى هو المعنى الذي قاله ابن جنى إلا أن ابن الشجري لم يفسر الآية بلحاظ سياق الحال، بل حمل معنى لفظ (بعيد) على المعاني التي قالتها العرب ومنها الاستحالة وعدم الإمكان.

رابعاً:

القول في قوله تعالى: ﴿وَكَانُوا يَقُولُونَ أَنْدَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا إِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾

[الواقعة: ٤٧] ، على قراءة مَنْ حذف همزتي الاستفهام.

قال ابن جنى في قراءة لم ينسبها: ((ومن ذلك قرأ: (إِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا إِنَّا)، على الخبر كلاهما بلا استفهام. قال أبو الفتح: مخرج هذا منهم على الهُزء، وهذا كما تقول لمن تهزأ به: إذا نظرت إليّ متُّ منك فرقاً، وإذا سألتك جممت لي بحرًا، أي: الأمر بخلاف ذلك، وإنما أقوله هازئاً، ويدلُّ على هذا شاهد الحال حينئذ، ولولا شهود الحال لكان حقيقة لا عبثاً، فكأنه قال: إِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا بُعِثْنَا، ودلَّ قوله: (إِنَّا لَمَبْعُوثُونَ) على (بُعِثْنَا) ولا يجوز أن يعمل فيه (مبعوثون)؛ لأن ما بعد (إن) لا يعمل فيما قبلها))<sup>(٤)</sup>، وهذه القراءة

(١)- المحتسب: ٢ / ٢٨٢.

(٢)- ينظر: جامع البيان: ٤٠٢/٢١، والمحرر الوجيز: ١٥٦/٥، والبحر المحيط: ١٢٠/٨.

(٣)- أمالي ابن الشجري: ٢ / ٤٣٩.

(٤)- المحتسب: ٢ / ٣٠٩.

نسبها محمد بن أبي نصر الكرمانى - من علماء القرن السادس الهجرى - إلى يحيى بن وثاب<sup>(١)</sup>.

وظف ابن جني لتفسير هذه القراءة وتبيين معناها شاهد الحال الذي هو سياق الحال، إذ إنَّ القراءة على الخبر تدلُّ على أنَّهم يؤمنون بالبعث، إلَّا أنَّ سياق الحال دلَّ على أنَّ الكلام على الاستهزاء؛ لأنَّ الكفار لا يؤمنون بالبعث أصلاً، كما هو المعنى في قراءة العامة، فالاستفهام فيها يدلُّ على الإنكار، أي: أنَّهم ينكرون البعث بعد الموت<sup>(٢)</sup>، فكذلك معنى قراءة ابن وثاب بدلالة قرينة سياق الحال.

#### الدلالة السياقية العقلية وأثرها في التفسير

السياق العقلي: هو سياق طريقه الاستنتاج العقلي، ويُسْتَنْبَط من داخل النَّصِّ، ويدلُّ عليه المعنى العام، وبه يُتَّوَصَّل إلى المعنى المَقْصُود، أو المعنى المراد كشفه<sup>(٣)</sup>، ويسمى أيضاً الدليل العقلي أو قرينة العقل، أو هو قرينة عقلية تسمح لنا بالوصول إلى المعنى المراد كشفه عن طريق الاستنتاج وإعمال العقل<sup>(٤)</sup>.

يُعدُّ السياق العقلي من أهمِّ القرائن التي تساعد على كشف المعنى، وقد وظَّف ابن جني قرينة العقل في تفسيره، والكشف عن المعنى القرآني، ولمَّا كان ابن جني معتزلياً فإنَّ قرينة العقل تُعدُّ عنده أهم من القرينة اللفظية إذ ((يعتصم المعتزلة بالقرينة العقلية التي اعتبروها [كذا] أشدُّ دلالة من القرينة اللفظية المتصلة بالكلام))<sup>(٥)</sup>، وتفضيل قرينة العقل ليس عامًّا في عموم تفسير القرآن، بل يكون في الآيات التي تتعارض مع معتقد المعتزلة لا سيما في العدل والتوحيد، وغيرهما من القضايا التي يؤمنون بها، و((الدلالة العقلية غير منضبطة لاختلافها باختلاف العقول، وتفاوت مراتب الملزوم العقلي وضوحاً وخفاءً بخلاف الدلالة الوضعية، فإنَّها لتوقفها على العلم بالوضع لا يتصور فيها الاختلاف ولا

(١) - ينظر: شواذ القراءات: ٥٤٣.

(٢) - ينظر: التفسير الكبير: ٢٩ / ١٧٣.

(٣) - البحث الدلالي في التبيان في تفسير القرآن: ٣٠٠، (أطروحة).

(٤) - ينظر: الاتجاه العقلي في التفسير: ١٣٦.

(٥) - ينظر: الاتجاه العقلي في التفسير: ٢٤٥.

يتفاوت فيها العبي والذكي))<sup>(١)</sup>، فتكون الدلالة العقلية متفاوتة بتفاوت العقول، ومن الآيات التي وظف فيها ابن جني قرينة السياق العقلي.

أولاً:

القول في قوله تعالى: ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴾ [الزمر: ٣٠].

قال ابن جني: ((أي كلُّكم سيموت))<sup>(٢)</sup>، وتفسيره هذا استنتاج من معنى عموم الآية، والآية خطاب للنبي محمد (صلى الله عليه وآله)، أي أنه لما كان مآله (صلى الله عليه وآله) الموت، ومآل الناس المؤمنين والكفار الموت، فينتج من ذلك أنهم كلُّهم سيموتون لا محالة<sup>(٣)</sup>، وهذا تفسير على وفق سياق العقل.

ثانياً:

القول في قوله تعالى: ﴿ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ [الرعد: من الآية: ١٦].

قال ابن جني: ((وهو سبحانه شيء وهذا مما يستثنيه العقل ببديهته، ولا يحوج إلى التشاغل باستثنائه؛ ألا ترى أن الشيء كائناً ما كان لا يخلق نفسه))<sup>(٤)</sup>، وظَّف ابن جني في تفسير الآية قرينة سياق العقل، فهو يثبت أن الله شيء، استثنائي من الخلق بدليل العقل، فهو عموم يراد به الخصوص بقرينة العقل<sup>(٥)</sup>، وهذا المعنى في الآية أشار إليه كثير من المفسرين، قال الطاهر بن عاشور: ((اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ وهذه الجملة أدخلت كل موجود في أنه مخلوق لله تعالى، فهو ولي التصرف فيه لا يخرج من ذلك إلا ذاتُ الله تعالى وصفاته، فهي مخصوصة من هذا العموم بدليل العقل، وهو أنه خالق كلِّ شيء، فلو كان خالق نفسه أو صفاته لزم توقف الشيء على ما يتوقف هو عليه، وهذا ما

(١) - الكليات: ١٠٣٨.

(٢) - التبيين: ٣١٤.

(٣) - ينظر: الهداية لبلوغ النهاية: ١٠ / ٦٣٣٥.

(٤) - الخصائص: ٢ / ٤٥٦.

(٥) - ينظر: الكليات: ١٠٦١.

يُسَمَّى بالدَّور في الحكمة، واستحالته عقلية، فَخُصَّ هذا العموم (العقل)<sup>(١)</sup>، فتكون قرينة العقل مانعة من حمل الآية على العموم.

وعرض الرازي إلى مسألة في الآية، وهي: هل يجوز تسمية (الله) تعالى بلفظ (الشيء)؟ وقال: إنَّ الأكثرين يطبقون على جواز تسمية (الله) تعالى بلفظ (الشيء)، ونُقل عن جهم بن صفوان (ت ١٢٨ هـ) أنه لا يجيز ذلك، أمَّا أدلة المجيزين فمنها:

١- قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً ﴾ [الأنعام: من الآية: ١٩]، وهذا يدل على أنه يجوز تسمية الله باسم الشيء.

٢- قوله تعالى: ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾ [القصص: ٨٨] والمراد بوجهه ذاته، ولو لم تكن ذاته شيئاً لما جاز استثنائه عن قوله: ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ ﴾، وذلك يدلُّ على أنَّ الله تعالى مُسَمَّى بالشيء.

٣- أنَّ الشيء عبارة عما يصح أن يعلم ويخبر عنه، وذات الله تعالى كذلك، فيكون شيئاً.

أمَّا الأدلة التي احتج بها جهم لانعدام الجواز فمنها:

١- قوله تعالى: ﴿ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾، فهذا يقتضي أن يكون كلُّ شيءٍ مخلوقاً ومقدوراً، والله تعالى ليس بمخلوق ولا مقدور، ينتج من ذلك أنَّ الله سبحانه وتعالى ليس بشيء.

٢- أنَّ لفظ (الشيء) لا يفيد صفة من صفات الجلال والعظمة والمدح والثناء، وأسماء الله تعالى يجب كونها كذلك والدليل عليه قوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [الأعراف: ١٨٠] ينتج أنَّ لفظ الشيء ليس اسماً لله تعالى<sup>(٢)</sup>.

(١)- التحرير والتنوير: ٢٤ / ٥٤، وينظر: المحرر الوجيز: ٣ / ٣٠٧، والميزان في تفسير القرآن: ٧ / ٣٠٦.

(٢)- ينظر: التفسير الكبير: ١ / ١٢٣ - ١٢٥.

وتسمية (الله) تعالى بلفظ (الشيء) - و((الشيء: كل ما صحَّ أَنْ يُعلم ويُخبر عنه فهو: شيء))<sup>(١)</sup> - مما جاءت به الأحاديث وأجمع عليه كثير من المفسرين كما بينتُ مسبقاً، وهذا المعنى يفهم من كلام ابن جني أيضاً، فهو يجيز تسمية (الله) تعالى بلفظ (الشيء)، وقد أفرد الكليني في كتابه الكافي باباً لهذه المسألة وسماه (باب إطلاق القول بأنه شيء) وأورد فيه سبعة أحاديث ومنها:

١- عن الحسين بن سعيد قال: سئل أبو جعفر الثاني محمد الجواد (عليه السلام): يجوز أن يُقال لله: إنه شيء؟ قال: نعم، يُخرجه من الحدّين: حدّ التّعطيل وحدّ التشبيه.

٢- عن أبي جعفر الصادق (عليه السلام) قال: إنَّ الله خَلُوٌّ من خَلْقِهِ، وَخَلَقَهُ خَلُوٌّ مِنْهُ، وَكُلُّ ما وقع عليه اسم شيء فهو مخلوق ما خلا الله<sup>(٢)</sup>.

ثالثاً:

القول في قوله تعالى: ﴿ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾ [يوسف: من الآية ٧٦].

قال ابن جني: (( وقراءة الجماعة: ﴿ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾ قراءة حسنة محتاط فيها؛ وذلك أنه إذا قال القائل: ﴿ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾، كان لفظه لفظ العموم ومعناه الخصوص؛ وذلك لأنَّ الله عزَّ وجلَّ عالم ولا عالم فوقه، وإذا قال: ﴿ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾، فذلك مستقيم وسليم؛ لأنَّ القديم تعالى خارج منه، ألا تراه -عزَّ وعلا - عالماً لنفسه بلا علم، والكلام مُلَاقٍ ظاهره لباطنه، وليس لفظه على شيء ومعناه على غيره))<sup>(٣)</sup>، ولا ابن جني في الآية وجهان من التفسير:

الأوّل: استدل بقريظة العقل وإن لم يصرح بذلك بحمل العموم في الآية على الخصوص، وعلل ذلك بأنَّ الله عزَّ وجلَّ عالمٌ، ولا عالم فوقه، والذي دلَّ عليه العقل؛ أنه لا عليم فوق الله عزَّ وجلَّ، وأشار الطاهر بن عاشور إلى هذا المعنى بقوله: ((وظاهر تكبير ﴿ عَلِيمٌ ﴾ أن يراد به الجنس فيعم كلَّ موصوف بقوة العلم إلى أن ينتهي إلى علم الله تعالى، فعموم هذا الحكم بالنسبة إلى المخلوقات لا إشكال فيه، ويتعين تخصيص هذا العموم بالنسبة إلى

(١)- شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم: ٦ / ٣٥٩٤.

(٢)- ينظر: أصول الكافي: ١ / ٦١.

(٣)- المحتسب: ١ / ٣٤٧ - ٣٤٨.

الله تعالى بدليل العقل إذ ليس فوق الله عليم<sup>(١)</sup>، فهو كذلك بتخصيص العموم بقريضة العقل.

وقال كثير من اللغويين والمفسرين إنَّ المعنى: وفوق كلِّ ذي علم عليم إلى أن ينتهي إلى الله، أو فوق العلماء كلهم عليم هم دونه في العلم وهو الله عزَّ وجلَّ<sup>(٢)</sup>، وهذا المعنى قريب من تفسير ابن جني.

الوجه الثاني: حمل ابن جني الآية على ظاهرها، ولم يتأولها بقوله: فذلك مستقيم وسليم؛ لأنَّ القديم تعالى خارج منه، ألا تراه - عزَّ وعلا - عالمًا لنفسه بلا علم، والكلام مُلَاقٍ ظاهره لباطنه، وليس لفظه على شيء ومعناه على غيره، فهو يرى الآية على ظاهرها وإنَّ الله تعالى عالمٌ لنفسه بلا علم، فهو لا يدخل في عموم الآية، بل الآية على عمومها في العلماء الذين يكسبون العلم كسبًا، وهذا المعنى قاله في الخصائص أيضًا، إذ قال: ((فأما قوله سبحانه: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾، فحقيقة لا مجاز؛ وذلك أنَّه سبحانه ليس عالمًا بعلم فهو إذا العليم الذي فوق ذوي العلوم أجمعين؛ ولذلك لم يقل: وفوق كلِّ عالمٍ عليم؛ لأنَّه - عزَّ اسمه - عالمٌ ولا عالمٌ فوقه<sup>(٣)</sup>، ونسب بعض المفسرين هذا الوجه في الآية إلى المعتزلة؛ لأنَّ المعتزلة يرون أنَّ الله عالم بذاته لا بالعلم؛ إذ لو كان عالمًا بالعلم لكان ذا علم، فيكون هناك من أعلم منه<sup>(٤)</sup>.

(١) - التحرير والتنوير: ١٣ / ٣٣.

(٢) - ينظر: معاني القرآن للنحاس: ٤٤٨/٣، وبحر العلوم: ١٧١/٢، والهداية لبلوغ النهاية: ٣٦٠٧/٥، والمفردات في غريب القرآن: ٣٤٨، والكشاف: ٣ / ٣١٠، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل: ١٧٢ / ٣.

(٣) - الخصائص: ٤٥٧ / ٢.

(٤) - ينظر: التفسير الكبير: ١٨ / ١٨٦، وغرائب القرآن ورجائب الفرقان: ٤ / ١١١.

### المبحث الثالث

#### تفسير غريب القرآن

الغَرِيبُ في اللُّغة: البَعِيد، ورجلٌ غريب، أي : بعيد عن وطنه، وكلامٌ غريب، أي: غامض ، وغَرَبَ، أي : بَعَدَ ، والتَّغَرَّبَ البُعْدَ، وأغرَبْتُهُ وغرَّبْتُهُ إذا نَحَيْتَهُ وأبَعَدْتُهُ<sup>(١)</sup>.

والغريب من الكلام في الاصطلاح: ((هو الغامض البعيد من الفهم كالغريب من الناس، إنما هو البعيد عن الوطن المنقطع عن الأهل))<sup>(٢)</sup>، ويرى الجرجاني أن الغرابة في الألفاظ تنتج من كون الكلمة وحشية أو غير ظاهرة المعنى، أو غير مألوفة في الاستعمال<sup>(٣)</sup>.

أمَّا غريب القرآن: فهو ما غمض من ألفاظه، وبَعَدَ معناه فيحتاج إلى شرح وتبيين، حتى يظهر معناه ويفهم المراد منه<sup>(٤)</sup>، أو هو ((العلم المختص بتفسير الألفاظ الغامضة في القرآن، وتوضيح معانيها بما جاء في لغة العرب وكلامهم. فهو مبحث لغوي متخصص أو الجانب اللغوي من علم التفسير))<sup>(٥)</sup>، وليس المراد بغرابة ألفاظ القرآن ((أنها منكرة أو نافرة أو شاذة ، فإنَّ القرآن مُنَزَّه عن هذا جميعه، وإنما اللفظة الغريبة ههنا هي التي تكون حَسَنَةً، مستغربة في التَّأويل، بحيث لا يتساوى في العلم بها أهلها وسائر الناس))<sup>(٦)</sup>، فتفسير غريب القرآن فرع من فروع التفسير اللغوي، وكذلك عدَّ مساعد الطيار كتب تفسير الغريب من مصادر التفسير اللغوي، إذ إنَّها تبحث عن المعنى بوسائل لغوية<sup>(٧)</sup>.

(١)- ينظر: العين: ٤/٤١١، وشمس العلوم: ٨ / ٤٩٣٠، ولسان العرب: ١ / ٦٣٩، (غرب).

(٢)- غريب الحديث: ٧٠.

(٣)- ينظر: التعريفات: ١٣٥.

(٤)- ينظر: الظواهر اللغوية في كتب الغريبين: ١٦.

(٥)- العمدة في غريب القرآن (مقدمة المحقق): ١٤.

(٦)- إعجاز القرآن والبلاغة النبوية: ٥٣.

(٧)- ينظر: التفسير اللغوي: ٣٢٨.

## أسباب الغرابة في القرآن

حينما نزل القرآن الكريم على رسول الله (صلى الله عليه وآله) كان العرب يفهمونه؛ لأنه نزل بلغتهم، فلم يكابدوا في معرفة معانيه؛ لأنهم كانوا سلمي السليقة وغلبت عليهم الفصاحة، وما خفي عنهم كانوا يسألون عنه رسول الله (صلى الله عليه وآله) فيجيبهم، إلى أن تطاول العهد بهم، وفتحت الأمصار، وانتشر الإسلام خارج الجزيرة العربية، ودخل في الإسلام كثير من الأمم، فوجدوا في ألفاظ القرآن الكريم بعض الغموض والغرابة، فتكون الغرابة ناشئة من عدم معرفتهم بلسان العرب وتصاريف كلامهم، وعند انتشار الإسلام اختلط العرب بغيرهم من الأمم فامتزجت ألسنتهم وتداخلت لغاتهم مما أبعدهم عن اللغة الفصيحة وما لا يحتاجون إليه في كلامهم فسقطت من استعمالهم كثير من الألفاظ وتقدم العهد بها فعزب معناها عنهم<sup>(١)</sup>، وأرجع بعض المحدثين أسباب الغرابة إلى أمور متعددة منها:

- ١- تفاوت الناس في الفصاحة وكثرة اللهجات، ونزول القرآن في أكثر من لغة.
- ٢- مخالطة العرب للأعاجم نتيجة الفتوحات الإسلامية مما أدى إلى ابتعاد الناس عن الفصاحة.
- ٣- وجود، الترادف والتضاد والاشتراك اللفظي.
- ٤- وجود بعض الألفاظ المعربة، أو هي ألفاظ اشتركت بها كثير من الأمم.
- ٥- كون اللفظ إسلامياً لم يستعمل قبل الإسلام، أو كونه لم يكن يدل على المعنى الجديد الذي أضفاه الإسلام عليه مما أدى إلى غرابته على بعضهم<sup>(٢)</sup>.

(١)- ينظر: العمدة في غريب القرآن (مقدمة المحقق): ١٦ ، والمعجم المفصل في تفسير غريب القرآن: ٤.

(٢)- ينظر: تفسير المشكل من غريب القرآن (مقدمة المحقق): ٥٢ - ٥٤، والظواهر اللغوية في كتب غريب القرآن حتى نهاية القرن الخامس: ٩ - ١١، (رسالة).

ويبدو لي أنّ أهمّ الأسباب التي تؤدي إلى غرابة الألفاظ هو ابتعاد تلك الألفاظ عن الاستعمال من حياة الناس في شؤونهم ومعاملاتهم، وإلى هذا أشار الجرجاني، فذكر أنّ الغرابة في الألفاظ تنشأ من عدم الألفة في الاستعمال.

وإنّ الغرابة في الألفاظ تكون نسبية فقد تكون لفظة في زمن غريبة وفي غيره واضحة الدلالة، وهذا ما نجده في بعض المعاجم، إذ يصفون بعض الألفاظ عند شرح معناها بأنّها معروفة وهي غريبة المعنى عندنا ومن ذلك قول الخليل: ((والفَقْحة: معروفة، وهي الدُّبْر بجمْعِها. والتفّح: التفّح بالكلام))<sup>(١)</sup>، فالخليل أوّل ما بدأ به عند شرح معنى الكلمة قال إنّها (معروفة) وهي عندنا من الغريب لعدم استعمالها، ولو لم يُبيّن معناه بعد قوله (معروفة)؛ لبقى معناه غامضاً على القارئ.

### الغريب عند ابن جني

عرض ابن جني إلى قضية الغريب في اللغة في كتابين من كتبه، هما الخصائص والمنصف، قال في الخصائص في باب (الشيء يُسمع من العربيّ الفصيح لا يسمع من غيره) وهو في هذا الباب يشير إلى الغريب في اللغة إذ قال: ((وذلك ما جاء به ابن أحمر في تلك الأحرف المحفوظة عنه. قال أحمد بن يحيى: حدثني بعض أصحابي عن الأصمعيّ أنّه ذكر حروفاً من الغريب فقال: لا أعلم أحداً أتى بها إلا ابن أحمر الباهليّ، منها (الجَبْر) وهو الملك؛ وإنّما سُمِّيَ بذلك - أظنُّ - لأنّه يجبر بجوده))<sup>(٢)</sup>، وهو في هذا الباب عرض للألفاظ الغريبة التي جاءت عن ابن أحمر، ومنها: (المارية) و(البابوس) و(الرّيّان) و(المأنوسة) و(الحيرم)، وغيرها من الألفاظ، ويُرجع ابن جني أسباب الغرابة في هذه الألفاظ إلى أمور منها:

١- أنّ تكون هذه الألفاظ أخذت عمّن ينطق بلغة قديمة لم يشارك ابن أحمر أحداً في سماعها، وهنا ابن جني يشير إلى أنّ الغرابة نشأت بسبب القدم، والقدّم ينشأ من عدم استعمالها فتكون بعيدة وقديمة في الاستعمال، وقد تكون هذه الألفاظ استعملت في زمن ما

(١)- العين: ٣ / ٥٢، (فجح).

(٢)- الخصائص: ٢ / ٢١.

واندثرت في زمن آخر وقل استعمالها، وإذا استعملت من بعضهم تكون غريبة المعنى؛ لقلة الاستعمال وعدم الاطراد.

٢- أن تكون هذه الألفاظ مرتجلة من ابن أحمز، فإن الأعرابي إذا قويت فصاحته ارتجل، ويكون طريق هذا الارتجال القياس على كلام العرب في ألفاظ لا تقبل القياس على ما قيست عليه، وما قيس على كلام العرب فهو من كلام العرب<sup>(١)</sup>.

وشرط قبول ابن جني هذه الألفاظ، هو أنها جاءت عمّن يُوثق بفصاحته، وأمّا إذا جاءت عمّن لا يُوثق بفصاحته فلا تُقبل منه إذ قال: ((وكذلك إن جاء نحو هذا الذي رويناه عن ابن أحمز عن فصيح آخر غيره كانت حاله فيه حاله. لكن لو جاء شيء من ذلك عن ظنين أو متهم أو من لم ترق به فصاحته، ولا سبقت إلى الأنفس ثقته كان مردوداً غير مُقبَل))<sup>(٢)</sup>، وغرابة هذا الارتجال تكون بسبب عدم استعماله، ولأنه على غير القاعدة؛ لذا سُمي ارتجالاً.

أمّا في كتابه المنصف فقد عرّض فيه طائفة من الألفاظ الغريبة في تصريف المازني وجعل لهذه الألفاظ القسم الأول من الجزء الثالث وسماه: ((هذا تفسير اللغة من كتاب أبي عثمان بشواهد وحججه، وإنما ذلك في الغريب منها))<sup>(٣)</sup>، ويُعدّ هذا القسم كتيباً في غريب اللغة، إذ عرّض فيه إلى أكثر من خمسين لفظاً.

وكان لغريب القرآن من تلك الألفاظ نصيبٌ، إذ عرّض لبعض ألفاظ القرآن الكريم مع ذكر الآية وغفلاً من الآية في بعض الأحيان، أمّا في كتاب الخصائص فلم يعرض إلى ألفاظ القرآن الكريم في الباب الذي وضعه للغريب.

وهناك بعض الألفاظ عرض لها ابن جني في مختلف كتبه ففسرها وبيّن معناها، وهي من غريب القرآن عند من سبقوه إلا أنه لم يذكر أنها من الغريب، لكنني سأذكرها في هذا المبحث على أنها من غريب القرآن عنده وإن لم يُسمّها؛ لأنها لو لم تكن ممّا غمض معناه لمّا عرض لها وفسرها كما فسرها أصحاب الغريب.

(١)- ينظر: الخصائص: ٢ / ٢٤.

(٢)- الخصائص: ٢ / ٢٥.

(٣)- المنصف: ٣ / ٢.

الألفاظ التي صرح بغرابتها

أولاً: يَتِيهُونَ

القول في قوله تعالى: ﴿ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴾ [المائدة: ٢٦].

قال ابن جني: (( يقال: تاه يتيه تيهًا: إذا ضلَّ، قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿ يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ ﴾، وتاه يتيه تيهًا فهو تائه وتياه، من الصَّلَف، ويقال: تاه يئوه بمعنى يتيه: إذا ضلَّ))<sup>(١)</sup>، بين ابن جني أمورًا عدة في تفسيره لمعنى (تاه)، وكونها من الغريب، اعتمادًا على ما ذكره في عنوان القسم الأول من الجزء الثالث من كتاب المنصف، كما تقدم ذكره سابقًا، إذ إنَّه عقد هذا القسم لتفسير غريب اللغة في كتاب أبي عثمان المازني، أمَّا الأمور التي بينها فهي:

الأول: تفسيره الغريب. فقد عدَّ ابن جني أنَّ لفظ (تاه) من الغريب، أمَّا تفسيره عنده، فهو بمعنى (ضلَّ) أي ضلَّ الطريق، وعليه حمل قوله تعالى: ﴿ يَتِيهُونَ ﴾ أي: يضلون، وعدَّ بعض مؤلفي غريب القرآن قوله: ﴿ يَتِيهُونَ ﴾ من غريب القرآن وتفسيره عندهم يحارون ويضلون<sup>(٢)</sup>، قال أبو هلال العسكري: (( والتَّيُّهُ أصلُهُ الحَيْرَةُ والضَّلَالُ ، وإنَّما سُمِّيَ الْمُتَكَبِّرُ تَائِهًا على وجه التَّشْبِيهِ بالضَّلَالِ والتَّحِيرِ، ولا يُوصَفُ اللهُ به، والتَّيُّهُ من الأرض ما يَتَحَيَّرُ فيه، وفي القرآن ﴿ يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ ﴾، أي: يَتَحَيَّرُونَ))<sup>(٣)</sup>، والذي عليه أكثر المفسرين أنَّ معنى ﴿ يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ ﴾، أي: يسيرون في الأرض متحيرين لا يهتدون طريقًا فلبثوا أربعين سنة<sup>(٤)</sup>.

الأمر الثاني: أشار ابن جني إلى أنَّ (التَّيُّه) في أصله لغتان يائي وواوي، إذ قال: تاه يتيه، وتاه يئوه، أو أنَّ يئوه لغة في يتيه، أي: أنَّ الأصل فيه (يتيه)، والمعنى فيهما

(١) - المنصف: ٣ / ٤٢.

(٢) - ينظر: تفسير غريب القرآن المجيد: ٨٦، ونفس الصباح في غريب القرآن وناسخه ومنسوخه: ٣٠٠، والتبيان في تفسير غريب القرآن: ١٥٠.

(٣) - الفروق اللغوية: ٢٤٦.

(٤) - ينظر: الكشف والبيان: ٤ / ٤٤، والكشاف: ٢ / ٢٢٣، وغرائب القرآن ورجائب الفرقان: ٢ / ٥٧٥.

واحد وهو الضلال، وهذا الكلام أشار إليه من قبل الخليل، فهو يرى أنّ ((التّيّه والتّوه، لغتان. يقال: تاه يتيه تيهًا، وتاه يتوه توهًا، والتّيّه أعم من التّوه))<sup>(١)</sup>، وكذلك قال به أكثر اللغويين، ويرى ابن فارس أنّ التّوه ليس أصلًا<sup>(٢)</sup>، ورجّح ابن جني في الخصائص أنّ (التّيّه) أصله يأتي<sup>(٣)</sup>.

الأمر الثالث: أشار ابن جني إلى أنّ (الصّف) معني من معاني (التّيّه)، إذ قال: وتاه يتيه تيهًا فهو تائه وتياه، من الصّف، والصّف في اللغة: ((مُجَاوِزَةُ الرَّجُلِ قَدْرَهُ فِي الْوُسْعِ وَادْعَاؤُهُ فَوْقَ مَا عِنْدَهُ))<sup>(٤)</sup>، مع التّكبر، وهذا الذي أجمله ابن جني فصله أكثر اللغويين، فمن معاني التّيّه عندهم الصّف والكبر، فقد نقل ابن منظور أنّ: ((التّيّه: الصّف والكبر، وَقَدْ تَاهَ يَتِيهِ تَيْهًا: تَكَبَّرَ. وَرَجُلٌ تَائِهٌ وَتِيَاهٌ وَتِيَهَانٌ وَتِيَهَانٌ، إِذَا كَانَ جَسُورًا يَرْكَبُ رَأْسَهُ فِي الْأُمُورِ))<sup>(٥)</sup>.

ويبدو أنّ سبب الغرابة في (تاه) عدم استعمالها في معناها المجازي، أي (الضلال والصّف) في زمن ابن جني ممّا دعاه لئن يسلكها ضمن غريب اللغة من هذه الجهة، أو أنّه اعتمد على من عدّها من الغريب ممّن سبقوه في التأليف في غريب القرآن، فقد عدّها الإمام زيد (ت ١٢٢هـ) وأبو بكر السجستاني (ت ٣٣٠هـ) من غريب القرآن<sup>(٦)</sup>.

#### ثانيًا: استحوذ

القول في قوله تعالى: ﴿ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ [المجادلة: ١٩].

ذكر ابن جني في الآية أمرين:

- (١) - العين: ٤ / ٨٠، (توه).
- (٢) - ينظر: المحيط في اللغة: ٤/٥٠، (توه)، ومقاييس اللغة: ١ / ٣٥٩، (توه)، ولسان العرب: ١٣ / ٤٨٢، (توه).
- (٣) - ينظر: الخصائص: ١ / ٢٦٦.
- (٤) - شمس العلوم: ٦ / ٣٨٠٩، (صلف).
- (٥) - لسان العرب: ١٣ / ٤٨٢، (تية).
- (٦) - ينظر: تفسير غريب القرآن المجيد: ٨٦، وغريب القرآن المُسمّى بـ(نزهة القلوب): ٢٢٠.

الأول: تفسيره الغريب، قال: ((يقال اسْتَحَوَذَ عليه: إذا غلب عليه، قال الله تعالى: ﴿ اسْتَحَوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ ﴾، وَحُكِيَ فِي بَعْضِ اللُّغَاتِ اسْتَحَاذًا))<sup>(١)</sup>، وكذلك عدّ مفسرو الغريب: ﴿ اسْتَحَوَذَ ﴾ من غريب القرآن، وفسّروه كما فسّره ابن جني فقالوا غَلَبَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ واستولى<sup>(٢)</sup>.

و﴿ اسْتَحَوَذَ ﴾ لفظ خرج عن القياس في اشتقاقه، فإن قياسه أن يُعَلَّ كما يُعَلُّ استقام واستعاذ فيقال اسْتَحَاذَ<sup>(٣)</sup>، فقد يكون خروجه عن القياس سبباً في غرابته، إلا أن ابن جني لا يعدُّ ذلك سبباً لغرابته، فاللفظ وإن كان على غير القياس لكنه مطرد في الاستعمال مقبول عند النَّاسِ، إذ قال في باب (تعارض السَّماع والقياس): ((إذا تعارضتا نطقت بالمسموع على ما جاء عليه ولم تَقَسِّم في غيره، وذلك نحو قول الله تعالى: ﴿ اسْتَحَوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ ﴾ فهذا ليس بقياس؛ لكنه لا بدّ من قبوله؛ لأنك إنما تتطرق بلغتهم، وتحذني في جميع ذلك أمثلتهم، ثم إنك من بعد لا تقيس عليه غيره؛ ألا تراك لا تقول في استقام اسْتَقُومَ، ولا في استباع استبِيع))<sup>(٤)</sup>، فاللفظ عنده مُطَرَّد في الاستعمال، واطّراده في الاستعمال يوحي بعدم غرابته، ويبدو أن ابن جني اتّبع مفسري الغريب في عدّ ﴿ اسْتَحَوَذَ ﴾ من غريب القرآن كما أشرت إلى أقوالهم سابقاً.

الأمر الثاني: حكى ابن جني أن (اسْتَحَاذَ) بضم التاء لغة في ﴿ اسْتَحَوَذَ ﴾، وهذا ما انفرد به ابن جني، ولم يرد عن غيره، أو يكون هذا خطأ وقع من الناسخ أو المحقق، وقد عدّ الخليل وتبعية الأزهري (اسْتَحَاذَ) لغة في ﴿ اسْتَحَوَذَ ﴾<sup>(٥)</sup>، ويرى ابن جني أن (اسْتَحَاذَ) هو القياس في حاذ إذ قال: ((قولهم في الفعل (اسْتَحَوَذَ) ... وقياسه: اسْتَحَاذَ))<sup>(٦)</sup>.

(١)- المنصف: ٣ / ٤٥.

(٢)- ينظر: تفسير غريب القرآن: ٤٥٨، ونزهة القلوب: ٣٨، والغريبيين: ٢ / ٥٠٧.

(٣)- ينظر: الأصول في النحو: ١ / ٥٧.

(٤)- الخصائص: ١ / ١٧٧.

(٥)- ينظر: العين: ٣ / ٢٨٤، (حوذ)، وتهذيب اللغة: ٥ / ٢٠٧، (حاذ).

(٦)- المنصف: ١ / ٢٧٧.

ثالثاً: جَابُوا

القول في قوله تعالى: ﴿ وَتَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ﴾ [الفجر: ٩].

قال ابن جني: ((اجتاب: أي قطع ودخل، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَتَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ﴾، أي: قَطَعُوا وَخَرَقُوا))<sup>(١)</sup>، فسّر ابن جني قوله تعالى: ﴿ جَابُوا ﴾ بمعنى قَطَعُوا وَخَرَقُوا، أي: قَطَعُوا الصَّخْرَ وَخَرَقُوهُ، وكذلك قال مفسرو الغريب، قال أبو بكر السجستاني: ((جَابُوا الصَّخْرَ ﴾ أي: خَرَقُوا الصَّخْرَ، واتَّخَذُوا فِيهِ بِيوتًا، ويقال: جَابُوا: قَطَعُوا الصَّخْرَ فابْتَنَوْهُ بِيوتًا))<sup>(٢)</sup>، ويرى الماوردي أنّ قوله تعالى: ﴿ جَابُوا الصَّخْرَ ﴾ فيه وجهان: أحدهما قَطَعُوا الصَّخْرَ وَنَقَبُوهُ، فجعلوه بيوتًا، وهذا ما عليه ابن جني وأصحاب الغريب، والآخر: معناه طافوا؛ لأخذ الصَّخْرَ بالوادي<sup>(٣)</sup>، وكان أبو عبيدة يرى أنّ ﴿ جَابُوا ﴾ من يجوب الفلاة، أي: يدخل فيها ويقطعها، أو يكون المعنى نقبوا الصخرة<sup>(٤)</sup>.

رابعاً: تَزَيَّلُوا

القول في قوله تعالى: ﴿ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ [الفتح: من الآية: ٢٥].

قال ابن جني: ((يقال: زَيَّلْتُ الأمر، أي: فَرَّقْتُهُ فَتَزَيَّلَ، قال سبحانه ﴿ لَوْ تَزَيَّلُوا ﴾، أي: لَوْ تَفَرَّقُوا))، واختلف مفسرو الغريب في معنى قوله تعالى: ﴿ تَزَيَّلُوا ﴾ فبعضهم وافق قول ابن جني فقال: معنى ﴿ تَزَيَّلُوا ﴾ تَفَرَّقُوا<sup>(٥)</sup>، وأكثرهم ذهبوا إلى أنّ: ﴿ لَوْ تَزَيَّلُوا ﴾ معناه: لَوْ تَمَيَّزُوا أَوْ امْتَأَزُوا، أي لَوْ تَمَيَّزَ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ الْكَافِرِينَ<sup>(٦)</sup>، وبعضهم جمع بين

(١)- المنصف: ٣ / ٩٢.

(٢)- نزهة القلوب: ٧٠، وينظر: التبيان في تفسير غريب القرآن: ٣٤٣، وتحفة الأريب بما في القرآن من الغريب: ١٧.

(٣)- ينظر: النكت والعيون: ٦ / ٢٦٨ - ٢٦٩.

(٤)- ينظر: مجاز القرآن: ٢ / ٢٩٧.

(٥)- ينظر: تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب: ٤٧.

(٦)- ينظر: تفسير غريب القرآن المجيد: ٢٣٧، ونزهة القلوب: ٥٩، وتذكرة الأريب في تفسير الغريب: الغريب: ٢ / ١٦٧.

المعنيين فقالوا: المعنى لو تَمَيَّرُوا بِأَفْتِرَاقٍ، أو لو تَمَيَّرُوا وَأَفْتَرَقُوا<sup>(١)</sup>، وإلى هذا المعنى أشار الزمخشري<sup>(٢)</sup>، وكذلك الطباطبائي، إذ قال: ((أي: لو تَقَرَّفُوا بأن يمتاز المؤمنون من الكفار))<sup>(٣)</sup>، وذكر الماوردي أن ﴿ تَزَيَّلُوا ﴾ فيه ثلاثة معانٍ ((أحدها: لو تَمَيَّرُوا، قاله ابن قتيبة، الثاني: لو تَقَرَّفُوا، قاله الكلبي، الثالث: لو أُزِيلُوا، قاله الضحاك حتى لا يختلط بمشركي مكة مسلم))<sup>(٤)</sup>.

واختلف المفسرون في أصل الفعل (زِيلَ) في قوله: ﴿ تَزَيَّلُوا ﴾ هل هو واويٌّ من زَالٍ يُزُولُ، أو يائيٌّ من زَالٍ يَزِيلُ؟ وكونه من زَالٍ يُزُولُ نسبة أبو عبيد الهروي (ت ٤٠١ هـ) إلى ابن قتيبة، وقال: هو خَطُّ<sup>(٥)</sup>، وهذا الوجه نقله ابن عطية والثعالبي بصيغة التمريض والتشكيك، فذكر: قد قيل: من زَالٍ يُزُولُ، أمَّا قولهما: فإنه ليس من زَالٍ يُزُولُ<sup>(٦)</sup>، والذي عليه أكثر المفسرين أنه من زَالٍ يَزِيلُ، ومعناه تَقَرَّفُوا أو تَمَيَّرُوا، لأنه لو كان من زَالٍ يُزُولُ الذي معناه الذهاب؛ لقال (زَوَّلْنَا)؛ ولأنهم لم يقولوا: زاول بمعنى فارق، بل قالوا زایل بمعنى فارق وهو المعنى الذي يطلبه سياق الآية وعليه أكثر المفسرين<sup>(٧)</sup>.

#### خامساً: أفواجاً

القول في قوله تعالى: ﴿ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ﴾ [النصر: ٢].

قال ابن جني: (( أفواجٌ: جمع فَوْجٍ، وهو الجماعة من الناس، قال تعالى: ﴿ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ﴾، وقال الراجز:  
فَهُمْ رَجَاجٌ وَعَلَى رَجَاجٍ يَمْشُونَ أَفْوَاجًا إِلَى أَفْوَاجٍ ))<sup>(٨)</sup>.

(١)- ينظر: باهر البرهان في معاني مشكلات القرآن: ٣ / ١٣٣١، والمصباح المنير: ٩٩، (زيل).

(٢)- ينظر: الكشاف: ٥ / ٥٤٧.

(٣)- الميزان في تفسير القرآن: ١٨ / ٢٩٤.

(٤)- النكت والعيون: ٥ / ٣٢٠.

(٥)- ينظر: الغريبين: ٨٤٤.

(٦)- ينظر: المحرر الوجيز: ٥ / ١٣٧، والجواهر الحسان: ٥ / ٢٥٨.

(٧)- ينظر: الكشاف: ٥ / ٥٤٧، والدر المصون: ٦ / ١٩١ - ١٩٢، والمصباح المنير: ٩٩، (زيل)،

(زيل)، واللباب في علوم الكتاب: ١٠ / ٣١٥.

(٨)- المنصف: ٣ / ٥١، والبيت مجهول القائل، ينظر: الحيوان: ٢ / ٣٠١.

والفوج هو الجماعة من الناس، والجمع أفواج، وهو كذلك عند أكثر مفسري الغريب<sup>(١)</sup>، وكان الإمام زيد يذكر أن ((قوله تعالى: ﴿وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا﴾ يعني جماعات في تفرقة))<sup>(٢)</sup>، أي: أن كل فوج يدخل بينه وبين الآخر مسافة، أي: مُفْتَرِقًا مُفْتَرِقًا عن الآخر، وهذا المعنى دل عليه الجمع (أفواج) إذ لو لم يكونوا متفرقين لكانوا فوجًا واحدًا، وقيدته الراغب بالجماعة المسرعة، إذ قال: ((الفوج الجماعة المارة المسرعة وجمعه أفواج))<sup>(٣)</sup>، ويبدو أن ابن جني ساق هذا اللفظ من الغريب؛ بسبب وروده عند مفسري الغريب قبله كالإمام زيد وأبي عمر الزاهد، ومعاصره أبي عبيد الهروي.

### الألفاظ التي لم يصرح بغرابتها

ومن الجدير بالذكر أن هناك ألفاظاً ولم يصرح ابن جني بغرابتها، لكني أوردتها هنا ، ذلك أن من سبق ابن جني من مفسري الغريب جعلوها من غريب القرآن، ويمكن حملها على مبحث الدلالة اللغوية المعجمية، إذ إنها تدخل ضمن هذا العنوان، بل تفسير الغريب كله يدخل ضمن هذا العنوان ويعود هذا الأمر إلى أسباب منها:

١- للتنبية على أن ابن جني فسّر كثيرًا من غريب القرآن في أثناء كتبه، ولم يصرح بغرابته، ويمكن جمع هذه الألفاظ مع ما ورد في كتاب المنصف، والباب الذي عقده في الخصائص السابق ذكرهما، تحت عنوان (الغريب عند ابن جني) ويضم غريب القرآن والحديث واللغة، فقد فسّر بعض غريب الحديث في المنصف، ومن ذلك لفظ (حَبِط) في قول رسول الله (صلى الله عليه وآله) ((يَقَالُ حَبِطَ بَطْنُهُ: إِذَا انْتَفَخَ، وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وَإِنَّ مِمَّا يُنْبِتُ الرَّبِيعُ لَمَّا يَقْتُلُ حَبَطًا أَوْ يُلِمُّ. فَالْحَبِطُ: أَنْ تَأْكُلَ الْمَاشِيَةُ الْكَلَأَ حَتَّى تَنْتَفِخَ بِطُونِهَا، وَهُوَ الْحَبَاطُ إِذَا أَصَابَهَا ذَلِكَ))<sup>(٤)</sup>، و(حبط) أيضًا من غريب القرآن كما كما صرح بذلك مفسرو الغريب، إذ ورد في أكثر من آية ومنها قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَرْتَدِدْ

(١)- ينظر: ياقوتة الصراط: ٤٤٢، و٥٥١، والغريبين: ١٤٧٩، والتبيان في تفسير غريب القرآن: ٣١٩.

(٢)- تفسير غريب القرآن المجيد: ٣٢١.

(٣)- المفردات في غريب القرآن: ٣٨٨.

(٤)- المنصف: ١١/٣، وينظر الحديث في صحيح مسلم: ٢ / ٧٢٨.

مِنْكُمْ عَنِ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ﴿البقرة: من الآية: ٢١٧﴾، ومعنى: ﴿حَبِطَتْ﴾ بَطَلَتْ<sup>(١)</sup>.

٢- إنَّ تلك الألفاظ - أي التي لم يُصرَّحْ بغيرتها - وردت عند مفسري الغريب قبل ابن جني من غريب القرآن.

٣- إنَّ ابن جني لم يفسر تلك الألفاظ إلا بسبب غموضها وغرابتها في المعنى، وسلك في تفسيرها مسلك مفسري غريب القرآن، فتشابهت أقواله مع أقولهم.

سأذكر هذه الألفاظ بشكل موجز، وأدُلُّ على من عدَّها من غريب القرآن قبل ابن جني، أو معاصريه، وأبيِّنُ إنَّ كان هناك خلاف في تفسير اللفظ بين ابن جني ومفسري الغريب.

١- (أُمَّتًا) في قوله تعالى: ﴿لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا﴾ [طه: ١٠٧] هو الانخفاض والارتفاع والاختلاف، وقوله تعالى: ﴿لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا﴾، أي: اختلافًا<sup>(٢)</sup>، وكذلك قال الإمام زيد وأبو بكر السجستاني، وأضاف ابن قتيبة وأبو بكر السجستاني أنَّ (الأمْت) النَّبْكَ<sup>(٣)</sup>، والنَّبْكَ: هو ما ارتفع من الأرض، جمْعٌ واحدُه نَبْكَةٌ، أو هو الروابي من الطين<sup>(٤)</sup>.

٢- (تَهْجُرُونَ) في قوله تعالى: ﴿مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَامِرًا تَهْجُرُونَ﴾ [المؤمنون: ٦٧]، معناه: تَهْجُرُونَ، أي: تقولون: الهُجْر، والهُجْر: الفُحْش من القول، وهَجَرَ الرَّجُلُ في منطقته إذا هَدَى، ذكره في (الفسر)، وقال في (المحتسب): الهُجْر: الهَدْيَان، والهَدْرُ أيضًا الهَدْيَان، وقال أيضًا قوله تعالى: ﴿تَهْجُرُونَ﴾، أي: تَهْجُرُونَ كتابي ونبِّي، وعلى هذا فقوله: ﴿تَهْجُرُونَ﴾ من (الهجرة) وهي الترك والإعراض<sup>(٥)</sup>.

(١)- ينظر: تفسير غريب القرآن: ٨٣، وياقوتة الصراط: ١٨٦، والغريبين: ٢ / ٥٠٧.

(٢)- ينظر: الخصائص: ١ / ٣١٨.

(٣)- ينظر: تفسير غريب القرآن المجيد: ١٥٥. تفسير غريب القرآن: ٢٨٢، ونزهة القلوب: ٣٨، الغريبين: ٢ / ٥٠٧.

(٤)- ينظر: تهذيب اللغة: ١٠ / ٢٨٨ - ٢٨٩، (نبك).

(٥)- ينظر: الفسر: ١ / ٥٩ - ٦٠، والمحتسب: ٢ / ٩٧.

وقال في قراءة نافع بضم التاء وكسر الجيم (تَهْجُرُونَ) من غير أن ينسبها: تقولون الهُجْر وهو الحَنَاء، وهو من أَهَجَرَ الرَّجُلَ يَهْجُرُ إِذَا جَاءَ بِالْحَنَاءِ فِي مَنْطِقِهِ<sup>(١)</sup>، وَالْحَنَاءُ: هُوَ الْإِفْحَاشُ فِي الْمَنْطِقِ، أَي الْكَلَامِ الْفَاحِشِ، قَالَ الْخَلِيلُ: ((الْحَنَاءُ مِنَ الْكَلَامِ: أَفْحَشُهُ))<sup>(٢)</sup>.

أما في قراءة ابن عباس وعكرمة من غير أن ينسبها بضم التاء وكسر الجيم مشددة (تَهْجُرُونَ) قال فيها ثلاثة أوجه: الأول: أن تكون - والله أعلم - تُكْثِرُونَ مِنَ الْهَجْرِ وَهُوَ الْهَذْيَانُ. والثاني: تَكْثِرُونَ هَجْرَ النَّبِيِّ (صلى الله عليه وآله) وكتاب الله. والثالث: تُكْثِرُونَ مِنَ الْإِهْجَارِ، وَهُوَ: إِفْحَاشُ الْقَوْلِ؛ لِأَنَّ فَعَلَ تَأْتِي لِلتَّكْثِيرِ<sup>(٣)</sup>.

وكذلك كانت أقوال مفسري غريب القرآن، فقد ذكر أبو بكر السجستاني أن قوله تعالى: ((تَهْجُرُونَ)) من الهُجْر، وهو الهَذْيَانُ، وَتَهْجُرُونَ أَيْضًا مِنَ (الهِجْرَةِ) وَهِيَ التَّرْكُ وَالْإِعْرَاضُ، وَتَهْجُرُونَ بِتَشْدِيدِ الْجِيمِ: تُعْرِضُونَ إِعْرَاضًا بَعْدَ إِعْرَاضٍ، وَتَهْجُرُونَ مِنَ الْهَجْرِ فِي الْقَوْلِ وَهُوَ الْإِفْحَاشُ فِي الْمَنْطِقِ<sup>(٤)</sup>، أَمَا قِرَاءَةُ نَافِعٍ (تَهْجُرُونَ) فَهِيَ عِنْدَ ابْنِ قَتَيْبَةَ بِمَعْنَى السَّبِّ وَالْإِفْحَاشِ فِي الْمَنْطِقِ، وَتَبِعَهُ فِي ذَلِكَ أَبُو عبيد الهروي<sup>(٥)</sup>.

٣- (جَهْرَةٌ) في قوله تعالى: ﴿فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً﴾ [النساء: من الآية: ١٥٣]، الْجَهْرَةُ: ارْتِفَاعُ الصَّوْتِ وَظَهْرُهُ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً﴾، أَي عَيَانًا، وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ: جَهَرْتُ الْبَيْتَ إِذَا أَخْرَجْتُهُ مِنْهَا مِنَ الْحَمَاءِ<sup>(٦)</sup>، فَأَظْهَرْتَهُ لِمَرَاةِ الْعَيْنِ<sup>(٧)</sup>، وَكَانَ ابْنُ قَتَيْبَةَ وَأَبُو بَكْرِ السَّجِسْتَانِي يَذْكُرَانِ أَنَّ ﴿جَهْرَةً﴾ مَعْنَاهَا: عَلَانِيَةٌ<sup>(٨)</sup>.

(١)- ينظر: الفسر: ٦٠/١، وتتنظر القراءة في: الحجة للقراء السبعة: ٢٩٨ / ٥.

(٢)- العين: ٣١٠/٤، (خنو).

(٣)- ينظر: المحتسب: ٩٧/٢، وتتنظر القراءة في: شواذ القراءات: ٣٩٨.

(٤)- نزهة القلوب: ٥٦، وينظر: تفسير غريب القرآن المجيد: ١٦٨، وتفسير غريب القرآن: ٢٩٩.

(٥)- ينظر: تفسير غريب القرآن: ٢٩٩، والغريبيين: ١٩١٢.

(٦)- الحمأة: الطين الأسود المُنْتَن، لسان العرب: ١ / ٦١، (حمأ).

(٧)- ينظر: المنصف: ٣٩/١.

(٨)- ينظر: تفسير غريب القرآن: ٤٩، ونزهة القلوب: ٦٨.

٤- (حَجْرًا) في قوله تعالى: ﴿ وَيَقُولُونَ حَجْرًا مَّحْجُورًا ﴾ [الفرقان: من الآية: ٢٢]، الحَجْر: الحَرَام، وقوله تعالى: ﴿ حَجْرًا مَّحْجُورًا ﴾، أي: حَرَامًا مَحْرَمًا<sup>(١)</sup>، وهو قول ابن قتيبة وأبي بكر السَّجَّستاني<sup>(٢)</sup>.

٥- (حَرْفٍ) في قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ ﴾ [الحج: من الآية: ١١] معناه: على شكِّ قال ابن جنبي: ((والرَّجَزُ عبادة الأوثان، تأويله، أو مَنْ عَبَدَ غَيْرَ اللَّهِ، فهو على رَيْبٍ من أمره واضطرابٍ من اعتقاده، كما قال الله سبحانه: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ ﴾، أي: على شكِّ وَغَيْرِ ثِقَةٍ وَلَا مُسْكَةَ وَلَا طُمَأْنِينَةٍ))<sup>(٣)</sup>، وهذا النص نقله ابن سيده حرفياً في (المحكم والمحيط الأعظم) من غير أن ينسبه إلى ابن جنبي، وهو كثير النقل عنه<sup>(٤)</sup>.

٦- (حَصْرَتْ) في قوله تعالى: ﴿ أَوْ جَاؤُوكُمْ حَصْرَتْ صُدُورُهُمْ ﴾ [النساء: من الآية: ٩٠]. قال: ((الحَصْر: ضيقُ الصَّدْرِ بالأمر، لِشِدَّتِهِ. يُقَالُ حَصِرَ فلان يَحْصِرُ حَصْرًا، ومنه قوله تعالى: ﴿ أَوْ جَاؤُوكُمْ حَصْرَتْ صُدُورُهُمْ ﴾، وَحَصْرَةٌ صدورهم، أي: ضيقَةٌ))<sup>(٥)</sup>، وكذلك وكذلك قال ابن قتيبة وأبو عمر الزَّاهد والأزهري: ﴿ حَصْرَتْ صُدُورُهُمْ ﴾، أي: ضاقت<sup>(٦)</sup>.

٧- (خَبَتْ) في قوله تعالى: ﴿ مَاوَاهُمْ جَهَنَّمَ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا ﴾ [الإسراء: من الآية: ٩٧]. خبت: إذا سكن لَهْبُهَا<sup>(٧)</sup>، وكان ابن قتيبة يقول وتبعه أغلب مفسري غريب القرآن: ((كُلَّمَا خَبَتْ))، أي سَكَتَتْ، يُقَالُ: خَبَتْ النَّارُ - إذا سكن لَهْبُهَا - تَخْبُو، فإن سكن اللهب ولم يطفأ الجمر قلت حَمَدَتْ تَحْمُدُ حُمُودًا، فإن طَفَنَتْ ولم يبق منها شيءٌ قيل هَمَدَتْ تَهْمِدُ هُمُودًا<sup>(٨)</sup>، وكون النَّارِ لم تَطْفَأْ، والعذاب لم يَفْتَرَّ عن المجرمين أشار إليه

(١)- ينظر: المبهج: ٨٢.

(٢)- ينظر: تفسير غريب القرآن: ٣١٣، ونزهة القلوب: ٨٣.

(٣)- المعرب في شرح قوافي أبي الحسن: الورقة: ٣٧، ب و ٣٨، أ (مخطوط).

(٤)- ينظر: المحكم والمحيط الأعظم: ٢٠٧، (رجز).

(٥)- تفسير أرجوزة أبي نواس: ١٨٥.

(٦)- ينظر: تفسير غريب القرآن: ١٣٤، وياقوتة الصراط: ٢٠١، والزاهر في غريب ألفاظ الإمام الشافعي: ١٧٤.

(٧)- ينظر: الفسر: ٢ / ١٢٣.

(٨)- تفسير غريب القرآن: ٢٦١، وينظر: نزهة القلوب: ٨٥، وياقوتة الصراط: ٣١٥.

ابن جني في الخاطريات إذ قال: ((قوله سبحانه: ﴿كَلَّمَا خَبِتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا﴾، وقال في موضع آخر: ﴿لَا يُفْتَرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾ [الزخرف: ٧٥]، وقال في موضع آخر: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَافِرٍ﴾ [فاطر: ٣٦]، وهو كما نفعه نحن، إذا خَفْنَا الخمود ألقينا الحطب، لا أن هناك خُبًّا<sup>(١)</sup>.

٨- (زَانَ) في قوله تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين: ١٤]. زَانَ: غَطَّى على قلوبهم وغشَّاهَا، والرَّجُلُ مَرِينٌ على قلبه<sup>(٢)</sup>، وقال ابن قتيبة وأبو بكر السجستاني أي غلب على قلوبهم كسب الذنوب<sup>(٣)</sup>، وغطَّى وغلب نفس المعنى، وقال أبو عبيد الهروي: غلب عليهم حتى غطَّى، فهو قد جمع بين القولين<sup>(٤)</sup>.

٩- (السَّرْدُ) في قوله تعالى: ﴿أَنْ اِعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ﴾ [سبأ: من الآية: ١١]، السَّرْدُ: النَّظَامُ ﴿وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ﴾ أي: قَدَّرْ في النَّظَامِ، وقال ثعلب: السَّرْدُ: الدَّرْعُ<sup>(٥)</sup>، واختلف مفسرو غريب القرآن في معنى (السَّرْدِ)، فقد كان الإمام زيد وابن قتيبة وأبو بكر السجستاني يرون أنَّ السَّرْدُ: النَّسْجُ، أي: قَدَّرْ في النَّسْجِ، ولا تجعل مسمار الدرع دقيقًا فيقلق، ولا غليظًا فيقْصِمِ الحَلْقَ<sup>(٦)</sup>. وذكر أبو عبيد الهروي قول السابقين وقال أيضًا: ((السَّرْدُ مُتَابَعَةُ حَلْقِ الدَّرْعِ شَيْئًا بَعْدَ شَيْءٍ حَتَّى يَتَنَاسَقَ، يُقَالُ: فَلَانَ يَسْرُدُ الحَدِيثَ سَرْدًا، أَي يُتَابَعُهُ))<sup>(٧)</sup>، وقوله هذا قريب من قول ابن جني الأول أَنَّ (السَّرْدُ) النَّظَامُ، وقال مكي ابن أبي طالب إِنَّ (السَّرْدُ) النَّقْبُ<sup>(٨)</sup>، وقيل (السَّرْدُ) الخرز، وقيل المسمار، وقيل الدَّرْعُ<sup>(٩)</sup>،

(١)- الخاطريات: ١٥٢.

(٢)- ينظر: المقتضب لابن جني: ١٧ - ١٨.

(٣)- ينظر: تفسير غريب القرآن: ٥١٩، ونزهة القلوب: ١٠١.

(٤)- الغريبيين: ٨٠٧.

(٥)- ينظر: الفسر: ١ / ٨٢٤.

(٦)- ينظر: تفسير غريب القرآن المجيد: ٢٠١، وتفسير غريب القرآن: ٣٥٤، ونزهة القلوب: ١١، وياقوتة الصراط: ٣١٥.

(٧)- الغريبيين: ٨٨٥.

(٨)- ينظر: العمدة: ٢٤٥.

الدَّرْع<sup>(١)</sup>، وكان الخليل - وتبعه أكثر اللغويين - يرى أَنَّ (السَّرْد): ((اسم جامع للدُّرُوع ونحوها من عَمَلِ الحَلَقِ، وَسُمِّيَ سَرْدًا لِأَنَّهُ يُسَرَّدُ فَيَنْقَبُ طَرَفًا كُلَّ حَلَقَةٍ بِمِسمَارٍ، فَذَلِكَ الحَلَقُ المُسَرَّدُ، قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿ وَقَدَّرَ فِي السَّرْدِ ﴾ اي اجعل المسامير على قدر خُرُوقِ الحَلَقِ، لا تُعَلِّطْ فَتَنَحَّرِمَ ولا تُدِقْ فَتَنَفَّقْ))<sup>(٢)</sup>.

١٠- (صَعِيدًا) ورد لفظ الصعيد في أكثر من آية، ومنها: ﴿ فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا ﴾ [النساء: من الآية: ٤٣] نقل ابن جني في الصَّعِيدِ ثلاثة معانٍ: الأول: عن أبي عبيدة أَنَّ الصَّعِيدَ من الأرض التراب الذي لم يخالطه سَبَخٌ ولا رمل، والثاني: أَنَّ الصَّعِيدَ هو الظاهر من الأرض، وهو تفسير قوله تعالى: ﴿ فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا ﴾ [النساء: من الآية: ٤٣]، والثالث: عن ثعلب أَنَّ الصَّعِيدَ هو المرتفع من الأرض، وهو تفسير قوله تعالى: ﴿ فَتَصْبِحْ صَعِيدًا زَلَقًا ﴾ [الكهف: من الآية: ٤٠]<sup>(٣)</sup>، ويبدو أَنَّ ابن جني فسَّرَ لفظ الصَّعِيدِ حسب سياقه الذي ورد فيه في كلِّ آيةٍ، وكذلك فسرها مفسرو الغريب فأيتا التيمم في النساء والمائدة الصَّعِيدَ فيها: التراب النظيف، أمَّا الصَّعِيدَ في قوله تعالى: ﴿ صَعِيدًا زَلَقًا ﴾، ففسره ابن قتيبة بالأمس المستوي<sup>(٤)</sup>، وهذا خلاف تفسير ابن جني عن ثعلب، وقال الأزهري: ((والصَّعِيدَ في كلام العرب على وجوه، فالتراب الذي على وجه الأرض يُسَمَّى صَعِيدًا، ووجه الأرض يُسَمَّى صَعِيدًا، والطريق يُسَمَّى صَعِيدًا))<sup>(٥)</sup>.

١١- (عَزَّنِي) في قوله تعالى: ﴿ وَعَزَّنِي فِي الخِطَابِ ﴾ [ص: من الآية: ٢٣]، معناه غلبي، وهو متعدٍ إلى مفعولين، وقولهم: أعزَّك الله، ليس منقولاً من هذا، ولو كان كذلك؛ لوجب بالنقل أَنَّ يتعدى إلى مفعولين، ولم يُسمع في (أعزَّك) في نثر أو نظم أكثر من

(١)- ينظر: تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب: ٤٧، وغرائب التفسير وعجائب التأويل: ٩٢٧/٢.

(٢)- العين: ٢٢٦/٧، وينظر: تهذيب اللغة: ٣٦٥/١٢، ومعجم مقاييس اللغة: ١٥٧/٣، (سرد).

(٣)- ينظر: مجاز القرآن: ١/١٢٨، و١٥٥، والفسر: ١/٩٢٢-٩٢٣.

(٤)- ينظر: تفسير غريب القرآن: ٢٦٧.

(٥)- الزاهر في غريب ألفاظ الإمام الشافعي: ١١٩.

مفعول واحد، فهو إذن من عزَّ الشيء يعزُّ إذ اشتدَّ وصلب<sup>(١)</sup>، وكذلك قال مفسرو غريب القرآن فقوله تعالى: ﴿وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ﴾ معناه عَلَّبَنِي في القول أو الاحتجاج<sup>(٢)</sup>.

١٢- (غِيضَ) في قوله تعالى: ﴿وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ﴾ [هود: من الآية: ٤٤] قال ابن جني: ((غَاضَتْ نَقَّصَتْ وَغَارَتْ، ومنه ﴿وَغِيضَ الْمَاءِ﴾ أي أُغِيرَ))<sup>(٣)</sup>، وهو كذلك عند ابن قتيبة وأبي بكر السجستاني وأبي عمر الزاهد<sup>(٤)</sup>.

١٣- (الْقَانِعَ) في قوله تعالى: ﴿وَأَطْعَمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ﴾ [الحج: من الآية: ٣٦]، فالقانع السائل، وَقَنَّعَ يَفْتَنُ فُنُوعًا إذا سأل، و(الْمُعْتَرَّ) المعترض لمعروفك من غير مسألة<sup>(٥)</sup> مسألة<sup>(٥)</sup> وكذلك قال ابن قتيبة وأبو عمر الزاهد في الاسمين<sup>(٦)</sup>. وقال ابن جني: ((عَرَاهُ يَعْزُوهُ عَرَوًا فهو عَارٍ، والمفعول مَعْرُورٌ، واعتراه يعتريه اعتراء فهو مُعْتَرٍ، والمفعول مُعْتَرَى. وعَرَّه يَعْزُهُ عَرًّا فهو عَارٌّ، والمفعول معرور، واعتزَّه يعترُّه اعتراضًا فهو مُعْتَرٌّ، والمفعول مُعْتَرٌّ أيضًا. لفظ الفاعل والمفعول به سواء، وكلُّه: أتاه وقصده، والقانع: السائل، والمعتز: المتعرض لك من غير مسألة))<sup>(٧)</sup>.

١٤- (مُلِيمٌ) في قوله تعالى: ﴿فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ [الصافات: ١٤٢] معناه قد أتى ما يلام عليه<sup>(٨)</sup>، وقال ابن قتيبة: مُلِيمٌ، أي: مذنب، وقال أبو بكر السجستاني أتى ما يجب أن يُلام عليه، وهو ما عليه ابن جني في تفسير (مُلِيمٌ)؛ لأنَّ الذنب ممَّا يُلام عليه<sup>(٩)</sup>.

(١)- ينظر: التنبيه: ٢٢٠، والفسر: ٢ / ١٢٣.

(٢)- ينظر: تفسير غريب القرآن: ٣٧٩، نزهة القلوب: ١٤٣، والغريبين: ١٢٦٩.

(٣)- الفسر: ٢ / ١٢٣.

(٤)- ينظر: تفسير غريب القرآن: ٣٧٩، ونزهة القلوب: ١٤٣، وياقوتة الصراط: ٢٦٤.

(٥)- ينظر: الفسر: ١ / ٣٩٤.

(٦)- ينظر: تفسير غريب القرآن: ٢٩٣، ونزهة القلوب: ١٤٣.

(٧)- المحتسب: ٢ / ٨٢.

(٨)- ينظر: الفسر: ١ / ٢٩.

(٩)- ينظر: تفسير غريب القرآن: ٣٧٤، وياقوتة الصراط: ٣٧٠.

١٥- (هُدُنَا) في قوله تعالى: ﴿وَكَتُبْنَا لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ إِنَّا هُدُنَا إِلَيْكَ﴾ [الأعراف: من الآية: ١٥٦]، اي تُبْنَا إِلَيْكَ<sup>(١)</sup>، وكذلك كان يقول ابن قتيبة وأبو بكر بكر السجستاني<sup>(٢)</sup>.

وفي نهاية مطاف هذا المبحث يبدو أنّ السببين اللذين قالهما ابن جني في كتاب الخصائص المتقدم ذكرهما اللذين لأجلهما يكون اللفظ غريباً، لم يكن لهما حظاً في أسباب غريب القرآن عند ابن جني، بل هما من أسباب غريب اللغة وحسب، إذ أنّ ألفاظ القرآن التي فسرها لا يوجد فيها لفظ مرتجل أو قديم مندثر، ويبدو أنّ أسباب الغرابة عند ابن جني في غريب القرآن ترجع إلى سببين:

الأول: أنّه اتبع مفسري غريب القرآن في عدّ هذه الألفاظ من غريب القرآن إذ إنّ كلّ الألفاظ التي عدّها من غريب القرآن هي عندهم من غريب القرآن، وسلك في تفسيرها مسلّكهم في التفسير.

والثاني: أنّ تلك الألفاظ لم تكن معروفة عند العرب قبل نزول القرآن، أو أنّها لم تكن مستعملة في المعنى الذي جاء به القرآن، وهي على هذا ألفاظ إسلامية أضفى عليها الإسلام دلالة جديدة.

(١)- ينظر: المقتضب لابن جني: ٤٢، والمحتسب: ١ / ٢٦٠.

(٢)- ينظر: وتفسير غريب القرآن: ٢٩٣، ونزهة القلوب: ١٤٣.

## المبحث الرابع

### بعض الظواهر الدلالية وأثرها في التفسير اللغوي

#### ١- الدلالة الصوتية وأثرها في التفسير اللغوي

تعرّف الدلالة الصوتية: بأنها الدلالة التي تستمد من طبيعة الأصوات، ولها مظاهر متعددة، كالنبر والتنغيم، وقوة الحرف، وضعفه<sup>(١)</sup>.

#### علاقة الصوت بالمعنى عند ابن جني

أدرك ابن جني علاقة الصوت بالمعنى في كثير من أبواب كتابه الخصائص، كما بيّنت ذلك سابقاً<sup>(٢)</sup>، إلا أنّ تلك العلاقة لم تكن عامة في كلّ الألفاظ، وبيّن تلك العلاقة بقوله: ((فإن كثيراً من هذه اللغة وجدته مضاهياً بأجرام حروفه أصوات الأفعال التي عبر بها عنها، ألا تراهم قالوا: قضم في اليايس وخضم في الرطب؛ وذلك لقوة القاف وضعف الخاء فجعلوا الصوت الأقوى للفعل الأقوى والصوت الأضعف للفعل الأضعف، وكذلك قالوا: صرّ الجندب فكرروا الراء لما هناك من استطالة صوته، وقالوا: صرصر البازي فقطعه لما هناك من تقطيع صوته، وسموا الغراب غاق حكاية لصوته، والبط بطاً، حكاية لأصواتها ... وقد يمكن أن تكون أسباب التسمية تخفى علينا لبعدها في الزمان عتاً؛ ألا ترى إلى قول سيبويه: أو لعلّ الأوّل وصل إليه علم لم يصل إلى الآخر. يعني أن يكون الأوّل الحاضر شاهد الحال، فعرف السبب الذي له ومن أجله ما وقعت عليه التسمية، والآخر لبعده عن الحال لم يعرف السبب للتسمية؛ ألا ترى إلى قولهم للإنسان إذا رفع صوته قد رفع عقيرته فلو ذهبت تشق هذا بأن تجمع بين معنى الصوت وبين معنى (ع ق ر) لبعد عنك وتعسفت، وأصله أن رجلاً قُطعت إحدى رجله فرفعها ووضعها على الأخرى، ثم صرخ بأرفع صوته فقال الناس: رفع عقيرته))<sup>(٣)</sup>، وقد وقف على هذه العلاقة حسام النعيمي في كتابه الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني، وعقد لهذه العلاقة فصلاً سماه: (الصوت والمعنى) وبيّن فيه أثر الصوت في المعنى عند ابن جني، وعرض

(١)- ينظر: دلالة الألفاظ: ٤٦.

(٢)- الرسالة: ٥٦.

(٣)- الخصائص: ١ / ٦٥ - ٦٦.

لها حيدر جبار عيدان أيضاً في بحثٍ عنوانه: (نظرات ابن جني في الصوت والمعنى - الخصائص - أنموذجاً) ، فبيننا مظاهر هذه العلاقة، ومنها التقديم والتأخير في الأصل الواحد، وهو باب الاشتقاق الأكبر، وتقارب الأصلين، وقوة الصوت لقوة المعنى وضعفه لضعف المعنى ، ونكتفي بما ذكرنا من علاقة الصوت بالمعنى ودلالته عليه، إذ عرضا هذه المسألة عرضاً مفصلاً، وبيننا رأي ابن جني فيها<sup>(١)</sup>، فهو يرى أنّ هناك علاقة بين الصوت والمعنى، إلا أنّ هذه العلاقة ليست مطردة في كل الألفاظ، وعرض محمد حسين الصغير أيضاً إلى بعض الموضوعات الصوتية التي وقف عليها ابن جني في كتبه<sup>(٢)</sup>.

إنّ ابن جني تكلم على علاقة الصوت بالمعنى داخل الألفاظ، ولم يتكلم على دلالة الأصوات مفردة، فهو إذن يستوحي معاني هذه الأصوات من المعنى العام للألفاظ، بما يملك من ذائقة سمعية تُمكنه من ربط جرس الصّوت بمعنى اللفظ، كما قال: في قولهم (خَضِمِ وَقَضِمِ) فالخَضِمِ للأكل الرُّطْبِ، والقَضِمِ للصلب واليابس، فناسبت الخاء لرخاوتها الأكل الرُّطْبِ، وناسبت القاف لصلابتها الأكل الصلب واليابس<sup>(٣)</sup>، وقد وظّف ابن جني بعض النظريات الصوتية التي أسس لها كاشتقاق الأكبر، وإمساس الألفاظ أشباه المعاني، لتفسير معاني بعض الألفاظ في القرآن الكريم، ومثل كذلك عن التنعيم.

### الاشتقاق الأكبر وأثره في تفسير القرآن

الاشتقاق الأكبر: هو ((أن تأخذ أصلاً من الأصول الثلاثة، فتعقد عليه وعلى تقاليبه السّنة معنًى واحداً، تجتمع التراكيب السّنة وما يتصرف من كل واحد منها عليه، وإن تباعد شيء من ذلك عنه رُدّ بلطف الصنعة والتأويل إليه؛ كما يفعل الاشتقاقيون ذلك في التركيب الواحد))<sup>(٤)</sup>، وهذا النوع من الاشتقاق ليس عامّاً في كل اللُّغة، وإنّما هو في بعضها، وهذا ما صرّح به ابن جني إذ قال: ((واعلم أنّا لا ندعى أنّ هذا مستمرٌّ في جميع

(١) - ينظر: الدراسات اللهجية والصوتية: ٢٧٩ - ٣٨٣، ونظرات ابن جني في الصوت والمعنى:

٣٣٥، مجلة مركز دراسات الكوفة، المجلد: ١، العدد: ٤، عام ٢٠٠٥.

(٢) - ينظر: ظواهر الفكر الصوتي عند ابن جني: ٣، الندوة المتخصصة الأولى أبو الفتح عثمان ابن

جني، جامعة الموصل كلية التربية، عام ١٩٨٩.

(٣) - ينظر: الخصائص: ٢ / ١٥٧ - ١٥٨.

(٤) - الخصائص: ٢ / ١٣٤.

اللغة؛ كما لا ندعي للاشتقاق الأصغر أنه في جميع اللغة، بل إذا كان ذلك الذي هو في القسمة سدس هذا أو خمسة متعذراً صعباً كان تطبيق هذا وإحاطته أصعب مذهباً وأعز ملتصاً، بل لو صحَّ من هذا النحو وهذه الصنعة المادة الواحدة تتقلب على ضروب التقلب كان غريباً معجباً. فكيف به وهو يكاد يساوق الاشتقاق الأصغر ويجاربه إلى المدى الأبعد<sup>(١)</sup>، وهذا النوع من الاشتقاق محل نزاع عند القدماء والمحدثين فقد عرض له السيوطي في المزهر، وهو يرى هذا النوع من الاشتقاق غير مستقيم في اللغة؛ لأن المعاني كثيرة والحروف قليلة<sup>(٢)</sup>، ويرى إبراهيم أنيس، أن هذا النوع من الاشتقاق فيه تعسف وتكلف<sup>(٣)</sup>، ويرى رمضان عبد التواب أنه لا مبرر لأحد أن يؤخذ ابن جني في مسألة الاشتقاق الأكبر، إذ إن ابن جني يرى أنه غير مطرد في اللغة كلها، كما هو ظاهر في نص ابن جني السابق<sup>(٤)</sup>، ويرى سيروان الجنابي أن المعنى الموحد في نظرية الاشتقاق يرجع إلى أصوات هذه التقاليد، فمتى أطلق صوت خطر في الدهن المعنى المناسب له وسمى هذا النوع من الدلالة بـ(الدلالة الاستدعائية)، أي إن هذه الأصوات تستدعي معنى واحداً، وإن تغيرت أماكنها، إذ أنها تعود إلى معنى واحد<sup>(٥)</sup>.

وقد وظف ابن جني هذه النظرية الصوتية في تفسير بعض ألفاظ القرآن الكريم، وسأعرض لبعض الآيات التي وظف ابن جني الاشتقاق الأكبر لتفسيرها.

### أولاً: جبلاً

القول في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبَلًا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ﴾ [يس: من الآية: ٦٢].

تأمل ابن جني تصريف (ج ل ب)، ومقلوبه (ج ب ل)، و(ب ج ل)، و(ب ل ج) و(ل ج ب)، و(ل ب ج)، فوجد جماع ذلك يؤول إلى معنى الكثرة والعظم، قال في معنى

(١) - الخصائص: ٢ / ١٣٨ - ١٣٩.

(٢) - ينظر: المزهر في علوم اللغة وأنواعها: ١ / ٢٤٧.

(٣) - ينظر: من أسرار اللغة: ٥٦.

(٤) - ينظر: فصول في فقه اللغة: ٢٩٧.

(٥) - الاشتقاق عند ابن جني: ١٨٥، مجلة اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب جامعة الكوفة، العدد: ٦،

(ج ب ل): ((ومن ذلك (ج ب ل): منه (الجبل) لِعِظَمِهِ وكثرة أجزائه، و(الجبل) من الناس؛ لكثرتهم، وجمعه (جبل)، ومنه (الجبل) أيضاً، قال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبَلًا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ﴾، و(الجبل) خَلْقٌ للشَّيء وما تساند بعضه إلى بعض، وكَثُرَ بعضه بعضاً، وكذلك بقيته))<sup>(١)</sup>، حمل ابن جني معنى (الجبل) على معنى الكثرة والعظم، وهو المعنى الذي تَوَوَّل إليه تقاليب (ج ل ب)، بحسب نظرية الاشتقاق الأكبر، وهذا المعنى هو الذي عليه أكثر المفسرين، إذ قالوا: إِنَّ الجبلَ هي الخلق الكثير، أو الجموع الكثيرة<sup>(٢)</sup>، وقوله: و(الجبل) خَلْقٌ للشَّيء، فيه نظر، ويبدو أنه تحريف وقع من الناسخ أو المحقق، إذ لم يرد في معنى (الجبل) أَنَّهَا خَلْقٌ للشَّيء، بل الوارد فيها عند اللغويين والمفسرين: أَنَّهَا الخلق الكثير، أو جبلَ الشَّيء طَبِيعَتُهُ، وَخَلْقَتُهُ، وَالجبلُ: الخَلِيقَةُ<sup>(٣)</sup>، أي إِنَّ (للشيء) في نص ابن جني السابق تحريف لـ(كثير)، والله أعلم.

ثانياً: لَامَسْتُمْ

القول في قوله تعالى: ﴿أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ﴾ [النساء: من الآية: ٤٣].

يرى ابن جني أَنَّ المعنى الجامع لتقاليب (س م ل)، هو الإصحاب والملاينة، وعليه حمل معنى (لَامَسْتُمْ) في قوله تعالى: ﴿أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ﴾، إذ قال: ((ومنها اللمس، وذلك أَنَّهُ إِنْ عَارِضَ اليَدَ شيء حائلٌ بينها وبين الملموس لم يَصِحَّ هناك لمسٌ؛ فَإِنَّمَا هو إِهْوَاءٌ باليد نحوه، ووصول منها إليه لا حاجز ولا مانع، ولا بدَّ مع اللمس من إمرار اليد وتحريكها على الملموس، ولو كان هناك حائلٌ لاستوقفت به عنه ومنه الملامسة ﴿أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ﴾، أي: جامعتم؛ وذلك أَنَّهُ لا بدَّ هناك من حركات واعتمال وهذا واضح))<sup>(٤)</sup>.

وقال في تقاليب (ق و س): أَنَّهَا تدل على القوَّة والاجتماع، وعليه حمل معنى (الوسق) في قوله تعالى: ﴿وَاللَّيْلُ وَمَا وَسَقَ﴾ [الانشقاق: ١٧]، أي: جمع<sup>(٥)</sup>، وقال في

(١)- الخاطريات: ٢ / ١٩٢.

(٢)- ينظر: جامع البيان: ١٧ / ٦٣٦، وتأويلات أهل السنة: ٨ / ٥٣٣، والنكت والعيون: ٥ / ٢٧.

(٣)- ينظر: العين: ٦ / ١٣٧، ومعجم مقاييس اللغة: ١ / ٥٠٢.

(٤)- الخصائص: ٢ / ١٣٨.

(٥)- ينظر: الخصائص: ٢ / ١٣٦.

تقاليب ( ح ج ر ) أَنَّ معانيها تدل على الشدة والضيقة والاجتماع، إِلَّا ( ر ح ج )؛ لَأَنَّهُ مهمل، وعليه حمل معنى قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْتُ حِجْرًا لَا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءُ بَرَعْمِهِمْ ﴾ [الأنعام: من الآية: ١٣٨]، على قراءة الأعمش (وَحَرْتُ وَحِرْجًا)، فالحِرْجُ والحِرْجُ معناه الضيق، ومعنى قراءة الأعمش (وَحَرْتُ وَحِرْجًا) هو معنى قراءة العامة نفسه، أي: ممنوع أَنْ يَطْعَمَهَا إِلَّا مَنْ يَشَاءُونَ<sup>(١)</sup>، والجامع بين معنى قراءة الأعمش وقراءة العامة هو الاشتقاق الأكبر؛ لِأَنَّ المعنى الذي تؤول إليه تقاليب ( ح ج ر ) واحد، وقال أبو حيان هذه القراءة على القلب ومعنى (حِرْجًا) معنى (حِجْرًا)، كما في جذب وجذب عند من يرى فيها القلب، أو يدل على التضييق<sup>(٢)</sup>.

### قوة اللفظ لقوة المعنى

هذا عنوان باب من أبواب كتاب الخصائص عالج فيه ابن جني بعض القضايا الصوتية، وبدأ هذا الباب بقوله: ((هذا فصل من العربية حَسَن، منه قولهم: حَسُنَ واخشوشن، فمعنى حَسُنَ دون معنى اخشوشن؛ لِما فيه من تكرير العين وزيادة الواو))<sup>(٣)</sup>، وابن جني في هذا الباب يتحدث عن الشدة التي تكون من زيادة الحروف في اللفظ أو تكرارها، ممَّا يعطي للفظ المزيد شدة في الصوت؛ لزيادة حروفه كما في (حَسُنَ واخشوشن) فالشدة في (اخشوشن) مُتَأْتِيَةٌ من كثرة الحروف فيها بالنسبة إلى (حَسُنَ)، ممَّا يُتْبَعُهَا شِدَّةٌ في الصوت؛ لكثرة الحروف، وعلى هذا المنوال عالج ابن جني بعض ألفاظ القرآن وحاول أَنْ يَلْتَمِسَ هذه الشدة في تلك الألفاظ التي عَرَضَ لها ومنها:

### أولاً: مُقْتَدِرٌ

القول في قوله تعالى: ﴿ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاَهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ ﴾ [القمر: ٤٢].

يرى ابن جني أَنَّ مقتدر في الآية أشدُّ من قادر؛ لِما كان فيه من التقخيم في اللفظ، وشِدَّةُ الأخذ، فهو أوفق للمعنى من قادر<sup>(٤)</sup>، ومعنى الشدة الذي تَحَصَّلَ عليه ابن جني كان

(١)- ينظر: المحتسب: ١ / ٢٣٢.

(٢)- ينظر: البحر المحيط: ٤ / ٢٣٣.

(٣)- الخصائص: ٣ / ٢٦٤، والمحتسب: ٢ / ١٩٥.

(٤)- ينظر: الخصائص: ٣ / ٢٦٥.

عند مقارنة مقتدر بقادر، والشدة في مقتدر مُتَأْتِيَةٌ من سكون القاف وقلقلتها ، وقطع النفس عندها، فإنَّ النفس ممنوع أن يجري معها<sup>(١)</sup>، لا كما في قادر فالنفس فيها سلس جارٍ فَسَهَلْتُ في اللفظ، وإلى هذا المعنى أشار الزركشي بقوله: ((واعلم أنَّ اللفظ إذا كان على وزن من الأوزان ثم نُقل إلى وزن آخر أعلى منه، فلا بُدَّ أن يتضمن من المعنى أكثر ممَّا تضمنه أولاً؛ لأنَّ الألفاظ أدلة على المعاني فإذا زِيدَتْ في الألفاظ وجب زيادة المعاني ضرورة، ومنه قوله تعالى: ﴿ فَأَخَذْنَا مِنْهُمُ اخْذًا عَزِيزًا مُّقْتَدِرًا ﴾، فهو أبلغ من (قادر) لدلالته على أنَّه قادر متمكن القدرة لا يرد شيء عن اقتضاء قدرته ويسمى هذا قوة اللفظ لقوة المعنى))<sup>(٢)</sup>، فضلاً عن ذلك أنَّ كلَّ زيادة في المبنى يتبعها زيادة في المعنى.

### ثانياً: اِكْتَسَبَتْ

القول في قوله تعالى: ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ﴾ [البقرة: من الآية: ٢٨٦].

تقدّم الكلام على الآية في مبحث الصرف في الكلام على الفرق بين صيغة (فعل وأفتعل) بشكل مفصّل، وإيرادها هنا؛ لأنَّ ابن جني استشهد بها على قوة اللفظ لقوة المعنى، وتأويل ذلك عنده ((أنَّ كسب الحسنة بالإضافة إلى اكتساب السيئة أمرٌ يسير ومستصغر؛ وذلك لقوله عزَّ اسمه: ﴿ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرٌ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلُهَا ﴾ [الأنعام: من الآية: ١٦٠] ، أفلا ترى أنَّ الحسنة تصغر بإضافتها إلى جزائها، صِغَرِ الواحد إلى العشرة، ولمَّا كان جزء السيئة إنَّما هو بمثلها لم تحتقر إلى الجزء عنها، فعلم بذلك قوَّة فعل السيئة على فعل الحسنة؛ ولذلك قال تبارك وتعالى: ﴿ تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَنْفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ﴾ ﴿ أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا ﴾ [مريم: ٩٠]، فإذا كان فعل السيئة ذاهباً بصاحبه إلى هذه الغاية البعيدة المترامية عظم قدرها وفُحِّمَ لفظ العبارة عنها فقيل: ﴿ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ﴾، فزيد في لفظ فعل السيئة وانتقص من لفظ فعل الحسنة))<sup>(٣)</sup>، وهنا ابن جني ربط بين كثرة حروف (اِكْتَسَبَتْ)

(١)- ينظر: علم اللغة مقدمة للقارئ العربي: ١٦١.

(٢)- البرهان في علوم القرآن: ٣ / ٣٤.

(٣)- الخصائص: ٣ / ٢٦٥.

مما يعطي اللفظ قوة في الصوت لا توجد في (كَسَبَتْ)؛ لذا ناسب السيئة الفعل المزيد (اكتَسَبَتْ)، وناسب الحسنة الفعل المجرد (كَسَبَتْ)؛ لأنها مجازى عليها.

### التنغيم دلالاته وأثره في التفسير

التنغيم: هو ((تغيرات تتتاب صوت المتكلم من صعود إلى هبوط، ومن هبوط إلى صعود؛ لبيان مشاعر الفرح والغضب والنفي والإثبات والتهكم والاستهزاء والاستغراب))<sup>(١)</sup>، أو هو إطار صوتي للجملة داخل السياق<sup>(٢)</sup>، والتنغيم يكون في الجمل أو أجزاء الجمل، وهو قسمان قسم ينتهي بنغمة هابطة على آخر المقطع المنبور، وقسم ينتهي بنغمة صاعدة على آخر المقطع المنبور<sup>(٣)</sup> وللتنغيم أثر دلالي فالجملة الواحدة قد تكون خبرية أو استفهامية أو تقريرية، فيكون التنغيم هو الفيصل في بيان المعاني المرادة من الجملة داخل السياق<sup>(٤)</sup>، وابن جني من العلماء الذين التمسوا دلالة التنغيم وأثره في تغيير جهة المعنى وتحول الخطاب من خبر إلى استفهام أو من استفهام إلى توبيخ، ويبيّن دلالة التنغيم وأثره في تبيين المعنى بقوله: ((وأنت تحس هذا من نفسك إذا تأملت، وذلك أن تكون في مدح إنسان والثناء عليه فتقول: كان والله رجلاً! فتزيد في قوة اللفظ ب(الله) هذه الكلمة وتتمكّن في تمطيط اللام وإطالة الصوت بها وعليها، أي رجلاً فاضلاً أو شجاعاً أو كريماً أو نحو ذلك، وكذلك تقول: سألناه فوجدناه إنساناً! وتمكّن الصوت بإنسان وتفخمه، فتستغني بذلك عن وصفه بقولك: إنساناً سمحاً أو جواداً أو نحو ذلك، وكذلك إن ذمته ووصفته بالضيق قلت: سألناه وكان إنساناً! وتزوي وجهك وتقطبه، فيغنى ذلك عن قولك: إنساناً ليئماً أو لِحْزاً أو مبخلاً أو نحو ذلك))<sup>(٥)</sup>، فابن جني في نصه هذا تكلم عن أثر التنغيم وإن لم يصرح بمصطلحه في كلامه، إذ أنّ تمكين الصوت في اللفظ وتفخيمه مظهر من مظاهر التنغيم.

(١)- في البحث الصوتي عند العرب: ٦٣.

(٢)- ينظر: اللغة مبناها ومعناها: ٢٢٦.

(٣)- ينظر: الدلالة الصوتية في اللغة العربية: ١٩٧-١٩٨، وفي البحث الصوتي عند العرب: ٦٣.

(٤)- ينظر: المدخل إلى علم أصوات العربية: ٢٥٨.

(٥)- الخصائص: ٢ / ٣٧١.

وقد وظّف ابن جني التنغيم في تفسير بعض القراءات، وقد ربط بين التنغيم والحالة النفسية التي يمرُّ بها الإنسان أثناء التكلم، إذ إنّ هناك علاقة بين نغمة الصوت والحالة النفسية للمتكلم<sup>(١)</sup>، ومن الآيات التي وظّف التنغيم لتفسيرها:

أولاً

القول في قوله تعالى: ﴿ يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾ [يس: ٣٠] بتسكين الهاء من قوله تعالى: ﴿ يَا حَسْرَةً ﴾ على قراءة الأعرج (يا حَسْرَه).

في بادئ الأمر أشكل ابن جني على هذه القراءة؛ لأنّ قوله تعالى: ﴿ عَلَى الْعِبَادِ ﴾ متعلق بـ(حسره) أو صفة لها، فلا يحسن الوقوف عليها دون قوله تعالى: ﴿ عَلَى الْعِبَادِ ﴾ إلاّ أنّه سرعان ما حمل القراءة على وجه مقبول عنده مستعيناً بالتنغيم، إذ قال: ((وجه ذلك عندي ما أنكره؛ وذلك أنّ العرب إذا أخبرت عن الشيء - غير مُعْتَمِدَتِهِ ولا مُعْتَرِمَةٍ عليه - أسرعت فيه، ولم تتأن على اللفظ، المعبر به عنه، وذلك كقوله:

\* قُنَّا لَهَا قَفِي لَنَا قَالَتْ قَاف \*

معناه: وقفْتُ، فاقْتَصَرْتُ من جملة الكلمة على حرف منها؛ تهاوُّناً بالحال، وتثاقلاً عن الإجابة، واعتمادِ المقال... وعلى ذكر طول الأصوات وقصرها لقوة المعاني المعبر بها عنها وضعفها ما يحكى أنّ رجلاً ضرب ابناً له، فقالت له أمه: لا تضربه، ليس هو ابنك، فرافعها إلى القاضي فقال: هذا ابني عندي، وهذه أمه تذكر أنّه ليس مني، فقالت المرأة: ليس الأمر على ما ذكره، وأنّما أخذ يضرب ابنه فقلت له: لا تضربه ليس هو ابنك، ومدت فتحة النون جدّاً، فقال الرجل: والله ما كان فيه هذا الطويل الطويل))<sup>(٢)</sup>، وعلى هذا التفسير بلحاظ التنغيم الذي حمل عليه بيت الوليد بن عتبة وحكاية المرأة، حمل قراءة الأعرج، إذ قال: ((وإذا كان جميع ما أوردناه ونحوه ممّا استطلناه فحذفناه يدل أنّ الأصوات تابعة للمعاني - فمتى قَوِيَتْ قَوِيَتْ، ومتى ضعفت ضعفت، ويكفيك من ذلك قولهم: قَطَعَ وَقَطَعَ، وكَسَرَ وكَسَرَ، زادوا في الصوت لزيادة المعنى، واقتصدوا فيه لاقتصادهم فيه - علمت أنّ

(١)- ينظر: التوجيه النحوي للقراءات الشاذة في المحتسب: ٨٨، (أطروحة).

(٢)- المحتسب: ٢ / ٢٠٨ - ٢١٠، وصدر البيت تقدم تخريجه، ينظر: الرسالة: ٦٨.

قراءة من قرأ: (يا حَسْرَةَ عَلَى الْعِبَادِ)، بالهاء ساكنة إنما هو لتقوية المعنى في النفس؛ وذلك أنه في موضع وعظ وتنبيه، وإيقاظ وتحذير، فطال الوقوف على الهاء كما يفعله المستعظم للأمر، المتعجب منه، الدال على أنه قد بهره، وملك عليه لفظه وخاطره، ثم قال من بعد: (على العباد)، عاذراً نفسه في الوقوف على الموصول دون صلته لما كان فيه، ودالاً للسامع على أنه إنما تجشم ذلك - على حاجة الموصول إلى صلته وضعف الإعراب وتحجره على جملته - ليفيد السامع منه ذهاب الصورة بالناطق<sup>(١)</sup>، وإن طال كلام ابن جني في تفسير الآية، إلا أن نقله مما لا بد منه؛ لكي يبين المعنى الذي يريد أن يوصله، وكلامه على القراءة يوحي أنه حمل الآية على التنغيم، مع وقفة طويلة على الهاء، وربط هذا التنغيم بالحالة النفسية للمتكلم بحيث أنه لا يستطيع وصل الموصول بصلته التي لا تنفك عنه لما به من تحسر، وبهذا يكون التحسر من جهتين: الأولى نفس اللفظ الموضوع وهو (الحسرة)، والأخرى التنغيم الذي يبين الحالة النفسية، والتنغيم في لفظ (الحسرة) مستعمل في عاميتنا اليوم عند التحسر على شيء كما في قراءة الأعرج (يا حَسْرَةَ) مع الوقوف على الهاء، وقال أبو حيان: ((ووقفوا على الهاء مبالغة في التحسر، لما في الهاء من التأهه كالتأوه، ثم وصلوا على تلك الحال))<sup>(٢)</sup>، وقوله تعالى: ﴿يَا حَسْرَةَ﴾ نداء وأسلوب النداء قائم على التنغيم إذ يبدأ بنغمة صاعدة، وينتهي بنغمة هابطة<sup>(٣)</sup>.

## ثانياً

القول في قوله تعالى: ﴿وَنَادُوا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَا كُنْتُمْ﴾ [الزخرف: ٧٧]، بالترخيم (يا مال) على قراءة علي ابن أبي طالب (عليه السلام)، وابن مسعود والأعمش.

((قال أبو الفتح: هذا المذهب المؤلف في الترخيم، إلا أن فيه في هذا الموضع سراً جديداً؛ وذلك أنهم - لعظم ما هم عليه - ضعفت قواهم، وذلت أنفسهم، وصغر كلامهم؛ فكان هذا من مواضع الاختصار ضرورةً عليه، ووقوفاً دون تجاوزه إلى ما يستعمله المالك

(١) - المحتسب: ٢ / ٢١٠ - ٢١١.

(٢) - البحر المحيط: ٧ / ٣١٨.

(٣) - ينظر: التشكيل الصوتي في اللغة العربية: ١٤١ و ١٤٤.

لقوله ، القادر على التصرف في منطقه))<sup>(١)</sup>، وفي هذا النص ربط ابن جنبي بين التنعيم والحالة النفسية التي عليها أصحاب النار؛ لما أصابهم من ذلّ وانكسار حتى صغر كلامهم فهم لا يستطيعون إتمام الكلام ، فناسب وضع أصحاب النار هذا النوع من التنعيم، وإلى هذا المعنى ذهب أبو السعود أيضاً إذ قال: ((وقرئ (يا مال) على الترخيم بالضم والكسر، ولعله رمز إلى ضعفهم وعجزهم عن تأدية اللفظ بتمامه))<sup>(٢)</sup>، وقوله تعالى: ﴿ يَا مَالِكُ ﴾ نداء، يبدأ بنغمة صاعدة، وينتهي بنغمة هابطة<sup>(٣)</sup>.

## ٢- التّضاد في ألفاظ القرآن

التّضاد في اللغة: كلُّ شيءٍ ضادٌّ شيئاً ليغلبه، والضدُّ: نقيضُ الشيءِ ومعاكسه، والمُضادّان: الشَّيْئان لا يجوز اجتماعهما في وقتٍ واحدٍ، كالليل والنهار<sup>(٤)</sup>، وقال أبو الطيّب اللّغوي: ((الأضداد: جمعُ ضدٍّ، وضدُّ كلِّ شيءٍ ما نفاه، نحو البياض والسواد، والسخاء والبخل والشجاعة والجبين، وليس كلُّ ما خالف الشيءَ ضدّاً له))<sup>(٥)</sup>، أمّا في الاصطلاح فهي: الألفاظ التي تدلُّ على معنيين متضادين أو متعاكسين كالجون يدل على البياض والسواد<sup>(٦)</sup>.

والتّضاد ظاهرة من ظواهر اللّغة، وهي ظاهرة أختلف فيها اللّغويون بين منكر لها متعسّف، وبين مثبت لها مسرف، أو بينهما، وقد أشار إلى هذا الخلاف غير واحد من الباحثين ليس هنا محل ذكره<sup>(٧)</sup>، والتّضاد وإن كان ظاهر موجودة في اللغة لمسها الأقدمون، وقال بها المحدثون، إلاّ إنّها ظاهرة طارئة على اللغة ليست أصلاً فيها، أي أنّ واضع اللّغة حينما وضعها وضع لكلّ لفظٍ معنًى بإزائه، ثم نشأ التّضاد فيها فيما بعد، بسبب أنّها بعد وضعها صارت ظاهرة اجتماعية تتأثر بمحيطها سلباً وإيجاباً، إذ لو كان التّضاد أصلاً في

(١)- المحتسب: ٢ / ٢٥٧.

(٢)- إرشاد العقل السليم: ٥ / ٩٥.

(٣)- ينظر: التشكيل الصوتي في اللغة العربية: ١٤١ و ١٤٤.

(٤)- ينظر: العين: ٧ / ٦، ومعجم مقاييس اللغة: ٣ / ٣٦٠، (ضد).

(٥)- الأضداد في كلام العرب: ٣٣.

(٦)- ينظر: الأضداد في اللغة: ٩٩.

(٧)- ينظر: فصول في فقه العربية: ٣٣٦، وفقه اللغة: ١٤٨.

اللغة لما بين له العلماء أسباب تؤدي إلى وقوعه ، وإلى هذا المعنى أشار رمضان عبد التواب بقوله: ((ومن الطبيعي أن الكلمة من الكلمات الأضداد لم توضع للمعنيين المتضادين في أول الأمر؛ وإنما وضعت لأحدهما، ثم جدت عوامل مختلفة أدت إلى نشأة المعنى الثاني المضاد للأول))<sup>(١)</sup>، والعوامل هي الأسباب التي أدت إلى ظاهرة التضاد في اللغة ، وقد أشار إليها رمضان عبد التواب وعلي عبد الواحد وافي<sup>(٢)</sup>.

ويبدو أن القائلين بالتضاد لم يختلفوا في وقوعه في ألفاظ القرآن إذ إنهم راحوا يستشهدون للتضاد بألفاظ القرآن الكريم، فيذكرون لهذه الألفاظ معنيين متضادين، بل وضع بعضهم كتابه لتبيين هذه الظاهرة في القرآن الكريم حتى لا يقع الاختلاف في تفسير القرآن، وتبين معانيه، إذ قال أبو حاتم السجستاني: ((إننا وجدنا من الأضداد في كلامهم والمقلوب شيئاً كثيراً، فأوضحنا ما حضر منه، إذ كان يجيء في القرآن (الظنُّ) يقيناً وشكاً... فأردنا أن يكون لا يرى من لا يعرف لغات العرب أن الله عزَّ وجلَّ حين قال: ﴿وَأَنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ [البقرة: من الآيتين: ٤٥، ٤٦] مدح الشاكِّين في لقاء ربِّهم، وإنما المعنى يستيقنون))<sup>(٣)</sup>. وكذلك نرى المحدثين لا يشكُّون في وقوع التضاد في ألفاظ القرآن، وهذا يفهم من دراستهم لهذه الظاهرة، وتكلُّمهم عليها، ومنهم إبراهيم السامرائي، وأحمد مختار عمر، وعبد الواحد حسن<sup>(٤)</sup>، والتضاد في ألفاظ القرآن على نوعين:

النوع الأول: يكون اللفظ من الأضداد، ولكن لا يجتمع المعنيان المتضادان في الآية نفسها، كما في لفظ (الظنُّ) ، فهو في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ [البقرة: ٤٦] معناه يستيقنون، وفي قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُمْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُستَيْقِنِينَ﴾ [الجاثية: ٣٢] ، فمعناه الشك<sup>(٥)</sup>.

(١)- فصول في فقه العربية: ٣٣٨.

(٢)- ينظر: فصول في فقه العربية: ٣٤٢ - ٣٥٥، وفقه اللغة: ١٥١ - ١٥٢.

(٣)- ثلاثة كتب في الأضداد (السجستاني): ٧٢.

(٤)- ينظر: التطور اللغوي التاريخي: ١٠١، والاشترار والتضاد في القرآن الكريم: ١٢٩، والعلاقات الدلالية والتراث البلاغي العربي: ٨٣.

(٥)- ينظر: ثلاثة كتب في الأضداد (السجستاني): ٧٢.

النوع الثاني: أن يكون اللفظ من الأضداد، ويحمله المفسرون على المعنيين المتضادين في الآية نفسها، ومن ذلك لفظ (القرء) في قوله تعالى: ﴿وَالْمُطَلَّاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾ [البقرة: من الآية: ٢٢٨] قيل هو الحيض والطمهر<sup>(١)</sup>، وقيل إنَّ القرء في اللُّغة: الوقت، فهو على هذا يصدق على الحيض والطمهر<sup>(٢)</sup>، فلا يكون من الأضداد، وهذا النوع قليل جداً، بل التَّضاد فيه يرجع إلى أسباب منها اختلاف اللغات وغيرها.

### التضاد في ألفاظ القرآن عند ابن جني

تناولت نوال كريم زرزور ظاهرة التضاد عند ابن جني، فبيَّنت أنَّ التَّضاد بمعناه الاصطلاحي مذكورٌ عنده، فقد ((كان ابن جني يطلق مصطلح التَّضاد على ألفاظٍ تدلُّ على التَّقابل، وما التَّضاد عنده إلاَّ التَّقابل ... لكننا مع ذلك لا نعدم إشارات صريحة وواضحة لبعض الألفاظ، وقد نصَّ أبو الفتح على تضادِّها))<sup>(٣)</sup>، وعَرَضَتْ طائفة من الألفاظ التي قال ابن جني بتضادِّها، وبيَّنت أسباب التضاد عنده.

إنَّ الألفاظ التي صرَّح ابن جني بتضادِّها قليلة جداً، لا نستطيع أن نبيِّن موقفه في ضوئها، وكان بعض هذه الألفاظ قرآنيًّا، وقد صرَّح ابن جني بتضادِّها، إلاَّ أنَّه في تفسيره لتلك الألفاظ كان يحملها على أحد المعنيين المتضادين، وتلك الألفاظ هي:

#### أولاً: أُخْفِيهَا

القول في قوله تعالى: ﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ﴾ [طه: ١٥] بفتح الهمزة من قوله: ﴿أُخْفِيهَا﴾ على قراءة سعيد بن جبير، وفيها أمور عدة: الأول: قال بتضاد (أُخْفَى) بفتح الهمزة بمعزل عن الآية، وكأنَّه ساق ما قاله مؤلفو الأضداد إذ قال: ((أُخْفِيَتِ الشَّيْءَ: كَتَمْتُهُ، وَأَظْهَرْتُهُ جَمِيعًا))<sup>(٤)</sup>، وهذا نصُّ ما قاله الأصمعي، وابن السكيت (ت ٢٤٤هـ)، وأبو حاتم السجستاني<sup>(٥)</sup>.

(١)- ينظر: النكت والعيون: ١ / ٢٩٠ - ٢٩١.

(٢)- ينظر: المحرر الوجيز: ١ / ٣٠٤.

(٣)- ابن جني وعلم الدلالة: ١٩٧، (رسالة).

(٤)- المحتسب: ٢ / ٤٧.

(٥)- ينظر: ثلاثة كتب في الأضداد، الأصمعي: ٢١، والسجستاني: ١١٥، وابن السكيت: ١٧٧.

الأمر الثاني: أنه حمل معنى القراءة على أحد المعنيين، وهو الإظهار، إذ قال: ((فأماً (أَخْفِيهَا) بفتح الألف فإنه أظهرها))<sup>(١)</sup>، وتفسيره هذا مبني على أن الهمزة في (أَخْفَيْت) للسلب؛ لأنها على وزن (أَفَعَلْتُ)، و(أَفَعَلْتُ) وإن كانت في الغالب أن تكون للإثبات، إلا إنها قد تأتي ويراد بها السلب، نحو: أَعَجَمْتُ الكتاب، أي أزلت استعجابه، وكذلك (أَخْفِيهَا) أي أزيل عنها خفائها<sup>(٢)</sup>، وفسر مؤلفو الأضداد (أَخْفِيهَا) بفتح الهمزة على قراءة ساعد بن جبير بالإظهار، ولم يذكروا المعنى الثاني في كلامهم على القراءة، إذ قال أبو حاتم السجستاني: ((وأماً من قرأ (أَخْفِيهَا) بالفتح، فذلك معروف في معنى أظهرها))<sup>(٣)</sup>، وتبعه أكثر الأضداديين.

الأمر الثالث: قال في قراءة العامة: ﴿أَخْفِيهَا﴾: ((من قرأ: ﴿أَخْفِيهَا﴾ قالوا: معناه أظهرها، قال أبو علي: الغرض فيه أزيل عنها خفاءها، وهو ما تُفَعُّ فيه القرية ونحوها: من كساء، وما يجري مجراه))<sup>(٤)</sup>، وهو حمل المعنى هنا على الإظهار، بدلالة همزة السلب إذ قال في سر صناعة الإعراب: ((فقد تأتي أفعلت أيضاً يراد بها السلب والنفي، وذلك نحو أشكيت زيداً إذا زلت له عما يشكوه ... ومثله قوله عزَّ و جلَّ: ﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أَخْفِيهَا﴾ تأويله والله أعلم عند أهل النظر أكاد أظهرها، وتلخيص حال هذه اللفظة أي أكاد أزيل عنها خفاءها وخفاء كل شيء غطاؤه))<sup>(٥)</sup>، وتفسيره هذا هو تفسير القراءة نفسه، وكذلك قال الأضداديون في القراءة العامة<sup>(٦)</sup>، خلا أبا حاتم السجستاني، فهو حمل حمل القراءة العامة على المعنيين، إذ قال: ((يقال أخفيت الشيء كتمته وأظهرته، وزعم أن قوله تعالى: ﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أَخْفِيهَا﴾ على ذلك، والله أعلم بذلك))<sup>(٧)</sup>، ويفهم

(١)- المحتسب: ٢ / ٤٧.

(٢)- ينظر: المحتسب: ٢ / ٤٧.

(٣)- ثلاثة كتب في الأضداد، السجستاني: ١١٥، وينظر: الأصمعي: ٢٣، و الأضداد لقطرب: ٨٧، والأضداد في كلام العرب: ١٦٦.

(٤)- المحتسب: ٢ / ٤٧.

(٥)- سر صناعة الإعراب: ١ / ٣٧ - ٣٨.

(٦)- ينظر: ثلاثة كتب في الأضداد، الأصمعي: ٢١، وابن السكيت: ١٧٧، والأضداد في كلام العرب: ١٦٦.

(٧)- ثلاثة كتب في الأضداد، السجستاني: ١١٥.

من هذا الكلام أنّ أبا حاتم السجستاني حمل الآية على المعنيين المتضادين، وذكر أبو بكر بن الأنباري أنّ معنى ﴿ أَكَادُ أَخْفِيهَا ﴾ أكاد استرها، وهو بقوله هذا انفرد عن الأضداديين، وقال بصيغة التمريض: يقال: أكاد أظهرها (١).

الأمر الرابع: قال ابن جنّي: (خَفَيْتُ) الشيء، بلا ألف، معناه أظهرته البتة (٢)، أي لا يكون معناه إلا الإظهار، وكذلك قال أبو حاتم السجستاني وأبو الطيب وأبو بكر بن الأنباري (٣).

الأمر الخامس: قال ابن جنّي: (( وقيل: (أكادُ أخفيها من نفسي)، وفي هذا ضرب من التصوف، وقيل: أكاد أخفيها: أريد أخفيها)) (٤)، وقوله: (أكادُ أخفيها من نفسي) هي قراءة أبيّ نسبها ابن خالويه إليه في المختصر، وتامها ((أكادُ أخفيها من نفسي فكيف أظهركم عليها)) (٥)، ونسب ابن جنّي تلك القراءة للتصوف؛ لأنّ الله لا يخفي عليه شيء، وقال الثعلبي عن قطرب: ((فإن قيل: كيف يخفي الله من نفسه وهو خلق الإخفاء؟ قلنا: إنّ الله سبحانه كلّم العرب بكلامهم الذي يعرفونه، ألا ترى أنّ الرجل يعذل أخاه فيقول له: أذعت سرّي، فيقول مجيباً له معذراً إليه: والله لقد كتمت سرّك نفسي فكيف أذعت؟! معناه عندهم: أخفيته الإخفاء كلّه)) (٦). وخلاصة القول أنّ ابن جنّي حمل (أخفيت) في القراءتين القراءتين على أحد المعنيين المتضادين وهو الإظهار.

ثانياً: صريح

القول في قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيحَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنْقِذُونَ ﴾ [يس:

٤٣]، عند كلامه على بيت المتنبّي:

وَإِنْ نَقَعَ الصَّرِيحُ إِلَى مَكَانٍ نَصَبْنَ لَهُ مَوْلَةَ دِقَقًا (٧)

(١)- ينظر: الأضداد للأنباري: ٩٥ - ٩٦.

(٢)- ينظر: المحتسب: ٤٧ / ٢.

(٣)- ينظر: ثلاثة كتب في الأضداد، السجستاني: ١١٥، والأضداد في كلام العرب: ١٦٦، والأضداد والأضداد للأنباري: ٩٦.

(٤)- ينظر: المحتسب: ٤٨ / ٢.

(٥)- مختصر في شواذ القراءات: ٨٧.

(٦)- الكشف والبيان عن تفسير القرآن: ٦ / ٢٤١.

(٧)- ينظر: ديوان المتنبّي: ٢٨٠، والفسر: ٤٧٤ / ٢.

قال: (( الصَّرِيحُ: الصَّارِخُ، والصَّارِخُ يكون المُسْتَعِثُّ، ويكون المُغِيثُ، قال تعالى: ﴿فَلَا صَرِيحَ لَهُمْ﴾، أي: لا معين، والله أعلم))<sup>(١)</sup>، فقد حمل ابن جني معنى (الصريخ) على أحد المعنيين المتضادين، وهو المُغِيثُ، وهذا المعنى دلَّ عليه سياق الآية، إذ قوله تعالى: ﴿وَلَا هُمْ يُنْقَدُونَ﴾، قرينة مانعة من حمل لفظ (الصريخ) على المعنى الآخر، وكذلك قال الأضداديون، إذ قال الأصمعي: ((والصَّارِخُ والصَّرِيحُ المُسْتَعِثُّ، والصَّارِخُ والصَّرِيحُ المُغِيثُ قال تعالى: ﴿فَلَا صَرِيحَ لَهُمْ﴾، أي: لا مُغِيثَ لَهُمْ))<sup>(٢)</sup>، ونقل أبو الطيب اللغوي عن أبي حاتم السجستاني أنَّ (الصَّارِخُ) لا يُعْرَفُ إِلَّا بِمَعْنَى المُسْتَعِثِّ<sup>(٣)</sup>، ولم أجد هذا عند أبي حاتم السجستاني في كتابه الأضداد. والذي عليه المفسرون أنَّ معنى قوله تعالى: ﴿فَلَا صَرِيحَ لَهُمْ﴾، أي: لا مُغِيثَ لَهُمْ يخرجهم من العَرَقِ، أو ينجيهم من الموت، ولم يذكروا أنَّ اللفظ من الأضداد<sup>(٤)</sup>.

### ثالثاً: الغابرين

القول في قوله تعالى: ﴿إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ﴾ [الشعراء: ١٧١]، عند كلامه على بيت المتنبي:

وأوفى حياة الغابرين لصاحبٍ حياة امرئٍ خائته بعد مشيب<sup>(٥)</sup>

قال: ((الغابرون: الباقون، ويُقال: الغابر: الماضي، وكأنَّه من الأضداد عندهم، قال تعالى: ﴿إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ﴾، أي الباقين، والله أعلم، وَعَبَّرَ كُلَّ شَيْءٍ آخِرِهِ))<sup>(٦)</sup>، وهو من الأضداد عند الأضداديين<sup>(٧)</sup>، فكأنَّ ابن جني يشكُّ في أنَّ يكون (الغابر) من

(١)- الفسر: ٢ / ٤٧٤.

(٢)- ثلاثة كتب في الأضداد، الأصمعي: ٥٣ - ٥٤، والسجستاني: ١٠٥، وابن السكيت: ٢٠٨.

(٣)- ينظر: الأضداد في كلام العرب: ٢٧٤.

(٤)- ينظر: جامع البيان: ١٩ / ٤٤٧، والتبيان في تفسير القرآن: ٨ / ٤٦١، البحر المحيط في التفسير: ٧ / ٣٢٤.

(٥)- ينظر: ديوان المتنبي: ٣١٥، والفسر: ١ / ١٨٩.

(٦)- الفسر: ١ / ١٨٩.

(٧)- ينظر: ثلاثة كتب في الأضداد، الأصمعي: ٥٨، والأضداد في كلام العرب: ٣٣١.

الأضداد ، وكان أبو حاتم السجستاني يقول : والأكثر أنه الباقي<sup>(١)</sup>، واستبعد محمد حسين آل ياسين أن (الغابر) من الأضداد<sup>(٢)</sup>، ويرى أكثر المفسرين أن معنى الغابرين الباقيون، ويعني بالباقيين: أنها ((من الباقيين قبل الهلاك والمعمرين الذين قد أتى عليهم دهرٌ كبيرٌ ومرَّ بهم زمنٌ كثيرٌ، حتى هَرَمَتْ فِيمَنْ هَرَمَ من الناس، فكانت مِمَّنْ عَبَرَ الدَّهْرَ الطويل قبل هلاك القوم، فهلكت مع من هلك من قوم لوط حين جاءهم العذاب ، وقيل: معنى ذلك: من الباقيين في عذاب الله))<sup>(٣)</sup>، ويرى أبو السعود أن ﴿الْغَابِرِينَ﴾ هم الباقيون في العذاب أو الماضون الهالكون، فهو حمل اللفظ على المعنيين<sup>(٤)</sup>، وقال الماوردي في وجه حكاه عن مقاتل بن سليمان (ت ١٥٠هـ): أن ﴿الْغَابِرِينَ﴾ الماضين<sup>(٥)</sup>، ولم يرد ذلك عن مقاتل في تفسيره، بل وافق المفسرين في تفسيرهم<sup>(٦)</sup>.

إن ابن جني في تفسير للألفاظ المتضادة يعقب تفسيره بقول (والله أعلم)، وكأته في تفسيره هذا تبع المفسرين فيما قالوا في تفسير هذه الألفاظ؛ لذا نجد تفسيره لتلك الألفاظ موافقاً لتفسير المفسرين.

والمح ابن جني إلى أن لفظ ﴿ظَنَّ﴾، من الأضداد، ولم يصرح به، بل يفهم من كلامه ذلك، وهو عند الأضداديين من الألفاظ المتضادة، قال ابن جني في قوله تعالى: ﴿وَوَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ﴾ [القيامة: ٢٨] على قراءة ابن عباس (وأيقن أنه الفِرَاقُ) إذ قال: ((وقال ابن عباس في تفسيره: ذهب الظَّنُّ. قال أبو الفتح: ينبغي أن يُحسن الظَّنُّ بابن عباس، فيقال: إنه أعلم بلغة القوم من كثير من علمائهم، ولم يكن ليخفى عليه أن ظَنَّتُ) قد تكون بمعنى (عَلِمْتُ)، كقوله:

فَقُلْتُ لَهُمْ ظَنُّوا بِالْفِي مَدَجِّجٍ سَرَائِهِمْ فِي الْفَارِسِيِّ الْمُسَرِّدِ

(١) - ثلاثة كتب في الأضداد، السجستاني: ١٥٣.

(٢) - ينظر: الأضداد في اللغة: ١٦٢.

(٣) - جامع البيان: ٣٠٩/١٠، وينظر: المحرر الوجيز: ٢٤١/٤، والبحر المحيط: ١٨٥/٨.

(٤) - ينظر: إرشاد العقل السليم: ٤ / ٥٤٨.

(٥) - ينظر: النكت والعيون: ٥ / ٦٦.

(٦) - ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٣ / ٢٧٧.

أي: أيقنوا بذلك وتحققوه، لكنه أراد لفظ اليقين الذي لا يستعمل في الشك، وكأنه قال: ذهب اللفظ الذي يصلح للشك، وجاء اللفظ الذي هو تصريح باليقين. إلى هذا ينبغي أن يذهب بقوله، والله أعلم<sup>(١)</sup>، فابن جني في هذا النص يقول أن «ظَنَّ» يكون بمعنى اليقين والشك، وحمل معنى الآية على (اليقين) كما صرح به ابن عباس في قراءته.

### ٣- الحمل على المعنى

الحمل على المعنى ظاهرة من الظواهر اللغوية التي عني بها كثير من اللغويين والمفسرين<sup>(٢)</sup>، والحمل على المعنى: ((هو أن يكون الكلام في معنى كلام آخر، فيحمل على ذلك المعنى، أو يكون للكلمة معنى يُخالف لفظها، فيحمل الكلام على المعنى دون اللفظ))<sup>(٣)</sup>، وهو مظهر من مظاهر سعة اللغة العربية، وعده ابن جني من شجاعة العربية وعقد له في الخصائص بابين أحدهما (الحمل على المعنى) وقال فيه: ((اعلم أن هذا الشرح غور من العربية بعيد، ومذهب نازح فسيح، قد ورد به القرآن وفصيح الكلام منثورًا ومنظومًا كتأنيث المذكر، وتذكير المؤنث وتصور معنى الواحد في الجماعة والجماعة في الواحد وفي حمل الثاني على لفظ قد يكون عليه الأول أصلاً كان ذلك اللفظ، أو فرعاً وغير ذلك مما تراه بإذن الله))<sup>(٤)</sup>، والآخر (التفسير على المعنى دون اللفظ)<sup>(٥)</sup>، ومظاهر هذه الظاهرة متعددة كما بيّنها ابن جني في نصّه المتقدّم، ففسّر بعض آي القرآن على وفق هذه الظواهر.

### أولاً: التذكير والتأنيث

تذكير المؤنث وتأنيث المذكر، ظاهرتان من ظواهر اللغة وردتا في القرآن الكريم وكلام العرب ((قد شاع واتسع عنهم حمل ظاهر اللفظ على معقود المعنى، وترك الظاهر إليه، وذلك كتذكير المؤنث وتأنيث المذكر وإفراد الجماعة وجمع المفرد، وهذا فاش

(١) - المحتسب: ٣٤٢/٢، وينظر: البيت في ديوان دريد بن الصمة: ٦٠، وجاء في الديون، (علانية) بدل (فقلت).

(٢) - ينظر: الحمل على المعنى في اللغة العربية: ٩١ - ٩٢.

(٣) - ينظر: الحمل على المعنى في اللغة العربية: ٣٠.

(٤) - الخصائص: ٢ / ٤١١.

(٥) - الخصائص: ٣ / ٢٦٠.

عنه))<sup>(١)</sup>، وفي ما يأتي آياتٍ ظاهرها التذكير ومعناه التأنيث أو ظاهرها التأنيث ومعناها التذكير، قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي ﴾ [الأنعام: من الآية: ٧٨]، وقوله: ﴿ فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ ﴾ [البقرة: من الآية: ٢٥٧]، وقوله: ﴿ إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [الأعراف: من الآية: ٥٦].

حمل ابن جني هذه الآيات على معناها خلافاً لظاهرها وأولها على المعنى، فقال: ((قول الله عز وجل: ﴿ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي ﴾، أي: هذا الشخص أو هذا المرئي ونحوه، وكذلك قوله تعالى: ﴿ فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ ﴾؛ لأن الموعظة والوعظ واحد، وقالوا في قوله سبحانه: ﴿ إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ أنه أراد بالرحمة هنا المطر، ويجوز أن يكون التذكير هنا إنمًا هو؛ لأجل فعيل))<sup>(٢)</sup>، فأشار إلى الشمس بالمذكر وهي مؤنث؛ وذلك لأنه مؤول عنده على هذا الشخص أو هذا المرئي، وذكر المفسرون أسباباً أخرى لتذكير اسم الإشارة، وجمعها الرازي بقوله: ((إنمًا قال في الشمس (هذا) مع أنها مؤنثة، ولم يقل (هذه)؛ لوجوه: أحدها: أن الشمس بمعنى الضياء والنور، فحمل اللفظ على التأويل فذكر، وثانيها: أن الشمس لم يحصل فيها علامة التأنيث؛ فلما أشبه لفظها لفظ المذكر وكان تأويلها تأويل النور صلح التذكير من هاتين الجهتين، وثالثها: أراد هذا الطالع أو هذا الذي أراه، ورابعها: المقصود منه رعاية الأدب، وهو ترك التأنيث عند ذكر اللفظ الدال على الربوبية))<sup>(٣)</sup>، والوجه الثالث هو الذي عليه ابن جني، ويرى ابن فضال المجاشعي أن قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً ﴾ إخبار من الله، وقوله تعالى: ﴿ هَذَا رَبِّي ﴾ من كلام إبراهيم، وهو لم يكن عربياً فجاءت الآية على لغته بتذكير المؤنث<sup>(٤)</sup>، وهذا تفسير غريب من ابن فضال انفرد به. أمّا تذكير الفعل في قوله تعالى: ﴿ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ ﴾، أرجعه العكبري إلى ثلاثة وجوه: الأول: الحمل على المعنى؛ لأنّ ﴿ مَوْعِظَةٌ ﴾ بمعنى وَعْظٌ، والثاني: لأنّ تأنيث موعظة ليس حقيقياً، والثالث: لوجود فاصل، وهو الهاء في قوله ﴿ جَاءَهُ ﴾<sup>(٥)</sup>.

(١) - المحتسب: ١ / ١٤٥.

(٢) - الخصائص: ٢ / ٤١٢.

(٣) - التفسير الكبير: ١٣ / ٦٠.

(٤) - ينظر: النكت في القرآن: ٢١٨.

(٥) - ينظر: البيان في غريب إعراب القرآن: ١ / ١٨٠.

## ثانياً: الجمع والإفراد

قد يقع المفرد موقع الجمع، ويقع الجمع موقع المفرد، أي: يكون ظاهر اللفظ في الآية جمعاً ومعناه مفرداً، ويكون ظاهره مفرداً ومعناه جمعاً، ووقع هذا كثير في اللغة وفاش فيها، ((وجاز أن يُوقَع على الناس كلهم صفة مفردة تصوراً لمعنى الجملة، والجماعة وهي بلفظ الواحد، كما جاز للبيد أن يشير أيضاً إلى الناس بلفظ الواحد في قوله:

وَلَقَدْ سَمِئْتُمْ مِنَ الْحَيَاةِ وَطَوَّلِهَا      وَسُؤَالَ هَذَا النَّاسِ كَيْفَ لَبِيدُ

ومن معكوسه في إيقاع لفظ الجماعة على معنى الواحد قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ﴾ [آل عمران: من الآية: ١٧٣]، والمراد به الواحد، كل من كلام العرب))<sup>(١)</sup>، وقال الطوسي: ((الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ﴾ وإنما كان واحداً بلا خلاف: وهو نعيم بن مسعود الأشجعي))<sup>(٢)</sup> وعلى هذه الظاهرة فسّر ابن جني بعض آي القرآن وبعض القراءات.

## أولاً

القول في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَن يَغْوُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ وَكُنَّا لَهُمُ حَافِظِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٢]، وقوله: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ١١٢].

يرى ابن جني أن قوله تعالى: ﴿وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَن يَغْوُونَ﴾ حمل على المعنى، ولم يفصل القول في الآية<sup>(٣)</sup>، وهذا الذي أجمله ابن جني فصله الأخفش من قبل بقوله: ((وإنما جمع ﴿يَغْوُونَ﴾ و﴿مَنْ﴾ في اللفظ واحد؛ لأنَّ ﴿مَنْ﴾ في المعنى لجماعة))<sup>(٤)</sup>، وكذلك حمل الآية على المعنى أبو حيان والسمين الحلبي، ويرى أبو حيان

(١) - المحتسب: ١ / ١٨٩، وينظر البيت في ديوان لبيد: ٣٢.

(٢) - التبيان في تفسير القرآن: ٢ / ١٦٩ .

(٣) - ينظر: الخصائص: ٢ / ٤١٩.

(٤) - معاني القرآن للأخفش: ٢ / ٤٤٧.

أنَّ الأكثر في لسان العرب أن تكون ﴿ مَنْ ﴾ دالة على الإفراد والتذكير؛ لذا حمل قوله ﴿ مَنْ يَغُصُّونَ ﴾ على المعنى؛ لأنَّ الإفراد والتذكير الأكثر في كلام العرب<sup>(١)</sup>.

أمَّا قوله تعالى: ﴿ بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ فقال فيه: ((فأفرد على لفظ (مَنْ) ثم جمع من بعد))<sup>(٢)</sup>، أي إنَّه أفرد الضمير في (أَسْلَمَ)، وفي (وَجْهَهُ) و(هُوَ) و(لَهُ) و(أَجْرُهُ) على اللفظ والمعنى جمع<sup>(٣)</sup>، إذ قال أبو عبيدة: ((بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ ﴾، ذهب إلى لفظ الواحد، والمعنى يقع على الجميع))<sup>(٤)</sup>، وقوله تعالى: ﴿ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ محمول على المعنى وهو الجمع لأنَّ (مَنْ) لفظها الإفراد ومعناها الجمع.

وكون (مَنْ) دالة على الإفراد أمر فيه نظر؛ لأنَّ (مَنْ) اسم موصول نكرة يقع على المفرد كما للجمع، والمذكر كما للمؤنث، فإذا كانت (مَنْ) كذلك، فحملها على المعنى لا موجب له؛ لأنَّها دالة على الجمع بنفسها، فاللفظ والمعنى يدلان على الجمع، وإلى هذا المعنى أشار الفراء وأبو عبيدة، ف(مَنْ) تقع على الواحد والجمع عندهما على حدِّ سواء<sup>(٥)</sup>.

## ثانياً

القول في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ خَلَقْنَا النَّفْثَةَ عَاقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ﴾ [المؤمنون: من الآية: ١٤] بإفراد ﴿ عِظَامًا ﴾ الأولى وجمع الثانية، على قراءة السُّلمي، وإفراد ﴿ الْعِظَامَ ﴾ الثانية وجمع الأولى على قراءة مجاهد.

وجَّه ابن جني قراءة السُّلمي (فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا) بالحمل على اللفظ، ومن جمع كما هي قراءة الجماعة فمحمول على المعنى، إذ قال: ((أمَّا من وحدَ فإِنَّه ذهب إلى لفظ إفراد الإنسان والنُّطفة والعلقَة، ومن جمع فإِنَّه أراد أن هذا أمرٌ عامٌ

(١)- ينظر: البحر المحيط: ٥ / ١٦١ - ١٦٢، والدر المصون: ٨ / ١٨٨.

(٢)- الخصائص: ٢ / ٤١٩.

(٣)- ينظر: إعراب القرآن للباقولي: ١ / ٣٦٩، ومجمع البيان: ١ / ٢٥٨.

(٤)- ينظر: مجاز القرآن: ١ / ٥١.

(٥)- ينظر: ومعاني القرآن للفراء: ٣ / ٥٩، ومجاز القرآن: ٢ / ٤١.

في جميع الناس، وقد شاع عنهم وقوع المفرد في موضع الجماعة<sup>(١)</sup>، أمّا قراءة مجاهد (فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا)، فأفراد العظم فيها حمل على اللفظ المتقدم، أي: والنطفة والعلاقة والمضغة، وفيه عود إلى اللفظ بعد أن حمل قوله تعالى ﴿ فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا ﴾ على المعنى فجمع ﴿ عِظَامًا ﴾، وهذا ليس بحسن عند ابن جني، إذ قال: إنَّ ((من قَدَّمَ الإفراد ثم عَقَّب بالجمع أشبه لفظًا؛ لأنَّه جاور بالواحد لفظ الواحد الذي هو (إنسان) و(سلالة) و(نطفة) و(علاقة) و(مضغة)، ثم عَقَّب بالجماعة؛ لأنَّها هي الغرض، ومن قَدَّمَ الجماعة بادر إليها إذ كانت هي المقصود، ثم عاد فعامل اللفظ المفرد بمثله، والأول أحرى على قوانينهم، ألا تراك تقول: من قام وقعدوا إخوتك، فيحسن لانصرافه عن اللفظ إلى المعنى، وإذا قلت: من قاموا وقعد إخوتك، ضعف؛ لأنَّك قد انتحيت بالجمع على المعنى وانصرفت عن اللفظ، فمعاودة اللفظ بعد الانصراف عنه تراجع وانتكاث، فاعرفه وابن عليه فإنه كثير جدًّا))<sup>(٢)</sup>.

والحمل على المعنى ثم الحمل على اللفظ محل خلاف بين العلماء<sup>(٣)</sup>، فمنهم من يجيزه، كأبي حيَّان، ومنهم من يُضَعِّفُهُ ويستقبحه، كأبي بكر بن السراج<sup>(٤)</sup>، وابن جني كما في نصِّه المتقدم، وقال في الخصائص: ((اعلم أنَّ العرب إذا حَمَلَتْ على المعنى لم تكدرُ تراجع اللفظ، كقولك: شكرتُ من أحسنوا إليَّ على فعله، ولو: قلت شكرت من أحسن إليَّ على فعلهم جاز))<sup>(٥)</sup>، ومنهم من يمنع كابن خالويه إلّا في موضع واحد نقله عن ابن مجاهد في قوله تعالى: ﴿ رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَمَنْ يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا ﴾ [الطلاق: ١١]، فوحد ﴿ يُؤْمِن ﴾ على لفظ ﴿ مَنْ ﴾، وكذلك ﴿ يُدْخِلْهُ ﴾، ثم جمع ﴿ خَالِدِينَ ﴾ على معنى ﴿ مَنْ ﴾، ثم بعد ذلك رجع إلى اللفظ، ووحد قوله ﴿ لَهُ رِزْقًا ﴾ على لفظ ﴿ مَنْ ﴾<sup>(٦)</sup>.

(١) - المحتسب: ٢ / ٧٨.

(٢) - المحتسب: ٢ / ٧٨ - ٨٨.

(٣) - ينظر: الحمل على المعنى في اللغة العربية: ١٠٥ - ١١٠.

(٤) - ينظر: الأصول في النحو: ٢ / ٣٤٧، والبحر المحيط: ٤ / ٢٣٤.

(٥) - الخصائص: ٢ / ٤٢٠.

(٦) - ينظر: ليس في كلام العرب: ٢١٩.

٤- أثر المجاز والعقيدة في التفسير عند ابن جني

جمعتُ بين المجاز والعقيدة هنا؛ لأنَّ ابن جني وظَّفَ المجاز في تفسير القرآن بما ينسجم مع معتقده الديني، فهو تفسير متأثر بالمجاز من جهة وبمعتقده الديني من جهة أخرى، وابن جني معتزلي المذهب، والمعتزلة وظَّفوا اللغة وأساليبيها في الدفاع عن مذهبهم ومعتقداتهم الدينية التي يؤمنون بها، وكانت من أهم أدواتهم التي يدافعون بها، ويحتجون بها على خصومهم، وعقد ابن جني للعقيدة والمجاز بابًا في كتابه الخصائص سماه (ما يُؤمِّنه علم العربية من الاعتقادات الدينية)، وقال فيه: ((اعلم أنَّ هذا الباب من أشرف أبواب هذا الكتاب، وأنَّ الانتفاع به ليس إلى غايةٍ، ولا وراءه من نهايةٍ. وذلك أنَّ أكثر مَنْ ضلَّ من أهل الشريعة عن القصد فيها... حتى ذهب بعض هؤلاء الجهَّال في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾ [القلم: من الآية: ٤٢] أنَّها ساق ربِّهم، ونعوذ بالله من ضَعْفَةِ النظر وفساد المعتبر... ولو كان لهم أنسُّ بهذه اللغة الشريفة، أو تَصَرَّفُ فيها أو مزاولَةٌ لها؛ لحمتهم السعادة بها، ما أصارتهم الشِقْوَةُ إليه، بالبعد عنها))<sup>(١)</sup>، وعرض آياتٍ في هذا الباب ظاهرها التشبيه؛ ممَّا جعله يحملها على المجاز دفعًا لهذا التشبيه .

أولاً

القول في قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولَّوْا فَنَّمَّ وَجْهَ اللَّهِ إِنْ اللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١١٥].

حمل ابن جني قوله تعالى: ﴿وَجْهَ اللَّهِ﴾ على المجاز؛ لأنَّ حمله على الحقيقة لازمه التَّجْسِيم والتَّشْبِيه، وهذا مُنافٍ لعقيدته التي لا تقول بالتَّجْسِيم والتَّشْبِيه، فقال: ((قوله سبحانه: ﴿فَأَيْنَمَا تُولَّوْا فَنَّمَّ وَجْهَ اللَّهِ﴾ إمَّا هو الاتجاه إلى الله؛ ألا ترى إلى بيت الكتاب:

أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ ذَنْبًا لَسْتُ مُحْصِيَهُ رَبِّ الْعِبَادِ إِلَيْهِ الْوَجْهُ وَالْعَمَلُ

أي الاتجاه، فإنَّ شئت قلت: إنَّ الوجه هنا مصدرٌ محذوف الزيادة كأنَّه وَضَعَ الْفَعْلُ موضع الافتعال، كوحده وقيد الأوابد- في أحد القولين - ونحوهما. وإنَّ شئت قلت: خرج مخرج الاستعارة، وذلك أنَّ وجه الشيء أبدًا، هو أكرمه وأوضحه، فهو المراد منه والمقصود

(١)- الخصائص: ٣ / ٢٤٥ - ٢٤٦.

إليه، فجرى استعمال هذا في القديم سبحانه مجرى العرف فيه والعادة في أمثاله، أي لو كان تعالى ممّا يكون له وجه لكان كل موضع تُوجّه إليه فيه وجهًا له، إلا أنّك إذا جعلت (الوجه) في القول الأوّل مصدرًا كان في المعنى مضافًا إلى المفعول دون الفاعل؛ لأنّ المتوجّه إليه مفعول في المعنى، فيكون إذاً من باب قوله عزّ وجلّ: ﴿لَا يَسْأَلُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ﴾ [فصلت: من الآية: ٤٩]، و﴿لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعَجَتِكَ﴾ [ص: من الآية: ٣٤]، ونحو ذلك ممّا أضيف فيه المصدر إلى المفعول به<sup>(١)</sup>، وأكثر المفسرين أولوا الآية لأنّ لازمها التّجسيم والتّشبيه، والله مُنَزَّه عن ذلك، فحملوها على المجاز، وقالوا فيها وجوهًا منها:

الوجه الأول: أن يكون الوجه بمعنى الجهة، فهي الجهة التي فيها رضا الله.

الوجه الثاني: أن يكون الوجه بمعنى الذات، أي ذات الله، وعليه قوله تعالى: ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٧].

الوجه الثالث: أن يكون المراد من قوله، ﴿فَتَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ أي: مرضاته.

الوجه الرابع: أن يكون المراد قبلة الله التي يعبد بها<sup>(٢)</sup>.

وقال ابن عطية: ((والعبارة عنه بالوجه من مجاز كلام العرب، إذ كان الوجه أظهر الأعضاء في الشاهد وأجلها قدرًا))<sup>(٣)</sup>. وانفرد ابن جني عن المفسرين في كون (الوجه) في الآية مصدر محذوف الزيادة كقيد الأوابد، أي تقييد، فلم يقل به أحد غيره.

ثانيًا

القول في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ [القلم: ٤٢].

نزه ابن جني الباري جلّ جلاله من أن تكون له ساق بمعنى الجارحة في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾، وحمل الآية على المجاز، إذ قال في تأويلها: ((فأمّا قول من

(١)- الخصائص: ٣/ ٢٤٧ - ٢٤٨، والبيت مجهول القائل، ينظر: الكتاب: ١ / ٣٧.

(٢)- ينظر: المحرر الوجيز: ١/ ٢٠٠، والتفسير الكبير: ٤/ ٢٢، والبحر المحيط: ١/ ٥٣٠.

(٢)- ينظر: المحرر الوجيز: ١/ ٢٠٠.

طغى به جهله وغلبت عليه شقوته حتى قال في قول الله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾<sup>(١)</sup> إنَّه أراد به عضو القديم، وإنَّها جوهرٌ كهذه الجواهر الشاغلة للأماكن، وإنَّها ذات شعير وكذا وكذا ممَّا تتابعوا في شناعته وركسوا في غوايته ، فأمرٌ نحمد الله على أن نرَّهنا عن الإمام بحزاه، وإنَّما السَّاق هنا يراد بها شِدَّة الأمر كقولهم: قد قامت الحرب على ساقٍ، ولَسْنَا ندفع مع ذلك أن السَّاق إذا أُريدت بها الشدَّة، فإنَّما هي مشبَّهة بالسَّاق هذه التي تعلق القدم ، وإنَّه إنَّما قيل ذلك؛ لأنَّ السَّاق هي الحاملة للجملة المُنهضة لها، فذكرت هنا لذلك تشبيهاً وتشنيعاً ، فأما أن تكون للقديم تعالى جارحة: ساق أو غيرها فنعود بالله من اعتقاده أو الاجتياز بطواره<sup>(٢)</sup>، وكذلك حمل المفسرون الآية على المجاز، لأنَّ حملها على الحقيقة لازمه أن يكون الله جسماً مُعَضِّي، فحينئذ يجب صرف لفظ (السَّاق) على المجاز، ولهم فيها وجه منها:

الوجه الأول: أن يكون المراد بالسَّاق: الشدَّة، وهذا من الاستعارة، فاستُعيرت السَّاق للشدَّة، ويقال للرجل إذا وقع في أمر عظيم يحتاج فيه للجهد وشدَّة: شمَّر عن ساقه، وعلى هذا حملها ابن جني فقال: إذا أُريدت بها الشدَّة، فإنَّما هي مشبَّهة بالسَّاق، وقيل إنَّها كناية عن شدة الأمر.

الوجه الثاني: أن يكون المراد بالسَّاق إقبال الآخرة، وهي أوَّل ساعة من يوم القيامة، وهو يوم عظيم.

الوجه الثالث: قيل أن المراد بالسَّاق الغطاء<sup>(٣)</sup>.

(١)- الخصائص: ٣ / ٢٥١.

(٢)- ينظر: الكشف والبيان: ١٩/١٠، والنكت والعيون: ٧٠/٦، والبحر المحيط: ٨ / ٣٠٩.

# الغائمة

## الخاتمة

بعد هذه الرحلة الطويلة والممتعة مع ابن جني (رحمه الله) وتفسيره اللغوي للقرآن الكريم، لا بد من الوقوف على أبرز النتائج التي توصلت إليها في هذا البحث، وبعض التوصيات:

١- ثبت لي أنّ ابن جني مفسّرٌ لغويٌّ، يضاهاه تفسيره اللغوي تفسير المفسرين اللغويين الذين سبقوه كأبي عبيدة والمبرد والأخفش، ولو قدّر له أن يؤلف في تفسير القرآن ومعانيه، لذكره مؤلفو طبقات المفسرين في عديد المفسرين، بل إنّ توجيهه للقراءات الشاذة في كتاب المحتسب يعدّ تفسيراً لغوياً، كما صرح بذلك مساعد الطيار.

٢- كان تفسير ابن جني اللغوي على نوعين: نوع خاص يهتم بتفسير معاني الألفاظ تفسيراً معجمياً، وقد يسمّى هذا الخاص تفسيراً لغوياً، والنوع الآخر: يهتم بتفسير آي القرآن أو ألفاظه بالوسائل اللغوية الصّوتية والصّرفية والنحوية والدلالية، وغيرها من الأساليب اللغوية التي تعين على توضيح المعنى، وقد يسمّى تفسيراً نحوياً أو صرفياً أو دلالياً أو صوتياً.

٣- أكثر تفسيره اللغوي كان أصيلاً نابعاً من عقليته الفذة في التفكير والتحليل والكشف، فهو عالمٌ موسوعي وظّف فنون اللغة العربية وأساليبها خير توظيف في تفسير القرآن، وكان في بعض تفسيره متأثراً بالعلماء السابقين كالخليل وسيبويه وأبي عبيدة والمبرد والأخفش وغيرهم من المفسرين.

٤- نقل ابن جني نصوصاً كثيرةً من كتب لم تصل إلينا، ككتاب أبي حاتم السجستاني في القراءات وكتاب قطرب الذي سمّاه ابن جني (الكتاب الكبير)، أو معاني القرآن، وقد حوت تفسيراً في بيان معاني القرآن، وتوجيه القراءات وغيرها، وتعدّ هذه النصوص صورة لتلك الكتب المفقودة، ممّا جعل بعض الباحثين أن يعتمدوا على كتب ابن جني في جمع الكتب المفقودة، كما فعل الباحث خضير حسين إذ جمع جهود قطرب في معاني القرآن، معتمداً على كتب ابن جني وغيرها، وكذلك الباحثة يسرى محمد جمعت جهود أبي حاتم في التفسير والقراءات بعنوان (أبي حاتم السجستاني والدراسات القرآنية قراءةً وتوجيهاً وإعراباً للقرآن) رسالة للماجستير واعتمدت على كتاب المحتسب والخصائص، وغيرها.

٥- تأثر بابن جني كثير من اللغويين- الذين ألفوا في معاني القرآن وقراءاته - وكذا من والمفسرين، وأكثروا النقل عنه، كالباقولي، والطَّبْرسي وأبي حيان والمُجَاشِعي، وغيرهم، وهذا يدلُّ على أنَّ ابن جني مفسرٌ لغويٌّ .

٦- وقف ابن جني على بعض الآيات التي كان فيها خلافٌ نحويٌّ بين البصريين والكوفيين، وانتصر فيها لأصحابه البصريين كما يسمِّيهم، وانفرد في ذكر مسألة خلافية لم ترد في كتب الخلاف النحوي، وهي مسألة حذف فعل القول.

٧- تنوعت شواهد ابن جني على تفسيره اللغوي، فاستشهد لتفسيره بالقرآن الكريم والحديث الشريف والشعر وكلام العرب.

٨- من المعروف أنَّ ابن جني عمل كتاب المُحْتَسَب في توجيه القراءات الشاذة، إلاَّ إنِّي وجدت فيه تفسيرًا كثيرًا للقراءة العامة أي قراءة حفص عن عاصم.

٩- كان أثر القرآن الكريم في كتب ابن جني كبيرًا، فهو يُورده شاهدًا على كثير من المسائل اللغوية، ثم يفسر أغلب هذه الشواهد، أو تكون الآية نفسها محل شرح وتفسير.

١٠ - كان تفسيره الخاص مساويًا لتفسيره العام تقريبًا، وأكثر تفسيره الخاص كان تفسيرًا معجميًا لغريب الألفاظ وغامضها، وأكثر تفسيره العام كان تفسيرًا نحويًا ثم صرفيًا ثم صوتيًا .

١١- امتاز تفسير ابن جني بتعدد الوجوه والآراء، ويرجح بعضها مرّة، ويذكرها من غير ترجيح مرّة أخرى، وهذا يدلُّ على موسوعيته وسعة اطلاعه.

١٢- انفرد ابن جني في موارد من تفسيره اللغوي ، ومن ذلك قوله في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيْتُونَ ﴾ ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ ﴾ [المؤمنون: ١٥، ١٦]، أنَّ لام التوكيد مرادة في قوله: ﴿ تُبْعَثُونَ ﴾، وكذلك قال بحذف كان، وهي مرادة، في قوله تعالى: ﴿ وَاتَّبِعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ ﴾ [البقرة: من الآية: ١٠٢]، أي: ما كنت تتلو، وفي غيرهما من الآيات.

١٣- وظَّف ابن جني كثيرًا من الموضوعات النحوية في الكشف عن المعنى كالحذف والمبتدأ والخبر والتوابع وغيرها من الموضوعات التي لها مساس في الكشف عن المعنى،

وكذلك أفاد من علم الصرف في تبيين معاني بعض الألفاظ القرآنية على وفق صيغها الصرفية ودلالاتها، ومن الصوت وأثره في تبيين المعنى كشدّة الصوت وضعفه، والتنغيم .

١٤- تحرّز ابن جني من القطع بمعنى اللفظ القرآني في تفسير للقرآن بقوله (والله أعلم) في ذيل تفسيره لكثير من الآيات، فهو على الرغم من علمه باللغة وأساليبها كان يتحرز من القول في القرآن الكريم على وجه القطع.

١٥- إنّ ابن جني في تفسيره لبعض الألفاظ، لا يجعل اللفظ جامداً على معناه، بل يوجهه على حسب ما يقتضيه السياق، فهو كثيراً ما يفسر في هدى الصرف والنحو والمعجم بلحاظ السياق .

١٦- حمل ابن جني معاني كثير من القراءات الشاذة على معاني قراءة العامة؛ لأنّه قيل إنّ الأصل في القراءات توافقها في المعنى.

١٧- أنكر ابن جني على ابن مجاهد تخطيئه بعض القراءات التي لها وجه من العربية يمكن أن تحمل عليه.

١٨- يؤخذ على ابن جني أنّه فضّل معاني بعض القراءات الشاذة، على معاني القراءة العامة؛ لأنّها تنسجم مع المعنى الذي يراه مرة، أو لأنّها تنسجم مع مذهبه النحوي مرة أخرى، مع أنّ ابن جني يرى أنّ القراءة سنة لا تخالف، فكان تفضيله معنّى فقط.

١٩- يؤخذ على ابن جني تحكيمة الصناعة النحوية في تفسيره لبعض الآيات، ممّا يؤدي إلى تشتيت المعنى وضياعه، وتعقيد النّحو وصعوبته.

٢٠- أوصي بإعادة جمع تفسير ابن جني؛ لأنّ محمد إبراهيم فاته كثير من الآيات التي فسرها ابن جني، وفاته بعض كتب ابن جني التي فيها تفسير لغوي، وذلك لأنّ منهج الجمع يُحتم على الباحث أن يجمع تفسير المفسر من جميع كتبه، وغيرها إن وجد فيها تفسيراً، ولم أجد محمداً فعل ذلك، ويبقى الفضل للباحث محمد إبراهيم كونه أوّل من جمع تفسير ابن جني، بعد أن أشار إليه كاصد الزيدي في بحثه المعنون ابن جني مفسراً.

٢١- وأوصي أيضاً بأن يُدرس ابن جني دراسة معجمية؛ لأنني وجدت له تفسيراً معجمياً كثيراً بعضه في ألفاظ القرآن وقد تناولته، وبعضه الآخر في ألفاظ لغويه وهو كثير في ما

اطَّلَعْتُ عليه من كتب ابن جنِّي، وليس بالغريب أن يكون ابن جنِّي معجمياً؛ لأنَّ تناوله الألفاظ معجمياً يشهد له بذلك، بل إنَّ له معجماً صغيراً في معاني الألفاظ المهموزة والمقصورة والممدودة عرض فيه لتلك الألفاظ، وبين معانيها واستعمالاتها بشكل مختصر جداً.

ولا أدَّعي في بحثي هذا أنني بلغت الغاية، ووصلت إلى النتيجة كاملةً، فالكمال لله وحده. وآخر دعوانا أن الحمد لله ربَّ العالمين والصَّلَاة والسَّلَام على محمد وآله الطيبين الطاهرين.

# ثبتت المصادر والمراجع

## ثبت المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- ائتلاف النُصرة في اختلاف نحاة الكوفة والبصرة: لأبي عبد الله عبد اللطيف بن أبي بكر الزبيدي، المتوفى سنة ٨٠٢ للهجرة، تحقيق: طارق الجنابي، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٧م.
- الإبانة في تفصيل ماءات القرآن وتخريجها على الوجوه التي ذكرها أرباب الصنعة: لأبي الحسن علي بن الحسين الأصفهاني الباقولي، المتوفى سنة ٥٤٣ للهجرة، تحقيق: محمد أحمد الدالي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت، ٢٠٠٩م.
- ابن جني عالم العربية: لحسام سعيد النعيمي، دار الشؤون الثقافية، بغداد، الطبعة الأولى، ١٩٩٠م.
- ابن جني النحوي: لفاضل صالح السامرائي، دار عمّار، عمّان - الأردن، الطبعة الثانية، ٢٠٠٩م.
- الاتجاه العقلي في التفسير: لنصر حامد أبو زيد، المركز الثقافي العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الثالثة، ١٩٩٦م.
- الإتيان في علوم القرآن: لجلال الدين أبي الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، المتوفى سنة ٩١١ للهجرة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٤م.
- أثر القراءات القرآنية في الدراسات النحوية: لعبد العال سالم مكرم، مؤسسة علي جراح الصباح، الكويت.
- أحكام القرآن: لأبي بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن عربي، المتوفى سنة ٥٤٣ للهجرة، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية، ٢٠٠٣م.
- أخبار أبي القاسم الزجاجي: لأبي القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي، المتوفى سنة ٣٣٧ للهجرة، تحقيق: عبد الحسين مبارك، دار الرشيد، ١٩٨٠م.
- أخبار النحويين البصريين: لأبي سعيد الحسن بن عبد الله السيرافي، المتوفى سنة ٣٦٨ للهجرة، تحقيق: طه محمد الزيني، ومحمد عبد المنعم خفاجي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٥٥م.

- الأدوات النَّحوية في كتب التفسير: لمحمود أحمد الصغير، دار الفكر، دمشق - سوريا، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م.
- ارتشاف الضرب من لسان العرب: لأبي حيان محمد بن يوسف الأندلسي، المتوفى سنة ٧٤٥ للهجرة، تحقيق: رجب عثمان محمد، مراجعة: رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م.
- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم: لأبي السعود محمد بن محمد بن مصطفى العمادي، المتوفى سنة ٩٨٢ للهجرة تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، مطبعة السعادة.
- الاستدراك على أبي علي الفارسي في الحجة: لأبي الحسن الباقلوي، تحقيق: محمد أحمد الدالي، مكتبة البابطين المركزية، الكويت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧م.
- الاشتراك والتضاد في القرآن الكريم: لأحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة.
- أصول التفسير والتأويل مقارنة منهجية بين آراء الطباطبائي وأبرز المفسرين: لكمال الحيدري، دار فراق، إيران، الطبعة الثانية، ٢٠٠٦م.
- أصول التفسير وقواعده: لخالد عبد الرحمن العك، دار النفائس، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٦م.
- أصول التفكير النحوي: لعلي أبو المكارم، دار غريب، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٦م.
- الأصول في النحو: لأبي بكر محمد بن السري بن سهل، المعروف بابن السراج، المتوفى سنة ٣١٦ للهجرة، تحقيق: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، الطبعة الثالثة، ١٩٩٦م.
- أصول الكافي: لمحمد بن يعقوب الكليني، المتوفى سنة ٣٢٩ للهجرة، دار المرتضى، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥م.
- الأضداد: لأبي بكر محمد بن القاسم بن بشار بن الأنباري، المتوفى سنة ٣٢٨ للهجرة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت - لبنان، ١٩٨٧م.
- الأضداد: لأبي علي محمد بن المستنير المعروف بقطرب، المتوفى بعد سنة ٢١٠ للهجرة، تحقيق: حنا حداد، دار العلوم للطباعة، الرياض، الطبعة الأولى، ١٩٨٤م.

- الأضداد في كلام العرب: لأبي الطيب عبد الواحد بن علي اللغوي، المتوفى سنة ٣٥١ للهجرة، تحقيق: عزة حسين، دار طلاس، سوريا، الطبعة الثانية، ١٩٩٦م.
- الأضداد في اللغة: لمحمد حسين آل ياسين، مطبعة المعارف، بغداد، الطبعة الأولى، ١٩٧٣م.
- الإعجاز الطبي في القرآن: لمريم شمس، تعريب: زهراء يگانة، دار الهادي للطباعة، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥م.
- إعجاز القرآن والبلاغة النبوية: لمصطفى صادق الرافعي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥م.
- إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم: لأبي عبد الله الحسين بن أحمد، المعروف بابن خالويه، المتوفى سنة ٣٧٠ للهجرة، دار التربية للنشر والتوزيع.
- إعراب القراءات السبع وعللها: لابن خالويه، تحقيق عبد الرحمن سليمان العثيمين، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٢م.
- إعراب القراءات الشواذ: لأبي البقاء عبد الله بن الحسن العُكْبَرِيّ، المتوفى سنة ٦١٦ للهجرة، تحقيق محمد السيد عزّور، عالم الكتب، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م.
- إعراب القرآن: لأبي جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس، المتوفى سنة ٣٣٨ للهجرة، تحقيق: خالد العلي، دار المعرفة، الطبعة الثانية ٢٠٠٨م.
- إعراب القرآن: لأبي الحسن الباقر المنسوب خطأً للزجاج، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، ودار الكتب اللبنانية، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية، ١٩٨٢م.
- إعراب القرآن وبيانه: لمحيي الدين أحمد مصطفى درويش، دار ابن كثير، دمشق، الطبعة السابعة، ١٩٩٩م.
- الإعراب المفصل لكتاب الله المرتل: لبهجت عبد الواحد صالح، دار الفكر، عمّان الأردن، الطبعة الأولى، ١٩٩٣م.
- الأعلام: لخير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت - لبنان، الطبعة الخامسة عشرة، ٢٠٠٢م.

- الأغانى: لأبي الفرج علي بن الحسين الأصفهاني، المتوفى سنة ٣٥٦ للهجرة، تحقيق: إحسان عباس، وإبراهيم السّعافين، وبكر عباس، دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة، ٢٠٠٨م.
- الإغفال: لأبي علي الحسن بن أحمد الفارسي، المتوفى سنة ٣٧٧ للهجرة، تحقيق: عبد الله عمر الحاج إبراهيم، المجمع الثقافي، دبي، ٢٠٠٣م.
- الإكسير في علم التفسير: لسليمان بن عبد القوي البغدادي، المتوفى سنة ٧١٦ للهجرة، تحقيق: عبد القادر حسين، مكتبة الآداب، القاهرة.
- الأمالي: لأبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي، المتوفى سنة ٤٦٠ للهجرة، تحقيق بهراد الجعفري، وعلي أكبر الغفّاري، دار الكتب الإسلامية، طهران.
- أمالي ابن الشجري: لهبة الله بن علي بن محمد الحسيني العلوي، المتوفى سنة ٥٤٢ للهجرة، تحقيق: محمود محمد الطناحي، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٢م.
- أمالي المرزوقي: لأبي علي أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي، المتوفى سنة ٤٢١ للهجرة، تحقيق: يحيى وهيب الجبوري، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٩٩٥م.
- الأمتل في تفسير كتاب الله المنزل: لناصر مكارم الشيرازي، دار نشر مدرسة الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، قم - إيران، الطبعة الأولى، ١٤٢٦ هـ.
- إنباه الرّواة على أنباه النحاة: لأبي الحسن علي بن يوسف القفطي، المتوفى سنة ٦٢٤ للهجرة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي القاهرة، ومؤسسة الكتب الثقافية بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٦م.
- أنساب الأشراف: لأحمد بن يحيى بن جابر البلاذري، المتوفى سنة ٢٧٩ للهجرة، تحقيق سهير زكّار، ورياض زركلي، دار الفكر، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م.
- الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين: لأبي البركات عبد الرحمن بن محمد بن الأنباري، المتوفى سنة ٥٧٧ للهجرة، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣م.

- أنوار التنزيل وأسرار التأويل: لأبي سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البضاوي، المتوفى سنة ٦٨٥ للهجرة، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.
- الإيضاح: لأبي علي الفارسي، تحقيق: كاظم بحر المرجان، عالم الكتب، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية، ١٩٩٦م.
- الإيضاح في شرح المفصل: لأبي عمرو عثمان بن أبي بكر بن يونس المعروف بابن الحاجب، المتوفى سنة ٦٤٦ للهجرة، تحقيق: إبراهيم محمد عبد الله، دار سعد الدين، دمشق، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥م.
- إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عزّ وجلّ: لأبي بكر بن الأنباري، تحقيق: محيي الدين عبد الرحمن رمضان، مجمع اللغة العربية بدمشق، دمشق، ١٩٧١م.
- باهر البرهان في معاني مشكلات القرآن: لأبي القاسم محمود بن أبي الحسن، الشهير ببيان الحق، المتوفى بعد سنة ٥٥٣ للهجرة، تحقيق: سعاد صالح سعيد بابقي، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٩٩٨م.
- بحر العلوم (تفسير السمرقندي): لأبي الليث نصر بن محمد بن أحمد السمرقندي، المتوفى سنة ٣٧٥ للهجرة تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود، وزكريا عبد المجيد التوّتي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩٣م.
- البحر المحيط: لأبي حيان محمد بن يوسف الأندلسي، المتوفى سنة ٧٤٥ للهجرة، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض وزكريا عبد المجيد ، وأحمد النجولي ، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩٣م.
- بحوث في أصول التفسير ومناهجه: لفهد عبد الرحمن سليمان، مكتبة التوبة، ١٤١٩هـ.
- البرهان في علوم القرآن: لمحمد بن بدر بن عبد الله الزركشي، المتوفى سنة ٧٤٩ للهجرة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار التراث، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٨٤م.
- البصائر والذخائر: لأبي حيّان علي بن محمد بن عبّاس التوحيدي، المتوفى سنة ٤١٤ للهجرة، تحقيق: وداد القاضي، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٨م.

- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: لمجد الدين محمد يعقوب الفيروزآبادي، المتوفى سنة ٨١٧ للهجرة، تحقيق محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٩٩٦م.
- بقية الخاطريات: لأبي الفتح عثمان بن جني، المتوفى سنة ٣٩٢ للهجرة، تحقيق محمد أحمد الدالي، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، دمشق، ١٩٩٢م.
- بيان إعجاز القرآن: لأبي سليمان حمد بن محمد الخطابي، المتوفى سنة ٣٨٨ للهجرة، في ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تحقيق: محمد خلف الله أحمد ومحمد زغلول سلام، دار المعارف، مصر، الطبعة الثالثة، ١٩٧٦م.
- البيان في تفسير القرآن: لأبي القاسم الخوئي، مؤسسة الأعلمي، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية، ١٩٧٤م.
- البيان في غريب إعراب القرآن: لأبي البركات بن الأنباري، تحقيق: طه عبد الحميد طه، ومراجعة: مصطفى السقا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٠م.
- تاج العروس من جواهر القاموس: لمحب الدين أبي الفيض محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، المتوفى سنة ١٢٠٥ للهجرة، تحقيق: مجموعة من الأساتذة، التراث العربي سلسلة تصدرها وزارة الإعلام، دولة الكويت، ١٩٦٥ - ٢٠٠١م.
- تأويلات أهل السنة (تفسير الماتريدي): لأبي منصور محمد بن محمد بن محمود الماتريدي، المتوفى سنة ٣٢٣ للهجرة، تحقيق مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥م.
- تأويل مشكل القرآن: لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، المتوفى سنة ٢٧٦ للهجرة، تحقيق: أحمد صقر، مكتبة دار التراث، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٧٣م.
- التبيان في إعراب القرآن: لأبي البقاء عبد الله بن الحسن العُكْبَرِي، تحقيق: محمد علي البجاوي، مطبعة عيسى البابي الحلبي.
- التبيان في تفسير غريب القرآن: لشهاب الدين محمد بن أحمد بن محمد المعروف بابن الهائم، المتوفى سنة ٨١٥ للهجرة، تحقيق: ضاحي عبد الباقي محمد، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣م.
- التبيان في تفسير القرآن: لأبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي، تحقيق: أحمد حبيب قصير العاملي، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان.

- التحرير والتنوير: لمحمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي المتوفى سنة ١٣٩٣ للهجرة، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤م.
- تحفة الأريب بما في القرآن من غريب: لأبي حيان الأندلسي، تحقيق: ماهر النعساني، مطبعة الإخلاص، حماة، ١٩٢٦م.
- التخريجات النحوية والصرفية لقراءة الأعمش، المتوفى سنة ١٤٨ للهجرة: لسمير أحمد عبد الجواد، مطبعة الحسين الإسلامية، الطبعة الأولى، ١٩٩١م.
- تذكرة الأريب في تفسير الغريب: لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد المعروف بابن الجوزي، المتوفى سنة ٥٩٧ للهجرة، تحقيق: علي حسين البوّاب، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الأولى، ١٩٨٦م.
- التشكيل الصوتي في اللغة العربية: لسلمان حسن العاني، ترجمة: ياسر الملاح، مراجعة: محمد محمود غالي، النادي الأدبي الثقافي، جدة، الطبعة الأولى، ١٩٨٣م.
- التصريف الملوكي، لابن جني، عني بتصحيحه: محمد سعيد مصطفى النعسان، شركة التمدن الصناعية، مصر، الطبعة الأولى، ١٩١٣م.
- التطور اللغوي التاريخي: لإبراهيم السامرائي، دار الأندلس، بيروت- لبنان، الطبعة الثانية، ١٩٨١م.
- التعبير القرآني: لفاضل صالح السامرائي، دار عمّار، عمّان، الطبعة الرابعة، ٢٠٠٦م.
- التعريفات: لعلي بن محمد بن علي الجرجاني، المتوفى سنة ٨١٦ للهجرة، تحقيق: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة.
- تعريف الدارسين بمناهج المفسرين: لصلاح عبد الفتاح الخالدي، دار القلم، دمشق، الطبعة الثالثة، ٢٠٠٨م.
- التعليق على كتاب سيبويه: لأبي علي الفارسي، تحقيق: عوض حمد القوزي، مطبعة الأمانة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٠ - ١٩٩٦م.
- تفسير أرجوزة أبي نواس: لابن جني، تحقيق: محمد بهجة الأثري، مجمع اللغة العربية بدمشق، الطبعة الثانية.
- تفسير غريب القرآن: لابن قتيبة، تحقيق: احمد صقر، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ١٩٧٨م.

- تفسير غريب القرآن المجيد: لأبي الحسن زيد بن علي بن الحسين، المتوفى سنة ١٢٢ للهجرة، تحقيق: محمد يوسف الدين، الجامعة العثمانية، الهند، ٢٠٠١م.
- تفسير القرآن العزيز: لأبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي زمنين، المتوفى سنة ٣٩٩ للهجرة، تحقيق: حسين عكاشة، ومحمد مصطفى الكنز، الفاروق الحديثة للطباعة، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢م.
- تفسير القرآن العظيم: لأبي حاتم عبد الرحمن بن محمد بن أدريس الرّازي، المتوفى سنة ٣٢٨ للهجرة، تحقيق: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار ومصطفى الباز، مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م.
- تفسير القرآن العظيم: لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، المتوفى سنة ٧٧٤ للهجرة، تحقيق: سامي محمد سلامة، دار طيبة للنشر، الرياض، الطبعة الثانية، ١٩٩٩م.
- تفسير القرآن الكريم (سورة الفاتحة والبقرة): لمحمد صالح العثيمين، دار ابن الجوزي، السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ .
- التفسير اللغوي في لسان العرب: ليعقوب حسين المشهداني، دار الإيمان، الإسكندرية، الطبعة الأولى، ٢٠١١م.
- التفسير اللغوي للقرآن الكريم: لمساعد سليمان الطيّار، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية، ١٤٢٧هـ.
- التفسير المبين: لمحمد جواد مغنية، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية، ١٩٨٣م.
- تفسير المشكل من غريب القرآن العظيم على الإيجاز والاختصار: لأبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي، المتوفى سنة ٤٣٧ للهجرة، تحقيق: هدى الطويل المرعشلي، دار النور الإسلامي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٨٨م.
- تفسير مقاتل بن سلمان: لأبي الحسن مقاتل بن سلمان، المتوفى سنة ١٥٠ للهجرة، تحقيق: عبد الله محمود شحاته، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢م.
- التفسير والمفسرون: لمحمد حسين الذهبي، مكتبة وهبة، القاهرة .

- التفسير ومنهج التفاسير الحديثة للقرآن الكريم: لنجم عبد مسلم الفحّام، دار المدينة الفاضلة، بغداد، الطبعة الأولى، ٢٠١٣.
- التكملة: لأبي علي الفارسي، تحقيق: كاظم بحر المرجان، بيروت - لبنان، عالم الكتب، الطبعة الثانية، ١٩٩٩م.
- تكملة المعاجم العربية: لرينهارت دوزي، ترجمة: محمد سليم النعيم، مراجعة: جمال الخياط، دار الرشيد، الطبعة الأولى، ١٩٨٠ - ٢٠٠٠م.
- التلخيص في علوم البلاغة: لجلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزويني، المتوفى سنة ٧٣٩ للهجرة، تحقيق: عبد الرحمن البرقوقي، دار الفكر العربي.
- التمام في تفسير أشعار هذيل ممّا أغفله أبو سعيد السكري: لابن جني، تحقيق: أحمد ناجي القيسي، وخديجة عبد الرزاق الحديثي، وأحمد مطلوب، مطبعة العاني، الطبعة الأولى، ١٩٦٢م.
- التنبيه على شرح مشكل أبيات الحماسة: لابن جني، تحقيق: حسن محمود هنداوي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة الكويت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٩م.
- التنبيه على شرح مشكل أبيات الحماسة: لابن جني، تحقيق سيدة حامد، وتغريد حسن أحمد، مراجعة حسين نصّار، دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة، مصر، ٢٠١٠م.
- تنوير المقبّاس من تفسير ابن عباس: للفيروزآبادي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩٢م.
- تهذيب اللغة: لأبي منصور محمّد بن أحمد الأزهرّي، المتوفى سنة ٣٧٠ للهجرة، تحقيق: مجموعة محققين، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، ١٩٦٤-١٩٦٧م.
- ثلاثة كتب في الأضداد: للأصمعي، المتوفى سنة المتوفى سنة ٢١٦ للهجرة، وأبي حاتم السجستاني، المتوفى سنة ٢٥٥ للهجرة، وابن السكيت، المتوفى سنة ٢٤٤ للهجرة، تحقيق: أوغست هنفر، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ١٩١٣م.
- جامع البيان عن تأويل آي القرآن: لأبي جعفر الطبري، تحقيق: عبد الله عبد المحسن التركي، دار هجر، القاهرة - مصر، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م.
- الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمّنه من السنة وآي القرآن: لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر الأنصاري القرطبي، المتوفى سنة ٦٧١ للهجرة، تحقيق: عبد الله عبد المحسن التركي وآخرين، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٦م.

- الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه: لمحمود بن عبد الرحيم صافي، دار الرشيد، دمشق، الطبعة الثالثة، ١٩٩٥م.
- جمهرة اللغة: لأبي بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي، المتوفى سنة ٣٢١ للهجرة، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٧م.
- الجنى الداني في حروف المعاني: لأبي محمد الحسن بن قاسم المرادي، المتوفى سنة ٧٤٩ للهجرة، تحقيق: فخر الدين قباوة، ومحمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩٢م.
- الجواهر الحسان في تفسير القرآن: لأبي زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي، المتوفى سنة ٨٧٥ للهجرة تحقيق: علي محمد معوض، وأحمد عبد الموجود، وعبد الفتاح أبو سنة، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى ١٩٩٧م.
- الجيم: لأبي عمرو الشيباني، المتوفى سنة ٢١٣ للهجرة، تحقيق: إبراهيم الأبياري، ومحمد خلف الله، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، ١٩٧٤م.
- حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك: لأبي العرفان محمد بن علي الصبان الشافعي، المتوفى سنة ١٢٠٦ للهجرة، تحقيق: طه عبد الرزاق سعيد، المكتبة التوفيقية، سيدنا الحسين - مصر.
- الحجة في القراءات السبع: لابن خالويه، تحقيق: عبد العال سالم مكرم، دار الشروق، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٧٩م.
- حجة القراءات: لأبي زرعة عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة، المتوفى نحو سنة ٤٠٣ للهجرة، تحقيق: سعيد الأفغاني، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الخامسة، ١٩٨٢م.
- الحجة للقراء السبعة: لأبي علي الفارسي، تحقيق: بدر الدين القهوجي، وبشير جويجاتي، دار المأمون للتراث، دمشق، الطبعة الأولى، ١٩٨٤ - ١٩٩٣م.
- الحصائل في علوم العربية وتراثها: لمحمد أحمد الدالي، دار النوادر، الطبعة الأولى، ٢٠١٢م.
- حقائق التأويل في متشابه التنزيل: لأبي الحسن محمد بن الحسين المعروف بالشريف الرضي، المتوفى سنة ٤٠٦ للهجرة، شرح: محمد رضا آل كاشف الغطاء، دار الأضواء، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٨٦م.

- الحمل على المعنى في العربية: لعلي عبد الله حسين العنبيكي، ديوان الوقف السني، مركز البحوث والدراسات الإسلامية، بغداد، الطبعة الأولى، ٢٠١٢م.
- الحيوان: لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، المتوفى سنة ٢٥٥ للهجرة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، الطبعة الثانية، ١٩٦٥م.
- الخاطريات: لابن جني، تحقيق: علي ذو الفقار شاكرا، دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٨٨م.
- الخاطريات المنسية: لابن جني، ضمن أربع رسائل في النحو، تحقيق: عبد الفتاح سليم، مكتبة الآداب، القاهرة.
- الخصائص: لابن جني، تحقيق: محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، ١٩٥٧م.
- خطوات التفسير البياني للقرآن الكريم: لمحمد رجب البيومي، مجمع البحوث الإسلامية - الأزهر، ١٩٧١م.
- الخلاف التصريفي وأثره الدلالي في القرآن الكريم: لفريد عبد العزيز، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٧٠هـ.
- خلق الإنسان بين الطب والقرآن: لمحمد عبد البار، الدار السعودية للنشر، جدة، الطبعة الرابعة، ١٩٨٣م.
- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون: لأحمد بن يوسف بن عبد الدائم، المعروف بالسّمين الحلبي، المتوفى سنة ٧٥٦ للهجرة، تحقيق: أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق.
- الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني: لحسام سعيد النعيمي، دار الرشيد منشورات وزارة الثقافة والإعلام العراقية، بغداد، ١٩٨٠م.
- دراسات نقدية في اللغة والنحو: لكاسد ياسر الزيدي، دار أسامة، عمّان - الأردن، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤م.
- الدرس النحوي في تفسير ابن عطية: لمحمد الحسن خليل مليطان، منشورات فكر، ٢٠٠٧م.
- دروس في كتب النحو: لعبده الراجحي، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٧٥م.

- دلائل الإعجاز: لأبي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني، المتوفى سنة ٤٧١ للهجرة، تحقيق: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، مصر، الطبعة الخامسة، ٢٠٠٤م.
- دلالة الألفاظ: لإبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة الخامسة ١٩٨٤.
- دلالة السياق: لرَدَّة الله رَدَّة الطلحي، جامعة أم القرى معهد البحوث العلمية، مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ.
- الدلالة السياقية عند اللغويين: لعواطف كنوش المصطفى، دار السياب للطباعة، لندن، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧م.
- الدلالة الصوتية في اللغة العربية: لصالح سليم عبد القادر الفاخري، نشر المكتب العربي الحديث، الإسكندرية.
- ديوان ابن مقبل المتوفى بعد سنة ٣٧ للهجرة، تحقيق: عِرَّة حسن، دار الشرق العربي، بيروت - لبنان، ١٩٩٥م.
- ديوان أبي الطيب المتتبي، المتوفى سنة ٣٥٤ للهجرة، تحقيق: عبد الوهاب عزَّام، لجنة التأليف والنشر والترجمة، مصر.
- ديوان أبي النجم العجلي الفضل بن قدامة، المتوفى سنة ١٢٠ للهجرة، جمع وشرح وتحقيق: محمد أديب عبد الواحد جمران، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ٢٠٠٦م.
- ديوان أبي نواس، المتوفى سنة ١٩٨ للهجرة، تحقيق: إيفالد فاغنز، وغريغور شولر، النشرات الإسلامية، الطبعة الأولى.
- ديوان الأعشى الكبير ميمون بن قيس، المتوفى سنة ٧ للهجرة، شرح وتعليق: محمد محمد حسين، المطبعة النموذجية، القاهرة، ١٩٥٠م.
- ديوان الإمام علي أمير المؤمنين (عليه السلام)، المتوفى، سنة ٦١ للهجرة، جمع وتحقيق: عبد العزيز الكرم، دار القلم، بيروت - لبنان.
- ديوان امرئ القيس، المتوفى نحو سنة ٨٠ قبل الهجرة، تحقيق: مصطفى عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الخامسة، ٢٠٠٤م.
- ديوان أمية بن أبي الصَّلْت، المتوفى سنة ٥ للهجرة، جمع وتحقيق: سجع جميل الجبيلي، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م.

- ديوان توبة بن الحُمير المتوفى، سنة ٥٥ للهجرة، تحقيق: خليل إبراهيم العطية، دار صادر، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م.
- ديوان جرير، المتوفى سنة ١١٤ للهجرة، تحقيق: نعمان محمد أمين طه، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثالثة.
- ديوان جران العود (عامر بن الحارث النميري)، المتوفى سنة ٦٨ للهجرة، تحقيق: نوري حمود القيسي، دار الرشيد للنشر، بغداد، ١٩٨٢م.
- ديوان حسان بن ثابت، المتوفى نحو سنة ٤٠ للهجرة، تحقيق: وليد عرفات، دار صادر، بيروت، ٢٠٠٦م.
- ديوان الحطيئة، المتوفى سنة ٤٥ للهجرة، تحقيق: حمدو طمّاس، دار المعرفة، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية، ٢٠٠٥م.
- ديوان دريد بن الصّمّة، المتوفى سنة ٨ للهجرة، تحقيق: عمر عبد الرسول، دار المعارف، القاهرة.
- ديوان ذي الرّمّة، المتوفى سنة ١١٧ للهجرة، تحقيق: عبد القدوس أبو صالح، مؤسسة الإيمان للطباعة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٢م.
- ديوان رؤبة بن العجاج، المتوفى سنة ١٤٥ للهجرة، اعتنى بتصحيحه وترتيبه وليم بن الورد البروسي، دار ابن قتيبة، الكويت.
- ديوان الشّمّاح بن ضرار الذبياني، المتوفى سنة ٢٢ للهجرة، تحقيق: صلاح الدين الهادي، دار المعارف، مصر، ١٩٦٨م.
- ديوان طرفة بن العبد، المتوفى نحو سنة ٦٠ قبل الهجرة، تحقيق: حمدو طمّاس، دار المعرفة، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣م.
- ديوان عامر بن طفيل، المتوفى سنة ١٠ للهجرة، تحقيق: كرم البستاني، دار صادر، بيروت، ١٩٧٩م.
- ديوان عنتر، المتوفى سنة ٢٢ قبل الهجرة، تحقيق: محمد سعيد مولوي، المكتب الإسلامي، دمشق.
- ديوان كُنير عزة، المتوفى سنة ١٠٥ للهجرة، جمع وتحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت - لبنان، ١٩٧١م.

- ديوان لييد بن ربيعة العامري، المتوفى سنة ٤١ للهجرة، تحقيق: حمدو أحمد طمّاس، دار المعرفة، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤م.
- ديوان النابغة الجعدي، المتوفى سنة ٥٠ للهجرة، جمعه وحققه: واضح الصمد، دار صادر، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م.
- ديوان النابغة الذبياني، المتوفى سنة ١٨ قبل الهجرة، تحقيق: عباس عبد الساتر، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الثالثة، ١٩٩٦م.
- روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني: لشهاب الدين السيد محمود البغدادي الألويسي، المتوفى سنة ١٢٧٠ للهجرة، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- الزاهر في غريب ألفاظ الإمام الشافعي: لأبي منصور الأزهرّي، تحقيق: عبد المنعم طوعي، دار البشائر الإسلامية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م.
- الزاهر في معاني كلمات الناس: لأبي بكر بن الأنباري، تحقيق: حاتم صالح الضامن، دار الشؤون الثقافية، بغداد - العراق، الطبعة الثانية، ١٩٨٧م.
- السبعة في القراءات: لأبي بكر أحمد بن موسى بن العباس، المعروف بابن مجاهد، المتوفى سنة ٤٢٨ للهجرة، تحقيق: شوقي ضيف، دار المعارف بمصر، ١٩٧٢م.
- سر صناعة الإعراب: لابن جني، تحقيق: حسن هندراوي، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، ١٩٨٥م.
- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك: لعبد الله بن عبد الرحمن العقيلي الهمداني المعروف بابن عقيل، المتوفى سنة ٧٦٩ للهجرة، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار التراث، القاهرة، الطبعة العشرون، ١٩٨٠م.
- شرح أبيات الجمل: لأبي محمد عبد الله بن محمد البطلّيوسي، المتوفى ٥٢١ للهجرة، تحقيق عبد الله الناصير، منشورات دار علاء الدين، دمشق - سوريا، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠م.
- شرح ديوان الحماسة: لأبي علي المرزوقي، تحقيق: أحمد أمين، وعبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩١م.
- شرح ديوان الفرزدق، المتوفى سنة ١١٤ للهجرة، جمع وتحقيق: عبد الله الصاوي، مطبعة الصاوي، القاهرة، ١٩٣٦م.

- شرح الرضي على الكافية: لرضي الدين محمد بن الحسن الاسترأباضي، المتوفى سنة ٦٨٦ للهجرة، تحقيق: يوسف حسن عمر، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، الطبعة الثانية، ١٩٩٦م.
- شرح شافية ابن الحاجب: لرضي الدين الاسترأباضي، تحقيق: محمد نور الحسن، ومحمد الزفزاف، ومحمد محيي الدين، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ١٩٨٢م.
- شرح شواهد الشافية (بذيل شرح شافية ابن الحاجب للاسترأباضي): لعبد القادر بن عمر البغدادي، المتوفى سنة ١٠٩٣ للهجرة، تحقيق: محمد نور الحسن، ومحمد الزفزاف، ومحمد محيي الدين، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ١٩٨٢م.
- شرح اللُّمَع: لأبي الحسن الباقولي، تحقيق: إبراهيم محمد أبو عباة، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٩٩٠م.
- شرح المفصل: لأبي البقاء يعيأ بن علي بن يعيأ، المتوفى سنة ٦٤٣ للهجرة، تحقيق: إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م.
- شرح الملوكي في التصريف: لابن يعيأ، تحقيق: فخر الدين قباوه، المكتبة العربية بطلب، الطبعة الأولى، ١٩٧٣م.
- شعر طرُيح بن إسماعيل النقي، المتوفى سنة ١٦٥ للهجرة، جمع وتحقيق: بدر أحمد ضيف، دار المعرفة، الإسكندرية، ١٩٨٧م.
- شعر الكميت بن زياد الأسدي، المتوفى سنة ١٢٦ للهجرة، جمع وتحقيق: داوود سلوم، مطبعة النعمان، النجف الأشرف، ١٩٦٩م.
- شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم: لأبي سعيد نشوان بن سعيد الحميري، المتوفى سنة ٥٧٣ للهجرة، تحقيق: حسين عبد الله العمري، ومطهر علي الإيراني، ويوسف محمد عبد الله، دار الفكر المعاصر، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩٩م.
- شواذ القراءات: لأبي عبد الله محمد بن نصر الكرمانى- من علماء القرن السادس الهجري- تحقيق: شمran سركال يونس العجلي، بيت الحكمة، بغداد، الطبعة الأولى، ٢٠١٢م.

- الصاحبى فى فقه اللغة العربىة ومسائلها وسنن العرب فى كلامها: لأبى الحسين أحمد بن فارس، المتوفى سنة ٣٩٥ للهجرة، تحقيق: أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمىة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م.
- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربىة: لأبى نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، المتوفى سنة ٣٩٣ للهجرة، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٩٩٠م.
- صحيح مسلم: لأبى الحسن مسلم بن الحجاج القشيري، المتوفى سنة ٢١٦ للهجرة، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الحديث، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩١م.
- الصوت اللغوي فى القرآن: لمحمد حسين علي الصغير، دار المؤرخ العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠١٠م.
- ضرائر الشّعْر: لأبى الحسن علي بن مؤمن بن محمد الإشبيلي المعروف بابن عصفور، المتوفى سنة ٦٦٩ للهجرة، تحقيق: السيد إبراهيم محمد، دار الأندلس للطباعة، الطبعة الأولى، ١٩٨٠م.
- طبقات المفسرين: لأحمد بن محمد الأذنروي، من علماء القرن الحادي عشر الهجري، تحقيق: سليمان صالح الخزي، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م.
- طبقات المفسرين: لجلال الدين لسيوطي، تحقيق: علي محمد عمر، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٧٦م.
- طبقات المفسرين: لشمس الدين محمد بن علي الداوودي، المتوفى سنة ٩٥٤ للهجرة، تحقيق: لجنة من العلماء، دار الكتب العلمىة، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٨٣م.
- الظواهر اللغوية والنحوية فى كتب الغزييين: لميثم محمد علي، دار الكتب العلمىة، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠١١م.
- العلاقات الدلالية والتراث البلاغي: لعبد الواحد حسن، مطبعة الإشعاع الفنية، مصر، الطبعة الأولى ١٩٩٩م.
- علم الدلالة: لأحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الخامسة، ١٩٩٨م.
- علم الدلالة: لمنقور عبد الجليل، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠١م.
- علم اللغة مقدمة للقارئ العربي: لمحمود السعران، دار النهضة العربىة، بيروت.

- العمدة في غريب القرآن: لمكي بن أبي طالب، تحقيق: يوسف عبد الرحمن المرعشلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨١م.
- العموم الصرفي في القرآن الكريم: لرضا هادي حسون، المركز التقني، بغداد، الطبعة الثانية، ٢٠١٣م.
- العين: لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، المتوفى سنة ١٧٥ للهجرة، تحقيق: مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، مؤسسة الأعلمي، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٨٨م.
- غرائب التفسير وعجائب التأويل: لأبي القسم محمود بن حمزة الكرمانى، المعروف بتاج القراء، المتوفى بعد سنة ٥٣١ للهجرة، تحقيق: شمران سركال يونس العجلي، دار القبلة للثقافة الإسلامية، جدة، ومؤسسة علوم القرآن، بيروت.
- غرائب القرآن ورجائب الفرقان: لنظام الدين الحسن بن محمد بن حسين النيسابوري، المتوفى سنة ٤٠٦ للهجرة، تحقيق: زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م.
- غريب الحديث: لأبي سليمان حمد بن محمد الخطابي، المتوفى سنة ٣٨٨ للهجرة، تحقيق عبد الكريم إبراهيم العزباوي، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٢م.
- غريب القرآن (المسمى بنزهة القلوب): لأبي بكر محمد بن عزيز السجستاني، المتوفى سنة ٣٣٠ للهجرة، تحقيق: لجنة من العلماء، مطبعة محمد علي صبيح وأولاده، مصر، ١٩٦٣م.
- الغربيين في القرآن والحديث: لأبي عبد الله أحمد بن محمد الهروي، المتوفى سنة ٤٠١ للهجرة، تحقيق: أحمد فريد المزيدي، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٩٩٩م.
- الفاخر: لأبي طالب المفضل بن سلمة بن عاصم، المتوفى سنة ٢٩١ للهجرة، تحقيق: عبد العليم الطحاوي، وراجعة محمد علي النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٤م.
- الفتح الوهبي على مشكلات المتنبى: لابن جني، تحقيق: محسن غياض، وزارة الأعلام، بغداد، ١٩٧٣م.

- الفروق اللغوية: لأبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري، المتوفى سنة ٤٠٠ للهجرة، تحقيق: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر، القاهرة.
- الفريد في إعراب القرآن المجيد: للحسين بن أبي العزّ، المعروف بالمنتجب الهمداني، المتوفى سنة ٦٤٣ للهجرة، تحقيق: فؤاد علي مخيمر، وفهمي حسن النمر، دار الثقافة، الدوحة.
- الفسر شرح ابن جني الكبير على ديوان المتبني: لابن جني، تحقيق: رضا رجب، دار الينايبع، دمشق، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤م.
- فصول في فقه اللغة: لرمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، مصر، الطبعة السابعة، ٢٠٠٩م.
- الفصول والغايات في تمجيد الله والمواعظ: لأبي العلاء أحمد بن عبد الله المعري، المتوفى سنة ٤٤٩ للهجرة، تحقيق: محمود حسن زناتي، دار الأفاق الجديدة، بيروت.
- فقه اللغة: لعلي عبد الواحد وافي، نهضة مصر للطباعة، القاهرة، الطبعة السادسة، ٢٠٠٨م.
- فقه اللغة وسر العربية: لأبي منصور عبد الملك بن محمد الثعالبي، المتوفى سنة ٤٢٩ للهجرة، تحقيق عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠١٠م.
- الفهرست: لأبي جعفر الطوسي، صححه وعلق عليه: محمد صادق آل بحر العلوم، المكتبة المرتضوية، النجف الأشرف - العراق.
- الفهرست: لأبي الفرج محمد بن إسحاق النديم، المتوفى سنة ٣٧٧ للهجرة، تحقيق: أيمن فؤاد سيّد، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن، ٢٠٠٩م.
- في البحث الصوتي عند العرب: لخليل إبراهيم العطية، الموسوعة الصغيرة، منشورات دار الجاحظ، بغداد، ١٩٨٣م.
- في علم دلالة النص نظرات في قصدية الحذف: لمحمد جعفر العارضي، تموز للطباعة، دمشق، الطبعة الأولى، ٢٠١٢م.
- القاموس المحيط: للفيروزآبادي، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، الطبعة الثامنة، ٢٠٠٥م.

- القرآن في الإسلام: للسيد محمد حسين الطباطبائي، ترجمة أحمد الحسيني، مؤسسة المحبين، قم - إيران، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤م.
- القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية: لعبد العال سالم مكرم، مؤسسة علي جراح الصباح، الطبعة الثانية، ١٩٧٨م.
- قضايا اللغة في كتب التفسير: للهادي الجطلوي، دار محمد علي الحامي، تونس، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م.
- قواعد الترجيح عند المفسرين: لحسين علي حسين الحربي، دار القاسم، الرياض، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م.
- قواعد التفسير: لخالد عثمان السبت، دار ابن عثان، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ.
- القوافي : لأبي الحسن سعيد بن مسعدة الأخفش، المتوفى سنة ٢١٥ للهجرة، تحقيق: عزّة حسن، مديرية إحياء التراث القديم، دمشق، ١٩٧٠م.
- الكامل: لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد، المتوفى سنة ٢٨٥ للهجرة، تحقيق: محمد أحمد الدالي، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، الطبعة الثالثة، ١٩٩٧م.
- الكتاب: لأبي بشر عمرو بن عثمان الملقب بسبيويه، المتوفى سنة ١٨٠ للهجرة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٩٨٨م.
- الكشف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري، المتوفى سنة ٥٣٨ للهجرة، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، مكتبة العبيكان، الرياض، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م.
- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون: لمصطفى عبد الله المعروف بحاجي خليفة، المتوفى سنة ١٠٦٧ للهجرة، عني بتصحيحه وطبعه: محمد شرف الدين بالتقايا، ورفعت بيلكه الكليسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ١٩٤١م.
- الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها: لمكي بن أبي طالب، تحقيق: محيي الدين رمضان، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، الطبعة الخامسة، ١٩٩٧م.
- كشف المشكلات وإيضاح المعضلات: لأبي الحسن الباقر، تحقيق: محمد أحمد الدالي، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، الطبعة الأولى، ١٩٩٥م.

- الكشف والبيان: لأبي إسحاق أحمد الثعلبي، المتوفى سنة ٤٢٧ للهجرة، تحقيق محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢م.
- الكليات معجم في المصطلحات والفروق الفردية: لأبي البقاء أيوب بن موسى الكفوي، المتوفى سنة ١٠٩٤ للهجرة، تحقيق: عدنان درويش، ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية، بيروت، ١٩٩٨م.
- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال: لعلاء الدين علي المتقي بن حسام الدين الهندي، المتوفى سنة ٩٧٥ للهجرة، تحقيق: بكري حيّاني وصفوة السقا، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الخامسة، ١٩٨٥م.
- اللباب في علوم الكتاب: لأبي حفص عمر بن علي بن عادل الدمشقي، المتوفى سنة ٨٨٠ للهجرة، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت الطبعة الأولى، ١٩٩٨م.
- لسان العرب: لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن علي بن منظور، المتوفى سنة ٧١١ للهجرة، دار صادر، بيروت - لبنان، الطبعة الثالثة، ١٤١٤هـ.
- اللغة: لفندريس، ترجمة: عبد الحميد الدواخلي، ومحمد القصاص، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٥٠م.
- اللغة العربية مبناها ومعناها: لتّمّام حسان، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الخامسة، ٢٠٠٦م.
- اللّمع في العربية: لابن جني، تحقيق: سميح أبو مغلي، دار مجدلاوي للنشر، عمان، ١٩٨٨م.
- ليس في كلام العرب: لابن خالويه، تحقيق: أحمد عبد الغفور العطار، مكة المكرمة، ١٩٧٩م.
- ما اختلفت ألفاظه واتفقت معانيه: للأصمعي، تحقيق: ماجد حسين الذهبي، دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى، ١٩٨٦م.

- ما تبقي من أراجيز أبي محمد عبد الله بن رعي الفقعسي، كان حياً في خلافة أبي بكر، جمع وتحقيق وشرح: محمد جبار المعبيد، دار الشؤون الثقافية، بغداد، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م.
- ما يحتاج إليه الكاتب من مهموز ومقصور وممدود: لأبي الفتح عثمان بن جني، تحقيق: عبد الباقي الخزرجي، مكتبة دار الوفاء، جدة، الطبعة الأولى، ١٩٨٧م.
- مباحث في علوم القرآن: لصبحي الصالح، دار العلم للملايين، بيروت - لبنان.
- المبسوط: لأبي عبد الله محمد بن الحسن الشيباني، المتوفى سنة ١٨٩ للهجرة، تحقيق: أبو الوفاء الأفغاني، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٠م.
- المَبْهَج في تفسير أسماء شعراء الحماسة: لابن جني، تحقيق: حسن هنداي، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، ١٩٨٧م.
- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: لضياء الدين نصر الله بن محمد بن الأثير، المتوفى سنة ٦٣٧ للهجرة، تحقيق: أحمد الحوفي، وبدوي طبانة، دار نهضة مصر، القاهرة - الفجالة، الطبعة الثانية.
- مجاز القرآن: لأبي عبيدة معمر بن المثنى التيمي، المتوفى سنة ٢١٠ للهجرة، تحقيق: محمد فؤاد سزكين، مكتبة الخانجي، مصر، ١٣٨١هـ.
- المجاز وقوانين اللغة، قراءة إستيمولوجية في النظرية اللسانية العربية: لعلي محمد علي سلمان، المؤسسة العربية للدراسات، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠١٠م.
- مجالس ثعلب: لأبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب، المتوفى سنة ٢٩١ للهجرة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، مصر، الطبعة الثانية، ١٩٦٠م.
- مجمع البيان في تفسير القرآن: لأبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي، المتوفى سنة ٥٤٨ للهجرة، دار العلوم للتحقيق والطباعة، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٦م.
- محاسن التأويل: لمحمد جمال الدين القاسمي، المتوفى سنة ١٣٣٢ للهجرة، صححه: محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة عيسى البابي الحلبي، الطبعة الأولى، ١٩٥٧م.
- الْمُحْتَسَب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها: لابن جني، تحقيق: علي النجدي ناصف، وعبد الحليم النجار، وعبد الفتاح إسماعيل شلبي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ١٩٩٤م.

- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، المتوفى سنة ٥٤١ للهجرة، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م.
- المحكم والمحيط الأعظم: لأبي الحسن علي بن إسماعيل بن سيده، المتوفى سنة ٤٥٨ للهجرة، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، وآخرين، معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية، الطبعة الأولى، ١٩٦٨م.
- المحيط في اللغة: لأبي القاسم إسماعيل بن عباد المعروف بالصاحب بن عباد، المتوفى سنة ٣٨٥ للهجرة، تحقيق: محمد حسن آل ياسين، عالم الكتب، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩٤م.
- مختار تذكرة أبي علي الفارسي وتهذيبها: لابن جني، تحقيق: حسين أحمد بوعباس، تحقيق التراث، الطبعة الأولى، ٢٠١٠م.
- مختصر في شواذ القراءات من كتاب البديع: لابن خالويه، المتوفى سنة ٣٧٠ للهجرة، عني بنشره برجستراسر، دار الهجرة.
- المخصص: لابن سيده، المكتبة الأميرية ببولاق، مصر، الطبعة الأولى، ١٣١٦هـ - ١٣٢١هـ.
- المدارس النحوية: لخديجة عبد الرزاق الحديثي، دار الأمل، أريد- الأردن، الطبعة الثالثة، ٢٠٠١م.
- المدارس النحوية أسطورة وواقع: لإبراهيم السامرائي، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٧م.
- المدخل إلى علم أصوات العربية: لغانم قدوري الحمد، منشورات المجمع العلمي العراقي، بغداد، ٢٠٠٢م.
- المذكر والمؤنث: للمبرد، تحقيق: رمضان عبد التواب، وصلاح الدين الهادي، مركز تحقيق التراث، الجمهورية العربية المتحدة، ١٩٧٠م.
- مراتب النحويين: لأبي الطيب عبد الواحد بن علي اللغوي، المتوفى سنة ٣٥١ للهجرة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة نهضة مصر، الفجالة- القاهرة.

- المزهري في علوم اللغة وأنواعها: لجلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد أحمد جاد المولى، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، وعلى محمد الجاوي، مكتبة دار التراث، القاهرة، الطبعة الثالثة.
- المسائل الحلبيات: لأبي علي الفارسي، تحقيق: حسن هندراوي، دار القلم دمشق، ودار المنارة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٧م.
- المسائل المشكلة: لأبي الفارسي، تحقيق: صلاح الدين عبد الله، مطبعة العاني، بغداد.
- المسائل المنثورة: لأبي علي الفارسي، تحقيق: شريف عبد الكريم نجار، دار عمّار، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤م.
- مسائل نافع بن الأزرق: لعبد الله بن العباس، المتوفى سنة ٦٨ للهجرة، تحقيق: محمد أحمد الدالي، نشر الجفان والجاوي، الطبعة الأولى، ١٩٩٣م.
- مشكل إعراب القرآن: لمكي بن أبي طالب، تحقيق: ياسين محمد السوّاس، دار المأمون للتراث، دمشق، الطبعة الثانية.
- المصباح المنير: لأحمد بن محمد بن علي الفيومي، المتوفى سنة ٧٧٠ للهجرة، مكتبة لبنان، بيروت - لبنان ١٩٨٧م.
- المصون في الأدب: لأبي أحمد الحسن بن عبد الله العسكري، المتوفى سنة ٣٨٢ للهجرة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، التراث العربي سلسلة تصدرها وزارة الإعلام، دولة الكويت، الطبعة الثانية، ١٩٨٤م.
- المعاجم اللغوية في ضوء دراسات علم اللغة الحديث: لمحمد أحمد أبو الفرج، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٦٦م.
- معاني الأبنية في العربية: لفاضل صالح السامرائي، دار عمّار، الطبعة الثانية، ٢٠٠٧م.
- معاني القراءات: لأبي منصور الأزهرّي، دار المعرف، تحقيق: عيد مصطفى درويش، وعوض حمد القوزي، الطبعة الأولى، ١٩٩١م - ١٩٩٣م.
- معاني القرآن: لأبي جعفر النحاس، تحقيق: محمد علي الصابوني، جامعة أم القرى مركز إحياء التراث الإسلامي، مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٩٨٨م.
- معاني القرآن: لأبي الحسن الأخفش، تحقيق: هدى محمود قراعة، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٠م.

- معاني القرآن: لأبي زكريا يحيى بن زياد الفراء، المتوفى سنة ٢٠٧ للهجرة، تحقيق: أحمد يوسف نجاتي، ومحمد علي نجار، وعبد الفتاح إسماعيل شلبي، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٨٣م.
- معاني القرآن وإعرابه: لأبي اسحق إبراهيم بن السري الزجاج، المتوفى سنة ٣١١ للهجرة، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٨٨م.
- المعاني الكبير في أبيات المعاني: لابن قتيبة، صححه: المستشرق سالم الكرنكوي، دار النهضة الحديثة، بيروت - لبنان، ١٩٥٣م.
- معاني النحو: لفاضل صالح السامرائي، شركة العاتك لصناعة الكتاب، القاهرة، الطبعة الثانية، ٢٠٠٣م.
- معترك الأقران في إعجاز القرآن: لجلال الدين السيوطي، تحقيق: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٨٨م.
- معجم الأدباء: لأبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي، المتوفى سنة ٦٢٦ للهجرة، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٩٩٣م.
- معجم القراءات القرآنية: لأحمد عمر مختار، وعبد العال سالم مكرم، مطبوعات جامعة الكويت، الطبعة الثانية، ١٩٨٨م.
- المعجم الكبير: لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، المتوفى سنة ٣٦٠ للهجرة، تحقيق: حمدي عبد المجيد، مكتبة ابن تيمية، القاهرة.
- معجم المصطلحات النحوية والصرفية: لمحمد سمير نجيب، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٨٥م.
- المعجم المفصل في تفسير غريب القرآن الكريم: لمحمد التونجي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣م.
- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: لمحمد فؤاد عبد الباقي، دار الحديث، القاهرة، ١٣٦٤م.
- معجم مقاييس اللغة: لأحمد بن فارس، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٩٧٩م.

- المُعَرَّب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم: لأبي منصور موهوب بن أحمد بن محمد الجَوَالِيقِي، المتوفى سنة ٥٤٠ للهجرة، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مطبعة دار الكتب، الطبعة الثانية، ١٩٦٩م.
- المعنى القرآني بين التفسير والتأويل: لعباس أمير، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨م.
- مغني اللبيب عن كتب الأعراب: لجمال الدين بن هشام الأنصاري، المتوفى سنة ٧٦١ للهجرة، تحقيق: مازن المبارك، ومحمد علي حمد الله، مراجعة: سعيد الأفغاني، مؤسّسة الصادق، طهران، الطبعة الأولى.
- المفردات في غريب القرآن: لأبي القاسم الحسن بن محمد المعروف بالراغب الأصبهاني، المتوفى سنة ٥٠٢ للهجرة، تحقيق محمد خليل عيتاني، دار المعرفة، بيروت - لبنان، الطبعة السادسة، ٢٠١٠م.
- المفضليات: لأبي العباس محمد بن يعلى بن عامر الضبي، المتوفى سنة ١٨٦ للهجرة، تحقيق: أحمد محمد شاكر، وعبد السلام محمد هارون، دار المعارف، مصر، الطبعة السادسة.
- المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية: لأبي إسحاق إبراهيم الشاطبي، المتوفى سنة ٧٩٠ للهجرة، تحقيق: عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، وآخرين، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي جامعة القرى، مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧م.
- المقتصد في شرح الإيضاح: لعبد القاهر الجرجاني، تحقيق: كاظم بحر المرجان، دار الرشيد، ١٩٨٢م.
- المُقْتَضَب: لأبي العباس المبرد، تحقيق: عبد الخالق عزيمة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٩٩٤م.
- المُقْتَضَب في اسم المفعول من الثلاثي المعتل العين: لابن جني، تحقيق: مازن المبارك، دار ابن كثير، دمشق، الطبعة الأولى، ١٩٨٨م.
- المقدمات الأساسية في علوم القرآن: لعبد الله يوسف الجديع، مركز البحوث الإسلامية، ليدز - بريطانيا، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م.
- مقدمة في أصول التفسير: لابن تيمية أحمد بن عبد الحلیم، المتوفى سنة ٧٢٨ للهجرة، تحقيق: عدنان زرزور، الطبعة الثانية، ١٩٧٢م.

- الممتع الكبير في التصريف: لابن عصفور، تحقيق: فخر الدين قباوه، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م.
- من أساليب القرآن: لإبراهيم السامرائي، دار الفرقان، عمّان - الأردن، ومؤسسة الرسالة بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٧م.
- من أسرار اللغة: لإبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة الثامنة، ٢٠٠٣م.
- المناهج التفسيرية في علوم القرآن: لجعفر السبحاني، مؤسسة الإمام الصادق (عليه السلام)، قم - إيران، الطبعة الرابعة، ١٤٢٣ هـ .
- مناهج تفسير القرآن: لكامل الحيدري، دار فراق، إيران، الطبعة الأولى.
- مناهج المفسرين: لمساعد مسلم آل جعفر، ومحبي هلال سرحان، دار المعرفة، الطبعة الأولى، ١٩٨٠م.
- مناهل العرفان في علوم القرآن: لمحمد عبد العظيم الزرقاني، تحقيق: فواز أحمد زملي، دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى، بيروت، ١٩٩٥م.
- المنصف شرح أبي الفتح لكتاب التصريف لأبي عثمان المازني: لابن جني، تحقيق: إبراهيم مصطفى، وعبد الله أمين، دار إحياء التراث القديم، الطبعة الأولى، ١٩٥٤م.
- منهج ابن عطية في تفسير القرآن: لعبد الوهاب عبد الوهاب فايد، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، ١٩٧٣م.
- الميزان في تفسير القرآن: لمحمد حسين الطباطبائي، صححه حسن الأعلمي، مؤسسة الأعلمي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م.
- نتائج الفكر في النحو: لأبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي، المتوفى سنة ٥٨١ للهجرة، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٢م.
- نحو القرآن: لأحمد عبد الستار الجواربي، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد، ١٩٧٤م.
- النحو وكتب التفسير: لإبراهيم عبد الله رُفَيْدَه، الدار الجماهيرية، الجماهيرية العربية الليبية، الطبعة الثالثة، ١٩٩٠م.
- النخلة: لأبي حاتم السجستاني، تحقيق: حاتم صالح الضامن، دار البشائر الإسلامية، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢م.

- نزهة الألباء في طبقات الأدباء: لأبي البركات بن الأنباري، تحقيق: إبراهيم السامرائي، مكتبة المنار، الأردن - الزرقاء، الطبعة الثانية، ١٩٨٥م.
- النشر في القراءات العشر: لأبي الخير محمد بن محمد بن يوسف الجزري، المتوفى سنة ٨٣٣ للهجرة، تحقيق: علي محمد الضباع، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.
- النظام القرآني: لعالم سبيط النيلي، منشورات ذوي القربى، قم - إيران، الطبعة الأولى.
- نفس الصباح في غريب القرآن وناسخه ومنسوخه: لأبي جعفر حمد بن عبد الصمد الخزرجي، المتوفى سنة ٥٨٢ للهجرة، تحقيق: محمد عز الدين المعيار، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، ١٩٩٤م.
- النكت في القرآن الكريم ( في معاني القرآن الكريم وإعرابه ): لأبي الحسن علي بن فضال المَجَاشِعِي، المتوفى سنة ٤٧٩ للهجرة، تحقيق: عبد الله عبد القادر الطويل، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧م.
- النكت والعيون: لأبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي، المتوفى سنة ٤٥٠ للهجرة، تحقيق: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.
- نهج البلاغة: مجموع ما اختاره الشريف أبو الحسن محمد الرضي، المتوفى سنة ٤٠٦ للهجرة، من كلام أمير المؤمنين أبي الحسن علي بن أبي طالب (عليه السلام)، تحقيق صبحي الصالح، دار الكتاب المصري، القاهرة، ودار الكتاب اللبناني، بيروت - لبنان، الطبعة الرابعة، ٢٠٠٤م.
- الهداية إلى بلوغ النهاية: لمكي بن أبي طالب، تحقيق: مجموعة باحثين، كلية الدراسات العليا والبحث العلمي، جامعة الشارقة، الإمارات العربية المتحدة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨م.
- هدية العارفين، أسماء المؤلفين وأثار المصنفين: لإسماعيل باشا البغدادي، المتوفى سنة ١٣٣٩ للهجرة، وكالة المعارف الجلييلة، استنبول، ١٩٥٥م.
- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع: لجلال الدين السيوطي، تحقيق: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م.

- ياقوتة الصراط في تفسير غريب القرآن: لأبي عمر محمد بن عبد الواحد الزاهد، المتوفى سنة ٣٤٥ للهجرة، تحقيق: محمد يعقوب التركستاني، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢م.

### الرسائل والأطاريح والمخطوطات

- ابن جني ناقدًا لغويًا: لإسراء عريبي فدم، (أطروحة دكتوراه)، كلية التربية (ابن رشد) بجامعة بغداد، ٢٠٠٥م.
- ابن جني وعلم الدلالة: لنوال كريم زرزور، (رسالة ماجستير) كلية الآداب بالجامعة المستنصرية، ١٩٨٨م.
- أبو علي الفارسي في مصنفات ابن جني: لرحيم جمعة علي الخزرجي (أطروحة دكتوراه)، كلية الآداب بجامعة بغداد، ٢٠٠٥م.
- أثر دلالة السياق في توجيه معنى المتشابه اللفظي في القصص القرآني: تهاني سالم أحمد، (رسالة ماجستير) كلية الدعوة وأصول الدين بجامعة أم القرى، ٢٠٠٧م.
- الاستدلال بالقراءات القرآنية في كتاب الخصائص لأبي الفتح عثمان بن جني: لإبراهيم سطعان عواد (رسالة ماجستير)، كلية الآداب بجامعة أهل البيت في الأردن.
- البحث الدلالي في التبيان في تفسير القرآن لأبي جعفر الطوسي: ابتهاج كاصد الزبيدي (أطروحة دكتوراه)، كلية التربية للبنات بجامعة بغداد، ٢٠٠٤م.
- التفسير اللغوي في محاسن التأويل: لمحمد جاسم ماهر (أطروحة دكتوراه)، كلية الآداب بجامعة الموصل، ٢٠٠٣م.
- التوجيه النحوي للقراءات الشاذة في المُحتَسَب لابن جني: لغانم كامل سعود الحسناوي (أطروحة دكتوراه)، كلية الآداب بجامعة الكوفة، ٢٠٠٩م.
- جهود ابن جني في التفسير وعلوم القرآن - جمعًا ودراسة، لمحمد إبراهيم عبد الفتاح، (رسالة ماجستير)، كلية أصول الدين والدعوة بجامعة الأزهر، ٢٠٠٨م.
- جهود قطرب في معاني القرآن وإعرابه جمع وتحقيق ودراسة: لخضير حسين صالح (أطروحة دكتوراه)، كلية التربية بجامعة تكريت، ٢٠٠٨م.
- الخاطريات الجزء الثاني: لأبي الفتح عثمان بن جني (ت ٣٩٢هـ)، تحقيق: سعيد محمد عبد الله (رسالة ماجستير)، كلية اللغة العربية بجامعة أم القرى، ١٩٩٦م.

- دقائق الفروق اللغوية في البيان القرآني: لمحمد ياس خضر (أطروحة دكتوراه)، كلية التربية (ابن رشد) بجامعة بغداد، ٢٠٠٥م.
- دلالة السياق القرآني وأثرها في التفسير - دراسة تطبيقية من خلال تفسير ابن جرير: لعبد الحكيم القاسم، (رسالة ماجستير)، جامعة الإمام محمد بن سعود، ١٤٢٠هـ.
- السياق في كتب التفسير الكشاف وتفسير ابن كثير أنموذجًا: لمحمد المهدي حمادي، (رسالة ماجستير) كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة حلب.
- السياق القرآني وأثره في التفسير دراسة نظرية وتطبيقية من خلال تفسير ابن كثير: لعبد الرحمن عبد الله سرور، (رسالة ماجستير) كلية الدعوة وأصول الدين بجامعة أم القرى، ٢٠٠٨م.
- الشاهد القرآني عند ابن جني: للمياء أحمد علي، (أطروحة دكتوراه)، كلية الآداب بجامعة الموصل، ٢٠٠٧م.
- الظواهر اللغوية في كتب غريب القرآن المطبوعة حتى نهاية القرن الخامس الهجري: لميثم محمد علي (رسالة ماجستير)، كلية الآداب بجامعة بغداد، ١٩٩٥م.
- المعرب في شرح قوافي أبي الحسن: لابن جني، مخطوط في مكتبة عبد العزيز العامة في الرياض تحت الرقم (٤٤٧٤)، (نسخة مصورة على قرص).

### الدوريات

- أبو الفتح بن جني وأثره في اللغة: لمحمد سعيد أطلس، مجلة المجمع العلمي العربي دمشق، المجلد: ٣٢، الجزء: ٤، ١٩٥٧م.
- أثر الدلالة اللغوية في التأويل عند المفسرين: لكمال أحمد فالح، المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، المجلد: ٥، العدد: ٣، ٢٠٠٩م.
- أثر الصوت في توجيه الدلالة: لساجدة عبد الكريم، مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية، المجلد: ١٧، العدد: ٣، ٢٠١٠م.
- الاستعمال الصرفي ومظاهره في التعبير القرآني: لرياض كريم عبد الله البديري، مجلة مركز دراسات الكوفة، المجلد: ١، العدد: ١٣، ٢٠٠٩م.
- الإسناد في لغة أكلوني البراغيث: لعبد الحميد الأقطش، مجلة أبحاث اليرموك، الأردن، المجلد: ١٣، العدد: ٢، ١٩٩٥م.

- الاشتقاق عند ابن جني: لسيروان الجنابي، مجلة اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب - جامعة الكوفة، العدد: ٦، ٢٠٠٨م.
- تخطئة النحاس للنحويين في إعراب القرآن: لجاسم الحاج جاسم، مجلة الجامعة الإسلامية، بغداد، العدد: ٢١، الجزء: ١، ٢٠٠٨م.
- تفسير القرآن بالقرآن نشأته وتطوره: لكاسد ياسر الزبيدي، مجلة آداب الرفادين، جامعة الموصل، العدد: ١٢، ١٩٨٠م.
- التوجيهات النحوية لقراءة أبي السَّمال: لعبد الله عويقل السلمي، مجلة معهد الإمام الشاطبي للدراسات القرآنية، العدد: ٢، ١٤٢٧هـ.
- الخاطريات المنسية: لابن جني، مجلة عالم الكتب، المجلد: ١٤، العدد: ٦، ١٩٩٣م.
- السياق القرآني والدلالة المعجمية: لماجد صلاح حسن، المجلة الجامعة حولية جامعة الزاوية لبيبا، العدد: ٩، ٢٠٠٧م.
- الصرف بين سيبويه والفراء: لحسن حمزة ، وسلام بزي، مجلة مجمع اللغة الأردني، العدد: ٥٣، ١٩٩٧م.
- ظاهرة القطع في العربية: للدكتور فاضل صالح السامرائي، مجلة كلية الآداب جامعة بغداد، العدد: ٣٧، ١٩٩٠م.
- ظواهر الفكر الصوتي عند ابن جني: لمحمد حسين علي الصغير، الندوة المتخصصة الأولى أبو الفتح عثمان بن جني، جامعة الموصل كلية التربية، ١٩٨٩م.
- قرينة السياق وأثرها في النص القرآني: لعبد الباقي بدر الخزرجي، مجلة كلية التربية الأساسية الجامعة المستنصرية، العدد: ٦٨، ٢٠١١م.
- القرينة المعجمية وأثرها في توجيه المعنى تفسير البحر المحيط أنموذجًا: لأحمد خضير عباس، مجلة العميد، العتبة العباسية المقدسة، المجلد: ٣، الجزء: ٢٠١٣، ٥م.
- مسألتان من كتاب الأيمان لمحمد بن الحسن: لأبي الفتح عثمان بن جني، تحقيق: محمد مهدي أحمد، مجلة معهد المخطوطات العربية، المجلد: ٣٣، الجزء: ١، ١٩٨٩م.
- المعرفة اللغوية في تفسير النص القرآن: لزهير غازي زاهد، مجلة اللغة العربية بدمشق، المجلد: ٨١، الجزء: ٤، ٢٠٠٦م.
- مصطلح القراءة الشاذة في المُحتَسَب ودعوى تردُّد ابن جني في المذهب: لخير الله الشريف، مجلة مجمع اللغة في دمشق، المجلد: ٨٤، الجزء: ١، ٢٠٠٠م.



- من أوهام الراغب في معجمه: لكاسد ياسر الزبيدي، مجلة آداب الرافدين، جامعة الموصل، العدد: ٢٤، ١٩٩٢م.
- منهج الطبرسي في تفسير الألفاظ: لصبيح حمود الشاتي، مجلة آداب الرافدين جامعة الموصل، العدد: ١٣، ١٩٨١م.
- نظرات ابن جني في الصوت والمعنى: لحيدر جبار عيدان، مجلة مركز دراسات الكوفة، جامعة الكوفة، المجلد: ١، العدد: ٤، ٢٠٠٥م.
- نظريات ابن جني في دلالة الألفاظ ومواقف المحدثين: لأمين محمد فاخر، حولية كلية الإنسانيات والعلوم الاجتماعية، جامعة قطر، العدد: ١، ١٩٧٩م.

## **Abstract**

I have dealt with my research which is marked by (Ibn- Jinni's Linguistic Interpretation of holy Quran) Linguistic interpretation as a method of curriculum interpretation of Al- Quran, has a big impact in showing the meaning and explain it according to language's parts and its techniques at Ibn- Jini. This simple and modest study is a part of the studies that deal with the Holy Quran and the Arabic language, and the study of Al- Quran in the side of the aspects of the spacious is an honor to every researcher as the best science what contact with the Book of Allah Almighty, the goal to this study is to the impact of the Arabic language and sciences in the interpretation of Al- Quran to Ibn- Jini as described as a symbol of the language in which Quran has an abundant share of research and dimpling and stand on the mini linguistic things have an impact in clarifying sense, detect, he had in Al- Quran worthy to stand on and uncover them and show them, and to indicate its approach in this type of interpretation and opinions by himself and influenced by linguists and interpreters who preceded him .

Ibn- Jini is a great figure of Arabic language, excelled in many of its arts, but, he has the great efforts in the detection of some ambiguities and the incorporation of some of its obvious states, and have used these arts in detecting the meaning of Al- Quran, in verses addressed between the folds of his books, and tried to reveal the meaning of the verse directly by speaking about it or indirectly by bringing a witness on the subject of language and then explains what this witness agrees then he explained the witness according to the topic that was witnessed by.

According to the nature of the research it was divided into three chapters and put it into two demands: first in the definition of linguistic interpretation in brief and other about Ibn- Jini as linguistic interpreter. The first chapter was titled of Ibn- Jini's curriculum interpretation of the language, and was in four sections: the first to speak on the approach to the interpretation of linguistic and second in the effect of Al- Quran in the books of Ibn- Jini, and the third in the impact of language and the arts in the interpretation of the language to Ibn- Jini, and fourth in his sources in the interpretation of the language, and the second chapter was titled linguistic

interpretation in the syntactic and morphological, detectives I put it in four sections, the first of which was in the statements sentences and some of the syntactic topics and its impact on the interpretation of the language and the second in the erasing and its impact on the interpretation of linguistic and the third in the affixes and its impact on the interpretation of linguistic and the fourth in the morphological topics and its impact on the interpretation of language. The third chapter was entitled linguistic interpretation in semantic and it has four sections the first of which is the significance of lexical and its impact on the interpretation of the language and the second in the contextual significance and its impact in the interpretation of linguistic and the third in strange interpretation Quran and fourth in some semantics phenomena and their impact on the interpretation of language.

Then have concluded the thesis with the most important findings, including that Ibn- Jini is a linguistic interpreter resembles in his interpretation the interpretation of the linguistic interpreters who preceded him such as Abu Obadiah, furan and Al akhfash, since he used many of language arts in the detection of meaning, it is the subjects grammatical used a erasing in the detection of meaning. then the deleted has shown and its kind of helps to reveal the meaning and also explained many of the words of Al- Quran and clarify their meanings, including the words ambiguous by the need to interpret the language and the words counted from the strange of the language and words of opposites and also benefited from Morphology in showing some words of Quran according to the morphological form and significance.

Republic of Iraq  
Ministry of Higher Education and Scientific  
Research  
University of Mustansiriya  
Collage of Education  
Department of Arabic



# **Ibn-Jinni's Linguistic Interpretation of holy Quran**

Thesis by the student  
**Ahmed Mohsen Khalaf**

To the Council of the College of Education at the  
University of Mustansiriya  
It is part of the requirements of a Master Certificate in  
Arabic Language and Literature

Supervised By

Assistant Professor

**Dr. Mitham Mohammad Ali al- mosawi**

1436 AH

2014 AD